

الكافي

الاصول والروضة

لشيخ الاسلام ابو جعفر محمد بن يعقوب الكاظمي

وشرح جامع

للمولى محمد صالح المازندراني

المتوفى ١٠٨١ هـ ١٠٨٦ هـ

مع تعليقات عليه للعالم البهر

الحاج الميرزا ابو الحسن الشيرازي دام ظله

من مذكرات

المكتب الاسلامي

طهران شارع بوذرجهري

تلفن ٥٢١٩٦٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب الايمان والكفر من كتاب الكافي)

((باب))

(طينة المؤمن والكافر)

[اخبرنا محمد بن يعقوب قال : حدثني]

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن ربعي بن عبد الله ، عن رجل ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة

قوله (كتاب الايمان والكفر) قدم الايمان لانه الاصل والاهم والمقصود اولانه وجودي والكفر عدمي كما قيل ، ولم يذكر واسطة ذكرها فيما بعد اما لانه لا يقول بثبوتها لما مر من الوجود الاخير اولانه اراد بهما اصل الاقرار والانكار ، ولا واسطة بينهما ، وانما الواسطة باعتبار امر آخر وهو ان يراد بالايمان الايمان الكامل المقارن بالاعمال كما هو الشائع عند اهل البيت عليهم السلام اولانه اراد بهما المطلق والواسطة لا تغلر من أحدهما ، و النقص من هذا الكتاب بيان أصل الانسان و كنهية خلقه والفرق منه وما يوجب كفره وايمانه و بيان مهلكاته و منجياته ، والترهيب من الاولى ، والترغيب في الثانية ليعرف كيفية السلوك و طريق الوصول الى سعادته التي هي قرب الحق والوصول اليه والتخلص من أهواء النفس واغواء الشيطان ولا يمكن ذلك الا بمجاهدات نفسانية و رياضات بدنية و روحانية و نبات سادقة قلبية ، وهم دلبية عالية والله ولي التوفيق واليه سداد الطريق .

قوله (باب طينة المؤمن والكافر) في النعانة طينة الرجل خلقه واسله طائفة الله على طينته أي خلقه على جبلته ، وفي المصباح الطين معروف والطينة أخس منه والطينة الخلقة يقال طائنه الله على الخير جبلته عليه ، وانما قدم باب الطينة لانه يذكر فيه أحوال مشتركة مع أن الطينة و أحوالها بمنزلة المادة و سائر الاحوال بمنزلة الصورة .

قوله (اخبرنا محمد بن يعقوب قال حدثني) لم يوجد في أكثر النسخ والوجه على تقدير وجوده ما ذكرناه في اول الكتاب .

قوله (ان الله عز وجل خلق النبيين) أي أوجدهم أو قدر وجودهم من طينة الجنة على تفاوت درجاتها ، و لبناءهم ، وأوصيأهم عليهم السلام خلقوا من طينة أعلاها كما سيجيء و إضافة الطينة اما بتقدير اللام أو في أو من .

عليين قلوبهم و أبدانهم و خلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة و [جعل] خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك ، و خلق الكفار من طينة سجين ، قلوبهم و أبدانهم فخلط بين الطينتين ، فمن هذا يلد المؤمن الكافر و يلد الكافر المؤمن ومن هنا يصيب المؤمن

قوله (قلوبهم و أبدانهم) بيان أو بدل للنيين و لعل المراد بالقلب هنا الجسم المعروف (١) الذى يتعلق به الروح أولا فلا ينفى ما مر فى باب خلق أبدان الائمة من أن أجسادهم مخلوقة من طينة عليين و أرواحهم مخلوقة من فوق ذلك وهو نور العظمة كما فى حديث آخر على أنه لو اريد به الروح لامكن الجمع بجعل الطينة مبداء لها مجازاً باعتبار القرب و التعلق أو بتخصيص النبيين بغيره دس ، ويؤيده خبر محمد بن مروان المذكور فى ذلك الباب.

قوله (و خلق قلوب المؤمنين) أى خلق قلوب المؤمنين من طينة عليين وهى جنة عدن و خلق أبدانهم من دون ذلك بدرجة ولذلك سارت قلوبهم ألطف وألين من أبدانهم ، ووقع الاقتراب بالافتقار والافتراق فى النبوة بينهم وبين النبيين.

قوله (و خلق الكفار) أى خلق الكفار قلوبهم و أبدانهم من طينة جهنم على تفاوت درجاتها باعتبار تفاوت حالاتهم فى العنق والطينان ، و لذلك سارت قلوبهم و قواهم فى الغلظة والكثافة مثل أبدانهم و لم يذكر هنا اتباعهم لأن نوع الكفر يشملهم بخلاف النبوة فانها لا تشمل جميع المؤمنين.

قوله (فخلط بين الطينتين) الظاهر أنه خلق منها آدم دس ، فمن هذا يلد المؤمن الكافر و يلد الكافر المؤمن فيخرج من المؤمن ما كان فيه من طينة سجين و يظهر منه ويخرج من الكافر ما كان فيه من طينة عليين ، وهذا معنى قول أبي عبد الله دس : ثم نزع هذه من هذه و هذه من هذه ولو لم يلد المؤمن الذى فيه شيء من طينة سجين كافراً ولا الكافر الذى فيه شيء من طينة عليين مؤمناً وقع النزاع يوم القيامة لأن طينة النار لا تدخل الجنة و

(١) قوله و لعل المراد بالقلب هنا الجسم المعروف ، أقول وهو بعيد لانه جعل مقابلاً للأبدان ، فالمراد منه الأرواح ويدفع المناقاة بين الخبرين بتعميم العليين فى الخبر الثانى بان يكون المراد من العليين أعنى ما خلق منه أرواح الائمة فى هذا الخبر أهم من العليين الذى ذكر فى الخبر السابق لان عالم العليين عالم طاهر مقدس من أدناس المادة مع أنه ذو مراتب فجسمهم و روحهم كلاهما من عليين الا ان أرواحهم من مرتبة أعلى منه فتارة اطلق عليون على المرتبة الدنيا خاصة وقيل أرواحهم من فوق ذلك و تارة اطلق على جميع المراتب فقيل أرواحهم و أبدانهم من عليين والله العالم. (ش)

السيئة و من ههنا يصيب الكافر الحسنة، فقلوب المؤمنين تحن^١ إلى ما خلقوا منه و قلوب الكافرين تحن^٢ إلى ما خلقوا منه.

طينة الجنة لا تدخل النار، يدل على هذا ما ذكره الصدوق في آخر العلل في حديث طويل . و لولا التخليط لما صدر من المؤمن ذنب قطعاً ولا من الكافر حسنة أصلاً و فيه مصالح جملة منها اظهار قدرته باخراج الكافر من المؤمن و بالعكس دفناً لتوهم استنادهم إلى الطبايع كما قال جل شأنه و يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، و منها ظهور رحمة في فسقة المؤمنين بغير ذنوبهم و منها تعيش المؤمنين في دولة الكافرين اذ لو لم يكن رابطة الاختلاط ولم يكن لهم رافة و أخلاق حسنة كانوا كلهم بمنزلة الشياطين فلم يتخلص مؤمن من بطشهم، و منها وفور المؤمن بين الخوف والرجاء حيث لا يعلم أن الثالب فيه الخير أو الشر و منها رفع المعجب عنه بفعل المعصية و منها الرجوع إليه عز وجل في حفظ نفسه عنها. قوله (فقلوب المؤمنين تحن) أي نميل قلوب المؤمنين إلى عليين و قلوب الكافرين إلى سجين لميل كل إلى أصله، لا يقال هذا الحديث و مثله يرفع الاختيار و يوجب الجبر (١)

(١) قوله و مثله يرفع الاختيار و يوجب الجبر، ليس في الباب الاول من هذه الكتاب حديث يعتمد على استاده بل جميع أخباره ضعيفة بوجه ولكن في باين بعده أخباراً توصف بالحسن أو التوثيق ولكن مضامينها مخالفة لاسول المذهب وللروايات الآتية في الباب الرابع أعني باب فطرة الخلق على التوحيد و ذلك لأن من أصول مذهبنا العدل والطلق و ان لم يخلق بعض الناس أقرب إلى قبول الطاعة و بعضهم أبعد و التبعض في خلق المكلفين مخالف لمقتضى العدل لأنه تعالى سوى التوفيق بين الوضيع والشرع يمكن اداء الامور و سهل سبيل اجتناب المحظور، و خلق بعض الناس من طينة خبيثة اما ان يكون ملزماً باختيار المعصية جبراً وهو باطل واما ان يكون أقرب إلى قبول المعصية ممن خلق من طينة طيبة وهو تبعض وظلم و قلنا انه مخالف للروايات الآتية في الباب الرابع لانها صريحة في أن الله تعالى خلق جميع الناس على فطرة التوحيد وليس في أصل خلقهم تشويه و عيب و انما العيب عارض وهكذا ما يرى من خلق الله تعالى فانه خلق الماء صافياً و انما يكدره الارض القربة و كذلك الانسان خلق سالماً من المصائب و أبواء يهودانه و نصرانه و مجسانه و ايضاً القرآن يدل على ان جميع الناس قالوا بلى في جواب ألسن بربكم فالأصل الذي عليه اعتقادنا أن جميع أفراد الناس متساوية في الخلقة بالنسبة إلى قبول الخير والشر و انما اختلافهم في غير ذلك فان دللت رواية على غير هذا الأصل فهو مطروح أو مأول بوجه سواء علمنا وجهه أو لم نعلم و من التأويلات التي هي في معنى طرح الروايات تأويل الشارح فان الروايات صريحة في أن الطينة مؤثرة في سرورة العبد سيئداً أو شقيماً و أولها الشارح بأنها غير مؤثرة، (ش)

٢ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن ، عن النضر بن شعيب ، عن عبد الغفار الجازي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله جل وعز خلق المؤمن من طينه الجنة وخلق الكافر من طينة النار ! وقال : إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً طيب روحه

والاضطرار لانا نقول :- والله أعلم ان الله جل شأنه لما خلق الارواح كلها قابلة للخير والشر وعلم أن بعضها يعود الى الخير المحض وهو الايمان ، وبعضها يعود الى الشر المحض وهو الكفر باختيارهما وأمرها حين كونها مجردات صرفة بأمر كما سيحییء و وقع معلوم مطابقاً لتعلمه خلق الاول مسكناً وهو البدن من طينة عليين و خلق للآخر مسكناً من طينة سجین كما خلق للمؤمن الجنة وللکافر ناراً و ذلك ليستقر كل واحد فيما يناسبه ويعود كل جزء الى كله وكل فرع الى أصله ، ومن ههنا ظهر أن الخلق من الطينتين تابع للإيمان والكفر ومسبب عن العمل دون العكس فلا يستلزم الجبر ولا ينافي الاختيار الا ترى أنه تعالى لما علم أن بين النبيين والمؤمنين اتصالاً من وجه و انفصالاً من وجه آخر لان المؤمنين يوافقونهم في العقائد و يخالفونهم أحياناً في الاعمال لعدم المصمة خلق قلوب المؤمنين من طينة النبيين وخلق أبدانهم من دون ذلك لانهما طينتين و درجاتهم و شرفهم ، فوضع كلا في درجته و انك اذا قدرت لعبدك المطيع شيئاً شريفاً و لعبدك العاصي شيئاً ضيقاً صح ذلك عفلاً و شرعاً ولا يسدك عاقل بالظلم والجور اذ الظلم وضع الشيء في غير موضعه ، فهو انما يلزم لو انعكس الامر أو وقع النساوي ، و بما قررنا تبين ضاد توهم أن الايمان والفضل و الكمال و استعدادها تابعة لطهارة الطينة و صفاتها ، و خباثة الطينة و ظلماتها ، و هذا التوهم يوجب الجبر و يطلان الشرائع والتأديب والسياسة والوعد والوعيد نموذباته منه .

قوله (خلق المؤمن من طينة الجنة) قد أشرنا الى أن المراد بالطينة ظاهرها و أن الله تعالى لما علم في الازل من روح المؤمن طاعته و من روح الكافر عصيانه خلق بدن كل واحد في هذه النشأة مما يعود اليه في النشأة الآخرة ، و قال بعض شراح نهج البلاغة : الطينة اشارة الى أصولهم وهي المعترجات المنقطة في أطوار الخلقة كالنطفة وما قبلها من موادها مثل النبات والغذاء وما بعدها من المعلقة والمضغة والظلم والمزاج القابل للنفس المدبرة ، و سيحییء توضيح ذلك في حديث الزمن .

قوله (و قال اذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً) ان ارید بالخير توفيقه تعالى وهداياته الخاصة لحسن استعداد العبد فالارادة على حقيقتها وان ارید به الايمان و ثوابه من الاعمال الصالحة والاخلاص الفاضلة يرد أنه تعالى اراد خير جميع المباد بهذا المعنى و يمكن دفعه بأن الارادة حينئذ تعود الى اعتبار كونه عالماً بما في البعد من الميل الى الخيرات والمزم على امتثال

وجسده فلا يسمع شيئاً من الخير إلا عرفه ولا يسمع شيئاً من المنكر إلا أنكره قال : وسمعت يقول : الطينيات ثلاث : طينة الأنبياء والمؤمن من تلك الطينة إلا أن الأنبياء هم من صفوتها ، هم الأصل ولهم فضلهم والمؤمنون الفرع من طين لازب ، كذلك لا يفرق الله عز وجل بينهم وبين شيعتهم ، وقال : طينة الناصب من حماء مسنون ؛ وأما المستضعفون فمن تراب ، لا يتحول مؤمن عن إيمانه ولا ناصب عن نصبه و

أو أمره والاجتناب عن نواحيه ، فإذا علم منه ذلك توجه إليه لطفه فيطيب روحه ونفسه عن الفسايح و يطهر جسده وقواء عن القبائح فلا يسمع شيئاً من الخير الا عرفه وصدق به وصل به وان كان من العمليات ولا يسمع شيئاً من المنكر الا أنكره و عرف قبحه وتركه ، وهكذا يفعل الله بعباده اذا علم صدق نياتهم وحسن استعدادهم .

قوله (الطينيات ثلاث) الاولى طينة الانبياء والمؤمنين المقربين بهم ، والثانية طينة الكفرة والنواصب المنكرين المعاندين لهم ، والثالثة طينة المستضعفين الذين لا يقررون بهم ولا يماندونهم ، وهذا التقسيم باعتبار المخلوق منها ، فلا ينافي ما مر في باب خلق ابدان الامة من أن الطينيات عشرة لان ذلك باعتبار مبدء الخلق ، تأمل تعرف .

قوله (والمؤمن من تلك الطينة) أي قلبه أو الايم منه و من البدن لان المراد بتلك الطينة طينة الجنة وهي تشملهما الا أن الانبياء خلقت قلوبهم وأبدانهم من صفوتها ، أو خالصها ، أما أرواحهم فمن فوق ذلك كما مر ، وهم الأصل في اليجاد والمقصودون أمالة في خلق هذا النوع ولهم فضلهم في العلم والعمل والتقدم والتقرب التام بالحق والارشاد ، والمؤمنون فرع الانبياء وتلوهم في القصد واليجاد وأبدانهم خلقت من طين لازب و هو تفل طين الانبياء سمي به لانه الزق وأصلب من الصفو المذكور ، وأما قلوبهم فضلقت مما خلق منه الانبياء كما مر وكما لم يفرق الله تعالى بين الانبياء وشيعتهم في الخلقة والطينة كذلك لا يفرق بينهما في الدنيا والاخرة لان الفرع مع الأصل والتابع مع المتبوع .

قوله (وقال طينة الناصب من حماء مسنون) الحماء الطين الاسود والمسنون المتغير المنثن وهو طين سجين ، وقد روى أن الله عز وجل خلق أرضاً خبيثة سبعة مثقنة ، ثم فجر منها ماء اجاجاً مالحة فأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام حتى طبختها وحمها ، ثم نصب ذلك الماء عنها ثم أخذ من ذلك الطين فخلق منه الملقاة الكفرة والكنتمهم .

قوله (وأما المستضعفون فمن تراب) أي خلقوا من تراب غير ممزوج بماء مذب زلال كما مزجت به طينة الانبياء والمؤمنين ، ولا بماء آسن اجاج كما مزجت به طينة الكافرين ، فلا يكونون من هؤلاء ولا من هؤلاء ولا المشية فيهم ان شاء الله أدخلهم في

الله المشيئة فيهم.

٣- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن صالح بن سهل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك من أي شيء خلق الله عز وجل طينة المؤمن؟ فقال: من طينة الأنبياء، فلم تنجس أبداً.

٤- محمد بن يحيى وغيره، عن أحمد بن محمد وغيره، عن محمد بن خلف، عن أبي - نهرشل قال: حدثني محمد بن إسماعيل، عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله جل وعز خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا ممّا خلقنا منه و

رحمته و أن شاء أخرجهم منها.

قوله (لا يتحول مؤمن من إيمانه) بيان لحال كل واحد من الأقسام الثلاثة، ولا ينافيه ما قد يقع من التحول لأن المتحول من الإيمان لم يكن مؤمناً في الحقيقة، وإنما اكتسب الإيمان بما فيه من رائحة طينة الجنة المكتسبة بالمخالطة، فلما زالت عادائس ما كان عليه من الكفر في المهد القديم والمتحول من الكفر لم يكن كافراً في الحقيقة، وإنما اكتسب الكفر بما فيه من رائحة الفار، فلما زالت عاد إلى ما كان عليه من الإيمان و بالجملة الإيمان في الأول حسنة نشأت من التخليط المذكور والكفر في الثاني سيئة نشأت منه والتخليط قد يفضي إلى اتصاف كل واحد من الفريقين بصفات الآخر لكنه غير مستقر غالباً .

قوله (من أي شيء خلق الله عز وجل طينة المؤمن) يريد بالمؤمن من علم الله تعالى أولاً إيمانه في عالم الأرواح و من كان كذلك فهو مؤمن في عالم الأشباح أيضاً و لذلك خلق الله قلبه و بدنه من طينة طيبة طاهرة هي طينة الأنبياء، أما قلبه فمن صفوها، و أما مثال بدنه فمن ثفلها فلاجل ذلك لم ينجس المؤمن بالكفر و قد عرفت أن خلقه من تلك الطينة تابع لإيمانه و سبب لكماله و هو لطف من الله تعالى مبسوط على من يشاء من عباده.

قوله (خلقنا من أعلى عليين) أي خلق قلوبنا و أبداننا من أعلى أمكنة الجنة و أرفع درجاتها أو من أعلى المراتب و أشرفها و أقربها من الله عز وجل على احتمال، و خلق قلوب شيعتنا و تابعينا في العلم والعمل مما خلقنا منه فلذلك يقبل الحق ويمتثل فيه، و خلق أبدانهم من دون ذلك لقصور ما في قوتهم العملية و فواهم الجسمانية بالنسبة إلى قوتنا و قوانا فوضع كلّا في المقام اللائق به، لا يقال خلق قلوب شيعتهم مما خلق قلوبهم منه يقتضسى

خلق أبدانهم من دون ذلك وقلوبهم تهوي إلینا، لأنّها خلقت ممّا خلقنا منه، ثمّ تلا هذه الآية: «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْإِبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ» وما أدراك ما عِلِّيُّونَ ﴿٥﴾ كتابٌ مرقومٌ يشهده المقربون، وخلق عدوًّا من سجين وخلق قلوب سبعتهم ممّا خلقهم منه و أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلیهم، لأنّها خلقت ممّا خلقوا منه، ثمّ تلا هذه الآية: «كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِينٍ ﴿٦﴾ وما أدراك ما سَجِينٌ ﴿٧﴾ كتابٌ

المماثلة في القوة النظرية وليس كذلك لانا نقول استكمال القوة النظرية كما يكون من جهة التأثير من المفيض كذلك يكون من جهة التأثير في القوى الجسمانية والادراكات والصفات الحاصلة للنفس المدبرة من هذه الجهة، وفي نفس الشيعة وان استكملت نفس ما في التأثير بالنسبة الى نفوسهم القدسية الكاملة من كل وجه والنفس فيه يوجب النفس في التأثير ايضا ذلك بوجوب عدم المساواة بينهما في القوة المذكورة.

قوله (لانها خلقت مما خلقنا) ضرورة ان تولدعا منه و فرعتها له و ربطها به مقتضية لئيلها اليهم وحبها لهم كما يحب الولد والده و يميل اليه.

قوله (ثم تلا هذه الآية وكلا ان كتاب الابرار لفي عليين) لعل المراد ان المكتوب للابرار وهم المؤمنون مطلقاً من الافعال الخيرة والاعمال الصالحة لفي عليين و هو ديوان اعمال الصالحين و صحائف افعال المتقين، ثم قال تفخيماً لئانه « و ما أدريك ما عليون كتاب مرقوم » أي مكتوب أو معلم بعلامة يعلم من رآه أن فيه خيراً يشهده المقربون من الملائكة أي يحضرونه و يحفظونه أو يشهدون لهم على ما فيه يوم القيامة، والغرض من تلاوة الآية هو الاشارة بتنظيم كتابهم الى تنظيم شأنهم ، و يحتمل أن يراد بعليين الجنة أو أشرف المراتب و أقربها من الله تعالى أو السماء السابعة و حينئذ لابد من اختيار الحذف في قولهم له « و ما أدريك ما عليون » أي ما كتاب عليين. كما يحتمل أن يراد بكتاب الابرار ما كتب و فرض لهم من الطيبة و بعليين الجنة مع رعاية الحذف لكن كلا الاحتمالين بعيد والثاني أبعد.

قوله (و خلق عدونا من سجين) عدوهم من انكر ولايتهم أو ولاية أحدهم أو دفعهم عن مرتبتهم : والمراد بالسجين هنا جهنم أو واد فيها أو حجر في الارض السابعة أو أبعاد المراتب من الله تعالى، و لما كان عدوهم على صنفين صنف هم المعتقدمون في العداوة والشروع و صنف هم النابغون لهم فيها و كانت أوزار الاولين أكثر و أفخم ، و عتوبتهم أشد و أعظم خلق أبدانهم و قلوبهم من أقبح الدركات ، و خلق قلوب تابعيهم ممّا خلقوا منه و أبدانهم دون ذلك لوضع كل واحد في مرتبته.

قوله (كلا ان كتاب الفجار لفي سجين) يظهر معناه بالنظر الى ما سبق لانه يخالفه

مرقوم ٥ ويل يومئذ للمكذبين.

٥- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد وغير واحد، عن الحسين بن الحسن جميعاً، عن محمد بن أورمة، عن محمد بن علي، عن إسماعيل بن يسار، عن عثمان بن يوسف قال: أخبرني عبدالله بن كيسان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك أنا مولدك عبدالله بن كيسان، قال: أما النسب فأعرفه وأما أنت، فلست أعرفك قال: قلت له: إني ولدت بالجبل ونشأت في أرض فارس وإني أخالط الناس في التجارات وغير ذلك، فأخالط الرجل فأرى له حسن السمت وحسن الخلق [كثرة] أمانة ثم أفتشه فأتبينه عن عداوتكم وأخالط الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلة أمانة وزعارة ثم أفتشه فأتبينه عن ولايتكم، فكيف يكون ذلك؟ فقال لي: أما علمت يا ابن كيسان

فيجري فيه خلاف ما ذكر.

قوله (أما النسب فأعرفه) كان المراد بالنسب كيسان، ولعله كيسان بن كليب من أصحاب علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي عليهم السلام وهو أيضاً لقب مختار بن أبي عبيد المنسوب إليه الكيسانية، والمراد بمعرفته معرفته بالرؤية وعدم معرفة ابنه عبدالله عدم معرفته بها، ويؤيد قوله داني ولدت الخ، على الظاهر، ويمكن أن يكون كناية عن عدم إيمانه إذاً وكان مؤمناً لعرفه لأنهم عليهم السلام كانوا يعرفون شيعتهم وأسماءهم وأسماء آبائهم كما دلت عليه الراويات المنبرية.

قوله (إني ولدت بالجبل) قبل المراد بالجبل كردستان بين تبريز و بغداد و همدان وغير ذلك.

قوله (فأرى له حسن السمت) هو السكينة والوقار و هيئة أهل الخير والملاح يقال: سميت الرجل سمناً من باب قتل إذا كان ذا سكينة و وقار و هيئة حسنة.

قوله (و كثرة أمانة) في أموال الناس و مهورهم و أسرارهم.

قوله (ثم أفتشه فأتبينه عن عداوتكم) أي متجاوزاً عن بدايتها إلى نهايتها أو على عداوتكم أو من عداوتكم لأن حرف الجر يعني بعضها بمعنى آخر كما صرح به أئمة اللغة و على التنادير فيه مبالغة في عداوته أما الأولى فظاهر و كذا الثاني لأن على الاستعلاء، و أما الثالث فلا نه فيمدان التفتيش مقارن لوجدان عداوته، و إنما يكون ذلك لكمالها فيه.

قوله (و زعارة) عطف على قلة أو سوء الخلق، وهي الفساد والفسق وسوء الخلق و الخبث والفزع من كل كريهة والاضطراب منها.

قوله (فكيف يكون ذلك) عن أن وله طيب وعدوه خبيث، فينبغي أن يكون الأمر

أن الله عز وجل أخذ طينة من الجنة و طينة من النار، فخلطهما جميعاً ، ثم نزع هذه من هذه و هذه من هذه فمأريت من أولئك من الأمانة و حسن الخلق و حسن السميت فمما مستنهم من طينة الجنة وهم يعودون إلى ما خلقوا منه ، و ما رأيت من هؤلاء من قلة الأمانة و سوء الخلق و الز غارة فمما مستنهم من طينة النار، و هم يعودون إلى ما خلقوا منه.

٦- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن خالد ، عن صالح بن سهل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: المؤمنون من طينة الأنبياء ؟ قال: نعم.

٧- علي بن محمد ، عن صالح بن أبي حماد ، عن الحسين بن يزيد ، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة ، عن إبراهيم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام بعث جبرئيل عليه السلام في أول ساعة من يوم الجمعة ، فقبض بيمينه قبضة، بلغت قبضته من السماء السابعة إلى السماء الدنيا و أخذ من كل سماء على عكس ما وجدناه فلما وجد خلقه سأل عن سببه.

قوله (فخلطهما جميعاً) و بذلك يختلف أحوالهم و صفاتهم في الدنيا كما أشار إليه بقوله و فمأريت من أولئك، و حاصله أن ما في كل واحد من المؤمن و الكافر من صفات الآخر أمر مرضى حصل له باعتبار مماسة الطينتين و مجاورتهما و رائجتهما لاكتساب طينة الجنة رائحة من طينة النار و بالعكس، و أن الأخلاق الذميمة لا تنافي الايمان و لا تدفعه، و الأخلاق الحسنة لا تنفع مع الكفر و أن كان ذلك موجباً لتفصهما فكل يعود إلى ما خلق منه.

قوله (المؤمنون من طينة الأنبياء) قد عرفت أن طينة الأنبياء من الجنة و أنهم مخلوقون من صفوها و خالصها، و أن قلوب المؤمنين مخلوقة منه و أبدانهم من ثقلها و هو دون ذلك و لا يلزم منه الجبر و الاضطراب لما مر .

قوله (في أول ساعة من يوم الجمعة) يدل على شرافتها و رجحان الشروع في الأمر العظيم فيه، و على حدوث آدم بإرادته تعالى و الآيات المتكاثرة و الروايات المتواترة من طرق العامة و الخاصة مريحة فيه ، و هو مذهب أصحاب الشرايع كلها و مذهب جم غفيرة من مفكريها ، خلافاً للدمرية القائلين بقديم نوع الانسان و أنه ليس ثم انسان أول و إنما هو انسان من نطفة و نطفة من انسان لا إلى أول و لأصحاب الطبيعة القائلين بأن آدم حدث من تأثير النجوم أو العناصر أو غير ذلك من المزخرفات.

قوله (و أخذ من كل سماء تربة) يمكن أن يراد بالسماء الجنة مجازاً لكونها من

تربة و قبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى، فأمر الله عز وجل كلمته فأمسك القبضة الأولى بيمينه والقبضة الأخرى بشماله ، فخلق الطين فخلقن فزدا من الأرض ذرواً ومن السماوات ذرواً فقال للذي بيمينه : منك الرسل والأنبياء والأوصياء والصدّيقون والمؤمنون والسعداء ومن أريد كرامته، فوجب لهم ما قال كما قال، وقال للذي بشماله : منك الجبارون والمشركون والكافرون والطواغيت ومن أريد هوانه و شقوته، فوجب لهم ما قال كما قال. ثم إن الطينتين خلطتا جميعاً، وذلك قول الله عز وجل : « إن الله فائق الحب والنوى »

جهة السماء أو حثينة لأن السماء كل عال مظل، ولذلك يقال للسف والسحاب سماء ، و كل درجة من درجات الجنة سماء لملوها و ارتفاعها بالنسبة إلى ما تحتها و حينئذ يبراد بالأرض السجين و درجاتها فيوافق سائر الروايات و أن يبراد بها هذا المحسوس لتبادره ولا يبعد أن يكون فيها تراب من جنس تراب الأرض أو غيره أولئك البها للتشريف والتكريم .
قوله (فامسك القبضة الأولى) بيمينه هي طينة المؤمن و امسكها بيمينه للتشريف لان اليمين أشرف و للإشارة بكمال القوة الروحانية للمخلوق منها.

قوله (فخلق الطين) فلقته فلقاً من باب ضرب شقته فاعلق، و فلقته بالتشديد مبالغة. و ذراً الشيء تحرك و تفرق سريعاً. والمراد بالطين الجنس الشامل للقبضتين، و لما فلقته بفتح القبضة تحرك ما في شماله في الأرض و ما في يمينه في السموات فقال الله تعالى أو جبرئيل «ع» للذي بيمينه منك الرسل الذي يأتمن بالدين أو الكتاب و يعاهدون جبرئيل عليه السلام و يسمعون منه والأنبياء المخبرين عن الله تعالى وإن لم يكونوا رسلاً والأوصياء لهم والصدّيقون المعصومون أو المصدقون للأنبياء والرسل كثيراً أو المطابق أعمالهم لأقوالهم المؤمنون المتصفون بالإيمان الكامل والمقرون بالله واليوم الآخر والسعداء الواسلون إلى الله بمجاهدات نفسانية وقوة روحانية. و من أريد كرامته في الدنيا بالهدايات وفي الآخرة برفع الدرجات فوجب لهم ما قال كما قال من الوعد المذكور أو من قوله عز شأنه، دوأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها و قال للذي بشماله منك الجبارون الذين يكسرون قلوب الصالحين و ظهورهم و اضاعتهم بالجور والظلمة ، والمشركون بالله والكافرون الجاحدون له أولئك من أحكامه وأموره الضرورية والطواغيت المجاوزون من الحد والمقدار في العصيان، الساقطون في طرق الغبطة والضلالة والظلمان و من أريد هوانه و شقوته في الدنيا بسلب التوفيق والاذلال، و في الآخرة بالنكال فوجب لهم ما قال كما قال من الأمر المذكور أو من قوله عز شأنه «فأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق» .
قوله (ثم إن الطينتين خلطتا جميعاً و ذلك) دل على أن الفلق والذر واما

فالحب طينة المؤمنين التي ألقى الله عليها محبته والنوى طينة الكافرين الذين نأوا عن كل خير وإنما سمي النوى من أجل أنه نأى عن كل خير وتباعد عنه وقال الله عز وجل: «يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي» فالحي، المؤمن الذي تخرج طينته من طينة الكافر والميت الذي يخرج من الحي هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن فالحي، المؤمن، والميت الكافر وذلك قوله عز وجل: «أو من كان ميتاً فأحييناه» فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، وكان حياته حين فرق الله عز وجل بينهما بكلمته كذلك يخرج الله عز وجل المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها

أولاً والتخلط وقع بعدهما وذلك إشارة إليهما بالاعتبار المذكور : و الآية الأولى استشهدا للاول . والثانية للثاني.

قوله (فالحب طينة المؤمنين) كأنه يطن الآية فظهرها حب الزرع و نواة الثمر و كلاماً على كمال قدرة المانع .

قوله (من أجل أنه نأى عن كل خير وتباعد عنه) المعنى للتفسير وكان حين نأى كانت واواً و يؤيده أن صاحب مصباح اللغة ذكره في باب النون والواو.

قوله (فالحي المؤمن) كما أن الحي والميت يطلقان على من اتصف بالروح - الحيواني، و على من ذلت عنه، كذلك يطلقان على من اتصف نفس الناطقة بكمالاتها من الايمان والاخلاص وغيرها، و على من لم يتصف نفسه بها بل هذا الاطلاق أولى عند أرباب المرفان و أصحاب الايقان لأن هذه حياة باقية و تلك حياة فانية.

قوله (بكلمته) و هي أمره أو جبرئيل و هو سمي بها لأنه يتكلم الناس عن الله مزوجلي و يبلغ أمره إليهم.

قوله (كذلك يخرج الله عز وجل المؤمن في الميلاد) أي كما أخرج الله المؤمن و الكافر و ميز بينهما حين كونهما طيناً، كذلك يخرج المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله إلى النور. و يخرج الكافر من النور إلى الظلمة بعد دخوله في النور، والميلاد أخس من المولد لأن المولد الموضع للولادة والوقت، والميلاد الوقت لاغير، والمراد بالظلمة ظلمة الكفر أو ظلمة طينة سجين، و بالنور الايمان أو نور طينة الجنة، و بدخول المؤمن في ظلمة الكفر كونه في أصلاب الآباء الكفرة وأرحام الامهات الكافرات إلى أن أخرج الله تعالى عنها في وقت ولادته فتخلص من ظلمة الكفر و دخل في نور الايمان، و قدس عليه دخول الكافر في نور الايمان و اخراجه منه و يظهر من هذا الحديث ان اخراج المؤمن من الكافر و بالعكس في وقتين و قست تفريق الطين و وقت الولادة لهما في طينة أحدهما من

إلى النور، ويخرج الكافر من النور إلى الظلمة بعد دخوله إلى النور وذلك قوله عز وجل: «ولينفذ من كان حياً و يحق القول على الكافرين».

(باب آخر منه)

و فيه زيادة وقوع التكليف الاول

١- أبو علي الأشعري و محمد بن يحيى ، عن محمد بن إسماعيل ، عن علي بن الحكم عن أبان بن عثمان ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : لو علم الناس كيف ابتداء الخلق ما اختلف اثنان ، إن الله عز وجل قبل أن يخلق الخلق قال : كن

شأبة طينة الاخر.

قوله (وذلك قوله عز وجل) اشارة الى كون المؤمن مؤمناً وكون الكافر كافراً قبل اخراجهما واستشهاده له أي يدل على ذلك قوله تعالى ولينفذ أي القرآن أو الرسول «من كان حياً» بروح الايمان دو يحق القول، أي كلمة المذاب وعلى الكافرين، فان في لفظ كان دلالة على ثبوت الحياة بالايمان واستمرارها في جانب العاض قبل الانذار، و في لفظ الكافرين اشارة بنبوت الكفر واستمراره كذلك قبله.

قوله (باب آخر وفيه زيادة وقوع التكليف الاول) ينهم من الروايات أن التكليف الاول وهو ما وقع قبل التكليف في دار الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب متعدد الاول كان في عالم الارواح السرفة، الثاني كان وقت تخمير الطينة قبل خلق آدم منها، الثالث كان بعد خلق آدم منها حين اخرجهم من سلبه وهم ذر يدبون بيناً وشمالاً وكل من أطاع في هذه التكليف الثلاثة فهو يطيع في تكليف الدنيا وكل من عصي فيها فهو يعصى فيه وهنا تكليف خامس يقع في القيامة وهو مختص بالاطفال والمجانين والشيوخ الذين أدركوا النبي وهم لا يعقلون و قبرهم ممن ذكر في محله.

قوله (لو علم الناس كيف ابتداء الخلق) خلق الله تعالى الارواح بعد توافيقها في فطرة الايمان على مراتب متفاوتة في الايمان والكمال والادراك، و خلق الاجساد من مواد مختلفة بحسب اختلاف الارواح فيما ذكر، ووضع كل واحد منها فيما يليق به، ولو علم الناس كيفية تلك المراتب و كميتها و تفاوتها في قبول الكمال ما اختلف اثنان ولا يعير صاحب الكمال صاحب النقص (١) وهذا لا ينافي تمييز من يدل فطرته الاصلية و غير استعداده الذاتية بنسج أعماله وسوء أفعاله و ترك السعي فيما خلق له و طلب منه و يطيق به ، و مذاق الشرع كلها من هذا القليل.

(١) قوله ولا يعير صاحب الكمال صاحب النقص، ان كان المراد بصاحب النقص أهل

ماء عذباً أخلق منك جنتي وأهل طاعتي؛ وكن ملحاً أحاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي ثم أمرهما فامتزجا ، فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر والكافر المؤمن ، ثم أخذ طيناً من أديم الأرض فمركه نحر كاشديداً فاذا هم كالذر يدبون ، فقال لأصحاب اليمين : إلى الجنة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أبالي ، ثم أمر نارا فأسعرت ، فقال لأصحاب الشمال : أدخلوها ، فهابوها ، فقال لأصحاب اليمين : ادخلوها فدخلوها ، فقال للذين كانوا يردأ وسلاحاً فكانت برداً وسلاماً ، فقال لأصحاب الشمال : يا رب أفلتكم قال : قد أفلتكم فادخلوها ، فذهبوا

قوله (قال كن ماء عذبا) كلمة كن إشارة الى إرادته وجود ما فيه حكمة ومصلحة وقدرته عليه من غير لفظ ولا صوت ولا نداء و يفهم منه ان الماء المذب أصل المؤمن ومنه شرافته و لينته وأن الماء الاجاج و هو بالضم الماء الملح الشديد الملوحة أصل الكافر ومنه خساسته و فلفظته و امتزاج المائين سبب لتحقق القدرة على الخير والشر والقوى القابلة للضدين ، و تولد المؤمن من الكافر وبالعكس لما في أحدهما من أجزاء الآخر وصفاته و رايحته ، وقد مر شيء من سر الامتزاج آنفاً ولعل خلق الجنة والنار من المائين إشارة الى أنهار الجنة وطراوة أشجارها من الماء الاول و ميناء النار ونحو أشجارها كالزقوم من الماء الثاني قال الله تعالى أنها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين .

قوله (ثم أخذ طيناً من أديم الأرض) المراد بالطين ما امتزج بالمائين وخر بهما كما سيجيء .
به المصطفى فأول من عبرهم الله تعالى نفسه ولعنهم وبعده الملائكة والانبيا والاولياء في آيات كثيرة وأحاديث متواترة ، ولو كان مضمون هذه الرواية حقاً لبطل كتاب الله تعالى والأحاديث النبوية وأجماع أهل الحق ، وإن كان مخالفة فرعون لموسى و دج لميخ في طينته ولم يجز تعميره كيف يذمه ويلعنه الله والملائكة ويثبته منه أجماع الانبياء واليهود والنصارى والمسلمون ، قال العلامة المجلسي - رحمه الله - أنها من منشايات الاخبار ومعضلات الآثار و مما يؤهم الجبر ونفي الاختيار ، و لأصحابنا رضي الله عنهم فيها مسائل الاول مذهب اليه الاخباريون وهو أنا تؤمن بها وجمالاً ونشرف بالجهل عن حقيقة معناها ، الثاني أنها محمولة على النقية ، الثالث أنها كناية عن علمه تعالى بما هم اليه صائرون ، الرابع أنها كناية عن اختلاف استعداداتهم وقابلياتهم وهذا أمر بين لا يمكن انكاره و هذا لا يستلزم سقوط التكليف فان الله تعالى كلف النبي دس ، بقدر ما أعطاه من الاستعداد وكلف بأجهل ما في دس وطاقته ، الخامس أنه لما كلف الله تعالى الارواح أولاً في القدر واخذ ميثاقهم فاخثاروا الخير والشر باختيارهم فنسرح اختلاف الطينة على ما اختاروه . انتهى ملخصاً وهو حسن جداً . (ش)

فهايوها ، فثم ثبتت الطاعة والمعصية فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء من هؤلاء .

٢- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن أذينة ، عن زرارة أن رجلاً سأل أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله جل و عز " و إذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - إلى آخر الآية

و باديم الارض ما ظهر منها ، وبالأرض ما عمل أرض النار وأرض الجنة و الفرض من حركة وذلكه أخراج مادة كل من المؤمن والكافر عن الأخرى و تميزها عنها وأخراج كل واحد منهما من مادته كما أشار إليه بقوله وفاذاهم كالذر يدبون ، وجه التشبيه الصغر و الحركة فقال لأصحاب اليمين إلى الجنة أي سجدوا إلى الجنة مثلهم بسلام منى و ركعات أو سالمين من الصوت والافات و قال لأصحاب الشمال إلى النار ولا إلى لعدم الاعتناء بهم ، ثم أمر نارا فاسعرت أي اتقدت و اشتعلت فقال لأصحاب الشمال ادخلوها إلى آخره .

والفرض من هذا التكليف إبراز المعلوم وإظهار انطباق علمه به والممثل بالتكليف في هذه النار هو الممثل بهذا التكليف ، والمراد هو الراد ، والتطابق بين الامثالين وعدمها لازم كما أشار إليه بقوله فثم ثبتت الطاعة والمعصية فلا يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ، ولا هؤلاء من هؤلاء ، و ليس عدم استطاعتهم نظراً إلى ذواتهم بل بالغير فلا ينافي تكليفهم في العالم اليهودي لتكميل الحجة عليهم .

قوله (و إذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) من ظهورهم بدل من " بني آدم " بدل اليمين من الكل ، والمراد بأخذ الذرية من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلاً بعد نسل و إسماعدهم على أنفسهم فإن مواد الكل كانت موجودة في صلب آدم على ترتيب وجودهم في هذه النشأة فأخرجهم من ظهور بني آدم إخراج من ظهر آدم و صلبه فلا ينافي ما دل على أن الإخراج من ظهر آدم و صلبه ، و يؤيده ما نقل عن ابن عباس من أنه تعالى لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فقال : ألست بربكم قالوا بلى فتوعدى يومئذ نجف ألقلم بساهو كائن إلى يوم القيامة و روى أن الذرية كانت في صورة إنسان على مقدار الفرد . و قال محمد بن جرير الطبري : إن آدم لما فرغ من حجه و نام في وادي النعمان وهو واد خلف جبل عرفات أخرج الله تعالى ما كان في صلبه من ذريته إلى يوم القيامة فراحهم آدم و مع فمن كان في بطنه كان من أهل الجنة و من كان في بطنه كان من أهل النار ، وقال جماعة منهم صاحب الكشاف أن قوله ألست بربكم و

فقال و أبوه يسمع عليه السلام: حدثني أبي أن الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم عليه السلام فصب عليها الماء العذب الفرات ثم تركها أربعين صباحاً

قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومضى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه أشهدهم على أنفسهم وقرروهم، وقال لهم ألسنت بربكم وكانهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررونا بوحدانيتك، وباب التمثيل واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب، وقال بعضهم: إن أخذ الذرية يعود إلى إحاطة اللوح المحفوظ بما يكون من وجود هذا النوع بأشخاصه وانتفاشه بذلك عن قلم القضاء الإلهي ونزل تمكين بني آدم من العلم بربوبيته بنصب الدلائل والاستعداد فيهم وتمكنهم من معرفتها والاقراء بها منزلة الأشهاد والاعتراف تمثيلاً وتخييلاً لاخراج ولاشهادة ولاقول ولاقرار ثمة حقيقة والفسر بين هذين القولين أن الاخراج على سبيل الحقيقة والأشهاد والجواب من باب التمثيل في الأول وكليهما من باب التمثيل في الثاني، والحق أن الاخراج والأشهاد والاقراء وأخذ الميثاق بالمعاني المذكورة كلها واقعة لأنه تعالى أخرجهم وخاطبهم بقوله «ألسنت بربكم» وأجابوا ببلى حقيقة ولايعد فيه نظراً إلى قدرته القاهرة وأنه تعالى جميل فيهم قوة يتقنون بها على معرفته وتوحيده نظراً في آياته وعلى الخروج مما فيهم من قوة الكمال والتكميل إلى الفعل فكان خلقهم على هذا الوجه مشابهاً بالاخراج والعهد والميثاق فحسن إطلاق الاخراج والميثاق على هذا الوجه على سبيل التمثيل. وهذا هو العهد القديم والعهد الأول بل لايبعد إطلاق العهد القديم على علمه تعالى بما فيهم من تلك القوة، ثم إن بعضهم بعد الوجود المبني نقضوا الميثاق وأبطلوا تلك القوة والفطرة، وأنكروا ما أقرروا به بلسان تلك القوة بحاضر لذاتهم النفسانية والوماسوس الشيطانية هذا، وتفسير «دع» يدل ظاهراً على أن اخراج الذرية من الطينة التي هي مبدأ خلق آدم «دع» وفي التطبيق على ظاهر الآية خفاء، ويمكن أن يقال: إن بني آدم كانوا كامنين في طينة آدم فكان أخرجهم منها أخرجاً من ظهور بني آدم وأخرجاً من ظهر آدم أيضاً، أو يقال للآية ظهر و بطن وما ذكره «دع»، تفسير لبطنها والله يعلم.

قوله (إن الله عز وجل قبض قبضة من تراب التربة) القابض جبرئيل «دع»، ونسبته إلى الله تعالى مجاز باعتبار أنه الأمر والتراب مضاف إلى التربة أو التربة بدل من قبضه، ولعل المراد بها التربة السماوية والأرضية بدليل ما سبق.

ثم صب عليها الماء المالح الأجاج فتركها أربعين صباحاً ، فلما اختمرت الطينة أخذها فعر كها عر كاً شديداً فخرجوا كالذر من يمينه وشماله ، وأمرهم جميعاً أن يقوموا في النار ، فدخل أصحاب اليمين ، فصارت عليهم برداً وسلاماً وأبى أصحاب الشمال أن يدخلوها .

٣- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن أبيان بن عثمان عن محمد بن علي الحلبي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام أرسل الماء على الطين ، ثم قبض قبضة فعر كها ثم فرقها فرقتين بيده ثم ذراهم فاذا هم يدبثون ، ثم رفع لهم ناراً فأمر أهل الشمال أن يدخلوها

قوله (فعر كها عر كاً شديداً) عرك ما يلدن .

قوله (فخرجوا كالذر من يمينه وشماله) تفلت بأصحاب اليمين الارواح المعطية على تفاوت درجاتهم في العزم والطاعة والانقياد و بأصحاب الشمال الارواح العاصية كذلك فوضع كل روح في موضع يناسبه ولولم يضع كذلك لوقع الجور وهو منزعه عنه .

قوله (وأمرهم جميعاً أن يقوموا في النار) من امثله بأمره في ذلك الوقت فهو مؤمن حين كونه في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات وحين تولده وحين كونه في هذه النشأة وحين موته وبعده أبداً .

بجز راه وفا و عشق سپرد برآن زادو برآن بود و برآن مرد

قوله (أرسل الماء على الطين) لعل المراد بالماء الماء المذب والماء الأجاج ، و بالطين طين حليين و طين سجين كما مر . قيل تخصيص هذين العنصرين دون ذكر الباقيين لانهما الأصل في تكون الأعضاء المشاهدة التي تدور عليها صورة الانسان المحسوسة .

قوله (ثم فرقها فرقتين بيده) ذهب أهل الحق الى أنه تعالى ليس بجسم وأنه ليست له يد بمناها الحقيقية وأنه يجب سرف اليد عن ظاهرها المآجال عليه . ثم اختلفوا بعد ذلك فمنهم من حمل اليد على صفة لانعكاسها وقالوا يجب الايمان بها و سرف علم حقيقتها الى الله تعالى و منهم من أولها بالقدره فالمعنى أنه تعالى فرقها فرقتين بقدرته وكنى عن ذلك باليد لان بها نحن نفعل فخطوب الخلق بما يفهمونه . و اخرج المعقول الى المحسوس لينمكن المعنى في النفس و هذا الاختلاف يجري بينهم في كل ما نسب اليه سبحانه مع استحالة ارادة الظاهر منه .

قوله (فأمر أهل الشمال أن يدخلوها) يحتمل أن يراد بالشمال واليمين شمال

فذهبوا إليها فيها بوهها فلم يدخلوها. ثم أمر أهل اليمين أن يدخلوها فذهبوا فدخلوها فأمر الله جلّ و عزّ النار فكانت عليهم برداً و سلاماً، فلمّا رأى ذلك أهل الشمال قالوا : ربّنا أفلنا، فأقالهم، ثمّ قال لهم : ادخلوها فذهبوا فقاموا عليها ولم يدخلوها فأعادهم طيناً و خلق منها آدم عليه السلام . وقال أبو عبد الله عليه السلام : فلن يستطيع هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء ولا هؤلاء أن يكونوا من هؤلاء . قال : فيرون أن رسول الله عليه السلام أول من دخل تلك النار فلذلك قوله جلّ و عزّ : « قل إن كان للرحمن ولدٌ فأنا أول العابدين » .

جبرئيل دح، و يمينه، والمراد بأهلها من خلق من الطينة التي كانت في شماله و يمينه يعني طينة النار و طينة الجنة و أن يراد بهما جهة العلو والسفل على سبيل التمثيل لأن العلو أشرف من السفل، كما أن اليمين أشرف من الشمال، فأهل الشمال من دب إلى جهة السفل وأهل اليمين من دب إلى جهة العلو وأن يراد بهما أهل الاهانة و أهل الكرامة على سبيل التشبيه فان من كان في شمال الملك كان من أهل الاهانة و من كان في يمينه كان من أهل الكرامة والمآل واحد ، فان من كان في شمال جبرئيل كانت حركته إلى جهة السفل و كان من أهل الاهانة ومن كان في يمينه كان بالعكس .

قوله (فيها بوهها و لم يدخلوها) فناموا بعد التعلق بالابدان الصغيرة ، أو المثالية كما عاشوا قبله في عالم الارواح الصرفة و كما يصون بعد التعلق بهذه الابدان الكثيفة الجسمية .

قوله (و خلق منها آدم دح) فاسكن الفريقين في صلبة فلذا يخرج منه المؤمن و الكافر وقد يكون للمؤمن الاخلاق الذميمة والاعمال الباطلة وللکافر الاخلاق الحسنة والاعمال الصالحة لملازمة طينة كل منهما بالآخرى واكتساب راحتهما .

قوله (فلن يستطيع هؤلاء الخ) لانه وجب في علم الله تعالى انطباق حالهم في هذه العالم على حالهم في ذلك الوقت و العلم تابع للمعلوم بمعنى أنه لما كان هذا كان ذاك دون العكس وهذا معنى استطاعتهم على التبدل والتدوير ولا يلزم منه الجبر .

قوله (ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) لكونه أول من امثل بأمره بالدخول في النار و بالاقترار بالربوبية و بكل حق و صدق فوجب أن يكون أول من يعتقد له ولداً لو كان له ولد فلما لم يعتقد بل نفاً علم أنه ليس ولد، و يفهم منه أن جزاء الشرط محذوف و أن المذكور تعليل له قساعم مقامه . أي لو كان للرحمن ولد فأنا أول من يقربه .

(باب آخر منه)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن داود المجلي، عن زرارة، عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى حيث خلق الخلق خلق ماء عذبا وماء مالحا أحاجا، فامتزج الماءان، فأخذطينا من أديم الأرض فمركه عركا شديداً، فقال لأصحاب اليمين وهم كالذر يدبون : إلى الجنة يسلم وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أبالي، ثم قال : ألسن بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة : إنا كنا عن هذا غافلين، ثم أخذ الميثاق على النبيين، فقال : ألسن بربكم و أن هذا محمد رسولي، وأن هذا علي أمير المؤمنين ؟ قالوا : بلى، فثبت لهم النبوة وأخذ الميثاق على أولى العزم أنني

لاني أول العابدين.

قوله (باب آخر منه) هذا الباب مثل السابق إلا أنه يذكر فيه شيئا من تفاصيل التكليف الأول واختلاف الخلق وحكمة ذلك الاختلاف وغير ذلك مما يظهر بالتأمل.

قوله (فأخذ طينا من أديم الأرض) أي طينا مخمرا بالماءين وبذلك التخمير يتحقق القدرة على الخير والشر في الكل كما أشرنا إليه إذ لو وقع التخمير من العذب فقط لم تكن قدره على الشر ولو وقع من الأحاج فقط لم تكن قدره على الخير بالجملة في إيجاد هذا النوع وامتحانهم بالتكليف يقتضى التخمير بالماءين.

قوله (فمركه عركا شديداً) فخرجوا كالذر يدبون يمينا و شمالا ، وحذف

لدلالة سوق الكلام عليه.

قوله (إلى الجنة يسلم) متعلق بقال لا يدبون وقدم تفسيره.

قوله (قالوا بلى شهدنا أن تقولوا) بلى تصديق بالربوبية وشهادة بالوحدانية وإن تقولوا مفعول له أي فعلنا ذلك من أخراجكم وإشهادكم على أنفسكم وأخذ الميثاق عليكم بالربوبية كراهة أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. ولم ينهنا عليه أحد أو تقولوا إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فإفندينا بهم وتبيننا آثارهم. إذ لا حذر لهم في الأعراض عن التوحيد والتعصك بالتعليل والافتداء بالأباء بعد تبينهم عليه كما لا حذر لأبائهم في الشرك.

قوله (قالوا بلى) أي قال النبيون كلهم بلى وأما غيرهم فقال بعضهم بلى في الرسالة والولاية دون بعض كما دلت عليه الروايات في هذا الكتاب وغيره.

ربكم ونجد رسولنا وعلياً أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاية أمرى وخزناً علمي عليهم السلام وأن المهدي المنتصر به لدينى وأظهر به دولتى وأنتقم به من أعدائى وأعبد به طوعاً وكرهاً ، قالوا : أقررنا يا رب وشهدنا ولم يجحد آدم ولم يقر فتثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة فى المهدي ولم يكن لآدم عزم على الاقرار به وهو قوله عز وجل : ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً قال : إنما هو فترك ثم أمر ناراً فأجبت فقال لأصحاب الشمال : أدخلوها ، فهابوها ، وقال لأصحاب اليمين : أدخلوها فدخلوها فكانت عليهم برداً وسلاماً فقال أصحاب الشمال : يا رب أقلنا ، فقال : قد أقلتكم اذهبوا فادخلوها ، فهابوها ، ثم ثبتت الطاعة والولاية والمعصية .

قوله (ثبتت لهم النبوة) دل على أن نبوتهم قبل أخذ الميثاق عليهم برسالة محمد «س» و ولاية أمير المؤمنين «ع» كانت فى حيز البداية وصارت حتماً بعده بالاقرار .
قوله (وأخذ الميثاق على اولى العزم) هم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وعليهم لتأكد عزمهم فى أمر الدين والمجىء كل للاحق بعزيمة نسخ كتاب سابقه وشرعته ، ولعل المراد بهم هنا الاربعة الاول بقرينة أخذ الميثاق عليهم لرسالة خاتم الانبياء «س» .

قوله (وأعبد به طوعاً وكرهاً) كما قال جل شأنه ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وقال محى الدين فى الفتوحات : اذا ظهر المهدي «ع» يرفع بالمذاهب عن الارض فلا يبقى الا الدين الخالص ، وأعداؤه يدخلون فى دينه وتحت حكمه كرهاً خوفاً من سيفه ولولا أن السيف بيده لاقى الفقهاء بقتله ولكن الله يظهره بالسيف والكرم فيطيعون ويخافون ويقبلون حكمه من غير ايمان ويضرون خلافه ويعتقدون فيه اذا حكم فيهم بغير مذهب آمنهم أنه على ضلال . فى ذلك كلامه طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

قوله (ولم يجحد آدم ولم يقر) أى لم يجحد آدم عهد المهدي عليهم السلام قلباً ولم يقربه لساناً بل أقربه قلباً ولم يقربه لساناً لتوليه وتأسفه بهلالة أكثر أولاده . وبما يرد عليهم من القتل والقهر لما بين الأب وأولاد من الروابط الخفية المتضمنة لتأسفه بما يرد عليهم وإن كان راضياً بقضاء الله وحكمه . وعلى هذا كانه لم يكن له عزم تام على الاقرار به اذ لو كان له ذلك العزم كما كان لاولى العزم من الرسل لأقر به كما أقروا ، و أما قوله « فنسى » معناه فترك الاقرار به لساناً أو فترك العزم على الاقرار به وليس المراد به معناه الحقيقى فلي تأمل .

٢- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد وعلي بن إبراهيم ، عن أبيه عن الحسن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن حبيب السجستاني قال : سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول : إن الله عز وجل لما أخرج ذرية آدم (عليه السلام) من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له و بالنبوثة لكل نبي فكان أول من أخذ له عليهم الميثاق نبوهته محمد ابن عبدالله (عليه السلام) ثم قال الله عز وجل لآدم : أنظر ماذا ترى ، قال : فنظر آدم إلى ذريته وهم ذر قد ملؤوا السماء ، قال آدم (عليه السلام) : يا رب ما أكثر ذريتي ! و لأمر ما خلقتهم ؟ فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم ؟ قال الله عز وجل : يعبدونني لا يشركون بي شيئاً و يؤمنون برسلي ويتبعونهم ، قال آدم (عليه السلام) : يا رب فما لي أرى بعض الذر أعظم من بعض و بعضهم له نور كثير و بعضهم له نور قليل أو

قوله (يا رب ما أكثر ذريتي و لأمر ما) تعجب في كثرتهم مع خفاء سببها و دماء في دأمر ما صفة أي لأمر أي أمر خلقتهم .

قوله (قال آدم يا رب فما لي أرى بعض الذر أعظم من بعض) أي أعظم مقداراً و أعظم قدراً و رتبة لقوله و بعضهم له نور إلى آخره ، على الأول كالتأسي و على الثاني كالتاكيد و مجمل ما في هذا الخبر أن آدم رآه رأى اختلاف ذريته في غاية الكمال بحيث لا يكاد يشترك اثنان منهم في حال من الأحوال و لم يعلم سبب ذلك الاختلاف سأل عن سببه فأجاب عن شأنه بأنه خلقهم كذلك لأجل الابتلاء ، ثم هاد هـ ، بأن خلقهم كذلك يوجب بينهم التفاضل والتباعد والتباغض والتحاسد ، و أن اتحادهم في جميع الأحوال يوجب رفع هذه المفساد و تحقق نظامهم ، والسؤال الأول نشأ من روحه القدسية الالهية الناطقة في حقائق الاشياء و صفاتها و منافعها ومضارها ، والسؤال الثاني تكلف نشأ من قواء الجسمانية ومواد الطبيعية بتوهمات دائره و خيالات باطله ، اذ التساوى في الفنى والفقر أو اللون أو المقدار أو الشكل أو العمر مثلاً لا يوجب رفع المفساد المذكورة بل يوجب رفع الحكمة والتكليف والابتلاء ، و ذلك نقص في العلم والتقدير والتدبير في ايجاد هذا النوع و ابتلائهم اذ الابتلاء في صورة الاختلاف أشد و أعظم والامثال بالتكليف حينئذ أرفع و أغنى والثواب المترتب عليهما أجل وأتم الا يرى أن صبر الفقير على الفقر مع مشاهدة الفنى في غيره أعظم من صبره مع مشاهدة الفقر في جميع بني نوعه و لذلك قيل و اذا عمت البلية طائفة و ان ابتلاه الفنى بالهكر مع تحقق الفقر في غيره أعظم من ابتلاله مع تحقق الفنى في جميع بني نوعه اذ له على الهكر في الصورة الاولى بواحد شئ و فس عليه جميع الأحوال المتقابلة .

بعضهم ليس له نور؟ فقال الله عز وجل: "كذلك خلقتهم لأبْلُوهم في كلِّ حالاتهم قال آدم عليه السلام: يا رب فتأذن لي في الكلام فأنتكلم؟ قال الله عز وجل: "تكلم فإنَّ روحك من رُوحِي وطبيعتك [من] خلاف كينونتي، قال آدم: يا رب فلو كنت خلقتهم على مثال واحد وقدر واحد وطبيعة واحدة وجبلة واحدة ألوان واحدة وأعمار واحدة وأرزاق سواء لم يبيع بعضهم على بعض ولم يكن بينهم تحاسد ولا تباغض ولا اختلاف في شيء من الأشياء، قال الله عز وجل: يا آدم برُوحِي نطقت و بضعف

قُوته (كذلك خلقتهم) أى كون بعض الذر أعظم من بعض إلى آخره خلقتهم لأبْلُوهم وفى بعض النسخ ولذلك أى لأن يعبثونى ولا يشركونى شيئاً أو لأجل الاختلاف خلقتهم كما قال جل شأنه ولايزالون مختلفين ولذلك خلقتهم.

قوله (تكلم فإن روحك من رُوحِي) لعل المراد بالروح الاولى النفس الناطقة الناطقة الى عالم الملك والملكوت، وبالروح الثانية جبرئيل ع، لانه روح الله الامين ونسبته اليه تعالى ظاهرة ومن حيثئذ ابتدائية اوجود الله تعالى وفيه علي آدم وانما كان ذلك روحاً لانه مبدء كل حياة فهو الروح الكلية التى بها قوام كل حياة، وحياة كل موجود ونسبته اليه أيضاً ظاهرة ومن حيثئذ للابتداء اول التمييز اذ ذاته المقدسة والمتسودا أنه تعالى خلق روحه من عند ذاته المجردة بمجرد المشية بلا توسط مادة كالتراب و نحوه من المواد الجسمية، والمراد بالكيونة الوجود والطبيعة المواد الجسمية مثل الحواس الظاهرة والباطنة التى جعلت فى الانسان ليستعملها على القوانين العبدية و يستعين بها فى السير الى حضرة القدس و كونها على خلاف وجوده تعالى ظاهر لتنزله عن العالم الجسماني، وفيه تنبيه على أن التكلم قديكون صواباً اذا كان المقضى له هو الروح المجردة وقد لا تكون اذا كان المقضى هو الطبايع الجسمية فانه قد تقع فى الغلط والثوهم الفاسد وقد وقع فى السؤال المذكور كلا الامرين .

قوله (فلو كنت خلقتهم على مثال واحد وقدر واحد) لعله ع علم تساوت الاعمال والارزاق بالالهام ، وأما ما سواهما من الامور المذكورة علمه بالشاهدة .
قوله (وجبلة واحدة) الجبلة بكسر الجيم وسكون الباء وكسرهما وشدة اللام الخلقه و منه قوله تعالى و والجبلة الاولين .

قوله (قال الله عز وجل يا آدم برُوحِي نطقت) اعانة الروح اليه سبحانه للاختصاص باعتبار أنه من عالم الامر و عالم المجردات السرفة، ومن شأنها التحرك الى طلب المعهولات فلذلك نطقت فى هذا المقام عند رؤية الاختلاف العظيم فى الذرية مع عدم العلم

طبيعتك تكلفت ما لا علم لك به و أنا الخالق العالم ، بعلمي خالفت بين خلقهم و
بمشيئتي يمضي فيهم أمري . وإلى تدبيرى وتقديرى صائرون ، لا تبدل لخلقى ، إنما خلقت

بسببه ، و أما التكلف فى السؤال بأن خلقهم على مثال واحد الى آخر ما ذكره أنسب
بنظامهم و أقرب فى دفع الفساد بينهم فمستند الى ضعف طبيعته و معارضة قواء العصبانية
للقوة الروحانية و غلبتها عليها ينوهم أن الاتحاد فى الامور المذكورة موجب للاتحاد و
الائفة بينهم وهذا أمر مطلوب والحكمة تقتضى رعايته ، وهذا النوهم فاسد لان الثمائل فى
الطبيعة يوجب زوال نظامهم و انقطاع نسلهم لان الثمائل يوجب اشتغالهم بصنعة واحدة
من الصنائع الجزئية التى لها مدخل فى تحقق النظام و بقاء النوع بخلاف الاختلاف فانه
يوجب اشتغال كل واحد بما يناسبه ، و يستعد له من الصناعات فيحقق النظام المشاهد و
بقاء النوع و الثمائل فى الفقر والفاقة و غيرهما لا يوجب عدم البنى والتحامد والقباض و
غيرها من المفاسد ، و على تقدير ايجابه فهى حكمة لا قدر لها فى جنب حكمة الاختلاف و
على ابتلائهم فى مقام التكليف الموجب لرفعة مقاماتهم فى الدار الآخرة .

قوله (و أنا الخالق العليم) [كذا] تعريف الخبير باللام يفيد الحصر وفيه تنبيه على أنه
لا يبنى السؤال منه فى خلقه و ابداعه للأشياء على ما هو عليه عند خفاء الحكمة بل يجب
الاذعان بأن كل ما خلقه على أى وجه خلقه فهو أحكم و أنفع و أفضل و أحسن من غير
ذلك الوجه لكونه خالقاً عليمًا و صانعاً حكيماً لا يعمل إلا ما يقتضيه الحكمة البالغة فالقول
بأن فى خلافه حكمة فاسد اما باعتبار أن هذه الحكمة حكمة وهمية لا تحقق لها فى نفس
الامر أو باعتبار أنها حكمة ضعيفة لا قدر لها عند تلك الحكمة البالغة .

قوله (بعلمي خالفت بين خلقهم) أى خالفت بين خلق أبدانهم و قلوبهم و طبائعهم و
غيرها بسبب علمى بحالهم و بمصالح الاختلاف قبل خلقهم و بعده ، والحاصل أنه سبحانه لما
علم أن لا تفاوتهم فى الطاعة والسيان والكمال والنقصان خلق أبدانهم و سورهم وأشكالهم
وقت الميثاق على قدر تفاوتهم و تفاوت مراتبهم فوضع كلا فى موضعه وهو العدل الحكيم
و يعض فيهم فى هذا العالم وهو عالم الظهور أمر الذى هو الاختلاف المتدرج فى ذلك الوقت
أو أمر التكويني على النحو المشاهد بمجرد مشيئته و إرادته وهم صائرون الى ما در من
عاقبة امورهم و الى ما قدر لهم من الجنة والنار لا تبدل لخلق الله ، فمن حسنت أحواله فى
ذلك الوقت حسنت أحواله فى الدنيا ، و من حسنت أحواله فى الدنيا حسنت أحواله فى
الآخرة ، و من فحنت أحواله فى ذلك الوقت ، فحنت أحواله فى الوطنين الآخرين لا تبدل
هؤلاء الى هؤلاء ولا هؤلاء الى هؤلاء .

قوله (و بمشيئتي يمضي فيهم أمري) أى أمر الاختلاف أو أمر التكوين يعض فيهم بمجرد المشيئة

الجن* والانس ليعبدون و خلقت الجنة لمن أطاعني و عبدني منهم و اتبع رسلي -
ولا أبالي خلقت النار لمن كفر بي وعصاني ولم يتبع رسلي ولا أبالي ، و خلقتك
و خلقت ذريتك من غير فاقة بي إليك و إليهم و إنما خلقتك و خلقتهم لأبلوك و
أبلوهم أيتكم أحسن عملاً في الدار الدنيا في حياتكم و قبل مماتكم فلذلك خلقت
الدنيا والاخرة والحياة والموت والطاعة والمعصية والجنة والنار، وكذلك أردت في
تقديري و تدبري، و بعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم و أجسامهم و ألوانهم و

القائمة للحكم والمصالح كما أشرنا اليه.

قوله (و الى تدبري و تدبري سائرون) التدبير في الامر أن تنظر الى ما يؤول
اليه عاقبته وبالفارسية صلاح آنديشدن در كار. والتدبير اندازہ كردن و اندازہ چيزي نگاہ
داشتن و آفريدن و واجب كردن .

قوله (انما خلقت الجن والانس الاليعبدون) اشارة الى غاية خلق السماوات والارض
والدنيا والاخرة والجنة والنار وهي خلق الثقلين فان غاية خلقهما هي الثواب والمقاب و
الاكرام و الاهانة و أن ذلك يتوقف على الطاعة والمعصية و هما يتوقفان على التكليف و
الابتناء و بين أن التكليف والابتناء و كما لهما يتوقفان على الاختلاف المذكور فقد ثبت أن
الحكمة تقتضي الاختلاف فليتأمل.

قوله (من غير فاقة بي اليك واليهيم) لان الفاقة تابعة للمعجز و النفس أو مقتضية
لها، و قدس الحق منزله عنهما.

قوله (لأبلوك و أبلوهم) أي لاعاملك و اياهم معاملة المختبر فهو من باب التمثيل
لتعبد الايضاح والنويز. و قوله (أيتكم أحسن عملاً) مفعول ثان للبلوي باعتبار تضمينه معنى
العلم، والنفع والنز في الاختبار يعودان الى الغير لا اليه سبحانه.

قوله (والطاعة والمعصية) اسناد خلقهم اليه جل شأنه اسناد الى العلة البعيدة والمراد
به جبل المعصية معصية والطاعة طاعة، أو المراد بالخلق التقدير.

قوله (والجنة والنار) دل على أنهما مخلوقان الآن، ذهب اليه المحقق في التجريد
وهو مذهب الأكثر والايات والروايات شواهد صدف عليه، وذهب كثير من الممثلة أنهما
غير مخلوقين وإنما مخلوقان يوم القيامة.

قوله (وكذلك أردت) أي كون المرض من خلقهم هو الابتناء والاختيار أردت في
تدبري و تدبري لهم على النحو المختلف أو للممكنات و حقائقها و صفاتها يعني أن المرض

أعمارهم و أرزاقهم و طاعتهم و معصيتهم ، فجعلت منهم الشقي* والسعيد و البصير و الأعمى و القصير و الطويل و الجميل و الدميم و العالم و الجاهل و الغني* و الفقير و المطيع و العاصي و الصحيح و السقيم و من به الزمانة و من لاعاهة به ، فينظر الصحيح إلى الذي به العاهة فيحمدني على عافيته، وينظر الذي به العاهة إلى الصحيح

في تديري المسكنات و تديري فيها هو اختبار الثقلين.

قوله (فجعلت منهم الشقي والسعيد والبصير والأعمى) السعيد من عرف ربه و سلك سبيله حتى وصل إليه، والوصول هو الغاية العظمى للسعادة بل هو عينها ولا يحصل له ذلك الا بمجاهدته على القوة الشهوية والفسيية و غلبته على لوازمها من الاخلاق الرذيلة، والشقي من لم يعرفه ولم ينكره أو أنكره أو عرقه ولم يسلك سبيله سواء وقف فيه أو رجع عنه و جعلها وراء ظهره أو مال عنه بمنتهى سرعة فالسعيد صنف واحد والشقي أسناف لانحداد طريق الحق و كثرة طرق الباطل والظاهر أن المراد بالبصير والأعمى واحد نور الباصرة ، وفاقده و يمكن أن يراد بهما واحد نور البصيرة و فاقده.

قوله (والجميل والدمم) الجميل الحسن الوجه، والهيئة ، و جعل الرجل بالضم و الكسر - فهو جميل ، وامرأة جميلة . والدمم الأسود القبيح المنظر والهيئة من الدهمة ، وهي السواد وعنه الفرس الادمم اذا اشتد سواده حتى ذهب بياضه . [وفي بعض النسخ د والجميل والدميم] .
قوله (و من به الزمانة و من لاعاهة به) الزمانة الافة والعاهة فعله بفتح العين وعينها يساء . و هي المصباح زمن الشخص زمناً و زمانة فهو زمن من باب تعب و هو مرض يدوم زمناً طويلاً .

قوله (فينظر الصحيح إلى الذي به العاهة) اخبر الصحيح بذى العاهة و بالعكس ولو كانوا كلهم أهل الصحة فانت الحكمة الاولى وهي الحمد والحث عليه ولو كانوا كلهم أهل العاهة فانت الحكمة الثانية وهي الدعاء والصبر على البلية والترغيب فيهما بل فانت الحكيمان في كلتا الصورتين ، وليس المراد بالحمد الحمد القولي فقط بل المراد الحمد مطلقاً قولاً كان أو فعلاً بأن يصرف لسانه في أنواع الثناء و قوته في أنحاء الطاعات و جوارحه في أقسام العبادات ، و قلبه في التفكير في الله وفي مظاهره و آثاره ، و كذلك اختبر الغنى بالفقر و بالعكس لينظر الغنى إلى الفقير فيحمد الله تعالى على ما أعطاه وأنعم به مما منع عنه الفقير و يشكره بالظاهر والباطن و بأداء الحقوق المالية و ينظر الفقير إلى الغنى فيدعو ربه و يسأله أن يعطيه، والاختلاف في الغنى والفقير فائدة اخرى هي انتظام امورهم نسي المنصون والاجتماع، اذ لو كان كلهم غنياً لما خدم بعضهم بعضاً، ولو كان كلهم فقيراً لما حصل

فيدعوني ويسألني أن أعافيه و يصبر على بلائي فأثيبه جزيل عطائي ، وينظر الغني^١ إلى الفقير فيحمدني ويشكرني ، و ينظر الفقير إلى الغني فيدعوني و يسألني وينظر المؤمن إلى الكافر فيحمدني على ما هديته فلذلك خلقتهم لأبلوهم في السراء و الضراء وفيما أعافيهم وفيما ابتليهم وفيما أعطيهم وفيما أمتنعهم وأنا الله الملك القادر ولي أن أمضي جميع ما قدرت على ما دبرت ولي أن أخير من ذلك ما شئت إلى ما شئت وأقدم من ذلك ما أخرت وأؤخر من ذلك ما قدمت وأنا الله الفعال لما أريد لا

نفع في مقابل الخدمة فيضئ ذلك إلى تركها و على التقديرين يلزم بطلان النظام وانقطاع النوع و فساد أسباب الحياة من الزراعة والحياطة والحياكة وغيرها من الصناعات الجزئية و كذلك اختبر المؤمن بالكافر و بالعكس لينظر المؤمن إلى الكافر فيحمده على ما هداه إليه و وفقه له ، وينظر الكافر إلى المؤمن و حسن ظاهره و باطنه فيرجع عن الكفر ويتوب ولم يذكره لعدم الاعتناء بشأنه و لما ذكر جملة من حكمة الابتلاء والاختبار على سبيل التيسيل أشار إلى البواقي على سبيل الإجمال بقوله وللذلك خلقتهم لأبلوهم في السراء و الضراء إلى آخره لأن جلها بل كلها مندرج فيه كما يظهر بالتأمل.

قوله (و أنا الله الملك القادر) أشار بلفظ الله إلى أنه كامل من جهة الذات و الصفات الذاتية والعلوية لدلالته على أن كل ماله من الصفات على وجه الكمال فلا يكون خلقه على وجه الاختلاف عبثاً لأن العبث نقص والنقص على الكامل من جميع الجهات محال و بلفظ ملك على أنه مسلط على جميع الممكنات فلا يعثر به العجز من إيجاد ما أود ، فلو كانت الحكمة في غير الاختلاف لإرادته بالإمناع ولما لم يرد علم أنها في الاختلاف ، و بلفظ القادر إلى أنه ليس بموجب لا يتقدر على إيجاد الصديق كالقهر والغنى والصحة والسقم و غير ذلك ، وهذه حكمة أخرى لاختيار الاختلاف و إلى أن فعله مسبوق بالإرادة ، والنسب الارادي لا يكون إلا بحكمة ومصلحة وهذا القدر كاف في الأدشان بأن الاختلاف في خلقه لا يخلو عن حكمة و ان لم يعلم تفاصيلها .

قوله (ولي أن أمضي) إشارة إلى أنه يجوز البداء في بعض المقدرات والمديرات وقد مر في آخر كتاب التوحيد تفسير البداء و مواقع جوازه وهي ما لم يبلغ الامضاء والجنم مثلاً إذا قدر سحرة زيدا وسقته أو غناه أو فقره أو طول عمره أو قصره تدريجاً غير حتمي مشروطاً بالتصدق أو سلة الرحم أو الدعاء أو بدمها جاز البداء والتغيير .

قوله (و أنا الله الفعال لما أريد) هو فعال لأنه يفعل كل ما يريد على وجه يريد

أَسْأَلُ عَمَّا أَفْعَلُ وَأَنَا أَسْأَلُ خَلْقِي عَمَّا هُمْ فَاعْمَلُونَ .

٣- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين ، عن محمد بن إسماعيل، عن صالح بن عقبة، عن عبد الله بن محمد الجعفي وعقبة جميعاً، عن أبي جعفر عليه السلام قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الْخَلْقَ فَخَلَقَ مِنْ أَحَبِّ مِمَّا أَحَبَّ وَكَانَ مَا أَحَبَّ أَنْ يَخْلُقَهُ مِنْ طِينَةِ الْجَنَّةِ وَخَلَقَ مِنْ أَبْغَضِ مِمَّا أَبْغَضَ وَكَانَ مَا أَبْغَضَ أَنْ يَخْلُقَهُ مِنْ طِينَةِ النَّارِ ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ فِي الظَّلَالِ ، فَقُلْتُ : وَ أَيْ شَيْءِ الظَّلَالِ ؟ فَقَالَ : أَلَمْ تَرَ إِلَى ظُلُوكَ فِي الشَّمْسِ شَيْئاً وَ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، ثُمَّ بَعَثَ مِنْهُمْ

بِالْمَنَادِخِ وَالْمَدَامِغِ عَلَى وَجْهِ أَحْسَنِ بَحِثٍ لَوْ اجْتَمَعَ الْعَفَلَاءُ عَلَى أَنْ يَزِيدُوا أَوْ يَنْقُصُوا طَلِباً لَزِيَادَةِ الْحَسَنِ لِمَا قَدَرُوا، وَمِنْ تَوْهَمِ امْكَانِ الْإِحْسَنِ فِي بَعْضِ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ فَهُوَ غَائِلٌ عَنْ الْمَصَالِحِ الْكَلْبِيَّةِ وَالْجَزْئِيَّةِ، وَ فِيهِ تَنْبِيهُ عَلَى أَنَّ لَهُ الْأَسْمَاءَ وَالتَّنْبِيْهِ وَالتَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ تَحْقِيقاً لِمَعْنَى الْمُبَالَغَةِ فِي الْفِعْلِ.

قوله (لا أسأل عما أفعل) لانه لا يفعل الا ما تمنّيه الحكمة ، و الحكيم على الإطلاق لا يسأل عما يفعل بخلاف غيره فانه يسأل عما يفعل هل هو موافق للحكمة أم لا. **قوله** (ان الله عز وجل خلق الخلق فخلق من أحب مما أحب) لعل المراد بالخلق الخلق الجسماني بقرينة السياق و محبته تعالى للعبد عبارة عن إحسانه و اكرامه و افضاله و لطفه وهي تابعة لطاعة العبد إياه، ثم المحبة سبب لزيادة القرب حتى يصير العبد بحيث لا ينظر الا اليه ولا يشكل الا عليه فيصير فعله كفعله كما يدل عليه حديث القرب بالنواغل، و سيحییء مشروحاً ان شاء الله تعالى. و من محبته أنه اذا علم طاعة الارواح الانسانية خلق لها ابداناً من طينة الجنة ليكون ذلك مميّناً لها في الصيرت وهذا بداية التوفيق والاحسان و من بغضه أنه اذا علم عصيانها خلق لها ابداناً من طينة النار و سلب عنها توفيقه فيبطلها ذلك الى المبالغة في الشرور، و هذا بداية الاضلال و الخذلان.

قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى ظُلُوكَ فِي الشَّمْسِ شَيْئاً وَ لَيْسَ بِشَيْءٍ) شبه الظلال بظلك في الشمس وأشار الى وجه التنبيه بانه شيء باعتبار وليس شيء باعتبار آخر، وقد ذكرنا سابقاً أن التكليف الاول وقع مرتين: مرة في عالم المجردات (١) المصرفة وهو عالم الارواح ، ومرة في عالم المثال و هو

(١) قوله وفي عالم المجردات المصرفة ذكر العلامة المجلسي (ره) في مرآة العقول نحواً من عبارة الشارح و كانه مقتبس منها وهو مبني على مذهب صدر المتألهين في تقسيم العوالم بثلاثة أقسام: الاول عالم المجردات المصرفة و هو عالم العقول والنفوس الناطقة و موجودات ذلك العالم عارية عن المواد و عن المقادير أيضاً، والثاني عالم المثال و هو

النبئين فدعوههم إلى الاقرار بالله عز وجل^(١) وهو قوله عز وجل^(٢) : «و لئن سألتهم

عالم الذر المخرج من الطينة، ويمكن أن يكون المراد بالظل هذا هو الاول ولكن لما كان تصور عالم المجرد المخرج صعباً في أكثر الاذهان^(١) عبر عنه بالظل لقصد التفهيم والتسهيل مع المشاركة في صدم الكثافة اذ لا كثافة في المجرد المخرج كما لا كثافة في الظل، ويمكن ان يراد به عالم الذر الميمان لعالم الاجسام الكثيفة، وهو يحكى عن هذا العالم ويشبهه وليس منه فهو ظل بالنسبة اليه وهذا أنسب بقوله «و ثم بعثهم في الظلال» فانه يفيد ظاهراً أن بعثهم فيه بعد خلقهم من طينة الجنة و طينة النار، وحمله على الاول يحتاج الى تكلف بعيد فليأمل. واعلم أن الارواح المحبوبة الكاملة الهادية أعنى ارواح حاتم الانبياء والاولياء عليهم السلام خلقت قبل ارواح سائر البشر وطينتهم كما أشار اليه أمير المؤمنين «و» في بعض خطبة «والأن الذرية أفنان أنا شجرتها، ودوحة أنا ساقها، واني من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء، كنا أظلالاً تحت العرش قبل البشر وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر أشباحاً عالية، لأجساماً نامية، وفيه إشارة إلى أن الكمالات التي حصلت لنفسه القدسية بواسطة كمالات نفس النبي «و»، فبشبه ذلك بدور الضوء من الضوء كشعلة مصباح اقتبست من مصباح آخر ومن المادة في حرف المجردين تمثل النفوس الشريفة بالانوار والاضواء لمكان المشابهة بينهما في حصول الهداية عنها مع لطافتها و صفاتها و التي كونهم أرواحاً قدسية موجودة تحت رحمة الحق أو علمه قبل جميع الخلائق و عبر عن تقوسهم الطاهرة بالاغلال على سبيل الاستعارة للتنبيه على أنهم

مشمتم على موجودات مجردة عن المادة دون المقدار، والثالث عالم الماديات وهو ظاهر. وأما غير صدر المثاليين فأكثرهم على نفي العالم الاوسط، قال السدوسي قدس سره اعلم أن كثيراً من أهل العلوم والمنسبين إلى الحكمة ذهبوا أن هذه الصور المرئية والظل المسموعة امور مرئية في الحس المشترك الذي هو قائم في الجزء المتقدم من الدماغ كارتسام الاعراض في موضوعاتها و هذا كله لتصور المعرفة بعالم الملكوت و ضعف الايمان بالسلافة فان هذه الامور موجودات عينية قائمة بذواتها لا في محل وهي أقوى في الموجودية من هذه الاكوان الخارجية الآن نشأ وجودها نشأ أخرى انتهى ملخصاً. والعلامة المجلسي على أن الروح جسم لطيف والشارح على أنه موجود مجرد سرف و ان أمكن ظهوره في عالم المثال بوجه فيصح توجه التكليف اليه وهو مجرد في الظلال و في عالم المثال أيضاً و هو مجرد عن المادة لاهن المقدار و هو عالم الذر. (ش)

(١) قوله «صعباً في أكثر الاذهان» اعتراف من الشارح بان الحجج عليهم السلام كانوا

يعبرون عن معنى لا ينهمه العامة بلفظ قريب يفهمونه. (ش)

من خلقهم ليقولن الله ، ثم دعوهم إلى الإقرار بالنبئين فآقر بعضهم و أنكر بعض ثم دعوهم إلى ولايتنا فآقر بها والله من أحب وأنكرها من أبغض ، وهو قوله : « ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل » ثم قال أبو جعفر عليه السلام : كان التكذيب ثم .

(باب)

ان رسول الله (ص) أول من أجاب و أقر الله عز وجل بالربوبية

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسن بن محبوب ، عن صالح بن سهل ، عن أبي عبد الله عليه السلام أن بعض قريش قال لرسول الله عليه السلام : بأي شيء سبقت الأنبياء و أنت بعثت آخرهم و خاتمهم ؟ فقال : إني كنت أول من آمن

مرجماً لجميع الخلق بعد وجودهم كالإفلال .

قوله (و لكن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) أى ليقولن خلقنا الله أو الله خلقنا على اختلاف فى تقديم المحذوف و تأخير ، و المشهور الأول يعنى لو سألتهم عن ذلك لأخطروا إلى الجواب المذكور بمقتضى الهدى والميثاق .

قوله (ما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به) أى ما كانوا ليؤمنوا فى هذه الشأ بعد بعث الرسول اليهم بما كذبوا به من قبل هذه الشأ عند أخذ الميثاق اذ التصديق والتكذيب فيها تابعان للتصديق والتكذيب ثم (١) فمن صدق بصدق و من كذب يكذب لا تبدل لخلق الله .

(١) قوله و تابعان للتصديق والتكذيب ثم ظاهر كلام الخارج يوم الجبر و أنه لم يكن فاعده فى بعث الأنبياء و دعوتهم فى قبول الناس لكن الخارج برىء من هذه النسبة و قال صدر المتألهين - قدس سره - عند ذكر الشيخ الذى لقي أمير المؤمنين عليه السلام و دعوه عند رجوعه من سفن أوائل المجلد الخامس : تزعم أنه كانت أفعالنا بثناء الله و قدره يلزم سلب الاختيار عنها فى فعلنا فيكون المقضى حتما علينا و المقدر لازماً لذاتنا ولم يبق فرق بين المختار والمضطر ثم بين مفاسد هذا الظن : الأول أنه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب اذ لا أجر ولا عقوبة على الفعل المجبور ، الثانى أنه بطل الأمر والنهى والزجر من الله تعالى لمن لا اختيار له ، الثالث أنه حينئذ سقط معنى الوعد والوعد اذ لا فائدة فيهما ، الرابع أنه لو كان كذلك لم يكن لازمة للمذنب على ذنبه ولا محمدة للمحسن على إحسانه ، الخامس أنه على ذلك التقدير كان المذنب أولى بالإحسان من المحسن و لكن المحسن أولى بالعقوبة من المذنب إلى *

بربي و أول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألت برىكم ، فكنت أنا أول نبي قال : بلى ، فسبقتم بالاقرار بالله عز وجل .

٢- أحمد بن محمد ، عن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن سنان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك إنني لأرى بعض أصحابنا يعتريه النزق والحدوة والطيش فأغتم لذلك غمًا شديدًا وأرى من خالفنا فأراه حسن السميت ، قال : لا تنقل حسن السميت فإن السميت سميت الطريق ولكن قل حسن السيماء ، فإن الله عز وجل يقول : « سيماهم في وجوههم من أثر السجود » قال : قلت : فأراه حسن السيماء وله وقار فأغتم لذلك ، قال : لا تغتم لما رأيت من نزق أصحابك ولما رأيت

قوله (إلى كنت أول من آمن بربي و أول من أجاب) له سبق من حيث الوجود لأن روحه خلقت قبل الأرواح كلها ، وله سبق من جهة الاقرار بالربوبية لأنه أقربها حين وجوده منفرداً وأقربها قبل الجميع عند أخذ الميثاق ، و يظهر مما ذكرنا أن المطلق في قوله و أول من أجاب للتأسيس دون التفسير والتأكيد و أما تأخيره في هذه النشأة فلفوائد يعلمها الله تعالى و كان منها تعظيمه لأن سائر الأنبياء مقدمة له معبرة لوجوده كالمقدمة للسلطان و منها تكميله للاديان السابقة كما قال « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » و منها تعظيم دينه من جهة نسخه للشرائع السابقة ، و منها تعظيم كتابه لذلك و منها أن يكون شاهداً لتبليغ جميع الأنبياء (ع) .

قوله (يعتريه النزق والحدوة والطيش) الاعتراء وسیدن و قرأ گرفتن ، و النزق والنزوق بر جهیدن و چسنى نمودن و شتاب کردن و پیچی گرفتن . والحدوة بشدیده الدال تبر شدن و تندى نمودن والطيش تبر شدن و تندى نمودن و منحرف شدن تراز نشانه . و هذه المعاني متقاربة كلها من جهة الفساد في القوة الشهوية والفضيية .

قوله (قال لا تنقل حسن السميت فإن حسن السميت سميت الطريق) في الفائق : السميت أخذ التهج و لزوم المحجة ، و سميت فلان الطريق بسميت و بسميت يعنى من باب نصر و ضرب ثم قالوا ما أحسن سمته أى طريقة التى ينتهجها في تحرى الخير والتزوى بزي الصالحين ،

به آخر ما ذكره وبينه ام بيان ، وقال فيما افاد ان قلت ان الله عالم قبل المال العباد بها فلا يمكن أن يصدر عنهم خلافها ، وذلك يستلزم الجبر ؛ قلنا هذا منقوض بأفعال الله الحادثة فسانه كان عالماً بها الاول قبل فعلها فلا يمكن عنه صدور خلافها فيكون سبحانه مجبوراً فكل ما كان جوابكم فهو جوابنا . (ش)

من حسن سيماء من خالفك، إن الله تبارك و تعالى له أراد أن يخلق آدم خلق تلك
الطينتين ، ثم فرّقهما فرقتين ، فقال لأصحاب اليمين: كونوا خلقاً بائناً ، فكانوا

و في المصباح السمت الطريق والقصد والسكينة والوقار والهيئة ، ولما جاء السمت بمعنى
الطريق (١) كان كلام السائل يوم أن من خالفنا حسن مستقيم وذلك خطأ فلذلك نهاء
عن ذلك القول و أمره بما هو أحسن منه لان السيماء صفة لرجل يفرح بها من ينظر اليه
سواء كان من أهل الحق أو الباطل قوله (له وقار) أى سكونة نفسانية و طمأنينة جسمانية.
قوله (خلق تلك الطينتين) اشارة الى الطينة المملومة للمصاطب من سبائك الكلام أو

(١) قوله و لما جاء السمت بمعنى الطريق، الحديث مرسل و توجيهه الخارج تكلف
وبشبه أن يكون المراد ببعض أصحابنا السيارى أو أحد الاعاجم مثله قليل المعرفة بلسان
العرب أو قليل الاهتمام به فزعم أن السمت منحصر في سمت الطريق وهو المعنى المشهور
وكان المعنى الآخر غريباً لديه، وأما ما تضمن من انخراط الطينتين في الكلام فيه ما في
أمثاله. و اعلم أن اختلاف النفوس في استعداداتها وصفاتها مما لا يلبي أن ينكر بل هو
محسوس و مروي قال رسول الله و: « الناس معادن كميادن الذهب والفضة قال سدر -
المثاليين قدس سره يتفاوت العقول والادراكات والاشواق والارادات بحسب اختلاف الطبائع
والنوى والفرائز والجهالات فينزع بعضهم بطبعه الى ما ينفر عنه الآخر و يستحسن بعضهم
بهاء ما يستقبحه الثاني والعناية الالهية اقتضت نظام الوجود على أحسن ما يتصور و أجود
ما يمكن من التمام ولو تساوت الاستعدادات لفات الحسن والفضل في ترتيب النظام الى
آخر ما قال. ولا يخفى أن اختلافهم في ذلك لا ينافي اتفاقهم في قدرة فهم التكليف واختيارهم
في فعل الخير فهم متفقون فيما هو مناط التكليف ومختلفون في استعداد العلوم والصنائع ولا يلزم
الاختلاف في الاستعداد ظاهراً و انما يلزم الظلم أن يكونوا متفقين في التكليف مع الاختلاف
في الاستعداد ولو فرض أن أحداً بلغ في البلادة الى حد لا يعقل التكليف أصلاً التزمنا برفع التكليف عنه
كالجنانين. وقال صدر المثاليين في بعض كلامه فمن أساء عمله و أخطأ في اعتقاده فأنما ظلم نفسه
بظلمة جوهره و سوء استعداده وكان أهلاً للشقاوة في معاده، و انما قصر استعداده و أظلم
جوهره لعدم كونه أحسن مما وجد كما لا يمكن أن يلد الفرد انساناً مثلاً في أحسن صورة
أكمل سيرة، أقول بعد ما سبق منه - في الحاشية السابقة وغيرها من نفي الجبر وإثبات الاختيار
و ان علم الواجب بما يقع لا يوجب الجبر في فعل الانسان كما لا يوجب في فعل نفسه تعالى و جب
حمل ما ذكره أخيراً من شقاوة قاصر الاستعداد على النفس اللازم لكل ممكن من ما فوقه
من المعراتب كنقص الدواب عن كمال الانسان فانها لا تنال بهذا النقص اذ لا تدركه والتألم»

خلقاً بمنزلة الذرّ يسمى ، و قال لأهل الشمال : كونوا خلقاً باذني ، فكانوا خلقاً بمنزلة الذرّ . يدرج ، ثم رفع لهم ناراً : فقال : ادخلوها باذني ، فكان أول من دخلها محمد ﷺ ثم أتبعه أولوا العزم من الرسل وأوصياؤهم وأتباعهم ؟ ثم قال لأصحاب الشمال : ادخلوها باذني ، فقالوا : ربنا خلقتنا لتحرّقنا ؟ فعصوا ، فقال لأصحاب اليمين : اخرجوا باذني من النار ، لم تكلم النار منهم كلمة ، و لم تؤثر فيهم أثراً ؟ فلما رآهم أصحاب الشمال ، قالوا : ربنا نرى أصحابنا قد سلموا فأقلنا و مرنا بالدخول ، قال : قد أقلتكم فادخلوها ، فلما دنوا وأصابهم الوهج ،

من فريضة المقام و اريد بتفريقهما بيمينه و شماله على سبيل التمثيل والتخييل أو تفريقهما بيمين جبرئيل و شماله كما في بعض الروايات .

قوله (فكان أول من دخلها محمد و مر) كما أنه أول من خلقت روحه و أول من خرج من طينة اليمنى و سمي إلى الجنة و بالجملة هو كان أول في المواطن كلها و قبض الحق إلى الجميع .

قوله (لم تكلم النار منهم كلمة) الكلام الجرح و فعله من باب ضرب .

يخرج الادراك و ليس هذا بألفاء جزء على تقصيرها في امثال تكاليفها وقد صرح هو بذلك في مواضع من كتبه . و قال أيضاً : و كما لا يمتنع على اتبع الناس أنه لم لا يكون مثل يوسف في الحسن كأي جهل فكذلك لا يمتنع على شر الناس كأي جهل مثلاً لم لا يكون مثل خير الناس كمحمد و مر . فان اختلاف الفرائض و السمائل كاختلاف الاشكال و الطبائع إلى آخر ما قال ، و التمثيل بأي جهل الحاق في الموضوعين و الحق أنه لا يمتنع على أي جهل و أمثاله في نقصه العقلي و عدم وصوله في الكمال الذاتي إلى كمال الرسول و مر . و انما يمتنع عليه و على أمثاله بانهم تنزلوا عما اطلوه من الفهم و العقل فصاروا كالانعام بل هم اضل بعد أن كان فيهم ما يهتفونوا عليها .

واعلم أن الاعتقاد بالقدر وأن كل شيء في هذا العالم مطابق لما ثبت في عالم آخر قبله من لوازم الايمان بعالم الغيب و لذلك ترى الماديين و المائلين اليهم ينفونه و قال بعض الملاحدة : القدر للانسان هو الطريقة التي يمتارها و كتابه هو الذي يحويه وجوده و ينتبع بيده اوراقه . و الحق ان لا يمتنع عن سابقه في عالم غير مرمي بل ليس هناك الاسير في هذا العالم المحسوس و هذا الذي ذكره اشنع من اعتقاد أبي جهل . (ش)

رجعوا فقالوا : يا ربنا لا صبر لنا على الاحتراق فعضوا ، فأمرهم بالدخول ثلاثاً ، كل ذلك يعصون و يرجعون و أمر أولئك ثلاثاً ، كل ذلك يطيعون ويخرجون ، فقال لهم : كونوا طيناً يا ذني فخلق منه آدم ، قال : فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء و من كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء ، وما رأيت من نزق أصحابك وخلقهم فمما أصابهم من لطم أصحاب الشمال و ما رأيت من حسن سماء من خالفكم ووقارهم فمما أصابهم من لطم أصحاب اليمين .

٣- محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن علي بن إسماعيل ، عن محمد بن إسماعيل ، عن سعدان بن مسلم ، عن صالح بن سهل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله بأي شيء سبقت ولد آدم ، قال : إنني أول من أقر بربي ، إن الله أخذ ميثاق النبيين و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى ، فكنت أول من أجاب .

(باب)

كيف أجابوا وهم ذر

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن بعض أصحابنا ، عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : كيف أجابوا وهم ذر ؟ قال : جعل فيهم ما إذا

قوله (و أصابهم الومج) الومج بالتحريك حر النار .

قوله (جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه) دماء موصولة والمعاند محذوف أي أجابوه به والمراد به القوة الاستعدادية للنفس الناطقة الثالثة (١) للكلمات والاعمال الخيرية ، و

(١) قوله (والمراد به القوة) الاستعدادية للنفس الناطقة ، قال العلامة المجلسي - ر - اعلم أن آيات الميثاق والاختبار الواردة في ذلك يقصر عنه عقول أكثر الخلق و للناس فيها مسالك : الأولى طريقة المحدثين والمتودعين ، فأنهم يقولون تؤمن بظاهرها ولا تأنس فيها ولا تطرق فيها التوجيه والتأويل ، والثانية حملها على الاستعارة والمجاز والتمثيل ، و الثالثة حملها على أخذ الميثاق في عالم التكليف بعد اكمال العقل بالبرهان والدليل انتهى ، وهو مشتبهاً المراد لا أدري مقصوده - قدس سره - الآن المسلك الثالث يشير إلى ما اختارها المفيد والسيد المرتضى والطبرسي و جماعة من أعظم الطائفة في تفسير آية و إذا أخذ بك من بني آدم من ظهرهم .

سألهم أجابوه، يعني في الميثاق.

النتفق بحيث اذا وقع السؤال اجابوا بلسان المقال، وهذا تفسير آخر غير ما ذكرناه سابقاً من المعاني الثلاثة ان اريد به وقوع السؤال والجواب تقديرأ وأما ان اريد به وقوعهما تحقيقاً كما يشير به لفظة اذا فهو عين ما ذكرناه أولاً فليتنامل .

هـ آء و أما كلام الشارح فمعناه معلوم لنا ونشير اليه ان شاء الله ببيان أوضح، ثم ان الاستصحاب والاشكال في هذه الاخبار على ما أتمتله أنها تستلزم الجبر وليس غيرها من الشبه مما يعتد به وطريقة المحدثين والمتنوعين على ما ذكره المجلسي -ره- ان كان بعد القطع ببطالان الجبر كما هو مذهب أهل البيت عليهم السلام لزوم عدم ايمانهم بظاهر هذه الاخبار، فان ظاهرها الجبر والظلم فلامعنى لقوله -رحمه الله- تؤمن بظاهرها فلا محيص عن تأويلها ان أرادوا الايمان بظاهرها و ان لزوم الجبر فهو انكار لسائر الاحاديث والاخبار، وأما الحمل على الاستمارة والمجاز فلم يبين -رحمه الله- أن أى لفظ استمارة عن أى معنى، يحتمل أن يراد به ما ذكره الشارح أو ما ذكره المفيد عليه الرحمة، وبالحجعة ما يدل من الروايات على الجبر فالوجه طرحه أو تأويله ولكن ليس جميعها كذلك فمنها ما لا يستفاد منه الا علمه تعالى بحال عبادته ومع قطع النظر عن شبهة الجبر فلا أرى في المعنى المتفق عليه بين أخبار الميثاق والذرة شبهة يصعب حلها مثل ما رووا عن رسول الله «س» ولما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة من ذريته الى يوم القيامة» و ما روى فيها معنى معقول لاستحالة له أصلاً بل ليس من المراتب أيضاً فان رؤية الانبياء بعض ماسياتى بعدهم في ما يرون من القيوب أمر معتاد، وقد رأى رسول الله «س» بنى أمية في صورة القردة ينزرون على منبره يرجعون بالناس القهقري ، فان قيل هذا كان نوماً قلنا يتفق للانبياء أن يروا نقطة من القيوب مثل ما يرى في المنام، قال المفيد رحمه الله في بعض كلامه فانبأ الله بمعنى أنبأ الله آدم بما يكون من ولده و شبههم بالذر الذي أخرجه من ظهره و جملة علامة على كثرة ولده أنهى، وكذلك لا يبعد تمثيلهم بغير صورتهم في الرؤيا و كون بعضهم نورانياً وبعضهم ظلمانياً لان الرواية دلت على أن آدم رأى على بعضهم نوراً لاظلمة فيه و على بعضهم ظلمة لا نور فيه ولا يوجب هذا جبراً كما لا يوجب رؤية نبينا «س» بنى أمية يرجعون بالناس القهقري جبراً، وأما آية واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم و أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى، فحصله على مفاد أحاديث الذر خلاف ظاهر الآية بل سرّجها وان كان حديث الذر معقولاً صحيحاً فانه تعالى قال ومن بنى آدم من ظهورهم ، ولم يقل من آدم من ظهره، و معنى الآية أن الله تعالى يخلق تدريجاً في كل زمان من ظهور الاباء أبناءهم ويعطوهم من العقل والادراك

(باب)

فطرة الخلق على التوحيد

- ١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت : فطرة الله التي فطر الناس عليها ؟ قال : التوحيد .
- ٢- علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سألت عن قول الله عز وجل : " فطرة الله التي فطر الناس عليها "

قوله (باب فطرة الخلق على التوحيد) فطرة أفريدن و آفريش و دين والمراد هنا المعنى الاول وفي الاخبار المذكورة المعنى الاخير ، وعبر عنه في بعضها بالتوحيد، وفي بعضها بالاسلام، وفي بعضها بالحنفاء وفي بعضها بمعرفة الرب والمخالق والمآل واحد.

قوله (قلت فطرة الله التي فطر الناس عليها) قال التوحيد، الفطرة بالكسر مصدر للنوع من الابداد وهو ايجاد الانسان على نوع مخصوص من الكمال وهو التوحيد و معرفة الربوبية مأخوذاً عليهم بمبادئ اليهودية والاستقامة على سنن العدل وذهب اليه ايضاً كثير من العامة، وقال بعضهم: الفطرة ما سبق من سيادة أو شقاوة، فمن علم الله تعالى سعادته ولد على فطرة الاسلام، ومن علم شقاوته ولد على فطرة الكفر تعلق بقوله تعالى دلائل لخلق الله و بحديث النعام الذي قتله المضروع وطبع يوم طبع كافرين (١) فانه يمنع من كون تولده

كما يلتفت به الى وجوده، فان الجنين اذا بلغ مبلغاً يدرك نفسه وخرج عن رتبة النباتية الى الحيوانية وله عقل حيواني في اصطلاح الحكماء جملة الله مستعداً لان ينظر في آثاره سبحانه و يعرف الصانع صدق عليه قوله تعالى "داشهدهم على انفسهم" فالحق مع المفيد والسيد المعرض و من تبعهما في تفسير الآية .وهنا اشكالات اخرى ذكرها الفخر الرازي في تفسيره وهي تشبه احاديث المجانين .يتمجب من صدورها من مثله لانطيل الكلام بنقلها ولعلنا نغير اليه في موضع آخر البق ان شاء الله تعالى .(ش)

(١) قوله وطبع يوم طبع كافرين أقول منقاد اخبار هذا الباب هو الاسل في الاعتقاد الذي يجب أن يعتمد عليه و يرجع سائر ما يناهيه اليه بالثأويل فانه موافق للعقل والقرآن و مذهب أهل البيت عليهم السلام و ان خالف أكثر ما ورد في الاخبار السابقة و قلنا أنه موافق للعقل فانه يدل على تساوي الناس جميعاً بالنسبة الى قبول التوحيد والاستعداد للمعرفة والتكليف و هو مختص بالعدل واللطف بخلاف ما مضى مسال على أن بعض الناس فطروا على الجهل والعناد من طينة خبيثة لن يؤمنوا أبداً ، و مع ذلك يعذبون، و قلنا موافق للقرآن *

ما تلك الفطرة ؟ قال : هي الاسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال:

على فطرة الاسلام واجيب عن الاول بأن معنى لا تبدل لا تغير يعني لا يكون بعضهم على فطره الكفر وبعضهم على فطرة الاسلام بل كلهم على فطرة الاسلام. ويؤيده ما في رواياتهم عنه «ص» وما من مولود الا يولد على هذه الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه فإن المراد بهذه الفطرة فطرة الاسلام. وعن الثاني بأن المراد بالطبع حالة فانية طرأت وهي التهيؤ للكفر غير الفطرة التي ولد عليها. وقال بعضهم: المراد بالفطرة كونه خلقاً قابلاً للهداية ومنهياً لها لما أوجد فيه من القوة القابلة لها لا فطرة الاسلام وسواها (١) موضوع في المقول، وانما يدفع المقول عن ادراكها تغير الابوين أو غيرهما. واجيب عنه بأن حمل الفطرة على الاسلام لا يابأه العقل. وظاهر الروايات من طرق الامة يدل عليه، وحملها على خلاف الظاهر لا وجه له من غير مستند قوي والله أعلم.

قوله (فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد) وعلى منطلق بفطر كما يشعر به

لان مضمون الآية أن جميع أولاد آدم قالوا بلى، ومفاد ما سبق من الاخبار أن بعضهم أقر وبعضهم أنكر، والقرآن أدلى بالقبول ويرجع ما يخالفه ظاهراً البه، وقلنا انه موافق لمذهب أهل البيت عليهم السلام لان المتنواتر الضروري المعلوم من مذهبهم القول بالمدل ونفي الجبر. وقد ذكر الشارح قريباً أن جميع ذرية آدم أعطوا قوة استعدادية للنفس الناطقة القابلة للكلمات والاعمال الحرة، وعليها فلا فرق بين بنى آدم من هذه الجهة وكلهم مستعدون بفطرتهم لنهم التوحيد ومعرفة التكليف وانما يختلفون فيما سوى ذلك ألا ترى أن كل من يتكلم يستعمل في كلامه ألفاظاً تدل على معاني كلية غير مدركة بالحواس بحيث اذا عد كلماته كانت الاسماء الجزئية المحسوسة فيها نادرة وهذا علامة ان المتكلم أدرك الكلمات اذ عبر عنها وبذلك الاعتبار سمي النفس المدركة للكلمات ناطقة واذا كان جميع أفراد الانسان مدركين للكلمات كانوا عقلاء. واذا كانوا عقلاء استعدوا لدرك أوائل المقولات واضحاتها لا محالة ونحن نعلم أن ادراك الواجب تعالى ومعرفة وجوده لا يمكنه من أدائل المقولات وان ناقش أحد في كونه من الاوليات فلا محيص عن الاعتراف بكونها بدئية أو قريبة منها بحيث يمكن أن يفهمه الصبي ابن خمس عشرة سنة، والصبية بنت تسع سنين ومن فغل أو أنكر فسببه عدم التوجه والالتفات، وبينه النزالي بوجه أبسط نقله عنه الوافي وعن الوافي المجلسي بعنوان بعض المنسويين الى العلم، (ش)

(١) قوله ولا فطرة الاسلام وسواها وقد نقل العلامة المجلسي عبارة الشارح هنا

من قوله الفطرة بالكسر مصدر للتويع الى آخر الشرح وأورد الجملة هكذا لان فطرة

« ألت برهتكم و فيه المؤمن والكافر .

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: « فطرة الله التي فطر الناس عليها قال: فطرهم جميعاً على التوحيد .

عنون الباب و آخره فيدل على أن الفطرة مأخذ عليهم من العهد بالربوبية والافرار بها وهم ذر، ثم الولادة يقع على ذلك حتى يقع التغيير من الابوين أو من طغيان النفس الامارة و مزاوله الشهوات و متابعة من الشيطان .

قوله (وفيه المؤمن والكافر) كلام آخر لبيان ما وقع في الميثاق من ايمان بعض و كفر آخرين لان الميثاق كما وقع بالربوبية و اقرروا بها كذلك وقع بالنبوة والولاية فمنهم من آمن بهما ومنهم من كفر، ثم الكفر بهما يستلزم الكفر بالربوبية أيضاً (١) يدل على جميع ذلك ظاهر كثير من الروايات .

قوله (فطرهم جميعاً على التوحيد) أى على معرفة الرب والافرار بالربوبية والواحدانية والكفر به وقع بعد ذلك باحتيال النفس واختيال الشيطان .

والاسلام و سواها موضوع في المقول . فيدل لاء النافية بقوله لان وكلنا العبادتين لا تتخلوان عن ساجدة ، و غرض القائل أن الفطرة ليست فطرة الاسلام لان الاسلام أيضاً كدين اليهود والنصارى انما يرسخ في قلوب الاطفال بتعليم الاءاء ولو فرض أن أحدنا نشأ في جزيرة منفردة لا يرى فيها من يعلمه الشهادتين فلن يهتدى لان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله و من فليس فطرة الناس على الاسلام بل فطرتهم على قابلية الهداية ان افهم لهم أدلة رسالة محمد و من ، والجواب أن المراد بالاسلام هنا الاسلام الاهم الذي كان يدعو اليه ابراهيم واسحاق و يعقوب و سائر الانبياء عليهم السلام و هو التسليم لامر الله والاعتراف بالهية وأن السعادة في امتثال أوامره ونحن ندعى أن المنفرد في جزيرة اذا ترك وعقله هداه عقله الى التوحيد والمعرفة كما في رسالة حتى بن يقظان . وليس المراد الاسلام الفقهى اعنى اظهار الشهادتين لفظاً . (ش)

(١) قوله يستلزم الكفر بالربوبية أقول الاولى حمل قوله و من ، وفيه المؤمن و الكافر ، على أنه تعالى أخذ ميثاقهم على التوحيد و جعل فيهم قوة قبوله واستعداد فهمه على ما سبق من الشارح وكان فيهم من آمن بعد ذلك اذ جاء الى الدنيا وفيهم من كفر . ولا ينافي أن يكون فطرة الجميع على التوحيد والمعرفة ولكن ظهر لادم و من ، حال ذريته في الدنيا وان بعضهم سبغ الفون الفطرة و يكفرون وبعضهم يوافقونها و ظهور حالهم فيما بعد مختلفاً بالايمان و الكفر كما في كثير من الروايات لا يناقض كون فطرتهم على التوحيد . (ش)

٤- علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن اذينة، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألت عن قول الله عز وجل: «حنفاء لله غير مشركين به»؟ قال: الحنيفة من الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله، قال: فطرهم على المعرفة به، قال زرارة: وسألت عن قول الله عز وجل: «وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - الآية»؟ قال: أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة، فخرجوا كالذئب فعرفهم وأراهم نفسه ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه وقال قال رسول الله ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة» يعني المعرفة بأن الله عز وجل خالقه، كذلك قوله: «ولكن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله».

قوله (قال الحنيفة من الفطرة التي فطر الله الناس عليها) وهي دين الاسلام ومعرفة الرب والاقرار به، ويؤيده قوله تعالى «غير مشركين به» لوقوع الشرك به بعد الفطرة الامر بمشربهم، روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وأنهم أتتهم الميثاقين فأجتالتهن من دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» اجتالتهن أي ذهبت بهم وساقتهن إلى ما أرادت من اجتال الشيء ذهب به وساقه، وقوله: «اجتالتهن من دينهم» سريع فسي أن المراد بالحنيفية دين الاسلام والاقرار بالرب، قوله (لا تبديل لخلق الله) بأن يكون كلهم أو بعضهم حين الخلق مشركين به بل كلهم مسلمين مقررين به.

قوله (قال أخرج من ظهر آدم) أواخر أولاد آدم مثل أولادهم وأواسطهم كأنوا في ظهر آدم والله سبحانه أخرجهم على ما بنوا لدون قرناً بعد قرن وسلاً بعد نسل فخرجوا كالذئب في الصدر والحجم فعرفهم نفسه وأراهم بالرؤية العقلية الحقيقية بالرؤية العينية فسي الظهور ليحصل لهم الربط به ويعرفوه في دار الغربة ولولا تلك المعرفة الميثاقية لم يعرف أحد ربه في هذه الدار التي هي دار الفراق ولو لم يكن رابطة تلك المعرفة و ساقية تلك الرابطة لحصل الفراق الكامل ومع تحقق تلك الرابطة تحقق الفراق الكلي في أكثر الناس فكيف مع عدمها.

قوله (قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة» يعني المعرفة بأن الله عز وجل خالقه) الظاهر بالنظر إلى سياق الكلام أن التفسير من كلام أبي جعفر عليه السلام، وهذه المعرفة معنى الفطرة في الآية المذكورة أولاً وجوابهم ببلى منوط بهذه الفطرة المجبولة والتنبيه إنما يعرض من خارج كاشال الأبوين أو غيرهما، وقال بعض العامة وذلك كما

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن فضال، عن ابن أبي جميلة، عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «فطرة الله التي فطر الناس عليها» قال: فطرهم على التوحيد.

أن البهيمة تلد بهيمة سالمة من النقص والتغيير ولا يلحقها قطع الأذن والذنب والكنى وغيرها من المتابع إلا بعد الولادة. فكذلك الولد يولد على الفطرة سالماً عن الكفر حتى يدخل عليه التغيير من أمر خارج ويحملة على ما سبق عليه في الكتاب من شقاء، وقال صاحب النهاية: معنى الحديث أن الولد يولد على نوع من البهيمة وهي فطرة الله وكونه منهيّاً لقبول الحق طبعاً وطوعاً لوخلت شياطين الأنس والجن ثم ذكر ولد البهيمة نظراً له. وقال صاحب المصباح قوله «ع» وكل مولود على الفطرة، قيل: معناه الفطرة الإسلامية (١) والدين الحق وإنما أبواه يهودانه وينصرانه أي ينقلانه إلى دينهما وهذا التفسير مشكل أن حمل اللفظ على حقيقته فقط لانه يلزم منه أن لا يتوارث المشركون مع أولادهم المفسد قبل أن يهودوهم وينصروهم، واللازم منقطف بل الوجه حملة على حقيقته ومجازه معاً أما حملة على مجازه فعلى

(١) قوله وقيل معناه الفطرة الإسلامية، أورد عبارة الشارح بينها المجلس رحمه الله في مرآة العقول إلى آخرها الأبعثر كلمات سقطت من قلمه أو قلم النسخ. وكان قوله وهذا التفسير مشكل، اعتراض من الشارح على القائل المذكور، والظاهر أن المجلس رحمه الله أيضاً استحسن الاشكال، ولعله من خلط أحكام الفقه بقواعد العقائد والاصول بالفروع، والظاهر بالواقع والدنيا بالآخرة لأن أولاد المشركين تابعون لأبائهم في الدنيا بالنسبة إلى فروع الأحكام الفقهية، ومحكومون بالكفر ظاهراً وليسوا تابعين في الآخرة بالنسبة إلى العقاب إذ ليسوا كافرين واقعاً، وكلامنا هنا في الأحكام الواقعية الآخروية لا الظاهرية الدنيوية ولا مانع من كون أولاد الكفار على فطرة التوحيد ولا يكونوا يهوديين ولا مشركين ولا نصرايين واقعاً بالنسبة إلى أحكام الآخرة، ولكن يكونوا بحكم الكفار في الدنيا، والاستشكال من الشارح عجيب وليس الثواب والعقاب في الآخرة مترتبين على أحكام الفقه في الدنيا، فليس كل من يقتل الفتياء بايمانهم ظاهراً من أهل النجاة في الآخرة، ربما كانوا منافقين وعامل معهم معاملة المسلمين فيزوج فيهم ويمكنون من المساجد ولا يجتنب آزارهم وهم في الآخرة في أسفل درك من النار. وبالعكس وفي الوافي تحقيق في شرح هذا الباب وأورده المجلس -ره- في شرح الحديث الرابع ناقلاً عنه بعنوان بعض المحققين لا تعطيل الكلام بذكره فمن أراداه راجع الوافي أو مرآة العقول. (ش)

(باب)

كون المؤمن في صلب الكافر

١ - الحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد ، عن الحسن عليّ الوشاء ، عن عليّ بن ميسرة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إن نطفة المؤمن لتكون في صلب المشرك ، فلا يصيبه من الشر شيء ، حتى إذا صار في رحم المشرك لم يصبها من الشر شيء ، حتى تضعه فإذا وضعت لم يصب من الشر شيء ، حتى يجري عليه القلم .

٢ - عليّ بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عليّ بن يقطين ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قلت له : إني قد أسفقت من دعوة أبي عبدالله عليه السلام عليّ يقطين وما ولد ، فقال : يا أبا الحسن ليس حيث تذهب ، إنما المؤمن

ما قبل البلوغ وذلك أن إقامة الأبوين عليّ دينهما سبب يجعل الولد تابعاً لهما فلما كانت الإقامة سبباً جعلت تهويداً و تنصيراً مجازاً ، ثم استدالي الأبوين توبيخاً لهما وتقيحاً عليهما ، فكانه قال : وإنما أبواه باقامتهما عليّ الشرك يجعلانه مشركاً ، ويغوم من هذا أنه لو أقام أحدهما عليّ الشرك وأسلم الآخر لا يكون مشركاً بل مسلماً ، وقد جعل البيهقي هذا معنى الحديث فقال وقد جعل رسول الله و س ، حكم الأولاد قبل أن يفتحوا بالكفر وقبل أن يختاروا لانفسهم حكم الآباء فيما يتعلق بأحكام الدنيا . و أما حمله عليّ الحقيقة فعلى ما بعد البلوغ لوجود الكفر من الأولاد .

قوله (إن نطفة المؤمن لتكون في صلب المشرك - الخ) أي النطفة التي يخلق منها المؤمن لا يصيبها شيء من شر الأبوين يعني الكفر وغيره مما ينافي التوحيد ، والحكم عليه بالكفر والنجاسة بالثبوت قبل البلوغ نظراً إلى الظاهر لا ينافي إيمانه .

قوله (قد أسفقت من دعوة أبي عبدالله عليّ يقطين وما ولد) الشقاق والخوف والواو للتعطف عليّ يقطين أو بمعنى مع وخوفه من سراية تلك الدعوة إلى نفسه فبشره دعه بأنه ليس من أهلها لكونه مؤمناً صالحاً غير راض بفعل أبيه (١) وما ورد من أن ظلم الرجل يجري عليّ أعقابه مخصوص بما إذا رضى الولد بفعل أبيه فيؤخذ بظلمه وظلم أبيه جميعاً .

(١) قوله دغير راض بفعل أبيه قال الشيخ رحمه الله لم يزل يقطين في خدمة أبيه - المباس وأبي جعفر المنصور ومع ذلك كان يتشيع ويقول بالامامة وكذلك ولده و يحصل الاموال إلى جعفر بن محمد بن محمد بن أبي جعفر ، إلى المنصور والمهدي فصر الله عنه كيدهما انتهى . و عبارة الشارح تدل على ذم يقطين وكلام الشيخ رحمه الله أولى بالقول من كلام الشارح لأن

في صلب الكافر بمنزلة الحصاة في اللبنة ، يجيء المطر فيفسد اللبنة ولا يضر
الحصاة شيئاً .

(باب)

إذا أراد الله عز وجل أن يخلق المؤمن

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن إبراهيم بن مسلم
الحلواني ، عن أبي إسماعيل الصقل الرّازي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن في
الجنة لشجرة تسمى المزن فإذا أراد الله أن يخلق مؤمناً أقطر منها قطرة ، فلا تصيب
بقلة ولا ثمرة أكل منها مؤمن أو كافر إلا أخرج الله عز وجل من صلبه مؤمناً .

قوله (بمنزلة الحصاة في اللبنة) اللبنة مثل كلمة ما يبنى به وقوله ويجيء المطر إشارة
إلى وجه التشبيه وهو أن ما يضر الكافر لا يضر المؤمن الذي فيه .

قوله (الحلواني) في المصباح الحلوان بلد مشهور من سواد العراق وهي آخر
مدن العراق و بينها و بين بغداد خمس مراحل ، وهي من طريق العراق من شرق و
القادسية من طرفه من الغرب ، قيل سميت باسم بابنها وهو حلوان بن عمران بن-
الحارث بن قضاة .

قوله (تسمى المزن) مزن أبرهاى سفيد وآن جمع مزنة است ، وسميت الشجرة
المذكورة بها لحملها ماء كثيراً كالسحاب وهذا الحديث كما يناسب (١) ما قيل من أن المراد

بها عرفوا علم ، وأما دلالة هذه الرواية وشهادة علي بن يقطين على أبيه وتمثيل نفسه وأبيه بالمؤمن
في صلب الكافر فليس فيها حجة وروى إبراهيم بن هاشم بالحسن لا بالصحة ولكن المجلسي
رحمه الله قال حسن كالصحيح وكان قوله حقاً لو كان ابن أبي عمير راوياً عن إبراهيم بن هاشم
و ليس كذلك بل إبراهيم روى عن ابن أبي عمير و من يدعى تصحيح ما يصح عن ابن أبي عمير
إنما يدعيه فيما بعده لا قيم من قبله . (ث)

(١) قوله و هذا الحديث كما يناسب نقله المجلسي رحمه الله إلى آخر الفرح ثم نقل
هبة الوافي بعنوان بعض المحتشون و فيها تحقيقات شريفة يليق بأن يتعمق فيها لا لتفصيل
الكلام بأعادتها فمن أراد رجوع إلى الوافي أو مرآة العقول وكلام الشارح لا يخرج عنه ، و
الذي يستفاد من هذا الحديث وأمثاله أن الجنة كما هي معاد و علة غائية لأعمال الصالحين و
كذلك لها مبدئية ودخل في عليها الفاعلية ينحدر من الانحاء أعلام هذا المزن تأثير في تربية
الصالحين وهذا لا يوجب الجبر كما مر و بهذا يعرف معنى وجود الأرواح قبل الأجساد لأن
الروح قد يطلق على النفوس المنطوية الحادثة بعد حصول المزاج الخاص واستعداد البدن بأن

(باب)

في أن الصبغة هي الاسلام

١- علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، وعبد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد جميعاً ، عن ابن محبوب ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « صبغة الله و من أحسن من الله صبغة » قال : الاسلام ، وقال في قوله عز وجل :

بالطينة الأصول المتمزجات المتنقلة في أغوار الخلقة كالنخلة وما قبلها من موادها مثل النبات والغذاء وما يمدّها من الطينة والمضة والعظم والمزاج الانساني القابل للنفس الناطقة المدبرة ، كذلك يناسب ما ذكر من أن المراد بالطينة طينة الجنة لان طينة الجنة اختارها و تربيتها بهذه الفطرة كما أنه يماء العذب الفرات المذكور سابقاً ، و بالجملة خلقه من طينة الجنة ومزجها بماء الفرات أولاً وتربيتها بماء المزن ثانياً لطف منه تعالى بالنسبة الى المؤمن ليحصل له الوصول الى أعلى مراتب القرب .

قوله (صبغة الله) أي صبغنا الله صبغته وهي الاسلام و دينه الحق وانما سمي بها لانه حلية الانسان كما أن الصبغة الحلية المصبوغ أو للمشاكله لوقوعه في مقابلة صبغة النصراني

تفسير النطفة علقة والعلقة مصفة الى أن تصبح قابلة لان ينشأها الله خلقاً آخر فيحدث هذه النفس بعد حصول الاستعداد ولم تكن قبل ذلك ثم تنقلب النفس في مراتبها حتى اذا تجردت بالفعل وسادت عقلاً وهو المثل الحادث بعد النفس وبعد تركيب المزاج وليس هو بقصد الحدوث قبل البدن والموجود قبله هو علته المفيضه ، ولعالم تكن العلة شيئاً مبيئاً في عرض المعلول نظير المعدات كالأب بالنسبة الى الابن بل هي أصل المعلول ومثومه والقائم عليه فاذا كانت العلة موجودة كان المعلول موجوداً حقيقة وعرفاً ، الا ترى أنه يسمى صاحب ملكة العلم التقادر على تفصيل المسائل عالماً بها لا ندراجها في الملكة ولقدرة العالم على استخراجها كلها أراد كذلك المزن الذي يتقاطر منه الملكات على نفوس الصالحين و تربيتها يتدرج فيه جميع تلك النفوس بتفصيلها اندراجاً اجمالياً ، و انما تفصل منه بوجودها الدنيوي ليحمل لها بالفعل ما كان كامناً بالقوة ، ولو كانت النفوس على كمالها منفصلة عن علتها موجودة بالفعل لم يكن حاجة الى ارسالها الى الدنيا و انما الدنيا مزرعة الآخرة ، وبالجملة كل ما في هذا العالم عكس من موجود مثالي أو عقلي قبله يتطبع على المواد مطابقاً لمثاله أو ظله وشبهه وما شئت فسمه و أحسن التعبيرات عنهما في القرآن حيث قاله ونفخنا فيه من روحنا و أنشأناه خلقاً آخره ولا يكون النفخ الا من نفس موجود قبله وان كان حصوله في الجسم و انما في الجسم بالحياة بسببه حادثاً . (ش)

د فقد استمسك بالعروة الوثقى؟ قال : هي الإيمان بالله وحده لا شريك له.

٢- عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن داود بن سرحان ، عن عبد الله بن فرقد ، عن حمزان ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « صبغة الله و من أحسن من الله صبغة » قال : الصبغة هي الاسلام.

٣- حميد بن زياد ، عن الحسن بن محمد بن سماعة ، عن غير واحد ، عن أبان ، عن محمد بن مسلم ، عن أحدهما عليه السلام في قول الله عز وجل : « صبغة الله و من أحسن من الله صبغة » قال : الصبغة هي الاسلام ، و قال في قوله عز وجل : « فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » قال : هي الإيمان.

(باب)

في أن السكينة هي الإيمان

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألت عن قول الله عز وجل : « أنزل السكينة في قلوب المؤمنين » قال : هو الإيمان ، قال : وسألت عن قول الله عز وجل : « وأيدهم بروح منه » قال : هو الإيمان.

أولادهم في ماء لهم أسفر ، وتفسير الصبغة بما ذكر مذكور في كلام الأكابر من المفسرين وغيرهم ، فالحمل عليه أولى مما قبل من أن المراد بها ابداع الممكنات و اخراجها من المدم الى الوجود واصطاء كل ما يليق به من الصفات والنايات وغيرها.

قوله (و من أحسن من الله صبغة) من باب الانكار والمقصود أن صفة تعالى أحسن من كل صفة لان أثر الفاعل القوي أكمل و أحسن من أثر غيره و لان كل صفة غير صفة تعالى دائرة دائلة بخلاف صفة تعالى بالإيمان فانها باقية أبداً ، نائمة دائماً.

قوله (قال هي الإيمان بالله) أرهد بالكفر بالطاغوت الكفر بقلان وبالإيمان بالله الإيمان بعلى بن أبي طالب «ع» الا أنه أصيب الى الله ما يضاف اليه تعظيماً له ، فلا يرد أن تفسير العروة الوثقى بالإيمان بالله بوجوب التكرار بعد قوله و يؤمن بالله «ع» .

قوله (سألت عن قول الله عز وجل أنزل السكينة في قلوب المؤمنين قال هو الإيمان) عبر عن الإيمان بالسكينة والروح لان الإيمان بوجوب سكون القلب ووقاره وحياته وقدره

٢ - عنه ، عن أحمد ، عن صفوان ، عن أبان ، عن فضيل قال : قلت لأبي -

وأن القلب ليرجح (أى يهتز) و يتحرك فيما بين الصدر والحجرة حتى يعقد على الايمان فاذا عقد على الايمان قرء . وفي رواية اخرى : واطمأن وقرء ، ولا بد من بيان معنى الايمان لان فيه فوائد كثيرة فنقول الايمان فى اللغة التصديق ، وفى الشرع قيل هو كلمتا الشهادة . وقيل الطاعات مطلقاً ، وقيل الطاعات المنروضة ، وقيل التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان . وقيل التصديق بالجنان مع الشهاداتين ، وقيل التصديق بالله وبرسوله وجميع ما جاء به - على الاجمال - والولاية ، وهو الحق لدلالة الايات والروايات عليه ، أما الايات فمنها دو قلبه مطمئن بالايمان ، ومنها : أولئك كتب فى قلوبهم الايمان ، ومنها دو لما يدخل الايمان فى قلوبكم ، فان اسناد الايمان الى القلوب فى هذه الايات يدل على أنه أمر قلبى ، ومنها دو ان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ، ومنها دوأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، ومنها دو الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم ، فان اقتران الايمان بالعماس فى هذه الايات يدل على أن العمل غير مستبصر فى حقيقته ، ومنها دوأيها الذين آمنوا أطيعوا الله فان الامر بالطاعة بعد ثبوت الايمان يدل على ذلك أيضاً . وأما الروايات فمنها تفسير السكينة التى فى قلوب المؤمنين والروح بالايمان ، وأما تفسير كلمة التقوى بالايمان فلا يدل على أنه كلمتا الشهادة لان اخافة الكلمة بيانية فيحمل التقوى على التصديق القلبى للتوافق بين الاحاديث ، ومنها قول الصادق (ع) : «المؤمن مؤمنان مؤمن صدق بمهد الله دو فى بشرته ، و مؤمن كخامة الزرع يعوج أحياناً و يقوم أحياناً» ومنها قوله (ع) : «يبقى المؤمن على قدر ايمانه وحسن عمله ومن سعى ايمانه اشتد بلاؤه ، ومن سخط ايمانه وضعف عمله قل بلاؤه» ومنها قوله (ع) : «ان القلب لشكون الساعة من الليل والنهار ما فيه كفر ولا ايمان» ومنها قوله (ع) : «لا يضر مع الايمان عمل ، ولا ينفع مع الكفر عمل» ومنها قوله (ع) : «الايمان رقر فى القلوب والاسلام ما عليه المناكح» ومنها قول رسول الله (ص) : «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لاتذموا المسلمين» ومنها قول أمير المؤمنين (ع) : «أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أن يعرفه الله نفسه فيقر له بالطاعة ، و يعرفه نبيه و يقر له بالطاعة ، و يعرفه أمامه و يحجته فى أرضه و شاعده على خلقه فيقر له بالطاعة . قيل يا أمير المؤمنين : و ان جهل جميع الاشياء الا ما وصفت ، قال : نعم اذا امر أطاع و اذانهى اتقى» .

ولارىب فى أن هذه الاخبار تدل سريعاً على أن الايمان هو التصديق وحده من غير دخل للقل للسان والجوارح فيه ، على أن كون الايمان عبارة عن التصديق المخصوص المذكور لا يحتاج الى نقله عن معناه اللغوى الذى هو التصديق مطلقاً لان التصديق المخصوص فرد منه

عبدالله عليه السلام: «أولئك كتب في قلوبهم الإيمان» هل لهم فيما كتب في قلوبهم صنع؟ قال: لا.

٣- عديّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابن محبوب، عن العلاء عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: السكينة الإيمان.

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري و هشام بن سالم وغيرهما، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل: «هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين» قال: هو الإيمان.

٥- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس، عن جميل قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قوله عز وجل: «هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين» قال: هو الإيمان. قال: قلت: «وأينهم بروح منه» قال: هو الإيمان. و عن قوله: «هو ألزمهم كلمة التقوى» قال: هو الإيمان.

بخلاف ما إذا كان المراد منه غيره من المعاني المذكورة.

إذا عرفت هذا فنقول الأخبار الدالة على أن الإيمان هو العمل بالأركان والاقترار باللسان والتصديق بالجنان مثل ما روى عن أبي الحسن الرضا (ع) وغيره محمولة على أن إضافة الفعل إلى الإيمان لأجل الكمال لانه جزء منه أو شرط له أو لأجل أنه دليل عليه وليس له دليل أعظم منه فكانه صار نفسه على سبيل المبالغة. يدل عليه ما روى عن أبي جعفر (ع) «أن الإيمان ما استقر في القلب و أفنى به إلى الله عز وجل، و صدق العمل بالطاعة لله والتسليم لأمر الله» و ما روى عن الصادق (ع) قال: «قال أمير المؤمنين (ع): إن لأهل الدين علامسات يعرفون بها: صدق الحديث و أداء الإمامة و وفاء بالعهد - إلى أن قال - و ما يقرب إلى الله عز وجل زلفى». و ما روى عن أمير المؤمنين (ع) رسول الله (ص) قال «عشرون خصلة في المؤمن فإن لم تكن فيه لم يكمل إيمانه، أن من أخلاق المؤمن يا علي الحاضرون الصلاة، و المسارعون إلى الزكاة و المطعمون المسكين - الحديث». و في هذه الأخبار مع دلالتها على أن الإيمان هو التصديق القلبي دلالة واضحة على أن العمل مصدق و مبين ومظهر له و موجب لكماله.

قوله (هل لهم فيما كتب في قلوبهم صنع قال لا) لعل المراد بالإيمان هنا نكت الحق ومعرفة الرب وليس للعبد صنع فيه، وإنما صنعه في قبوله، والتكليف إنما وقع به وقد روى «أن كل قلب بنكت الحق فيه قبل أول ما يقبل».

(باب الاخلاص)

١- علي بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عبد الله بن مسكان، عن
عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: « حنيفاً مسلماً » قال خالصاً مخلصاً ليس
فيه شيء من عبادة الأوثان .

٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه رفعه إلى أبي جعفر
عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أيها الناس إنما هو الله والشیطان والحق والباطل
والهدى والضلالة والرشد والغي والعاجلة والاجلة والعاقبة والحسنات والسيئات،
فما كان من حسنات فلله، وما كان من سيئات فللشیطان لعنه الله.

قوله (باب الاخلاص) الاخلاص في العمل تطهيره عن ملاحظة غير وجهه تعالى و
رضاء حتى عن الرجاء بالثواب والخوف من العقاب فضلاً عن الرياء والسمعة وحب الجاه و
أمثال ذلك فان ذلك شرك خفي قل من نجائنه بخفاء طريقه، ولذلك قال « وديب الشرك في أمتي
أخفى من ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء » وهو أعظم سادلك
من الوصول الى الحق والتقرب منه قال الله تعالى « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً
صالحاً » ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ، و اذا ارتفع ذلك سهل للسالك الوصول اليه ، كما
يرشد اليه ما روى « من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قبله على لسانه » .
قوله (حنيفاً مسلماً) الحنيف المسلم المنقاد وهو المائل الى الدين الحق وهو الدين
الخالص، ولذلك فسره عليه السلام بقوله « خالصاً مخلصاً » عبادة عن ملاحظة غيره مطلقاً، ثم وصفه
على سبيل التأكيد بقوله « ليس فيه شيء من عبادة الأوثان » أي الأوثان المعروفة أو الأهم منها
فبشمل عبادة الشياطين في أهوائها و عبادة النفس في أهوائها ، وقد نهى جل شأنه
عن عبادتهما فقال « ألم أهداكم اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان » وقال « أغفرت
من اتخذ الهه هواً » .

قوله (يا أيها الناس إنما هو الله والشیطان) كان هو راجع الى المقصود بقرينة المقام
والهدى الطريقة الالهية و الشريعة النبوية، والحسنات و السيئات شاملتان لجميع ما تقدم
ولذلك اقتصر بذكرهما في قوله « وما كان من حسنات فلله » وهو ما اراده الله تعالى ووقع له
« وما كان من سيئات فللشیطان » وهو ما نهى الله عنه و أمر به و لم ينفع له . وفيه ترغيب في
مراقبة النفس في حركاتها وسكناتها لئلا يمنها عن السيئات و يحملها على الحسنات و يراعى
الاخلاص والتقرب فيها بأن يفعلها لوجه الله لا لغيره لتلاصق سيئات.

٣ - عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن أسباط، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يقول: طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ولم يحزن صدره بما أعطى غيره.

٤ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن سفيان بن عيينة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: « ليلوكم أيتكم أحسن عملاً » قال: ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً وإنما الإصابة خشية الله والنية

قوله (طوبى) أى الجنة أو طيبها أو شجرتها أو العيش الطيب أو الخير لمن أخلص لله العبادة والدعاء وتصد بهما لا غيره . ولم يشغل قلبه عن الله وطاعته بما ترى عيناه من منافع الدنيا وزخاوتها الشهية وسورها البهية ولم ينس ذكر الله بالقلب واللسان بما تسمع أذناه من الاسوات الداعية الى الدنيا والكلمات المحركة عليها ولم يحزن صدره بما أعطى غيره من أسباب العيش وحرم هو، والاتصاف بهذه الصفات العلية انما يتصور لمن قطع عن نفسه الملائق الدنية . والله هو الموفق.

قوله (ليلوكم أيتكم أحسن عملاً) قال الله تعالى « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذى خلق الموت والحياة ليلوكم أيتكم أحسن عملاً وصف نفسه أولاً بان التصرف فى السمكيات منوط بيد قدرته الكاملة وليس لاحد أن يمنعه من ذلك، و ثانياً بان قدرته نافذة فى كل واحد منها، وليس لشيء منها إباء عن نفاذها، و ثالثاً بأنه خلق الموت والحياة أى قدرهما أو أوجدهما، و فيه دلالة على أن الموت أمر وجودى، والمراد بالموت الموت الطارى على الحياة أو العدم الاصلى فانه قد يسمى موتاً أيضاً، و تقديمه على الاول لانه ادهى الى حسن العمل وأقوى فى ترك الدنيا ولذاتها بالاختيار لملاحظة أن الشرك لا بد منه بالاضطرار، و على الثانى ظاهر لتقدمه بحسب التقدير، ثم علل الوصف الاخير بقوله و ليلوكم أيتكم أحسن عملاً أى ليعاملكم معاملة المختبر مع صاحبه، فهو تمثيل لحاله بحال المشاهد المعلوم من لزادة التنوير والايضاح، و قوله وأيتكم مفقول ثان لفعل البلوى باختيار تضمينه معنى العلم . و وجه التمثيل أن الموت داع الى حسن العمل لكمال الاحتياج اليه بعده والحياة نعمة تقتضيه و توجب الاقتدار به، وأن اريد به العدم الاصلى فالمعنى أنه تفلكم منه وألبيسكم لباس الحياة لذلك الاختيار، ولما كان اتصافنا بحسن العمل يتحقق بكثرة العمل تارة و بإصابته اخرى أشار الى فنى ارادة الاول بقوله :

(وليس يعنى أكثر عملاً) يعنى لم يرد جل شأنه بقوله : « أحسن عملاً أكثر عملاً

الصادقة والحسنة ، ثم قال : الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل والعمل الخالص : الذي لا تريد أن يحمذك عليه أحد " إلا الله عز وجل " والنية أفضل من

لان مجرد كثرة العمل من غير خلوصه وجودته ليس أمراً يستدبه بل هو تضيق للمعرفينما لا ينفع ، وإلى ارادة الثاني بقوله :

(ولكن أسو بكم عملاً) لان مواب العمل وجودته و خلوصه من الشوائب الرذيلة يوجب القرب منه تعالى وله درجات متفاوتة يتفاوت القرب بحسبها كلما كان أسوب كسان من الرد أبعد و من القبول أقرب ، ثم بين الاسابة و حمرها فسي أمرين بقوله . (اما الاسابة خشية الله والثبة الصادقة والحسنة) تنبيهها على أن قطع المسافة إلى حظائر القدس لا يتصور بدونها ، و ذلك لان قطع المسافة المنلية يحتاج إلى آلة و أسباب و دفع موانع كقطع المسافة الحسية فلا بد للسائر إلى الله تعالى من أمرين أحدهما العمل الصالح و هو بمنزلة المركوب يوصل راكبه إلى غاية مناه ، والعمل الصالح لا يتحصل ولا يتقوم بدون نية صادقة حسنة ، وهي أن يقصد بالعمل وجه الله تعالى والتقرب إليه لا غيره اذ لو قصد غيره قُدم مركوبه بتقيد وثيق بمنته من الحركة من موضعه فيبقى متحيراً بل قد يرجع قهقري إلى أسفل السافلين بأعانة قوم آخرين ، و ثانيهما حفظ العمل الصالح عن الاحباط بارتكاب المحارم و ذلك انما يحصل بملكة الخشية والخوف من الله سبحانه وهي حالة تحمل بالأحفظ عظيمة الحق و هيئته و مشاهد جلال كبريائه و لذة قرب و قبح مخالفته و شناعة مصيبتة و سوء عاقبتها و لذلك قال الله تعالى وانما يحسن الله من عباده العلماء ، ثم أشار إلى أن اسابة العمل و خلوصه ليس بمجرد دفعه كذا بل باعتبار بقاء واستمراره مادام العمر كذلك أيضاً بقوله :

(الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل) روى المنصف (ره) في باب الرياء بإسناده عن علي بن أسباط عن بعض أصحابه عن أبي جعفر (ع) أنه قال : الإبقاء على العمل أشد من العمل ، قال : وما الإبقاء على العمل ؟ قال : يصل الرجل بصلته و ينفق نفقة الله وحده لأشريك له فتكتب له سراً ، ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء ، وفي الصحيح يقال : أبتيت على فلان اذا رعيت عليه و رحمته . و يحتمل أن يكون المقصود هنا أن رعاية العمل وحفظه عند الشروع فيه و بعبء إلى الفراغ منه وبعد الفراغ إلى الخروج من الدنيا حتى يخلص و يصفو من الشوائب الموجبة لنقصانه أو فسادة أشد من العمل نفسه ، و ذلك لان خلوصه و سناء لا يتحقق بمجرد أن يقول أسوم مثلاً قربة إلى الله

واخطار معناه بالبال واستعمال الجوارح والا لكان المنافق باظهار كلمة الشهادة و اخطار منها مؤمناً بل لا بد مع ذلك من تأثر القلب من العمل و انقياده الى الطاعة و اقباله اليه جل شأنه و انصرافه عن الدنيا وما فيها حتى يرى الناس كالا ياء ولا يتحصل ذلك الا بتحصيل الفضائل النفسانية والملكات الروحانية والاجتناب عن رذائلها فان النفس ما دامت عارضة عن تلك الملكات والفضائل ومتمسكة بالملكات الغيبية والذائل تهيمت الى الفعل وتقصده وتميل اليه وتظهر ولو بعد حين تحصيلاً للفرغ من الملائم لها بحسب ما يطلب فيها من تلك الصفات الرذيلة وتحميل هذه الامور مشكل جداً لا يتيسر الوصول اليها الا لذوى الفطرة السليمة والفكرة المستقيمة ، فقد ظهر مما قررنا أن حفظ العمل من موحبات النفس والفساد أشد و أصعب من نفس العمل ، ومنه يظهر سر ما رواه العامة والخاصة عنه دس ، دنية المؤمن خير من عمله ، ثم أشار الى تفسير العمل الخالص وخلاصة القول فيه بقوله :

(والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمداك عليه أحد) حين العمل وبهده (الا الله تعالى) تنبيهها على أن الرياء و قصد المديحة والسمة مناف للخلوص و حقيقة الرياء ارادة مدح الناس على العمل والسرور به والتعرب اليهم باظهار الطاعة و طلب المنزلة في قلوبهم والميل الى اعطائهم له و توقيرهم اياه و استجلاب تسخيرهم لقضاء حوائجه وقيامهم بهمااته و هو الشرك بالله العظيم ، قال رسول الله دس : «ومن صلى صلاة يرائي بها فقد أشرك» ثم قرأ وقل انما أنا بشر مثلكم - الآية وفي قوله لا تريد ، اشارة الى أنه لو مدحه الناس على عمله من غير ارادته و سروره به لا يندرج ذلك في خلوص عمله بل هو من جميل صنع الله تعالى ولطفه به كما ورد في بعض حجية وعملك الصالح عليك سره و على اظهاره و أمثال ذلك في الروايات كثيرة وان دخله سرور باخلاق الناس و مدحهم فان كان سروره باعتبار ان الله تعالى أظهر جميله و شرفه عليهم لا بحمدهم و حصول المنزلة في قلوبهم ، أو باعتبار أنه استدل باظهار جميله في الدنيا على اظهار جميله في الآخرة على رؤس الاشهاد أو باعتبار أنهم يحبون طاعة الله تعالى و ميل قلوبهم اليها فلا يندرج ذلك في الخلوص وان كان باعتبار دفع منزلته عندهم و تعظيمهم اياه الى غير ذلك من التوسيلات النفسانية والتدليسات الشيطانية فهذا رياء وشرك محيط للعمل و ناقل له من كفة الحسنات الى كفة السيئات و من ميزان الرجحان الى ميزان الخسران ، و لذلك ورد في كثير من الروايات الامر باخفاء العمل و استاره حفظاً له عن الرياء المنافي لاخلاصه المنسند له بالكلية ، و ظاهر هذا التفسير يدل على أن قصد الثواب أو الخلاص من العقاب لا ينافي الخلوص كما يدل عليه كثير من الروايات مثل قوله دس : «ومن

العمل، ألا وإن النية هي العمل، ثم تلا قوله عز وجل: «قل كل يعمل على شاكلته» يعني على نيته.

٥. وبهذا الاسناد قال: سأله عن قول الله عز وجل: «إلا من أتى الله بقلب

ترك معصية له مخافة الله عز وجل أرضاء يوم القيامة» وقوله وقال الله تعالى: «لا يتكلموا العالمون
لى على أعمالهم التي يعملونها» النوايا بالحديث، وذهب جماعة من العلماء الى أنه يناقش
الأخلاص وفسد العمل ودليلهم ضعيف والاحتياط ظاهر.

قوله (والنية أفضل من العمل) النية في اللغة عزم القلب على أمر من الأمور، وفي
العرف إرادة إيجاد الفعل على الوجه المأمور به شرعاً، وتلك الإرادة إذا تحققت فيه
تسرى الى الأعضاء وتحركها الى أفعالها، وهي أفضل الأعمال، وإذا ضم هذا مع قوله «دع»:
«أفضل الأعمال أحمرها» يفيد أن النية أحمرها، وهو كذلك لأن النية العامة يتوقف على
قلع القلب عن حب الدنيا ونزعه عن الميل الى ما سوى الله تعالى، وهذا أشق الأشياء على
النفس. ولهذا قال «دع»؛ ورجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر، حيث عدا الجهاد
الذي هو أشق الأعمال البدنية أصغر من جهاد النفس و صرف وجهها عن غير الله لأنه أشق
والأشق أفضل لمسامر. على أن المراد بنية المؤمن وهي أدوم و ثمرتها أعظم من الأعمال لأن
نية أن لو بقي أبد الأبد أن يكون مع الإيمان بالله والطاعة له وهذه النية من لوازم الإيمان و
دائمة لا تنقطع بخلاف العمل فإنه ينقطع ولو بقى الى مائة سنة أو أزيد و ثمرتها الخلود في
الجنة. والذي يدل عليه ما روي عن أبي عبد الله «دع» وإنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم
كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يصوموا الله أبداً، وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم
كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يعطوا الله أبداً، فبالتبات خلد هؤلاء هؤلاء، ثم تلا قوله
كل يعمل على شاكلته قال: «على نيته» فالعمل تابع النية في الرد والقبول والكمال و
النقصان، و فرع لها وهذا وجه آخر لكونها أفضل من العمل لأن الأصل أفضل من الفرع
و من أراد أن يعلم وجوهاً آخر لأفضليتها فليرجع الى ما ذكره الشيخ في الحديث السابق و
الثلاثين من الأربعين.

قوله (ألا وإن النية هي العمل) لما كان نظام العمل وكماله و نقصانه وقبوله و رده
تابعة للنية و مسببة عنها بالغ في جعل العمل عليها بحرف التنبيه وحرف التأكيد واسمبة الجملة
و تعريف الخبر باللام المفيد للحصر، و ضمير الفعل المؤكد له، ويشدق به ما عسى أن يقوم
من أن التفضل إنما يتعارف إذا كان المفضل من جنس المفضل عليه، والنية ليس
من جنس العمل.

سليم، قال: القلب السليم الذي يلتقي ربه وليس فيه أحد سواه، قال: وكل قلب فيه شرك أو شك فهو ساقط وإنما أراد بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة.

٦- بهذا الإسناد، عن سفيان بن عيينة، عن السندي، عن أبي جعفر عليه السلام قال ما أخلص العبد الايمان بالله عز وجل أربعين يوماً أو قال ما أحمل عبداً ذكر الله عز وجل أربعين يوماً إلا زهده الله عز وجل في الدنيا وبصره داءها و دواءها

قوله (وليس فيه أحد سواه) أى شغل بربه من غيره من المال والمولود وغيرهما كمال قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون.

قوله (وكل قلب فيه شرك) لعبادة النفس والشيطان أو شك لميله الى الدنيا وحبها لها وان كان فارغاً عنها فهو ساقط عن الاعتبار أو من قرب الحق، وإنما أرادوا بالزهد في الدنيا وتركها لتفرغ قلوبهم للآخرة وتفكر في أمرها وما يوجب النجاة والترقي فيها من ذكر الله وطاعته في الظاهر والباطن فلا فائدة في تركها ظاهراً مع اشتغال القلب بها وحبها وميله الى عبادة النفس والشيطان. وقال بعض الحكماء: اثنتان في المذاب سواه غنى حصلت له الدنيا فهو بها مشغول مهموم، وفقر ذويت عنها فتشغله عليها حسرات فلا يجد اليها سبيلاً. والحاصل أن ترك الدنيا لتطهير القلب عن حبها وعن طاعة النفس والشيطان وتصفية عن غيره تعالى لينصرف في بذل المحبة والذكر ويرتقى الى مقام القرب ولا يتحقق ذلك بالقلب الملوث بشهواتها كالبذر في أرض السبخة.

قوله (ما أخلص العبد الايمان بالله) لعل المراد بالمبد العبد العالم لان الاخلاص مرتبة عالية للعلماء لا يمكن حصوله بدون العلم بالمطالب، وبالايمان الايمان الكامل وهو الاعتقاد بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالادكان، وبالاخلاص تجريد جميع ذلك عن غير وجه الله تعالى وتطهير القلب عما سواه وان كان لازماً للفعل فلو اعتنى العبد مع قصد الفراغ من اغافه أيضاً، أو صلى في الليل مع قصد حفظه ناعه، أو توضأ مع قصد تبرده أو أعطى السائل مع قصد تخلصه من ابرامه أو عمل طاعة أو ترك معصية لقصد القرب بالشواب والنجاة من العقاب، فالظاهر أن هذه القصدات في الاخلاص كما ذهب اليه جمع كثير من العلماء أو تنال كماله كما ذهب اليه طائفة، وبالأربعين هذا العدد إذ فيه يبلغ الانسان الى كماله في القوى العقلية والقوى الادراكية فيستمد استعداداً تاماً لان يزهد الله في الدنيا و يوفقه لشركها.

قوله (زهده (١) فيها) صرف قلبه عنها وبصره داءها و دواءها (أى قدر الضرورة

فأثبت الحكمة في قلبه و أنطق بها لسانه، ثم تلا: « إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ » فلا ترى صاحب بدعة إلا ذليلاً و مفترياً على الله عز وجل و على رسوله ﷺ و على أهل بيته صلوات الله عليهم إلا ذليلاً.

منها و الزائد عليه أو ميل القلب اليها و سرفه عنها أو الغار و النافع منها فسي الآخرة أعني المعصية والطاعة .

قوله (فأثبت الحكمة في قلبه) أي جعلها راسخة فيه بحيث يرى بها صور الحقائق المكنوتية و جمال الاسرار اللاهوتية، و يجوز أن يقرأ « أثبت » بالنون فيكون تعاملاً لزيادتها و نموها بالاخلاص بانبات الزرع و نموه بالماء لتعد الايضاح.

قوله (و أنطق بها لسانه) فيتكم ما يفهمه و ينفع غيره في الدنيا و الآخرة حتى يعد في الصديقين و هذه الخواص الخمس المرتبة على الاخلاص أمهات المنجزات.

قوله (ثم تلا) لعل الغرض من تلاوتها هو التنبيه على أن غير المخلص مندرج فيها و الوعيد متوجه اليه أيضاً لآنك قد علمت أن قلبه ساقط لكونه ذا شرك أو شك وهما بدعة و افتراء على الله و رسوله، والآية على تقدير نزولها في قوم مخصوصين لا يقتضى تخصيص الوعيد وهو الغضب و الذلة بهم، لان الامر اذا جرى على قوم لصفة وجدت في غيرهم هي أو نظيرها جرى ذلك الامر في ذلك الغير أيضاً، و من ثم قيل و خصوص السبب لا يوجب تخصيص الحكم، و على هذه فالآية بيان لفجوى الحديث و حجة لمفهومه، فهي و ان نزلت في أصحاب السامري لكن جرى حكمها في أصحاب سامري هذه الامة و يلحق الغضب و العقوبة و الذلة بهم آجلاً و عاجلاً لقتلهم و أسرهم عند ظهور الدولة القاهرة، و كذا جرى حكمها في أصحاب الشرك و الشك و البدعة و الافتراء الى يوم القيامة، والله أعلم.

قوله (و كذلك) أي مثل جزاء من اتخذ العجل من الغضب و الذلة.

قوله (نجزي المفتريين) لانهم أيضاً اتخذوا العجل اذ العجل ما يهد من دون الله و هم يبدون أهواءهم و مفتريات نفوسهم.

قوله (فلا ترى صاحب بدعة) أي فلا ترى صاحب كل بدعة، الا ذليلاً في الدنيا و الآخرة لان الذلة مقرنة على اتخاذ العجل و اتخاذ العجل اتخاذ بدعة على الاطلاق و قوله و مفترياً عطف على صاحب بدعة أي فلا ترى مفترياً على الله الى آخره الاذليلاً و الله العزة و لرسوله و للمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون.

باب الشرائع

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر و عذّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، عن محمد بن مروان جميعاً، عن أبان بن عثمان، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "إن الله تبارك و تعالى أعطى محمد عليه السلام شرائع نوح و إبراهيم و موسى و عيسى عليهم السلام : التوحيد و الإخلاص و خلع الانداد و الفطرة الحنيفية السمحة و لادهيانية و لاسياحة، أحل فيها الطيبات و حرّم فيها الخبائث و وضع عنهم إصرهم و الأغلال التي كانت عليهم،

قوله (باب الشرايع) تذكر فيه الشرايع المعروفة و أصحابها و هم أولو العزم من الرسل و ما يشترك بينهم من غير تعيين و ما لا يشترك أصلاً و بدونه.

قوله (التوحيد و الإخلاص و خلع الانداد) الانداد جمع دنداء بالكسر و هو مثل الشيء و يضافه في أموره و يضافه أي يخالفه يريد بها ما كانوا يتخذونه آلهة من دون الله و هذه الثلاثة بدل من الشرايع بدل البعض من الكل ليقيد أن الاشتراك بينهم في هذه الأصول الثلاثة في جميع الشرايع ولم ينكرها أحد من الأنبياء، و يرشد إليه قوله تعالى ذرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك و ما وحبنا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه و إنما خصها بالذكر مع تحقق الاشتراك في غيرها مثل الصوم و الصلاة و النكاح و الجهاد للاهتمام بها و لعدم تغيرها و اختلافها بوجه بخلاف غيرها لاختلاف الكيفيات فيه، على أن عدم الحكم بالاشتراك لا يدل على الحكم بعدم الاشتراك و لم يتعلق غرض بذكر جميع المشتركات.

قوله (و الفطرة الحنيفية السمحة) عطف على شرايع و اشتراك بعض ما يذكر لا ينافي لعدم دلالة على الاختصاص على أن كنهه غير كيفية ما في الشرايع السابقة فكانه بهذه المنايرة غير مشترك، والمراد بها الملة المائلة من الباطل إلى الحق أو من الكفر إلى الإسلام التي ليس فيها ضيق و لا حرج.

قوله (لادهيانية و لاسياحة) الرهبانية التزام رياضات شديدة و مشقات عظيمة كالإختناء و اعتناق السلاسل و لبس السموح و ترك اللحم و نحوها، و لاسياحة : مقارعة الأوطان و الامصار و الذهاب في الأرض و سكون الجبال و المغارات و البراري و قد كانتا في شريعة موسى دمعاً استحصاناً.

قوله (أحل فيها الطيبات) أي أحل في هذه الفطرة الطيبات كالشعور و غيرها

ثم افترض عليه فيها الصلاة والزكاة والصيام والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام والمواريث والحدود والفرائض والجهاد في سبيل الله . و زاده الوضوء و فضله بفاتحة الكتاب و بخواتيم سورة البقرة والمفصل و أحل له

مما حرم عليهم أو الأعم منه و مما طاب في الحكم مثل و ما ذكر اسم الله عليه من الذبائح و ما خلا كسبه من السمك و غيرهما ، و حرم فيها الخبائث مثل الخمر والاروات والابوالدم والميتة و لحم الخنزير والكلب و غير ذلك مما يتنفر عنه الطبع و تنكره النفس و تستخيه و وضع عنهم أصرهم والأغلال التي كانت عليهم، الأمر القتل الذي بأمر حامله أي يحبس في مكانه لفرط ثقله ، والمراد الأثم والوزر العظيم ، و قال صاحب الكشف هو مثل لثقل تكليفهم و صوبته نحو اشتراط قتل النفس في صحة توبتهم ، و كذلك الأغلال مثل لما كان في شرايعهم من الأشياء الشاقة نحويت القضاء بالقصاص عمداً كان أو خطأ من غير شرح الدية و قطع الاعضاء العاطلة و فرض موضع النجاسة من الجلد والثوب و احراق الفنائم و تحريم المروق في اللحم و تحريم السبت ، و من عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تسلي لبسوا المصوح و غلوا أيديهم الى أعناقهم و ربما ثقب الرجل رقوته و جعل فيها طرف السلسلة و أوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة انتهى . هذا ان صح و ثبت أنه كان مطلوباً في شرعهم كان أولى بالارادة لانه أشبه بالأغلال .

قوله (ثم افترض عليه فيها الصلاة) أي افترض على محمد و ع في الفطرة التي هي من الله والظاهر أن ثم لمجرد التفاوت في الرتبة ، والمراد بالحلال ما عدا الحرام فيشمل الأحكام الاربعة و بالفرائض ما عدا الفرائض المذكورة أو ماله تقدير شرعي من الموارث و هي أهم منها أو غيرها مما ليس له تقدير وبالوضوء الوضوء على وجه مخصوص وضوء السابقين على تقدير ثبوته كان على وجه آخر كصلاتهم وصيامهم .

قوله (و فضله بفاتحة الكتاب الخ) لعل المراد بخواتيم سورة البقرة و آمن الرسول الى آخرها . والمفصل سورة محمد الى آخر القرآن و إنما خص هذه الثلاثة بالذكر للاهتمام بها و زيادة شرفها بالنسبة الى غيرها و الا فقد فضله بهذا القرآن الذي لم يؤته أحداً من الانبياء .

قوله (و أحل له المعنم والفقر) المعنم الغنيمة وهي ما أخذ من أموال الكفار بحرب و قتال وهي مختصة بالرسول و من يقوم مقامه بل بعضها وهو ما حواه المسكر بعد اخراج الخمس للثامنين و من حضر القتال و ان لم يقاتل و بعضها كالارض المفتوحة عنوة للمسلمين قاطبة و أحكام الكل مذكورة منفصلة في كتب الأصول والفروع والفقر يطلق عادة على ما أخذ

المقنم والقيء و نصره بالرعب و جعل له الأرض مسجداً و طهوراً و أرسله كافة إلى

بحرب و قتال و هو مرادف للفتنة فحكمه حكمها و اخرى ما أخذ مطلقاً و هو بهذا المعنى يصدق أيضاً على الانتقال المختمة بالرسول و من يقوم مقامه و سر ذلك أن القى بمعنى الرجوع فاما إن يراد به الرجوع مطلقاً فهو الثاني أو يراد به الرجوع ببلية أو قتال فهو الاول ولم يقل أحد بأنه الرجوع بغير قتال و ان أردت زياده توضيح فارجع الى ما ذكرنا في باب القى و الانتقال من هذا الكتاب و في تقديم له على المفعول و هو المقنم فيفسد اختصاصه و من باحلالها و هو كذلك لان الغلبة كانت محرمة على الامم السابقة فكانوا يجمعونها فتنزل النار من السماء فتأكلها و كان ذلك بلية عظيمة عليهم حتى كان قد يقع فيها السرقه فيفتح الطاعون بينهم لمن الله تعالى على هذه الامة باحلالها الحمد لله رب العالمين..

قوله (و نصره بالرعب) مع قلة العدد و ضعف العدد و كثرة الاعداء و شدة بأسهم و الرعب الفزع و الخوف و كان الله تعالى قد اوقع بقدرته القاهرة في قلوب اعدائه الفزع و الخوف منه حتى اذا كان بينه وبينهم مسيرة شهر هابوا و فرغوا منه قال الله تعالى و لا تتم أشد رهبة في صدورهم - الآية .

قوله (و جعل الأرض له مسجداً و طهوراً) أى جعل له الصلاة فيها كالصلاة في المسجد الامم السابقة في الاجر أو جوزله الصلاة فيها دون الامم السابقة لانحصار جواز صلاتهم في البيع و الكنائس، أو جعل له الأرض مسجداً للجهة لزيادة الخضوع و التقرب و كان لهم السجود على غيرها و كذلك جعل له الأرض طهوراً تظهر أسفل القدم و النعل و محل الاستنجاء و تقوم مقام الماء عند تعذره في التيمم ، و المراد بكونه طهوراً أنها بمنزلة الطهور في استحاقة الصلاة بها مثلاً كاستباحتها بالماء و لو حمل الطهور على ظاهره لدل على ما ذهب اليه السيد المرتضى - رحمه الله - من أن التيمم يرفع الحدث الى وجود الماء كما هو مقتضى ظاهر هذه الصيغة.

قوله (و أرسله كافة) الظاهر أن كافة حال عما بعدها و نظيره قوله تعالى و وما أرسلناك الا كافة للناس أى الا للناس جميعاً و من لم يجوز تقديم الحال على ذي الحال المجزور قالوا هي حال عن ضمير المنصوب في أرسله و البناء للمبالغة أى مانعاً لهم مما يضرهم أو سفة لمصدر محذوف أى ارسالة كافة أو مصدر كالكاذبة و العافية و الكل تصف و دليلهم على المنع مدخول كما بين في موضعه ، وفيه دلالة أن على أحد من الانبياء غيره لم يرسل الى الجميع و ختمه بالاضافة الى البعض غير ثابت.

الابيض والاسود والجن والانس و أعطاه الجزية و أسر المشركين و فداهم، ثم كلف مالم يكلف أحد من الأنبياء و أنزل عليه سيف من السماء، في غير غمد و قيل له: « قاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك ».

٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عز وجل: « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » فقال: نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمد صلى الله عليه وآله وعليهم، قلت: كيف صاروا أولي العزم؟ قال: لأن نوحاً بعث بكتاب

قوله (و أعطاه الجزية و أسر المشركين و فداهم) الجزية عبارة عن المال الذي يقرره الحاكم على الكفاي إذا أقره على دينه و قدرها منوط بحكمه و هي فيلة من الجزاء كأنها جرت من قتله و أسره . و الفداء بالكسر و المد و بالغنح و بالفتح فكذلك الأسير بالمسال الذي قرره الحاكم عليه يقال فداء يفديه فداء .

قوله (ثم كلف مالم يكلف أحد من الأنبياء) ثم هنا أيضاً مثل ما مر لأن هذا التكليف أعظم التكليفات و أعنفها على النفوس البشرية و لا يصبر عليها إلا من أيدى الله تعالى بالنفس المقدسة و قد نقل أنه دس، أقدم في حرب حنين بعد انهزام أصحابه على أعدائهم الذين لم يعلم عددهم إلا الله و أظهر اسمه الشريف فقال أنا محمد بن عبد الله، وهذا دل على كمال شجاعته صلى الله عليه وآله .

قوله (و أنزل عليه سيف من السماء في غير غمد) لدل اسمه ذو النفرين و هو عند صاحب و ع ، و كونه في غير غمد تحريراً له على القتال و إشارة إلى أن سيده ينفى أن لا يمدد .

قوله (و قيل له قاتل ما لخص) قال الفاضل ، قاتل في سبيل الله ، أن تشبطوا و تركوك وحدك ، لا يكلف إلا فعل نفسك ، لا يشارك مخالفتهم و تقاعدهم ، فنقدم إلى الجهاد إن لم يساعدك أحد فإن الله ناصر لا الجنود .

قوله (فاصبر) أمره بالصبر من المصائب و أذى التوم و مشاق التبليغ و التكليف كما صبر أولو العزم من الرسل، سموا بذلك لأن جددهم و صبرهم كان أعلى و أكمل و لمزينة كل واحد نسخ شريعة من قبله . و ترك كتابه لا كفرأ ولا إنكاراً لحقيقته ، بل إيماناً به و بصلاحه في وقت دون آخر و للنسخ مصالح يعلمها الله تعالى و المبدأ مأمور بالتسليم و كان من جعلتها ابتلاء للعقل و اختبارهم في ترك ما كانوا متمسكين به في الدنيا و الدنيا دار ابتلاء و كل ما يجري على الخلق فيها من الصحة و السقم و الفنى و الفقر و التكليف و غيرها كان التمرين منه هو الابتلاء .

و شريعة وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح و شريعته و منهاجه حتى جاء إبراهيم عليه السلام بالصحف و بعزيمة ترك كتاب نوح لا كفر أبه فكل نبي جاء بعد إبراهيم عليه السلام أخذ بشريعة إبراهيم و منهاجه و بالصحف حتى جاء موسى بالنوراة و شريعته و منهاجه و بعزيمة ترك الصحف و كل نبي جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة و شريعته و منهاجه حتى جاء المسيح عليه السلام بالانجيل ؛ و بعزيمة ترك شريعة موسى و منهاجه فكل نبي جاء بعد المسيح أخذ بشريعته و منهاجه ، حتى جاء محمد ﷺ فجاء بالقرآن و بشريعته و منهاجه فحلاله حلال إلى يوم القيامة و حرامه حرام إلى يوم القيامة ، فهو لأولو العزم من الرسل ﷺ .

(باب دعائم الاسلام)

١- حدثني الحسين بن محمد الأشعري ، عن معلى بن محمد الزيايدي ، عن الحسن بن علي الوشاء قال ، حدثنا أبان بن عثمان ، عن فضيل ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بني الإسلام على خمس : على الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و الولاية و لم يناد بشيء كما نودي بالولاية .

٢- علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس بن عبد الرحمن ، عن عجلان أبي صالح قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : أوقفني على حدود الإيمان ، فقال

قوله (بني الإسلام على خمس) لعل المراد بالإسلام هنا جميع ما جاء به النبي و من الدين الحق المشار إليه في قوله تعالى ان الدين عند الله الإسلام و قوله و اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتي و رضيت لكم الإسلام ديناً و قوله و من يتمم غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و الأمور الخمسة المذكورة أعظم أركانها و أكمل أجزائها المعتمدة في قوامه و الولاية أعظم الخمسة ، و لم يناد بشيء منها مثل ما نودي بالولاية لان النداء بها وقع مكرراً غير محصور و في مجمع عظيم في غدير خم بخلاف غير الولاية فانه لم يقع التكرار فيه مثل التكرار فيها و لم يقع في مجمع مثل مجعها و المؤمن و المسلم بهذا الإسلام مترادفان و ما اشتهر من أن بينهما عموماً و خصوصاً مطلقاً فهو باعتبار معنى آخر سبحانه ان شاء الله تعالى .

قوله (أوقفني على حدود الإيمان) يدل مع عنوان الباب على أن الإيمان

شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله والاقرار بما جاء به من عند الله و
صلوة الخمس وأداء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت وولاية وليتنا وعداوة
عدونا والدخول مع الصادقين .

٣- أبو علي الأشعري ، عن الحسن بن علي الكوفي ، عن عباس بن عامر ، عن
أبان بن عثمان ، عن فضيل بن يسار ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بني الإسلام على خمس :
على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية ،
فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه . يعني الولاية .

٤- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن سعيد ، عن ابن
العرزمي ، عن أبيه ، عن الصادق عليه السلام قال : قال : أثافي الإسلام ثلاثة : الصلاة والزكاة

و الإسلام فيه متحdan ، ولعل المراد بالإيمان الفرد الكامل منه لما ذكرنا سابقاً
أن العمل غير داخل في حقيقته أصلاً ، على أن حدود الشيء خارجة عنه فلا دلالة فيه على
أن العمل جزء منه .

قوله (فقال شهادة أن لا إله إلا الله - الخ) أي بالقلب واللسان كما تقتضيه الشهادة
وأيضاً الكتمان مع القدرة على الإظهار لا يجوز ، والإظهار بدون الاعتقاد نفاق ، وقال بعض
العامّة خصوص الشهادة غير منبر فلو قال : الله واحد ومحمد رسول الله كفى . واعلم أن أول
الواجبات بعد البلوغ الشهادتان إذ قد لا يكون وقته وقتاً لغيرهما ولتقدمهما في جميع الأخبار
الما شد وليس ذلك إلا لتأكيد الاهتمام به .

قوله (والاقرار بما جاء به من عند الله) أجمالاً قبل العلم وتفصيلاً بعده .

قوله (وولاية ولينا) أي ولاية ولينا أهل البيت . قال في المصباح الولاية بالفتح
والكسر النصرة ، ويحتمل أن يراد بها الحكومة العامة والإضافة على الثاني لامية و على
الأول من باب إضافة المصدر إلى المفعول وهو أنسب بما بعده . و لعل المراد بالدخول مع
الصادقين الدخول فيما دخلوا من الأحكام وغيرها ومتابعتهم فيها وإن لم يعلم وجه الحكمة إذ سدتهم
وعصمتهم يقتضى وجود الحكمة في نفس الأمر ووجوب التسليم بها .

قوله (وتركوا هذه يعني الولاية) لما فيه من دواعي الترك مثل الحسد و
البنس و العناد ما ليس في الأربع . و الظاهر أن « يعني » من المصنف أو الفضيل مع
احتمال أن يكون منه « و » .

قوله (أثافي الإسلام ثلاثة - الخ) أثافي جمع الاثنية بالضم والكسر وهي الأحجار

والولاية، لاتصح واحدة منهن إلا بصاحبيتها.

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه و عبدالله بن الصلت جميعاً، عن حماد بن عيسى عن حريز بن عبدالله، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: بني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة والزكاة والحج والصوم والولاية، قال: زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل

التي يوضع عليها القدر وتخصيص الثلاثة بالذكر لزيادة العناية والاعتماد دون الحصر فلا يخفى ما سبق من أنها خمسة تشبيهاً بالاثني للثبوت على أن الإسلام لا يستقيم ولا يثبت بدونها كالقدر بدون الاثني، ثم إن أريد بالإسلام الدين كما مر هو الظاهر من أحاديث الباب فالثلاثة أجزاء له أشرف وأفضل من سائر أجزائه وإن أريد به الإيمان الكامل فكذلك على احتمال، وإن أريد به الإيمان بمعنى التصديق فهي خارجة عنه و سبب لثباته و بقاءه إذ التصديق أدنى مراتب الإيمان والإسلام وإذا لم يؤيد بها بطلت بسرعة والتشبيه يؤيد الآخر إذ الاثنى خارجة عن القدر و سبب لبقائه، والله أعلم.

قوله (لاتصح واحدة منهن إلا بصاحبيتها) يظهر ذلك بالنظر الى الاثنى وهو يدل على أن واحدة أو اثنتين منها لاتنفع بدون الأخرى و يؤيد ذلك ما روى عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك تعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة فمن أقام الصلوة ولم يؤت الزكاة فكأنه لم يتم الصلاة، وما روى عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أول ما يحاسب به العبد الصلاة فإذا قبلت قبل سائر عمله وإذا ردت عليه رد عليه سائر عمله» والروايات الدالة على أن شيعة علي عليه السلام من نعمة لا من يقول أنا أحبه و يخالفه كثيرة و يفهم من هذه الروايات وأمثالها أن قبول كل واحد من الثلاثة مشروط بالآخرين منها ولئن نزلنا من ذلك فلا ريب في أن كمالها مشروط بهما والله المستعان.

قوله (الولاية أفضل) يعني أن الولاية أفضل من المذكورات لأنها متناحية بها ينفذ أبواب معرفة تلك المذكورات و حقايقها و شرائطها و آدابها و موانعها و مصلحتها و مفسدها، والوالي و هو الحاكم الأمين المنسوب من قبل الله تعالى هو الدليل عليهم لا غيره لظهور أنهم امور متلقاة منه تعالى الى صاحب الوحي فلا بد أن تسمع منه و يتمسك في معرفتها بذيله أو بمن يقوم مقامه بأمره لا بالاراء الفاسدة والمقول الناقصة الكاسدة التي من شأنها أن يزيده و ينقص و يخترع و يبتدع، وليس لها حيث فضل فكيف أن تكون أفضل من الولاية التي بها قوامها و تحققها على الوجه المطلوب لله تعالى، وبالجملة المحتاج اليه من حيث هو أفضل من المحتاج ومنه يظهر أن الوالي أفضل من غيره والا لزم

عليهن، قلت: ثم الذي يلي ذلك في الفضل؟ فقال: الصلاة إن رسول الله ﷺ قال: «والصلاة عمود دينكم»، قال: قلت: ثم الذي يليها في الفضل؟ قال: الزكاة لأنه قرنها أن يكون الأمر مأموراً هذا خلف.

قوله (فقال الصلاة) حكم وع، بأن الصلاة أفضل من الزكاة والحج والصوم وقوله حجة إلا أنه تمسك بقول رسول الله (ص) «والصلاة عمود دينكم» استظهاراً وثبوتاً وتوثيقاً لطلب السابل وإشماراً بأن قوله (ص) «عمود دينكم» حيث شبه الدين بالعمود وأثبت العمود له على سبيل المكنية والتخييلة وحمل العمود على الصلاة من باب التشبيه البليغ دليل واضح على أن الصلاة أفضل ماسواها لأن بنسائها يفسد الدين بالكلية ولا ينتفع به كما أن النمط لا ينتفع به مع وجود الطنب والادناد بانتفاء العمود، وقول الصادق (ع) «وما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة» وقوله (ع) «أحب الأعمال إلى الله عز وجل الصلاة أيضاً دليل واضح على ذلك، ولعل المراد بالصلاة هنا الصلاة المفروضة بدليل أن الصلاة أفضل من الزكاة التي هي أفضل من الحج والحج أفضل من عشرين صلاة نافلة ولما روى عن الصادق (ع) قال: «يؤتي صلاة قريبة خبر من عشرين حجة» الحديث لا يقال هذا يناقض ما روى أن الحج أفضل من الصلاة والصيام لأن المصلي يشتغل عن أهله ساعة وأن الصائم يشتغل عن أهله أيام يوم وأن الحاج يشخص بدنه ويضحي نفسه وينفق ماله ويطلب النجاة عن أهله لافي مال يرجوه ولا إلى تجارة، وما روى عن النبي (ص) قال: «أفضل الأعمال أجورها» أي اشتها إذا المشتقة في الحج أكثر، لا نقول يمكن الجواب عن الأول بأن المراد بالصلاة فيما نحن فيه الفريضة وفيما ذكر النافلة وتحقق العلة المذكورة في الفريضة أيضاً غير مسلم لأن فعلها متوقف على معرفتها أربعة آلاف باب من المقدمات والمقارنات والواجبات والمندوبات والكيفيات والمحرمات والمكروهات والتروك القلبية والمساكنة والاركانية وتحصيلها لا يمكن بدون صرف العمر والمشتقة الصديدة والاشتغال عن الأهل في أزمان طويلة بخلاف الحج فإن مسايله وإن كانت كثيرة لكن لا يبلغ كثرة مسايل الصلاة المفروضة، ومن هذا تبين أن الفريضة أشق من الحج وبهذا يندفع الثاني أيضاً وقد يجاب عنه بأن ذلك فيما إذا كان المفضل والمفضل عليه من نوع واحد كالوضوء في الصيف والشتاء ونحوه ويخصمه بالصلاة وعن الأول بأن الحج المشتمل على الصلاة أفضل من الصلاة والصلاة أفضل من الحج متجهداً من الصلاة ومع قطع النظر عن ثوابها.

قوله (قال الزكاة لأنه قرنها) حكم بأن الزكاة أفضل من الحج والصوم وثبه عليه بأن الصلاة أفضل منهما وذكر الصلاة بعد الصلاة فهذا يدل على أن الزكاة أيضاً

بها و بدأ بالصلاة قبلها و قال رسول الله ﷺ : الزكاة تذهب الذنوب. قلت: والذي يليها في الفضل؟ قال: الحج قال الله عز وجل: «و لله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً» ومن كفر فإن الله غني عن العالمين» وقال رسول الله ﷺ: «الحججة مقبولة خير من عشرين صلاة نافلة» ومن طاف بهذا البيت طوافاً أحصى فيه أسبوعه وأحسن ركعتيه غفر الله له» و قال في يوم عرفة و يوم المزدلفة ما قال: قلت: فماذا

أفضل منهما لان مقارنتهما دالة على اشتراكهما في الافضية و تقاربهما في الرتبة الا انه لما بدأ بالصلاة قبل الزكاة علم أن الصلاة أفضل من الزكاة لان الاعم اولى بالتقديم لان العطف تقتضيه.

قوله (و قال رسول الله ﷺ: الزكاة تذهب الذنوب) هذا دليل آخر على أن الزكاة فضل من الحج فان قلت: الحج أيضاً يذهب بالذنوب فلا دلالة فيه على ما ذكر فالاولى أن يجعل هذا مع السابق دليلاً واحداً لان هذا المجموع لم يوجد في الحج، قلت: يمكن أن يكون المقصود أن الزكاة علة لمحو الذنوب و ذهابها و لم يثبت أن الحج علة مستقلة لمحوها لجواز أن يكون محوها بعد الحج على سبيل التفضل دون الوجوب و هذا التدرج كاف في التفضيل.

قوله (و لله على الناس حج البيت) دليل على أن الحج أفضل من الصوم و الدلالة في قوله ومن كفر، حيث عد ترك الحج كفراً دون الصوم وترك ذكر المقاب المترتب عليه تعظيماً وتلخيصاً و كرر في موضعه ما يدل على كمال غناؤه عن غيره عموماً و هو يشرع بأن جزاء أعمالهم عابده اليهم ان خيراً فبخيراً و ان شراً فشرّاً ففيه أيضاً تذكير للمقاب على تسريته و في قوله و فقر له، حيث لم يقل الحج يذهب الذنوب كما قال في الزكاة نوع اشارة بما ذكرناه سابقاً و كان دقوله وقال في يوم عرفة و يوم المزدلفة ما قال، اشارة الى الاحاديث الواردة في محو الذنوب بعد الحج.

قوله (و قال رسول الله ﷺ: للحجة) هذا انما يدل على أن الحج أفضل من الصوم لو كان عمرون نافلة أفضل من الصوم أو مساوية له و لا يبعد أن يجعل هذا دليلاً على افضليتها بالنسبة اليه .

قوله (أحصى فيه اسبوعه) لعل المراد باحصاء الأسبوع ضبطها و حفظها مجردة عن الزيادة و النقصان و باحصاء ركعتيه قبلهما في وقتها و مكانهما مع الشرائط والكيفيات و الشرائع .

يتبعه ؟ قال : الصوم ، قلت : و ما بال الصوم صار آخر ذلك أجمع ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : « الصوم جنة من النار » قال : ثم قال : « إن أفضل الأشياء ما إذا أنت فأتك لم تكن منه توبة » دون أن ترجع إليه فتؤديه بعينه ، إن الصلاة والزكاة و الحج والولاية ليس يقع شيء مكانها دون أدائها و إن الصوم إذا فاتك أو قصرت أو سافرت فيه أدت مكانه أياماً غيرها و جزيت ذلك الذنب بصدقة ولا قضاء عليك و ليس من تلك الأربعة شيء يجزيك مكانه غيره ، قال : ثم قال : ذروة الأمر و

قوله (قلت فما ذا يتبعه قال الصوم) لا يقال هذا السؤال ليس على ما يشبه لانه اذا علم أن جميع الاعمال المذكورة في الحديث أفضل من الصوم فقد علم أن الصوم في الفضيلة بعدها لانا نقول المقصود من السؤال استعلام وجه تأخير الصوم في الفضيلة عن الاعمال المذكورة كما أشار اليه بقوله وقلت وما بال الصوم الى آخره ثم قوله دعه والصوم جنة من النار إشارة الى فضيلة الصوم وسر ذلك أن أعظم أسباب النار هو الشهوات والصوم يكسرها وقوله «ثم إن أفضل الأشياء الى آخره» إشارة الى أن الصوم دون الاعمال المذكورة في الفضيلة وذلك لانه لما لم يكن لتلك الاعمال بدل كما كان للصوم علم أن الاهتمام بها أعظم و أكمل والثواب المترتب عليها أعظم وأجره لذلك اريد وقوهما بعينها.

قوله (ما اذا أنت فاتك) الظاهر أن لفظ أنت زايد والمراد بالتوبة هنا ما يقوم مقامه أو الاعم منه ومن سنوطة رأساً.

قوله (وان الصوم اذا فاتك) أشار الى أقسام الفوت وأحكامه اجمالاً لان الفوت إما للعذر مثل المرض وغيره أو للتعصير والتعمد في تركه أو للسفر واللازم اما القضاء في مكانه فقط ، أو الكفارة فقط أو همسا جميعاً ، أولا هنا ولا ذاك ، وتفسيره في كسب الفروع ، فالصوم قد يكفى الصدقة مكانه ولا يجب قضاؤه بخلاف تلك الأربعة فانها لا يجزى مكانها الا قضاؤها بعينها.

قوله (ذروة الامر) المراد بالامر الدين و بطاعة الامام انقياده في كل ما أمر و نهى وهي من حيث أنها أرفع الطاعات مرتبة و اسناها منزلة وبالكفارة ، ومن حيث أنها توسل الى المطلوب وموقرب الحق كالسنام ، ومن حيث أنها سبب للوصول الى جميع الخيرات الدنيوية والاخرية كالمنفذ و من حيث أن بها يتحقق الدخول في الدين ومعرفة قوائمه كالباب ومن حيث أنها توجب المغفرة والرحمة والدرجات العالية رضا الرحمن ، والمغفرة في قوله بعد معرفته راجع الى الامام أو الى الله تعالى.

سنامه و مفتاحه و باب الأشياء و رضا الرحمن الطاعة للإمام بعد معرفته، إن الله عز وجل يقول: «من يطع الرسول فقد أطاع الله» و من تولى فما أرسلناك عليهم حفظةً أما لو أن رجلاً قام ليلة و صار نهاره و تصدق بجميع ماله و حج جميع دهره و لم يعرف ولاية ولي الله فيواليه و يكون جميع أعماله بدلائه إليه ما كان له على الله جل و عز حق في ثوابه و لا كان من أهل الإيمان، ثم قال: أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته.

٦ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن صفوان بن يحيى، عن عيسى بن السري أبي البسج قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني بدعائم الإسلام التي لا يسع أحداً التقصير عن معرفة شيء منها، الذي من قصر عن معرفة شيء منها فسد عليه دينه و لم

قوله (إن الله عز وجل يقول) كأنه استشهاد لما ذكر حيث أن طاعة الرسول و هو الإمام المقتدى به من طاعة الله تعالى و اتصاف طاعة الله تعالى بما ذكر بالأمور المذكورة أظهر من أن يخفى قوله (أولئك المحسن منهم الخ) كأنه إشارة إلى من يطيع الرسول و هو المؤمن المعارف بحق الإمام والمقصود أن المحسن و هو من أطاعه بعد معرفته في أقواله و أعماله و أمره و نهيه يدخله الله الجنة قبل الحساب بفضل رحمته، و أما المسمى فمنهم فقد يناقشه في الحساب و قد يدخله الجنة بالرحمة أو الشفاعة و قد يجرى عليه الوعيد، و يحتمل أن يكون إشارة إلى من لم يعرف الولاية و المحسن منه و هو الذي لم يشكر الولاية كما لم يعرفها و عمل بالغيرات أعنى المستضعف يدخله الله الجنة بفضل رحمته و سيحجى أن المستضعف في المشية، والله أعلم.

قوله (أخبرني بدعائم الإسلام - الخ) أن يريد به الدين كانت دعائمه داخله فيه جزءاً منه و أن يريد به الإيمان الكامل فذلك على احتمال أقوى من احتمال خروجها و شرطها لقبوله أو لكماله، ولما كان السائل عالماً بأن للإسلام دعائم لا يجوز لأحد التنصير في معرفتها و في العمل بها حتى من قصر لم يكن له دين و لم يقبل منه عمل و من عرفها و عمل بها صح دينه و قبل منه عمله و لم يملها بخصوصها، سأل عن تعيينها و تفصيلها فأجاب د ع بأنها أربعة: الشهادتان والافرار بما جاء به الرسول (ص) أجمالاً أو تفصيلاً، والزكاة في الأموال، والولاية لآل محمد و آل ع و الاخبار في ذكر الدعائم عدداً و كمياً مختلفة كما يظهر للناظر فيها و لكن هذا الاختلال لا يضر إذ ليس فيها اشتغال على

يقبل [الله] منه عمله، و من عرفها و عمل بها صلح له دينه و قبل منه وعمله و لم يضق به مما هو فيه لجهل شيء من الأمور جهله ؟ فقال : شهادة أن لا إله إلا الله والايان بأن محمداً رسول الله ﷺ والاقراء بما جاء من به عند الله وحق في الأموال الزكاة ، والولاية التي أمر الله عز وجل بها : ولاية آل محمد ﷺ ، قال : فقلت له : هل في الولاية شيء دون شيء فضل يعرف لمن أخذ به ؟ قال : نعم قال الله عز وجل : «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» و قال رسول الله ﷺ : من مات ولا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية وكان رسول الله ﷺ و كان علياً عليه السلام و قال الآخرون : كان معاوية ، ثم كان الحسن عليه السلام ثم كان الحسين

الأقل تصريح في نفي ما عداه .

قوله (ولم يضق به) و في بعض النسخ لم يضربه يعني لم يضيق أولم يضربه من أجل ما هو فيه من معرفة دعائم الإسلام والعمل بها جهل شيء جهله من الأمور التي هي ليست من الدعائم فقوله «مما هو فيه» تدليل لعدم الضيق أو الضرر و قوله « لجهل شيء » تدليل للضيق أو الضرر ، و قوله « جهله » سفة لشيء « و قوله « من الأمور » عبارة عن غير الدعائم من شعائر الإسلام فليبدأ من

قوله (و حق في الأموال الزكاة) « حق » مرفوع عطف على الشهادة ، أو مجرور عطفاً على ما جاء به ، والزكاة على التقديرين بدل عنه ، و يحتمل أن يكون الزكاة مبتدأ و « حق » خبره ، أو خبر مبتدأ محذوف ، والجملة عطف على الشهادة أي والزكاة حق في الأموال أدهى حق فيها .

قوله (والولاية التي أمر الله عز وجل بها) في قوله « و انما وليكم الله -الاية» و في قوله « و أولي الأمر منكم » .

قوله (هل في الولاية شيء دون شيء فضل يعرف لمن أخذ به) لعل المراد هل في الولاية شيء يدل عليها من الكتاب أو السنة وهل فيها دون ذلك الشيء و غيره فضل ظاهر وكمال مخصوص يعرف الولاية لمن أخذ بذلك الفضل وانصف به ، فأجاب «ع» بنعم وأشار أولاً الى ما يدل عليها من الكتاب والسنة ، وأو أخيراً الى ذلك الفضل الدال عليها البيان الشافي والمعلم الوافي في بيان الشرائع والاحكام من مأخذها ، وهذا من أعظم فضائل الولاية وصفاتها ، والله أعلم .

قوله (مات ميتة جاهلية) أي الميتة على سفة الكفر والبعد عن الحق و رحمته و قد مر توضيحه سابقاً .

عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ قَالَ الْآخَرُونَ : يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ وَ حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ " وَلَا سَوَاءٌ وَلَا سَوَاءٌ قَالَ : ثُمَّ " سَكَتَ ثُمَّ قَالَ : أَزِيدُكُمْ ؟ فَقَالَ لَهُ حَكَمُ الْأَعُورِ : نَعَمْ جَعَلْتَ قَدَاكَ قَالَ : ثُمَّ " كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ثُمَّ " كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ أَبَا جَعْفَرٍ وَ كَانَتْ الشَّيْعَةُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ أَبُو جَعْفَرٍ وَ هُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَنَاسِكَ حُجَّتِهِمْ وَ حَلَالَهُمْ وَ حَرَامَهُمْ حَتَّى كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ فَتَمَنَحَ لَهُمْ وَ بَيَّنَّ لَهُمْ مَنَاسِكَ حُجَّتِهِمْ وَ حَلَالَهُمْ وَ حَرَامَهُمْ حَتَّى صَارَ النَّاسُ يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِهِ مَا كَانُوا يَحْتَاجُونَ إِلَى النَّاسِ وَ هَكَذَا يَكُونُ الْأَمْرُ وَالْأَرْضُ لَا تَكُونُ إِلَّا " بِإِمَامٍ وَمَنْ مَاتَ لَا يَعْرِفُ إِمَامَهُ مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً وَ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ إِذْ بَلَغْتَ

قَوْلُهُ (وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ص-) ضَمِيرُكَانَ فِي الْمَوَاضِعِ الْخَمْسَةِ رَاجِعٌ إِلَى الْإِمَامِ وَ لَمَّا كَانَ الْحَدِيثُ وَالْآيَةُ يَدُلُّانِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَدْفَعِي كُلَّ عَصْرِ مِنْ إِمَامٍ مُفْتَرَضِ الطَّاعَةِ وَكَانَ هَذَا مُتَّفَقًا عَلَيْهِ بَيْنَ الشَّيْعَةِ وَمُخَالِفِيهِمْ ذَهَبَ الشَّيْعَةُ إِلَى أَنَّ الْإِمَامَ فِي عَصْرِ النَّبِيِّ هُوَ النَّبِيُّ وَبَعْدَهُ عَلَى -ص- ، ثُمَّ الْحُسَيْنُ ثُمَّ الْحُسَيْنُ ثُمَّ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَ هَكَذَا وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى الْيَهُودِيِّ الْمَوْجُودِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ وَ ذَهَبَ الْفِرْقَةُ الْمُخَالَفَةُ إِلَى أَنَّ الْإِمَامَ مَعَاوِيَةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، ثُمَّ سُلَاطِينُ الْجُورِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ فَأُشَارَ -ص- ، إِلَى الْفَرِيقَيْنِ وَ إِلَى عَدَمِ الْمَسَاوَاةِ بَيْنَهُمَا وَ بَيْنَ إِمَامِيهِمَا بِقَوْلِهِ وَلَا سَوَاءٌ وَلَا سَوَاءٌ أَيْ لَا مَسَاوَاةَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَلَا مَسَاوَاةَ بَيْنَ الْإِمَامَيْنِ لِأَنَّ الْفِرْقَةَ الْأُولَى هِيَ الْفِرْقَةُ الْمُنَاجِيَةُ وَإِمَامُهُمْ مَعْصُومٌ مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ مِنْ قَبْلِهِ تَعَالَى وَالْفِرْقَةُ الثَّانِيَةُ هِيَ الْمُهَالِكَةُ وَ إِمَامُهُمْ غَاصِبٌ مُنَافِعٌ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْأَوَّلِ أَنَّهُ لَا مَسَاوَاةَ بَيْنَ مَنْ قَالَ بِإِمَامَةِ عَلِيٍّ -ص- وَ بَيْنَ مَنْ قَالَ بِإِمَامَةِ مَعَاوِيَةَ أَوْ لَا مَسَاوَاةَ بَيْنَ عَلِيٍّ -ص- وَ بَيْنَ مَعَاوِيَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِالْثَّانِي أَنَّهُ لَا مَسَاوَاةَ بَيْنَ مَنْ قَالَ بِإِمَامَةِ الْحُسَيْنِ وَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَ بَيْنَ مَنْ قَالَ بِإِمَامَةِ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ أَوْ لَا مَسَاوَاةَ بَيْنَ الْحُسَيْنِ وَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَ بَيْنَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ .

قَوْلُهُ (وَكَانَتْ الشَّيْعَةُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ أَبُو جَعْفَرٍ -ص- وَ هُمْ لَا يَعْرِفُونَ) الظَّاهِرُ أَنَّ الْوَادَّ لِلْحَالِ وَالْفَرْقَ خَيْرٌ كَانَتْ وَ جَعَلَهَا زَائِدَةً لَزِيَادَةِ الرِّبْطِ وَ مَا بَعْدَهَا خَيْرٌ ، أَوْ جَعَلَ كَانَتْ نَامَةً بَعِيدَةً ، وَكَانَ -ص- فِي قَوْلِهِ وَ حَتَّى كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ -ص- تَامَةً .

قَوْلُهُ (وَ هَكَذَا يَكُونُ الْأَمْرُ) أَيْ مِثْلُ مَا ذَكَرَ مِنْ كَوْنِ وَاحِدٍ بَعْدَ وَاحِدٍ إِمَامًا يَكُونُ أَمْرُ الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ ، وَالْأَرْضُ لَا تَكُونُ مَوْجُودَةً إِلَّا بِإِمَامٍ مُفْتَرَضِ الطَّاعَةِ بِأَمْرِهِ تَعَالَى يَعْرِفُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ وَيَهْدِي النَّاسَ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ وَلَوْ بَقِيََتْ بَعِيرُ إِمَامٍ لَسَاخَتْ بِأَهْلِهَا .

قَوْلُهُ (وَ أَحْوَجُ مَا تَكُونُ إِلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ) مَا مُصَدَّرَةٌ أَوْ عِبَارَةٌ عَنِ الزَّمَانِ بِمَعْنَى أَشَدَّ احْتِيَاجِكَ إِلَى وَصْفٍ كُنْتَ عَلَيْهِ وَهُوَ الْقَوْلُ بِوَلَايَةِ وَلِيِّ اللَّهِ حِينَ يَلُوحُ رُوحُكَ إِلَى حَقْلِقُوكَ

نفسك هذه - وأهوى بيده إلى حلقه - و انقطعت عنك الدنيا تقول : لقد كنت على أمر حسن.

أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن عيسى بن السري أبي اليسع، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله.

٧ - عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن مثنى الحنطاط، عن عبد الله بن عجلان، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بني الإسلام على خمس : الولاية والصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحج .

٨ - علي بن إبراهيم، عن صالح بن السندي، عن جعفر بن بشير، عن أبان، عن فضيل ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بني الإسلام على خمس : الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير .

٩ - علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن حماد بن عثمان ، عن عيسى بن السري قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : حدثني عما بنيت عليه دعائم الإسلام إذا أنا أخذت بهازكي عملي ولم يضربني جمل ما جيلت بعده، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله والإقرار بما جاء به من عند الله وحق في الأموال من الزكاة، والولاية التي أمر الله عز وجل بها ولاية آل محمد صلى الله عليه وآله ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : من مات ولا يعرف إمامته ميتة جاهلية، قال الله عز وجل : «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم» فكان علي عليه السلام، ثم صار من بعده حسن ثم من بعده حسين ثم من بعده علي بن الحسين، ثم من بعده محمد بن علي، ثم هكذا يكون الأمر. إن الأرض لا تصلح إلا بإمام ومن مات لا يعرف

فإن هذا الوصف ينفعك في هذه الساعة نفعا بئنا لحضوره لديك حتى تعرفه و عنايته بشأنك و استنقاذه لك من ابليس و جنوده و بشارته إياك بالدرجات العالية والمقامات الرفيعة فستبشر وتقول حينئذ اظهارة للفرح والسرور لقد كنت على أمر حسن، وهو الاقرار بالولاية و متابعة ولي الأمر، و فيه بشارة عظيمة ودلالة واضحة على أن المؤمن في جميع أزمته عمره محتاج الى الامام لانه نور قلبه و سبب هدايته سيما وقت الاحتضار فان احتياجه اليه حينئذ أشد و أقوى .

إمامه مات مينة جاهلية وأحوج ما يكون أحدكم إلى معرفته إذا بلغت نفسه ههنا - قال : وأهوى بيده إلى صدره - يقول حينئذ : لقد كنت على أمر حسن .
 ١٠ - عنه ، عن أبي الجارود قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : يا ابن رسول الله هل تعرف مودتي لكم و انقطاعي إليكم وموالياتي إيتاكم ؟ قال : فقال : نعم ، قال : فقلت : فإني أسألك مسألة تجيبني فيها فأني مكفوف البصر قليل المشي ولا أستطيع زيارتكم كل حين قال : هات حاجتك ، قلت : أخبرني بدينك الذي تدين الله عز وجل به أنت وأهل بيتك لا دين الله عز وجل به قال : إن كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة والله لأعطينك ديني ودين آبائي الذي تدين الله عز وجل به ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ والإقرار بما جاء به من عند الله والولاية لوليّنا والبراءة من عدونا والتسليم لأمرنا وانتظار قائمنا والاجتهاد والورع .

١١ - علي بن إبراهيم ، عن صالح بن السندي ، عن جعفر بن بشير ، عن علي بن أبي حمزة ، عن أبي بصير قال : سمعته يسأل أبا عبد الله عليه السلام فقال له : جعلت فداك أخبرني عن الدين الذي افترض الله عز وجل على العباد ، ما لا يسعهم جهله ولا يقبل منهم غيره ، ما هو ؟ فقال : أعد علي فأعاد عليه ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً وصوم شهر رمضان ، ثم سكت قليلاً ، ثم قال : والولاية مرتين - ثم قال : هذا الذي

قوله (إن كنت أقصرت الخطبة فقد أعظمت المسألة) في المغرب وأقصرت الخطبة

و أمرضت المسألة أي جئت بهذه قصيرة موجزة وبهذه عريضة واسعة .

قوله (فقال أعد علي) لعل أمره بالأعادة للاستلذاذ بذكره أو ليسمع الجاهلون

و يتوجهون إلى استماع جوابه .

قوله (وإقام الصلاة) حذف التاء للاختصار ، وقيل المراد بإقامتها إدامتها وقيل

فعلها على ما ينبغي وقيل فعلها في أفضل أوقاتها ، وقيل جاء على حرف القرآن في التمييز

عن فعل الصلاة بلفظ الإقامة دون أخواتها وذلك لما اختصت به من كثرة ما يتوقف عليه

من الفرائض والفرائض والسنن . والنسائل وإقامتها إدامة فعلها مستوفاة جميع ذلك و

اتما لم يذكر الجهاد لانه لا يجب الا مع الامام فهو تابع للولاية مندرج فيها .

قوله (هذا الذي فرض الله عز وجل على العباد لا يسأل) لعل المراد أن هذه فروع

فرض الله على العباد ولا يسأل الرب العباد يوم القيامة فيقول: ألا زدتنى على ما افترضت عليك؟ ولكن من زاد زاده الله، إن رسول الله ﷺ سننا حسنة جميلة ينبغي للناس الأخذ بها.

١٢- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن محمد بن جمهور، عن فضالة بن -
أيوب عن أبي زيد الحلال، عن عبد الحميد بن أبي العلاء الأزدي قال: سمعت أبا-
عبد الله عليه السلام يقول: إن الله عز وجل فرض على خلقه خمسا فرخص في أربع
ولم يرخص في واحدة.

١٣- عنه، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أبان، عن إسماعيل الجعفي قال:
دخل رجل على أبي جعفر عليه السلام ومعه صحيفة فقال له أبو جعفر عليه السلام: هذه صحيفة
مخاصم يسأل عن الدين الذي يقبل فيه العمل فقال: رحمك الله هذا الذي أريد،
فقال أبو جعفر عليه السلام: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً ﷺ عبده و
رسوله و تقر بما جاء من عند الله والولاية لنا أهل البيت والبراءة من عدونا و
التسليم لأمرنا والورع والتواضع وانتظار قائمتنا، فإن لنا دولة، إذا شاء الله
جاء بها.

١٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، و أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار
جميعاً عن صفوان، عن عمرو بن حريث قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وهو في
منزل أخيه عبد الله بن محمد فقلت له: جعلت فداك ما حوكتك إلى هذا المنزل؟ قال:
طلب النزهة فقلت: جعلت فداك ألا أقص عليك ديني؟ فقال: بلى، قلت: أدين الله

مؤكد عينية و ما عداها إما مندوب أو واجب كفاً لله يسأل عباده يوم القيامة عن تلك
الفروض لأن هذا لكن من زاد زاده الله تعالى في الاجر، ان رسول الله صلى الله عليه وآله سننا حسنة
جميلة من الاداب والاخلاق والاعمال والمقودات والابتعاثات والمواظع والنصايح وغير ها
ينبغي للناس الاخذ بها بعد تلك الفرائض ليزداد بذلك أجرهم ومثزلتهم و لو لم يأخذوا
بها وقع النقص في مرتبتهم ولم ينع الفساد في دينهم.

قوله (والورع والتواضع) للورع عن محارم الله والتواضع لأولياء الله مدخل عظيم
في قبول العمل و بلوغه الى غاية الكمال ولذلك قال الله تعالى وانما يتقبل الله من المتقين
للتنبية على أن العمل بدون التقوى كأنه ساقط عن درجة الاعتبار والقبول.

بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت والولاية لعلي أمير المؤمنين بعد رسول الله ﷺ والولاية للحسين والحسين والولاية لعلي بن الحسين والولاية لمحمد بن علي ولك من بعده صلوات الله عليهم أجمعين وأنكم أئمتني عليه أحبا وعليه أموت وأدين الله به، فقال : يا عمرو ! هذا والله دين الله ودين آبائي الذي أدين الله به في السر والعلانية ، فاتق الله وكف لسانك إلا من خير ولا تقل إنني هديت نفسي بل الله هداك ، فأد شكرها أنعم الله عز وجل به عليك ولا تكن ممن إذا أقبل طعن في عينه ، وإذا أدبر طعن في قفاه ولا تحمل الناس علي كاهلك فإنيك أو شك إن حملت الناس علي كاهلك أن

قوله (طلب النزعة) أي البعد عن الخلق و اصل النزعة البعد و منه تفريده الله تعالى أي تمييزه من النقاتر، أو المراد بها بعد الخاطر عن الهم والحزن لتكون مكانه نزها فيه سعة و ماء و كلاء و خضر.

قوله (وأدين الله به) في المصباح دان بالاسلام ديننا بالكسر تعبد به وتدين به كذلك فهو دين مثل ساد و سيد.

قوله (في السر والعلانية) السر القلب، والعلانية اللسان والجوارح أو الأفعال.

قوله (فاتق الله) أمره بالتقوى وهي التجنب عن المعاصي أو التنزه عما يعقل القلب عن الحق أو بالنزعة عن ليس من أهل هذا الدين.

قوله (وكف لسانك الا من خير) أمره بكف اللسان الا من خير ورفقه في حفظه عن كل ما يضره أو لا ينفعه من الأقوال وفي تمويده بالخير من القرآن والحديث وغيرها من الأمور النافعة و خص اللسان من بين الاعضاء الظاهرة لانه أشرفها وأعما تنادى و مناسده أكثر فيجب حفظه مما لا ينفع خصوصاً عما يضر، ثم أشار الى أن الهداية نعمة من الله تعالى فوجب معرفة قدرها و أداء شكرها بمصرف كل عضو فيما خلق لاجله.

قوله (ولا تكن ممن إذا أقبل) هذا في الحقيقة أمر بحسن المعاشرة مع الخلق و بالنزعة في موضعها أي كن بحسن صفاتك ممن يمدحه الناس في حضوره و غيبته ولا تكن بشراة ذاك و قبح صفاتك ممن يذمونه فيهما وفيه دلالة على وجوب التجنب عن المعاصي بقدر الامكان .

يصدعوا شعب كاهلك.

١٥- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن ابن مسكان، عن سليمان بن خالد، عن أبي جعفر عليه السلام : قال: ألا أخبرك بالاسلام أصله وفرعه وذروة سنامه؟ قلت: بلى جعلت فداك قال: أمّا أصله فالصلاة وفرعه الزكاة وذروة سنامه الجهاد، ثم قال: إن شئت أخبرتك بأبواب الخير؟ قلت: نعم جعلت فداك قال: الصوم جنة من النار، والصدقة تذهب بالخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل بذكر الله، ثم قرأ الفرقان : وتنجاني جنوبهم عن المضاجع.

قوله (ولا تحمل الناس على كاهلك) الكاهل مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق و هو الثلث الأعلى و فيه ست فقر أو مابين الكتفين أو موصل العنق في الصلب والشعب هنا محل الصدع والشق والتفريق و هو المنيع و منه الشبهة و هي الطائفة من كل شيء والقطعة منه، وقد نهاء وع من فعل ما يوجب حمل الناس على كاهله وفصدهم اضراره و اهلاكه من تعرض امراضهم وقصد اضرارهم و ايذائهم وعدم المجاملة بهم، فان الناس بما ملونه بمثله أو اشد، بل ربما يحصل من تماؤفهم ما يوجب هلاكه ولذلك عبر عنه وع بالعبارة المذكورة المشيرة بالهلاك أو الضرر العظيم.

قوله (أما أصله فالصلاة) الامور الثلاثة من فروع الاسلام حقيقة لكن عد الصلاة أصله لان قيامه ينحقق بها و لذلك شبهت بالعمود في الخبر السابق وعد الجهاد مع الاعداء الظاهرة أو الاعم منهم وعن النفس والشیطان، ذروة سنامه لان به غاية ارتفاع كما أن ذروة الشيء غاية ارتفاع ذلك الشيء، و خمس الزكاة بالذكر من بين فروعه المتكثرة لانها العمدة كالصلاة ثم ذكر من جملة أبواب الخير ثلاثة لكثرة منافعها أولها الصوم الواجب أو الاعم وهو جنة يقي صاحبه عما يؤذيه أو يهلكه من الشهوات ومن الشروط لكمال حفظ جميع الجوارح عما يليق به، و ثانيها الصدقة الواجبة أو الاعم وهي تذهب بالخطيئة تكفر عنها بل تحفظ عنها أيضاً، و ثالثها قيام الرجل جوف الليل بذكر الله ولم يذكر فائدته كما ذكر قبله للدلالة على الكثرة والتعميم مع احتمال أن يكون فائدته اذهاب الخطيئة أيضاً بقرينة المطلق.

قوله (وذروة سنامه) الاضافة بيانية أو لامية اذ للسنام الذي هو ذروة البعير ذروة أيضاً هي أرفع أجزائه.

قوله (تنجاني جنوبهم عن المضاجع) كناية عن القيام الى صلاة الليل والذكر.

باب

أن الإسلام يحقن به الدم (و تؤدي به الأمانة) وأن الثواب على الإيمان

- ١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن الحكم بن أيمن ، عن القاسم الصيرفي شريك المفضل قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : الإسلام يحقن به الدم و تؤدي به الأمانة و تستحل به الفروج والثواب على الإيمان
- ٢- علي بن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم ، عن أحدهما عليه السلام قال : الإيمان إقرار و عمل والإسلام إقرار بلا عمل.

قوله (الإسلام يحقن به الدم) ظاهر أخبار هذا الباب و تواليه أن الإسلام يصدق على مجرد الإقرار باللسان من غير تصديق مطلقاً سواء كان معه الإقرار بالولاية أو لم يكن وعلى التصديق المجرد عن الولاية وإن لم يكن معه الإقرار باللسان و على كليهما مجرداً عن الولاية أو معها وإن الإيمان يصدق على التصديق بجميع ما جاء به النبي و من الداخل فيه الولاية سواء كان معه عمل بما يقتضيه ذلك التصديق أو لم يكن وإن كان المقرون بالمثل هو الفرد الكامل من الإيمان بل هو عند أهل العصمة عليهم السلام كما يشمر به كثير من أخبارهم و يظهر مما ذكرنا أن الإيمان أخص من الإسلام وأن ما هو أثر الإسلام و لوازمه فهو أثر الإيمان و لوازمه دون العكس وذكر من أثر الإسلام ثلاثة أمور الأول أنه يحقن به الدم و يحفظ به عن القتل والثاني أنه تؤدي به الأمانة وكان المراد أن إذاها إلى أهل الإسلام أو كد أو أنه مما يحكم به أهل الإسلام ، والألفاظ والآية والروايات الكثيرة أن أداء أمانة الكافر وإن كان حربياً واجب أيضاً واحتمال إرادة أنه يحفظ به ماله كما يحقن به دمه أو يحفظ به أمانه للحربي أظهر ، والله أعلم ، والثالث أنه تستحل به الفروج والثناكح ، وهذا يدل على جواز الثناكح بين أهل الإسلام مطلقاً الآن في جواز تزويج المؤمنة بالمخالف قولين للإصحاب ، ذهب المفيد والمحقق إلى جوازه والمشهور المنع لدلالة الأخبار عليه ، وفي بعضها تعليق بأن المرأة تأخذ من أدب زوجها و يتورها على دينه لكن في بعضها إرسال و في بعضها ضعف وفي بعضها جهالة ، والاحتياط تركه تنصياً من الخلاف وحذراً من النهجيم على استباحة الفروج وتطهيراً للفتنائل وذكر من أثر الإيمان المتخصص به الثواب عليه و هذا يدل على أن غير المؤمن لا يثاب في الآخرة ولا يدخل الجنة كما يدل عليه الآيات و الروايات المنبهرة و اتفاق الفرقة الناجية.

قوله (الإيمان إقرار و عمل والإسلام إقرار بلا عمل) لعل المراد بالافراد الإقرار

٣- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم» فقال لي: ألا ترى أن الإيمان غير الإسلام.

بالشهادتين و بالعمل عمل القلب وهو التصديق بجميع ما جاء به النبي و يطلق العمل عليه أيضاً كما سيظهر في الباب الثالث بعد هذا الباب فبدل على أن الإيمان مركب من الإقرار والتصديق كما ذهب إليه المحقق الطوسي واستدل على أن الأول وحده وهو الإقرار باللسان ليس بإيمان بقوله تعالى «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» فقد أثبت الإقرار اللساني ونفى الإيمان فعلم أن الإيمان ليس هو الإقرار اللساني، و على أن الثاني وحده وهو التصديق ليس بإيمان بقوله تعالى «ووجدوا بها واستبقنتها أنفسهم» أثبت للكفار الاستيقان النفسي وهو التصديق فلو كان الإيمان نفس التصديق لزم اجتماع الكفر والإيمان في شخص واحد في آن واحد ولا شك أنهما متقابلان لا يمكن اجتماعهما كذلك وفيه نظر أما أولاً فلأن التصديق لما كان مقروناً بالانكار كان غير معتبر لأن التصريح بالنفيش ربما كان مانعاً من القبول والاعتبار، وأما ثانياً فلأن هذه الآية إنما تدل على أن التصديق وحده ليس بإيمان ولا تدل على أن الإقرار باللسان جزء من الإيمان، لجواز أن يكون شرطاً له و ينتفى المشروط بانتفاء الشرط كما أن الكل ينتفى بانتفاء الجزء، ومن ثم حمل المتكلمون القائلون بأن الإيمان نفس التصديق الأخبار الدالة على جزئية اتصال الجوارح للإيمان على أنها للكمال بمعنى أن العمل ليس جزءاً للإيمان بحيث يعدم الإيمان بعدم العمل بل إضافة العمل إليه إضافة كمال وكذا حملوا الأخبار الدالة على جزئية الإقرار باللسان على أنه شرط في الإيمان لاجزاء منه وعلى هذا حملوا الأخبار المختلفة الدال بعضها على أن الإيمان نفس التصديق وبعضها على أنه التصديق والعمل مثل الصلاة والزكاة وغيرهما وبعضها على أنه التصديق والإقرار ومعنى قوله «ووالاسلام أقرار بالشهادتين» وغيرهما بلا اعتبار عمل قلبي وهو التصديق منه بناء على ما ذكرنا من أن المراد بالعمل العمل القلبي فحينئذ يناسب هذا الخبر الأخيرين بعده مناسبة ظاهرة إما مناسبة للأول منهما فظاهرة و أما للثاني فلأن ضم أقوال الجوارح إلى الإقرار من غير أن يكون منه تصديق قلبي يصدق عليه أنه إقرار بالأصل أي بالتصديق ولا يصدق عليه أنه إقرار وعمل فليأمل.

قوله (قالت الأعراب آمنا) لما أقرت الأعراب بالشهادتين قالوا آمنا بهذا الإقرار

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن سفيان بن السمط قال: سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن الإسلام والايمان، ما الفرق بينهما فلم يجبه، ثم سألته فلم يجبه، ثم التفتنا في الطريق وقد أذف من الرجل الرحيل، فقال له أبو - عبد الله عليه السلام: كأنه قد أذف منك رحيل؟ فقال: نعم فقال: فالتفتي في البيت، فلقية فسألته عن الإسلام والايمان ما الفرق بينهما؟ فقال: الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان، فهذا الإسلام، وقال: الايمان معرفة هذا الأمر مع هذا فإن أقر بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً و كان ضالاً.

٥- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، و عدثة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن الوشاء، عن أبان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «قالت الأعراب آمناً قل تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا» فمن زعم أنهم آمنوا فقد كذب

فقال الله تعالى لنبيه «قل لم تؤمنوا» بعد لأن هذا الاقرار ليس بايمان ولكن قولوا أسلمنا» به إذ لستم بمؤمنين دولما يدخل الايمان، أي التصديق الخاص «في قلوبكم» ففيه دلالة على أن الإسلام نفس الاقرار اللساني والايمان نفس التصديق وقال بعض العامة الإسلام الشهادتان والايمان العمل ثم قرأ هذه الآية وفيه دلالة واضحة على أن المراد بالعمل العمل القلبي وهو التصديق كما ذكرناه. قوله (فلم يجبه) كأنه ترك الجواب للتقية ولئلا يذكره السائل لاهل المدينة و لذلك أجابه عند خروجه منها.

قوله (الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس) أريد بالظاهر الاعمال الظاهرة و قوله شهادة أن لا إله إلا الله وما بعده بدل له للإيضاح، وأريد بالشهادة الاقرار باللسان بالثوحيد والرسالة سواء كان معه تصديق أو لا وقد عرفت سابقاً أن الإسلام يصدق على كل واحد منهما. قوله (الايمان معرفة هذا الأمر مع هذا) أي الايمان معرفة الولاية والتصديق بها مع هذا الظاهر المذكور، وقد بحثج به من يجعل الايمان مركباً من التصديق والاعمال الظاهرة وفيه أن المعية لا تبدل على الجزئية لأنها أهم منها وعلى تقدير التسليم فلعلمه تفسير للايمان الكامل والمناقشة في كون الاعمال جزءاً له أو شرطاً سهل، والفرق بين الضال والكافر مع أن الضال كافر في الحقيقة أن الكافر لم يدخل في الدين والضال دخل فيه وترك أعظم أركانها وهو الولاية فضل عنه.

و من زعم أنهم لم يسلموا فقد كذب.

٦- أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن حكم بن أيمن، عن قاسم شريك المفضل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الإسلام يُحقن به الدَّمُ و تؤدَّى به الأمانة و تُسجَلُ به الفروج والثواب على الايمان.

باب

ان الايمان يشرك الاسلام (١) والاسلام لا يشرك الايمان

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن جميل بن - صالح، عن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخبرني عن الاسلام والايمان أهما

قوله (فمن زعم أنهم آمنوا فقد كذب) أي فمن زعم أنهم آمنوا بهمل الايمان عبارة عن مجرد الاقرار بالشهادتين والاعمال الظاهرة فقد كذب، و من زعم أنهم لم يسلموا تمكناً بقوله تعالى والاعراب أشد كذراً وثباتاً فقد كذب لان كل واحد منهما زعم خلاف ما أخبر به الكتاب وكل من كان كذلك فهو كاذب.

(١) قوله وان الايمان يشرك الاسلام، حاصل مفاد الباب أن بين الايمان والاسلام عموماً وخصوصاً مطلقاً ومرجئاً الى موجبة كلية، وكل مؤمن مسلم، وسالبة جزئية وليس كل مسلم مؤمناً، ومثله بالكعبة والمسجد الحرام فكل موضع من الكعبة مسجد وليس كل موضع من المسجد كعبة. وهو تمثيل المفعول بالمحسوس على ما هو شأن الانبياء والاصياء، و مرجع ذلك الى زيادة قيد في الايمان و اختلاف الروايات في ذلك القيد فبعضها على أنه ولاية أهل البيت عليهم السلام و بعضها على أنه العمل و بعضها على أنه تصديق القلب لشهادة اللسان ولا يبعد إطلاقه في الاخبار على معان متعددة بحسب الموارد ويتعين بالقرينة، وقد ذكرنا شيئاً في ذلك في مقدمة الكتاب، والاهم في ذلك أمران الاول اعتبار الاعمال في صدق الايمان وقد اختلف فيه المسلمون من صدر الاسلام فالخوارج على أن كل عمل معتبر فيه فيكون مرتكب الكبيرة كافراً و قالت المرجئة لا يضر مع التصديق شيء من العثرات والفاسق كالمالغ والحق أن العمل لا يعتبر في الايمان ومرتكب الكبيرة ليس كافراً و ان وصف بالفسق و عذب في الآخرة خلافاً للمرجئة، وهذا هو مذهب الشيعة وأكثر أهل السنة وما روى في الاخبار موافقاً للخوارج او للمرجئة يجب تأويله.

الثاني من النزم بشرى يستلزم الكفر استزماً غير يميز كالمجسمة ليس بكافر و بيان الاستلزام أن الجسم مركب و كل مركب ممكن وكل ممكن معلول للغير و لو كان الواجب

جهد باب أن الإيمان لا يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان - ح ١ - ٧٥ -

مختلفان؟ فقال: إن "الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان، فقلت، فصمهمالي، فقال: الإسلام شهادة لا إله إلا الله والتصديق برسول الله ﷺ، به حققت الدماء و

قوله (إن الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان) المشاركة وعدمها
لما باعتبار المفهوم فإن مفهوم الإسلام داخل في مفهوم الإيمان دون العكس، أو باعتبار
الصدق فإن كل مؤمن مسلم دون العكس، أو باعتبار الدخول فإن الداخل في مفهوم الإيمان
داخل في الإسلام دون العكس أو باعتبار الأحكام فإن أحكام الإسلام مثل حقن الدماء وأداء
الامانة واستحلال القروح ثابتة للإيمان دون العكس فإن الحكم المترتب على الإيمان مثل
الثواب والثناء للمؤمن وعتابه لا تكون للإسلام.

قوله (فقلت فصمهمالي) أي فسرهما لي و بين لي حقيقتيهما حتى يظهر لي
حقيقة المشاركة وعدمها.

قوله (الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله صلى الله عليه وسلم) اكتفى بذكر الشهادة
على التوحيد عن التصديق به و بذكر التصديق بالرسالة عن الشهادة عليها للتقريب والتعارف
لأن التوحيد والرسالة أمران متروكان فما يشتر في أحدهما يعتبر في الآخر وأيضاً الشهادة
قلما تنفك عن التصديق والتصديق قلما ينفك عن الشهادة. وعلى هذا فمحمل الكلام أن
الإسلام التصديق بالله ورسوله والشهادتان وهذا لا ينافي ما مر من أن الإسلام الإقرار بلا
عمل أي بالتصديق لانا قد ذكرنا أن الإسلام يطلق على مجرد الإقرار أيضاً.

بيد جسماً كان معلولاً للبدن وهو كافر وعلى ذلك بعض فقهاءنا والحق أنه لا يكفر أحد إلا بالاستلزام
البين و لذلك قالوا لو ادعى مدعى الباطل شبهة ممكنة في حقه قبلت منه و درء عنه الحد و
كذلك اذا اعتقد أحد أن الروح قوة حادثة حاصلة من تركيب مزاج البدن وليس مجرد أحد
البدن وهذا رأى الملاحدة الماديين الذين لا يعتقدون وجود غير القوى الجسمانية وينكرون
تأثير شيء في شيء إلا أن يكون جسمانياً يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم من الآخرة
هم غافلون، و يترتب على اعتقادهم هذا انكار المعاد ونفي الثواب والعقاب و استحالة
الحشر والنشر لكن رأينا جماعة من عوام المتزهدين لا ينهون لهذا الاستلزام، يفارقون
الماديين في أصلهم ولا يلتزمون بلوازمه يترحمون على القائلين بتجرد النفس و ينقصون
أدلتهم على بقائها بعد الموت وربما يسرحون بأن النفس كنود السراج يطلق بغناء الدهن
و من ذلك يزورون الاموات و يستغفرون لهم و يهدون إليهم قواب المبادات ولا يعلمون أن
لازم أصلهم اليأس من أصحاب القبور و خرافة هذه الاعمال كما قال الله تعالى و كما يش
الكفار من أصحاب القبور، ولكن لما لم يكن الاستلزام بيناً لا يحكم بكفر هؤلاء. (ش)

عليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس؛ والايمن الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الاسلام وما ظهر من العمل به والايمن ارفع من الاسلام بدرجة، إن الايمان يشارك الاسلام في الظاهر والاسلام لا يشارك الايمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة.

٢- علي بن ابراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن موسى ابن بكر، عن فضيل بن يسار، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: الايمان يشارك الاسلام والاسلام لا يشارك الايمان.

٣- علي بن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن الايمان يشارك الاسلام ولا يشاركه الاسلام، إن الايمان ما وقر في القلوب والاسلام ما عليه المناكح والمواريث وحقن الدماء، والايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان.

٤- عدثة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسن بن محبوب، عن أبي الصباح الكناني قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: أيهما أفضل الايمان أو الاسلام؟

قوله (والايمن الهدى) الهدى راه باقن وراء نمودن ورسیدن بمقصود وراء راست والمراد به هنا الولاية وهي الصراط المستقيم وبما يثبت في القلوب من صفة الاسلام التصديق بالله وبرسوله وبما ظهر من العمل بالشهادتين أو الأعم منهما ومن أقام الصلاة وآتى الزكاة والصوم والحج واعتبار هذه الأعمال في الايمان وقد مر وجه مراراً.

قوله (والايمن ارفع من الاسلام بدرجة) لا اعتبار بالتصديق بالولاية في حقيقة الايمان دون الاسلام وبه يستحق العبد الثواب والكرامة في دار المقامة.

قوله (إن الايمان يشارك الاسلام في الظاهر) لعل المراد أن الايمان يشارك الاسلام في جميع الأعمال الظاهرة المعتبرة في الاسلام مثل الصلاة والزكاة وغيرها والاسلام لا يشارك الايمان في جميع الأمور الباطنة المعتبرة في الايمان لأنه لا يشاركه في التصديق بالولاية وإن اجتمعا في الشهادتين والتصديق بالوحد والرسالة ومنه يشين أن الايمان كالنوع والاسلام كالجنس وقد يطلق الاسلام و يراد به هذا النوع مجازاً من باب إطلاق العام على الخاص ولعل قوله تعالى «و أخرجنا من كان فيها الآية» من هذا الباب فقول من زعم انهما مترادفان وتمسك بهذه الآية مدفوع.

قوله (أيهما أفضل) مبتدأ وخبر، والايمن والاسلام تفسير لمرجع الضمير

فإن من قبلنا يقولون: إن الإسلام أفضل من الإيمان، فقال: الإيمان أرفع من الإسلام قلت: فأوجدني ذلك، قال: ما تقول فيمن أحدث في المسجد الحرام منعماً أو قال: قلت: يضرب ضرباً شديداً قال: أصبت، قال: فما تقول فيمن أحدث في الكعبة منعماً أو قال: قلت: يقتل، قال: أصبت ألا ترى أن الكعبة أفضل من المسجد وأن الكعبة تشرك المسجد والمسجد لا يشرك الكعبة، وكذلك الإيمان يشرك الإسلام والإسلام لا يشرك الإيمان.

٥- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعبد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعاً، عن ابن محبوب، عن علي بن رئاب، عن حمزان بن أئين، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: الإيمان ما استقر في القلب وأفضى به إلى الله عز وجل.

أوهما مبدأ وأيهما أفضل خير.

قوله (قلت فأوجدني) من أوجد فلاناً مطلوبه أظفرو به أي أظفرتني بالمطلوب و بينه لي بمثال جزئي.

قوله (قلت يقتل قال أصبت) قيل يدل على كفر من استعف بالكعبة فإن وجوب تعظيمها من ضروريات الدين.

قوله (ألا ترى أن الكعبة أفضل من المسجد) فكما أن الكعبة أفضل من المسجد لخصوصية منسبة في الكعبة غير منسبة في المسجد حتى اختلف بها حكمهما، كذلك الإيمان أفضل من الإسلام لخصوصية منسبة فسي الإيمان غير منسبة فسي الإسلام فلذلك اختلف حكمهما.

قوله (وإن الكعبة تشرك المسجد والمسجد لا يشرك الكعبة) فإن مفهوم المسجد متحقق في الكعبة ومفهوم الكعبة غير متحقق في المسجد فالكعبة مسجد والمسجد ليس بداخل في الكعبة والداخل في الكعبة داخل في المسجد والداخل في المسجد ليس بداخل في الكعبة وهكذا حال ما نحن فيه أهني الإسلام والإيمان. وبالعجلة التناسب بين الممثل والممثل له ظاهر لاشرة فيه فلذلك جاءه ج ، بهذا التمثيل من باب تشبيه المفعول بالمحسوس لقصد الإيضاح والتفريق .

قوله (وأفضى به إلى الله عز وجل) أشار به إلى أن المراد بما استقر في القلب مجموع التصديق بالتوحيد والرسالة والولاية لأن هذا المجموع هو المفنى إلى الله عز وجل لا كل واحد ولا كل اثنين منها. وقوله هو صدقه المملء مشعر بأن العمل خارج عن الإيمان

و صدقة العمل بالطاعة لله والتسليم لأمره. والاسلام ما ظهر من قول أو فعل وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلها و به حقت الدماء و عليه جرت المواريث و جاز النكاح و اجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج، فخرجوا بذلك من الكفر وأضيفوا إلى الايمان، والاسلام لا يشرك الايمان والايمان يشرك الاسلام وهما في القول والفعل يجتمعان، كما صارت الكعبة في المسجد والمسجد ليس في الكعبة و كذلك الايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان وقد قال الله عز وجل :
 وقالت الأعراب آمنّا قل تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم،
 فقول الله عز وجل "أصدق القول، قلت : فهل للمؤمن فضل على المسلم في شيء من الفضائل والأحكام والحدود وغير ذلك ؟ فقال : لا، هما يجرىان في ذلك مجرى واحد

و دليل عليه لان الايمان وهو التصديق أمر قلبي يعلم بدليل خارجي مع ما فيه من الايمان إلى أن الايمان بالعمل ليس بالايمان.

قوله (والاسلام ما ظهر من قول أو فعل) أي قول بالشهادتين أو فعل بالطاعات مثل الصلاة والصوم والحج وغيرها فيبدل على أن الاسلام يطلق على مجرد الطاعات من الاقرار بالشهادتين والتصديق بهما.

قوله (فخرجوا بذلك من الكفر و اضيفوا إلى الايمان) و لم يكونوا من أهل الايمان فمأهم من هؤلاء ولا من هؤلاء ولا يجرى عليهم شيء من أحكامهما وان كان يجرى أحكامهم على أهل الايمان.

قوله (وهما في القول والفعل يجتمعان) أي الاسلام والايمان يجتمعان في القول والشهادتين والفعل بالطاعات الا أنهما داخلان في حقيقة الاسلام خارجان عن حقيقة الايمان على ما هو الحق عند جماعة من المتكلمين ولعل المقصود التنبيه على تساويهما في طلب الفضائل والأحكام والحدود كما سيشرح به .

قوله (فقول الله عز وجل أصدق القول) فهو يطل قول كل من قال بان الاسلام يرادف الايمان، و من زعم أن الأعراب لم يسلموا و من زعم أنهم آمنوا.

قوله (قلت فهل للمؤمن فضل على المسلم) كان قصده هل للمؤمن اختصاص بشيء من الفضائل النفسية والأحكام الشرعية و حدودها لا يكون المسلم مكلفاً به فأجاب وع ، بأنهما متساويان في ذلك ولا يكون للمؤمن على المسلم فضل في شيء منه و انما الفضل للمؤمن في العمل والثواب و ما يقترب به إلى الله تعالى من الطاعة والانتباه لان الفضل

ولكن للمؤمن فضل على المسلم في أعمالهما و ما ينشر بأن به إلى الله عز وجل ، قلت : أليس الله عز وجل يقول : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » وزعمت أنهم مجتمعون على الصلاة والزكاة والصوم والحج مع المؤمن ؟ قال : أليس قد قال الله عز وجل : « يضاعفه له أضعافاً كثيرة » فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله عز وجل لهم حسناتهم لكل حسنة سبعون ضعفاً ، فهذا فضل المؤمن ويزيده الله في حسناته على قدر صحة إيمانه أضعافاً كثيرة و يفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير ، قلت : مشروط بالإيمان وهو مفقود في المسلم .

قوله (قلت أليس الله عز وجل يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) لما حكم د ع ، بأن للمؤمن فضلا على المسلم في الأعمال سأله حمران على سبيل التقرير أو الاستفهام بآئك زعمت أن المؤمن والمسلم مجتمعون على الصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من الطاعات و مكلفون جميعاً بها و قال الله تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » والموسول للعموم فهذه الآية مع ما زعمت تقتضي أن يكون المؤمن والمسلم متساويين في الفضل فكيف يكون للمؤمن فضل على المسلم في الأعمال ، فأجاب د ع ، بأنه أليس قد قال الله تعالى د من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ، وهذا الجواب على فهمنا الفاسد يحتمل وجهين الأول أن القرض الحسن هو العبادة الواقعة على كمالها و شرائطها و شرائط قبولها و من جملة شرائطها هو الإيمان فالمؤمنون هم الذين يضاعف الله عز وجل لهم حسناتهم لا غيرهم فيعطيه لكل حسنة عشرة و ربما يعطيه لكل حسنة سبعين ضعفاً فهذا فضل المؤمن على المسلم و يزيده الله في حسناته على قدر صحة إيمانه و حسب كماله أضعافاً كثيرة حتى أنه يعطيهم بواحدة سعمائة أو أزيد و يفعل الله بالمؤمنين ما يشاء من الخير الذي لا يعلمه إلا هو كما قال ، « ولدينا مزيد » والثاني أن متساويهم في فضل واحدة بمسرة على تقدير عموم الموسول لا يقتضي أن لا يكون للمؤمنين فضل على المسلم في الأعمال لأنه تعالى يضاعف له أعماله أضعافاً كثيرة فيعطيه لكل حسنة سبعين ضعفاً فهذا فضل المؤمن على المسلم إلى آخر ما ذكر و لعل الأول بالمعنى أقرب والثاني بالمعبارة أنسب ، لا يقال ما دل من الآيات و الروايات على أن أعمال غير المؤمن يكون هباء منثوراً يناهى الاحتمال الثاني فكيف التوفيق بينهما ، لا نأقول لعل عمل غير المؤمن ينفعه في تخفيف العقوبة و رفع شدتها لا في دخول الجنة إذ دخولها مشروط بالإيمان فهو هباء منثور باعتبار أنه لا يوجب دخول الجنة و نال له في الجملة باعتبار أنه يوجب تخفيف العقوبة والله يعلم حقيقة كلام وليه .

أرأيت من دخل في الإسلام أليس هو داخلاً في الإيمان؟ فقال : لا ولكنه قد أضيف إلى الإيمان وخرج من الكفر وسأضرب لك مثلاً تعقل به فضل الإيمان على الإسلام، أرأيت لو بصرت رجلاً في المسجد أنكنت تشهد أنك رأيت الكعبة؟ قلت: لا يجوز لي ذلك، قال: فلو بصرت رجلاً في الكعبة أنكنت شاهداً أنه قد دخل المسجد الحرام؟ قلت: نعم، قال: وكيف ذلك؟ قلت: إنه لا يصل إلى دخول الكعبة حتى يدخل المسجد، فقال: قد أصبت وأحسن، ثم قال: كذلك الإيمان والإسلام.

قوله (قلت أرأيت من دخل في الإسلام أليس هو داخلاً في الإيمان) الإسلام عبارة عن التصديق بالتوحيد والرسالة أو عن الإقرار بالشهادتين أو عن الاتيان بالأعمال الظاهرة أو عن المجموع أو عن الاثنين منها، وجوز السائل أن يكون ذلك نفس الإيمان أو غنى ذلك و لذلك قال على سبيل الاستفهام أو التقرير أليس هو أي الداخل في الإسلام داخلاً في الإيمان بأن يكون الإسلام عين الإيمان؟ فقال وع، لا لأن الإيمان أما التصديق المذكور مع التصديق بالولاية أو هذا مع الإقرار بالعمل فالإسلام إما جزء الإيمان أو حد من حدوده، ومن البين أن جزء الشيء أو حده غير ذلك الشيء فالداخل في الإسلام غير داخل في الإيمان وليس بمؤمن ولكنه أضيف إلى الإيمان بالدخول في جزئه أو في حد من حدوده و خرج بذلك من منزل الكفر، وبالجملة للناس ثلاثة منازل الأول الكفر، والثاني الإسلام، والثالث الإيمان وهذا قد خرج من منزل الكفر و دخل في منزل الإسلام ولم يدخل في منزل الإيمان بعد، وأنت خير بأن هذا السؤال لا يتوجه بعد العلم بما سبق اللهم إلا أن يقال أن السائل لم يعلمه كما هو حقه لكونه أمراً معقولاً دقيقاً والمعاني الدقيقة قد لا يعرفها المخاطب حتى المعرفة إلا بالتكرار والتنبه بمثال محسوس فلذلك أورد وع في الجواب مثلاً محسوساً لتسد التفهيم والإيضاح فليتأمل.

قوله (قلت لا يجوز لي ذلك) لأن المسجد ليس بكعبة لا يقال هذا لا يعادل ما نحن فيه لأن المسجد ليس كعبة ولا جزءاً منها فلا يكون الداخل فيه داخلياً بخلاف ما نحن فيه فإن الإسلام جزء من الإيمان والداخل في الجزء داخل في الكل لأننا نقول قصد السائل أن الداخل في الإسلام هل هو مؤمن أم لا كما أشرنا إليه فليتأمل.

قوله (فلو بصرت رجلاً في الكعبة أنكنت شاهداً أنه قد دخل المسجد الحرام قلت نعم) هذا لا يدل على أن الكعبة جزء المسجد بل يشعر بخلافه حيث قال: أنكنت شاهداً أنه قد دخل المسجد ولم يقل أنكنت شاهداً أنه في المسجد.

باب آخر منه

و فيه أن الإسلام قبل الإيمان

١- علي بن إبراهيم، عن العباس بن معروف، عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن حماد بن عثمان، عن عبد الرحمن القصير قال: كتبت مع عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام أسأله عن الإيمان ما هو، فكتب إليّ مع عبد الملك بن أعين سألت رَحِمَك اللهُ عن الإيمان والإيمان هو الاقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالأركان والإيمان بعضه من بعض وهو دارٌ وكذلك الإسلام دارٌ والكفر دارٌ فقد

قوله (لا يصل إلى دخول الكعبة) أفهم لفظ الدخول لأن الوصول إلى الكعبة لا يستلزم الدخول فيها وهو المقصود هنا.

قوله (والإيمان هو الاقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالأركان) هذا تفسير للإيمان الكامل الذي يكون للمؤمنين المتقين المنورين بالبينات والبرهان من هذه الأمور أعنى الاقرار بالشهادتين والتصديق بالتوحيد والرسالة والولاية والامامة، والعمل بالأركان الظاهرة مثل السمع والبصر واللسان واليد والرجل باستعمال كل واحد منها فيما خلق لأجله وقد شاع إطلاق الإيمان عليه عند أرباب المصنعة عليهم السلام فكان غيره أعنى المتد في القلب وإن كان إيماناً في نفس الأمر لضمنه وقلة أثره ليس بإيمان كما يرشد إليه الحسرة في قوله تعالى: إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون، وعلى هذا لا منافاة بينه وبين ما دل من الاخبار على أن الإيمان عقد القلب.

قوله (والإيمان بعضه من بعض) إذ منازل الكمال متفاوتة والادنى منها معد لحصول الاعلى وبذلك يبلغ الإنسان غاية الكمال ويملك الحنفية الإنسانية، وعلى هذا فالمراد أن بعض أفراد هذا الإيمان من بعض فان الأدنى منه معد لحصول الاعلى وهكذا إلى أن يحصل فرد هو أعلى مراتب الإيمان المطلوب من الإنسان. أو المراد أن بعض أجزائه من بعض فان أصل التصديق يقتضي العمل والعمل يقتضي حصول تصديق آخر هو أكمل وأفضل وهذا التصديق يقتضي حصول عمل هو أكمل من الاول وهكذا يتبادران إلى أن يبلغ كل من الظاهر والباطن إلى غاية كمال الإنسان وتحصل نهاية مراتب الإيمان.

قوله (وهو دار وكذلك الإسلام دار والكفر دار) الداخل في الاولى من انصف بالإيمان ولوازمه، وفي الثانية من انصف بالإسلام وآثاره، وفي الثالثة من انصف بالكفر

يكون العبد مسلماً قبل أن يكون مؤمناً ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، فالإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان فإذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صفائر المعاصي التي نهى الله عز وجل عنها كان خارجاً من الإيمان، ساقطاً عنه اسم الإيمان وثابتاً عليه اسم الإسلام، فإن تاب واستغفر عاد إلى دار الإيمان ولا يخرج به إلى الكفر إلا الجحود والاستحلال أن يقول للحلال: هذا حرام وللحرام: هذا حلال ودان بذلك فعندها يكون خارجاً من الإسلام والإيمان، داخلاً في الكفر وكان بمنزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة وأحدث في الكعبة حدثاً فأخرج عن الكعبة وعن الحرم فضربت عنقه وصار إلى النار.

٢- عدته من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران قال: سألت عن الإيمان والإسلام قلت له: أفرق بين الإيمان والإسلام؟ قال فأضرب لك مثله، قال: قلت: أورد ذلك، قال: مثل الإيمان والإسلام مثل الكعبة الحرام من الحرم قد يكون في الحرم ولا يكون في الكعبة ولا يكون في الكعبة

وخواصه ولا يكون أحدهم داخلاً في دار الآخرة إلا المؤمن فإنه داخل في دار الإسلام أيضاً لأن له أيضاً سفة الإسلام وآثاره كما أشار إليه بقوله ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً، وأما المسلم فقد لا يكون مؤمناً وسر ذلك أن الإقرار بالتوحيد والرسالة مقدم على الإقرار بالولاية والعمل والمؤمن والمسلم بسبب الأول يخرجان من دار الكفر ويدخلان في دار الإسلام ثم المسلم بسبب الاكتفاء به يستقر في هذه الدار، والمؤمن بسبب الثاني يترقى وينزل في دار الإيمان، ومنه لاح أن الإسلام قبل الإيمان وأنه يشارك الإيمان فيما هو سبب للخروج من دار الكفر لا فيما هو سبب للدخول في دار الإيمان، وبهذا التقرير يندفع المناقاة بين قوله ع، وهنا وهو يشارك الإيمان، وقوله سابقاً «والإسلام لا يشارك الإيمان» فليتنا مل.

قوله (فإذا أتى العبد كبيرة من كبائر المعاصي - الخ) لما كان العمل مشتبهاً في حقيقة الإيمان الكامل كان الاتيان بالمعصية مطلقاً موجباً لستوط اسم هذا الإيمان منه وهبوطه من دار الإيمان إلى دار الإسلام وثبوت اسم الإسلام عليه ويستمر هذا إلى أن يتوب ويستغفر فإن تاب واستغفر عاد إلى دار الإيمان لزوال المانع وهو المعصية بالنسبة و

حتى يكون في الحرم ، وقد يكون مسلماً ولا يكون مؤمناً ولا يكون مؤمناً حتى يكون مسلماً ، قال : قلت : فيخرج من الايمان شيء ؟ قال : نعم : قلت فيميسره إلى ماذا ؟ قال إلى الاسلام أو الكفر . و قال : لو أن رجلاً دخل الكعبة فأفقت منه بوله أخرج من الكعبة ولم يخرج من الحرم ففسل ثوبه وتطهر ثم لم يمنع أن يدخل الكعبة ولو أن رجلاً دخل الكعبة فبال فيها معانداً أخرج من الكعبة ومن الحرم وضربت عنقه .

(باب)

١- علي بن محمد ، عن بعض أصحابه ، عن آدم بن إسحاق ، عن عبد الرزاق بن مهران ، عن الحسين بن ميمون ، عن محمد بن سالم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الاستغفار ولا يخرج من دار الايمان إلى دار الكفر إلا الجحود للمصالح والرسول وتحليل ما هو حرام وتحريم ما هو حلال من ضروريات الدين أو بعد العلم بحله وحرمة أو مطلقاً وجعله ديناً ولمن تبعة ففقد ذلك يكون خارجاً من دار الايمان والاسلام داخل في دار الكفر وكان بمنزلة من دخل الحرم ثم دخل الكعبة وأحدث معانداً فيها حدثاً فأخرج عن الكعبة ومن الحرم وضربت عنقه وصار إلى النار ، وهذا التمثيل يدل على أن المرتد يقتل وأن القتل لا يلحق عنه العقوبة الآخروية واستثنى منه المولى والمرأة لقبول توبتهما فرجعان بعدها إلى الايمان .

قوله (لو أن رجلاً دخل الكعبة فأفقت منه بوله - الشيخ) يفهم من هذا التمثيل أن المؤمن إذا صدر منه ذنب لا يوجب كفره خرج من الايمان ودخل في الاسلام ثم إذا تاب دخل في الايمان ، وإذا صدر منه ذنب يوجب كفره خرج من الايمان والاسلام ودخل في الكفر واستحق القتل إلا من استثنى .

قوله (باب - علي بن محمد عن بعض أصحابه - الشيخ) في السند مع الارسل جهالة ، والفرق من هذا الباب أن الايمان قبل الهجرة لضعف الدين وقلة ناصره كان مجرد التصديق بالتوحيد والرسالة ثم صار بعدها لقوته وكثرة ناصره وشيوع الاحكام فيه وسدور الوعيد عليها هذا مع التصديق بالولاية والعمل وأن الكفر يتحقق باقتفاء واحد منها وأن المؤمن لا يمتدأ أصلاً وأن الايمان في الفرائع السابقة كان أبشأ كذلك وأن كثيراً من هذه الامة لزيغ قلوبهم وعدم رجوعهم إلى المرشد بالحق اتبعوا المشابهات والمنسوخات ، ورفضوا المحكمات والناسخات ، وذهبوا أن الايمان إنما هو بالمنى الاول وحده ولم يملوا

ناساً تكلموا في هذا القرآن بغير علم و ذلك أن الله تبارك و تعالى يقول :
«هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما
الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا
الله - الآية - فالمنسوخات من المتشابهات، والمحكمات من النسخات، إن الله عز وجل

أنه نسخ وحدة ذلك وضم معه شيء آخر .

قوله (إن ناساً تكلموا - الخ) التنكير للمتخبر أو للتكثير أولهما و ذلك اشارة الى
تكلمهم و ما يمد به بيان لوقوعه لان الله تعالى أخبر به و اعلم أنه لا يجوز تأويل متشابهات
القرآن والاحاديث عندنا بالرأى بل يجب صرفه الى الراسخين في العلم وهم أهل الذكر
عليهم السلام و من يتعرض له من أصحابنا فانما يتعرض لوجهه على سبيل الاحتمال من غير
جزم بأحدها الا أن يدل عليه دليل آخر .

قوله (هن أم الكتاب - الخ) قيل أم الكتاب أصله الذي يرجع اليه عند الاشكال أي
من اصول ما أشكل من الكتاب فيرد ما أشكل منه الى ما اتضح منه، وقيل غير ذلك، والزيغ
السيل من الحق الى غيره والفتنة الضلال أو الشك والتأويل صرف الكلام عن ظاهره الى
خلافه والمنعمون للمتغابرة لا ابتغاء الفتنة منهم من يتبعه للتدح في القرآن والتشكيك فيه واضلال
العوام كالزنادقة والفرامطة وغيرهم ومنهم من يتبعه و يمتد بطاهره كالمجسمة والمصورة و
منهم من يتبعه و يحمل على خلاف ظاهره برأيه كأهل السنة ، و أمسا الفرقة الناجية
فيرجعون في تأويله الى الله والى الراسخين في العلم، وقد جرت الحكمة البالغة على
أن يمتحن الله عز وجل عباده في هذه الشأ بأجزاء شتى و مما امتحنهم به انزال
المتشابهات والله ولي التوفيق .

قوله (فالمنسوخات من المتشابهات والمحكمات من النسخات) النسخ في اللغة
الازالة والابطال و في الصرف ازالة حكم شرعى بدليل شرعى متأخر والمتقدم منسوخ و
المتأخر ناسخ، والمحكم في اللغة المثبت و في الصرف يطلق على ماله معنى لا يحتمل غيره و
على ما اتضحت دلالته، وعلى ما كان محفوظاً من النسخ أو التخصيص أو منهما جميعاً، و على
ما لا يحتمل من التأويل الا وجهاً واحداً والمتشابه يقابله بكل واحد من هذه المعاني. اذا
عرفت هذا فنقول الظاهر أن الغناء للتفسير لزيادة تظليل حالهم بأنهم يتبعون المنسوخات و
المتشابهات دون المحكمات والنسخات لان المنسوخات من باب المتشابهات في التشابه اذا
يشبه عليهم ثباتها و بقاؤها ، والمحكمات من قبيل النسخات في الثبات والبقاء فاذا اتبعوا
المتشابهات اتبعوا المنسوخات لانها من باب واحد و اذا اتبعوا المنسوخات لم يتبعوا

بعث نوحاً إلى قومه : أن اعبدوا الله و اتقوه و أطيعون ، ثم دعاهم إلى الله وحده
وأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، ثم بعث الأنبياء ﷺ على ذلك إلى أن بلغوا عتياً
ﷺ فدعاهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً و قال : « شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقبلوا
الدين و لا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه . الله يجتبي إليه من
يشاء و يهدي إليه من ينيب » فبعث الأنبياء إلى قومهم بشهادة أن لا إله إلا الله و
الاقرار بما جاء [به] من عند الله فمن آمن مخلصاً و مات على ذلك أدخله الجنة
بذلك و ذلك أن الله ليس بظلام للعبيد و ذلك أن الله لم يكن يعذب عبداً حتى

الناسخات و إذا لم يتبعوا الناسخات لم يتبعوا المحكمات لأنها أيضاً من باب واحد
و لذلك قالوا الايمان هو مجرد التصديق بالله و رسوله و لم يملوا أنه كان كذلك قبل الهجرة
ثم نسخ بعدها و اضيف اليه الولاية و العمل ، و يحتمل أن يكون للتفريع لأنه يفهم من الآية
اتباعهم المنسوخات لكونها من باب المشابهات و عدم اتباعهم المحكمات لكونها من
باب الناسخات التي يتبعوها و على هذا لا قلب في قوله « و » و المحكمات من الناسخات
كما زعمه بعض نظراء إليه ، و قال كون المنسوخات من أفراد المشابهات و أحسن منها
له وجه ، و أما كون المحكمات من أفراد الناسخات و أحسن منها فلا وجه له بل
الامر بالعكس ففيه قلب فليأمل .

قوله (أن الله عز وجل بعث نوحاً) كان المراد هنا أمران الاول يعلم ضمناً وهو أن
الله عز وجل بعث الأنبياء و فرر الايمان و الشرائع و أوجب على عباده الرجوع اليهم و عدم
التقوى في الدين بأرائهم ، و الثاني أن الايمان في بداية بدء كل رسول كان مجرد التصديق
بالتوحيد و الرسالة و من مات عليه كان مؤمناً و جبت له الجنة ثم صار بعد وضع الاحكام و
الوعيد على مخالفتها و تكثر الامم و استجابتهم هذا مع العمل حتى من ترك تلك الاحكام خرج
من الايمان و استحق الدخول في النار و فيه رد على من زعم أن الايمان إنما هو التصديق
المذكور والله أعلم .

قوله (فمن آمن مخلصاً) أي من آمن بالله و نفى الشرك عنه و آمن برسوله و بما
جاء به الرسول مخلصاً معتقداً غير مشوب بالشك و مات عليه أدخله الله الجنة بذلك و لا يماقيه
بترك الاعمال و لا يتأني ذلك و جوبها لان الواجب مما يستحق تاركه ذمها لا بما يماقيه تاركه و
استحقاق الذم لا يوجب العقوبة بل لا يوجب الذم أيضاً .

يفلظ عليه في القتل والمعاصي التي أوجب الله عليه بها النار لمن عمل بها ، فلما استجاب لكل نبي من استجاب له من قومه من المؤمنين ، جعل لكل نبي منهم شرعة ومنهاجاً والشرعة والمنهاج سبيل وسنة وقال الله لمحمد ﷺ : « إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ » .

و أمر كل نبي بالأخذ بالسبيل والسنة والسبيل التي أمر الله عز وجل بها موسى ﷺ أن جعل الله عليهم السبت وكان من أعظم السبب ولم يستحل أن يفعل ذلك من خشية الله ، أدخله الله الجنة ، ومن استخف بحقه واستحل ما حرم الله عليه من عمل الذي نهاه الله عنه فيه ، أدخله الله عز وجل النار .

قوله (و ذلك أن الله ليس بظلام للمبید) الظاهر أن ذلك اشارة الى ادخاله في الجنة بمجرد تلك الشهادة والاقراء و ان لم يعمل ، بيان ذلك أنه مؤمن وعدم ادخال المؤمن فيها ظلم لاستحقاقه اياها والله ليس بظلام للمبید بمنعمهم من حقوقهم ، وفيه مبالغة في نفي الظلم لانني مبالغة في الظلم على أنه لو اريد هذا لا يمكن أن يقال فيه نفي للظلم بالكلية لان كل صفة له تعالى على وجه الكمال فلو كان له ظلم كان ظلمه على وجه الكمال فاذا نفي عنه الظلم على هذا الوجه فقد نفي عنه ظلم رأساً .

قوله (و ذلك أن الله لم يكن يمتدب) لعله اشارة الى عدم تعذيبه بترك العمل حينئذ لكونه مذكوراً التزاماً لان ادخاله الجنة بمجرد ذلك التصديق يستلزم عدم التعذيب بترك العمل ، بيان ذلك أن الله تعالى لم يكن يمتدب العبد بالمعاصي حتى يفلظ عليه فيها و بوجب لمن عمل بها النار و لما لم يفلظ عليه فيها و لم يوعده بالنار بها في ذلك الزمان لا يمتدب بها .

قوله (فلما استجاب لكل نبي من استجاب) لعل المراد أن الايمان بعد استجابة الامة و كثرتهم ووضع الشرائع من الاوامر والنواهي والحدود والتدليظ عليهم بالمعاصي و وعيدهم بالنار بفعلها صار عبارة عن ذلك التصديق والعمل حتى من ترك واحداً منهما كان كافراً يمتدب بالنار . و الشرعة و المنهاج متقاربان لان الشرعة طريق الدين و المنهاج الطريق المستقيم والمراد بهما الاحكام والفرائض والحدود وغيرها من التكاليف التي وقع التدليظ بها والوعيد فيها .

قوله (و من استخف بحقه واستحل ما حرم الله عليه) دل على أن مخالفة الاحكام كفر بوجب الدخول في النار مع الاستحلال والظاهر أنه لا خلاف فيه بين الامة وما ذلك الا لان

ذلك حيث استحلوا الحيتان و احتبسوها و أكلوها يوم السبت، غضب الله عليهم من غير أن يكونوا أشركوا بالرحمن ولا شكوا في شيء مما جاء به موسى ﷺ ، قال الله عز وجل : « و لقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ثم بعث الله عيسى ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله والاقرار بما جاء به من عند الله و جعل لهم شرعة و منهاجاً فهدمت السبت الذي أمروا به أن يعظموه قبل ذلك وعامة ما كانوا عليه من السبيل والسنة التي جاء بها موسى فمن لم يتبع سبيل عيسى أدخله الله النار و إن كان الذي جاء به النبيون جميعاً أن لا يشركوا بالله شيئاً ، ثم بعث الله نوحاً ﷺ و هو بمكة عشر سنين فلم يمض بمكة في تلك العشر سنين أحد يشهد أن لا إله إلا الله و أن نوحاً ﷺ رسول الله إلا أدخله الله الجنة باقراره وهو إيمان

الاقرار بما والعمل بهاداخلان في الايمان، و اذا كان كذلك كان تاركها و أن لم يستحل كافراً يعذب بالنار أيضاً كما يدل عليه سياق العبارات الآتية.

قوله (حيث استحلوا الحيتان) أي استحلوا مبيهاً أو أكلها و يوم السبت ظرف لاحتبسوها لا لاكلوها، أي احتبسوها يوم السبت في مضيق بسد الطريق عليها ثم استلادوها يوم الاحد و أكلوها، ففعلوا ذلك حيلة و تحرداً من اصطادها في يوم السبت و لم تنفهم تلك الحيلة لان احتباسها فيه حثك لحرمته فخرجوا بذلك من الايمان الى الكفر ولذلك غضب الله عليهم من غير أن يشركوا بالرحمن و أن يشكوا في رسالة موسى و ما جاء به، ولذلك يصطادوا يوم السبت فسبب الغضب عليهم و دخولهم في النار ليس لتركهم حرمة السبت و احتباس الحيتان فيه فعلم ان الايمان ليس مجرد التصديق بل هو مع العمل لان المؤمن لا يقبض ولا يدخل النار و فيه شيء لان استحلالهم الحيتان يناقض ظاهراً عدم شكهم بما جاء به موسى، ويمكن دفعه بأن ما جاء به موسى نهيهم الحيتان يوم السبت و هم استحلوها يوم الاحد و لحق بهم ما لحق بسبب احتباسهم يوم السبت والله أعلم .

قوله (قال الله تعالى و لقد علمتم) استشهاد بقوله غضب الله عليهم أوله ولما قبله.

قوله (وان كان الذي جاء به النبيون) جميعاً أن لا يشرك بالله شيئاً الموصول اسم كان وأن لا يشرك خبره أو المجموع اسم وخبره محذوف أي وان كان منه ما جاء به النبيون وهو عدم الشرك فعلى الاول ينبغي عدم ورود النسخ عليه وعلى الثاني ينبغي ان من لم ينبع يدخل النار وان كان منه عدم الشرك بالله.

قوله (يشهد أن لا إله إلا الله) لعل المراد به التصديق بالتوحيد والمرسالة أو مع الاقرار

التصديق ولم يعذب الله أحداً ممن مات و هو متبع لمحمد ﷺ على ذلك إلا من أشرك بالرحمن.

وتصديق ذلك أن الله عز وجل أنزل عليه في سورة بني إسرائيل بمكة « وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحساناً - إلى قوله تعالى - إنه كان عباده خبيراً بصيراً » أدب وعظمة و تعلم و نهي خفيف ولم يعد عليه و لم يتواعد على اجتراح شيء ما نهي عنه ، وأنزل نبياً عن أشياء حذر عليها و لم يغلظ فيها ولم يتواعد عليها و قال : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأً كبيراً . ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة و ساء سبيلاً . ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق » ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده و أوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً . و أوفوا الكيل إذا كلتم و زنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير و أحسن تأويلاً . ولا تقف ما ليس لك به علم إن

باللسان لا مجرد الاقرار به بقرينة قوله وهو ايمان التصديق ، والمراد بالا سلام حينئذ هو الاقرار و يؤيده ما مر من أن الايمان اقرار و عمل ، والاسلام اقرار بلا عمل لما ذكرنا أن العمل عبارة عن التصديق.

قوله (وهو ايمان التصديق) الايمان على نوعين أحدهما هذا والآخر ايمان التصديق والعمل ، و الثاني درجاته متفاوتة جداً وكذا الاول لان له تفاوتاً معنوياً بالقوة و الضعف اما بالذات أو باعتبار الاعمال الخارجة عنه ثم التعذيب قبل الهجرة بترك الاول فقط و بعدها بترك الاول والثاني.

قوله (الا من أشرك بالرحمن) أي من نفي التوحيد أو الرسالة بقرينة السياق .

قوله (ذلك أن الله عز وجل أنزل عليه في سورة بني إسرائيل) ذلك إشارة الى مفهوم الحصر و منطوقه أعني عدم التعذيب بغير الشرك والتعذيب به في مكة قبل الهجرة ، وقوله « وقضى ربك - إلى قوله - ولا تجعل مع الله الهاً آخره » بيان للاول و تصديق له حيث أنه عز وجل أنزل آيات فيها و ذكر أحكاماً ولم يغلظ فيها ولم يوعد عليها فلا يماقب بها لانه لا يماقب قبل التدليظ والتعذيب والوعيد ، وقوله « ولا تجعل - إلى قوله - حتى إذا اداركوا فيها جميعاً » بيان للثاني وتصديق له لانه مريح في أنه يعذب بالشرك وأوعد عليه .

السمع والبصر والفؤاد كلٌ أولئك كان عنه مسؤولاً . ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كلٌ ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً . ذلك مما أوحى إليك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً ، و أنزل في الليل إذا يغشى : « فأنذرتكم نارا تَلَظَّى . لا يصليها إلا الأشقي الذي كذب و تولى » فهذا مشرك و أنزل في إذا السماء انشقت : « وأما من أوتي كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثبورا ، و يصلى سعيراً . إنه كان في أهله مسرورا . إنه ظن أن لن يحور بلى » فهذا مشرك . و أنزل في [سورة] تبارك : « كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير . قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا و قلنا ما نزل الله من شيء » فهؤلاء مشركون . وأنزل في الواقعة : « وأما إن كان من المكذبين الضالين . فنزل من حميم . و تصلية حميم » فهؤلاء مشركون . وأنزل في الحاقة . « وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول

قوله (ولا تقف - الخ) دل على تحريم القول والعمل والافتاء ولحواها بما لم يعلم ، قال ابن عباس لا نقل سمع ولم تسمع ولا رأيت ولم ترو ولا علمت ولم تعلم . وقال بعض العلماء المراد بسؤال الجوارح ١٠٠ سؤال نفسها أو سؤال أصحابها كما يظهر من أولئك أو جعلت بمنزلة ذوي العقول أو هم ذوو العقول مع الله تعالى وهو أظهر كما في كثير من الآيات والروايات .

قوله (ولا تمش في الأرض مرحاً) أي لا تمش في الأرض أشراً و بطراً و اختيالاً أنك لئن تحرق الأرض بتناقلك و كبرك في المشي أو بضرب قدميك عليها لتعرف قدرتك و قوتك ولن تبلغ الجبال طولا بتناولك و مدحنتك فما وجه تفاخره و عدم تواضعك كل ذلك المذكور من النواهي كان سيئه ومعيبته عند ربك مكروهاً يريد تركه ولا يرضاه ، بحين سبحانه أن العبد ضعيف وعلمه النواضع والتودد والوقار .

قوله (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً) أي مطروداً عن طريق جنته مبهداً عن نيل رحمته مدفوعاً عن إحسانه ورأفته . وهذا شروع في ذكر آيات نزلت في مكة دالة على التوحيد بالشرك والتعذيب به .

قوله (فهذا مشرك) أي هذا المذكور و هو الأشقي والملقى في جَهَنَّمَ مشرك لا غيره ممن سدى بالنوحيد والرسالة و ترك العمل في مكة لأنه مؤمن بإيمان التصديق الذي كان هو الإيمان في مكة ، والمؤمن لا يلقي في جَهَنَّمَ ولا يصلى نادراً .

يا ليتني لم أوت كتابه. ولم أدر ما حسايه . يا ليتها كانت القاضية. ما أضنى ضنى ماليه . إلى قوله . إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، فهذا مشرك ، وأنزل في طسم : «و برزت الجحيم للغاوين . وقيل لهم : أينما كنتم تعبدون . من دون الله هل ينصرونكم أو ينصرون . فكذبوا فيها هم والغاؤون . و جنود إبليس أجمعون » جنود إبليس ذرئتهم الشياطين . و قوله : « وما أضلنا إلا المجرمون » يعني المشركين الذين اقتنوا بهم هؤلاء فاتبعوهم على شركهم وهم قوم محمد ﷺ ليس فيهم اليهود و النصارى أحد و تصديق ذلك قول الله عز وجل : « كذبت قبلهم قوم نوح » كذب أصحاب الأيكة ، و كذبت قوم لوط ، ليس فيهم اليهود الذين قالوا : عزيز ابن الله ولا النصارى الذين قالوا : المسيح ابن الله ، سيدخل الله اليهود والنصارى النار

قوله (جنود إبليس ذريته من الشياطين) دون من اتبعه من النساوين لان الناس خير من التأكيد.

قوله (و قوله وما أضلنا إلا المجرمون يعني المشركين) حكاية عن أهل جهنم قالوا وهم فيها يختصمون « قال إن كنا لفي ضلال مبين اذنوبكم رب العالمين وما أضلنا إلا المجرمون » وقوله مبتدأ و معنى خبره . والجملة مضاف على جملة جنود إبليس وذريته و يريد بالمجرمين المشركون الذين اقتدى بهم هؤلاء الفاللون ، و قوله « وهم أمة محمد » ، إشارة الى أن التابع والمتبوع كليهما من أمة لدفع ما عسى أن يقال من أن الآية في بيان اليهود والنصارى ووصف مشركيهم الفاللين بأن عزيز ابن الله والمسيح ابن الله و وصف تابعيهم لاهي بيان حال المشركين من قوم محمد » في مكة .

قوله (و تصديق ذلك قول الله عز وجل كذبت قبلهم قوم نوح » كذب أصحاب الأيكة » كذبت قوم لوط » ذلك إشارة الى قوله هم أمة محمد » والآية غيضة بقرب مدين سكنها طائفة فبعث الله اليهم شعباً كما بعثه الى مدين ، و وجه التصديق أن الآية تسلبه « س » بأن قومه ان كذبوه فهو غير منفرد في التكذيب ، فان هؤلاء الرسل قد كذبهم قومه قبل قومه . وفيه دلالة واضحة على أن المجرمين هم المشركون المكذبون من قومه دون اليهود والنصارى .

قوله (ليس فيهم اليهود) تأكيد لقوله ليس فيهم من اليهود والنصارى أحد والاول نفي للشريك وهذا نفي للاختصاص ،

قوله (سيدخل الله اليهود) أشار به الى أنه لا يلزم من اختصاص الآية المذكورة

و يدخل كل قوم بأعمالهم ، و قولهم : « و ما أضلنا إلا المجرمون » إذ دعونا إلى سبيلهم ذلك قول الله عز وجل فيهم حين جمعهم إلى النار و قالت أوليهم لا خريهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار » و قوله : « كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادأركوا فيها جميعاً » يرى بعضهم من بعض و لعن بعضهم بعضاً ، يريد بعضهم أن يحج بعضاً رجاء الفلج فبغلتوا من عظيم ما نزل بهم و ليس بأوان بلوى ولا اختبار ولا قبول معذرة ولا حين نجاة والآيات و أشباههن مما نزل به بمكة ولا يدخل النار إلا مشركاً ، فلما أذن الله لمحمد ﷺ في الخروج من مكة إلى المدينة بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً ﷺ عبده و رسوله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و حج البيت و صيام شهر رمضان و أنزل عليه الحدود و قسمة الفرائض و أخبره بالمعاصي التي أوجب الله عليها و بها النار لمنز

بمشركي قومه دس ، أن لا يدخل اليهود و النصارى النار اذ عدم فهم دخولهم فيها من هذه الآية لا يوجب عدم دخولهم فيها لانهم أيضاً يدخلون فيها بأدلة أخرى كما يدخل فيها كل قوم بأعمالهم .

قوله (و قولهم و ما أضلنا إلا المجرمون) اذ دعونا إلى سبيلهم أشاروا بذلك إلى سبب الاضلال و هو أن المجرمين دعونا إلى سبيلهم و هو الشرك فاستجبنا لهم و اجمعناهم و لما كان قولهم هذا يدل صريحاً و ضمناً على نسبة الاضلال اليهم و المعاصرة بينهم و براءة بعضهم من بعض و الاعتذار من ضلالتهم أشار إلى أنه أخبر بجميع ذلك قول الله عز وجل فيهم إلى آخر ما ذكر . و ادأركوا أصله تداذكوا فادغم ، و معناه تلاحقوا أي لحق آخرهم أولهم . قوله (فلما أذن الله لمحمد دس) في الخروج (لما فرغ عبادل على أن الله تعالى لا يعذب قبل الهجرة إلا بالشرك و هو انكار التوحيد و الرسالة شرع فيما دل على أنه يعذب بعدها بالشرك و بترك الطاعات و فعل المنهيات و هو مع انضمام أن المؤمن لا يعذب دل على أن العمل معتبر في تحقق الايمان بعدها ، و بالجملة المفهوم من احاديث هذا الباب أن المؤمن لا يستغنى عن الايمان قبل الهجرة مجرد التصديق و بعدها التصديق مع العمل و بناء الاسلام بعدها على خمس دل على أن من ترك منها شيئاً خرج من الاسلام و دخل في الكفر و انما قال بنى الاسلام و لم يقل بنى الايمان لثلاثتهم أن التارك داخل في الاسلام ثم ان سمي كل واحد من هذه الخمسة ايضاً كما سمي المجموع على ما يظهر من الباب الاثنى كان مصداق الايمان قبل الهجرة أقل من مصداقه بعدها و الا فهو أكثر .

عمل بها و أنزل في بيان القاتل و من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها و غضب الله عليه و لعنه و أعد له عذاباً عظيماً » ولا يلحق الله مؤمناً قال الله عز وجل : « إن الله لعن الكافرين و أعد لهم سعيراً . خالدين فيها أبداً لا يجدون وليئاول نصيراً » و كيف يكون في المشيئة وقد ألحق به - حين جزاء جهنم - الغضب و اللعنة وقد بين ذلك من الملعونون في كتابه و أنزل في مال اليتيم من أكله ظلماً « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا و سيصلون سعيراً » و ذلك أن آكل مال اليتيم يحيى يوم القيامة و النار تلتهب في بطنه حتى يخرج لهب النار من فيه حتى يعرفه كل أهل الجمع أنه آكل مال اليتيم ، و أنزل في الكيل : « ويل للمطففين » ولم يجعل الويل لأحد حتى يسميه كافراً . قال الله عز وجل : « فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم » و أنزل في العهد « إن الذين يشترون بعهد الله و أيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكهم و لهم عذاب أليم » و الخلاق :

قوله (ولا يلحق الله مؤمناً) وكذا لا يضرب عليه و لعل المراد أن قاتل المؤمن متعمداً كافر خارج من الايمان والظاهر أن قوله وقال الله عز وجل استشهاده لعدم لعن المؤمن ، وفي دلائله عليه خفاء لان تعلق اللعن بالكافرين لا يدل على عدم تعلقه بغيرهم الا أن يقال تخصيصهم بالذكر يدل على ذلك أو يقال المنصود من الآية بيان الملعونين و تعييبهم وتمييزهم عن غيرهم و يرشد اليه قوله ومع قد بين ذلك من الملعونين في كتابه فاذا لم يذكر غير الكافرين علم أن اللعن لا يتعلق بالمؤمنين .

قوله (وكيف يكون في المشيئة) كيف للانكار رداً على من زعم أن القاتل في مشيئة الله تعالى ان شاء عذبه و أخزاه ، و ان شاء رحمه ونجاه أي كيف يكون هو في المشيئة و قد ألحقه بالكافر في دخوله في النار أبداً و سرح بالغضب واللعن عليه .

قوله (قد بين ذلك من الملعونون في كتابه) ذلك إشارة الى قوله تعالى و فاعل ليين و من مفعوله واذا كان ذلك بيانا للملعونين علم أنهم هم الكافرون فلا يكون المؤمن ملعوناً .

قوله (وذلك أن آكل مال اليتيم) اليتيم معروف و قد يطلق على آل محمد صلى الله عليه و آله بل على شيعتهم أيضاً كإبدال عليه بعض الروايات ولا يبعد التعميم هنا .

النصيب ، فمن لم يكن له نصيب في الآخرة فبأي شيء يدخل الجنة ، وأنزل بالمدينة « الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين » فلم يسم الله الزاني مؤمناً ولا الزانية مؤمنة ، وقال رسول الله ﷺ : ليس يمتري فيه أهل العلم أنه قال : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن فإنه إذا فعل ذلك

قوله (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) نهى الزاني عن نكاح المؤمنة نهى تحريم أو تنزيه لعدم التناسب بينهما في الإيمان و رخص له نكاح الزانية والمشرقة لتحقيق التناسب بينهما في الكفر ، ولعل المراد من النهي والنرخيس هو الإشعار بخسة الزناء وإهانة أهله والزجر عنه لأنه الذي بعده عن الإيمان وقربه إلى الكفر ولاستنكاف طبع المسلم أن تكون زوجته زانية أو مشركة ويحسد ذلك على ترك الزناء وقس على هذا نظيره .

قوله (فلم يسم الله الزاني مؤمناً ولا الزانية مؤمنة) وجه التفسير أنه قارن الزاني بالمشرقة وأخرجه عن حكم المؤمن وقارن الزانية بالمشرقة وأخرجها عن حكم المؤمنة أو أنه لما منع بمفهوم الحصر الأول أن ينكح الزاني مؤمنة لا تنفاه الكفو وهو الإيمان وجوز بمنطوق الثاني أن ينكح الزاني والمشرقة لتحقيق الكفو وهو الكفر علم أن الزاني والزانية ليسا بمؤمنين أو أنه فهم ذلك من قوله تعالى « وحرّم ذلك » أي النكاح المذكور على المؤمنين والتحريم يحتمل الوجهين .

قوله (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس يمتري) أي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن لا يشك أهل العلم من هذه الأمة أن هذا قوله وفي هذا الحديث وأمثاله دلالة على أن الزاني حين الزنا والسارق حين السرقة ليسا مؤمنين قطعاً حتى لو ماتا في تلك الحالة كانا مخلصين في النار كسائر الكفار وهو يشكل بظاهره لما في الروايات الكثيرة من أن تارك العمل وفاعل المصيبة فاسق تلحقه الشفاعة فلا بد من تأويله وأقرب التأويلات أنه ليس بكامل الإيمان وأنه يخلع عنه الإيمان الكامل كخلع القميص فيكون من باب نفي الشيء بنفي صفته نحو لا علم إلا ما نفع ، وقيل أنه ليس بمؤمن إذا كان مستحلاً وهذا ليس محتملاً بما ذكره وكأنه للتعميل ، وقيل ليس بمؤمن من العقاب وهذا أيضاً ليس بمختص ، وقيل المقصود نفي المدح أي لا يقال له مؤمن بل يقال : زان أو سارق ، وقيل أنه لنفي البسيرة أي ليس ذا بسيرة ونقل عن ابن عباس أنه لنفي النور أي ليس ذا نور ، وقيل أنه نهى لا خبر وهو بعيد لأنه لا يساعد اللفظ ولا الرواية وقيل المقصود نفي الاستحضار أي ليس يستحضر الإيمان ، وقيل المقصود نفي العقل أي ليس

خلع عنه الايمان كخلع القميص، و نزل بالمدينة الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً و أولئك هم الفاسقون : إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ، فبرأه الله ما كان مقيماً على القرية من أن يسمى بالايمان، قال الله عز وجل : « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ، وجعله الله منافقاً ، قال الله عز وجل : « إن المنافقين هم الفاسقون » وجعله عز وجل من أولياء إبليس ، قال : « إلا إبليس

بناقل لان المنصبة مع استحضار العقوبة مرجوحة والحكم بالمرجوح بخلاف المقتول، وقيل المتسود نفى الحياة والحياء شبة من الايمان أى ليس بمستحي من الله سبحانه، وقيل محمول على التشديد كقوله تعالى « و من كفر فان الله غنى عن العالمين » وقيل انه من المتشابهات هذاجملة القول من العامة والخاصة فليتأمل.

قوله (الذين يرمون المحصنات - الخ) رتب على نكاح المحصنات ثلاثة امور الاول ثمانون جلدة، الثاني عدم قبول الشهادة مطلقاً كما يقتضيه وفرج النكراء في سبيل النفي، قال القاضي وقيل في النكاح ولا يتوقف على استيفاء الجلد خلافاً لابي حنيفة لان الواو لا يدل على الترتيب ولان حال القاذف قبل الجلد أسوأ مما بعده الثالث أنه فاسق خارج عن طاعة الله تعالى ثم الظاهر أن الاستثناء مطلق بالآخرين، و أما الجلد فهو حق الناس لا يسقط إلا بالاستحلال عن المذوف والاصلاح المذكور بعد العقوبة، قيل هو تأكيد وتقدير لها، وقيل هو البقاء عليها، و قيل هو تسليم النفس للحد أو طلب العفو عن المذوف.

قوله (فبرأه الله ما كان مقيماً على القرية من أن يسمى بالايمان) أى فبرأه الله تصديقه بأن يكون الضمير راجعاً اليه بقرينة المقام أو ارهد بالايمان المؤمن مجازاً أو أهل الايمان بحذف المشاف وفيه دلالة على أنه اذا تاب عن القرية و أكذب نفسه عنها عاد الى الايمان و يسمى مؤمناً .

قوله (قال الله عز وجل) بيان لعدم تسمية الرامي مؤمناً وحاصله ان الله تعالى سماه في الآية المذكورة فاسقاً وجعل الفاسق في قوله « أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً » مقابلاً للمؤمن فهو غير مؤمن و له وجه آخر و هو أنه تعالى سماه فاسقاً وسمى الفاسق كافراً فهو كافر والكافر ليس مؤمناً أما الاول فلما مر، و أما الثاني فللقوله تعالى « و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون » و من لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون .

قوله (قال الله عز وجل ان المنافقين هم الفاسقون) دليل على جملة منافقاً اذ حصر

كان من الجن ففسق عن أمر ربّه ، وجعله ملعوناً فقل : « إن الذين يسمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والاخرة و لهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » و ليست تشهد الجوارح على مؤمن إنما تشهد على من حقت عليه كلمة العذاب ، فأما المؤمن فيعطى كتابه بيمينه قال الله عز وجل : « فأما من أدنى كتابه بيمينه . فأولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلاً » و سورة النور أنزلت بعد سورة النساء وتصديق ذلك أن الله عز وجل أنزل عليه في سورة النساء : « واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً » والسبيل الذي قال الله عز وجل : « سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون . الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما

الفاسق في المنافي بدل على أن كل فاسق منافق .

قوله (وليست تشهد الجوارح على مؤمن - الخ) هذا صريح في أن شهادة الجوارح مختصة بالكافرين كما ذهب إليه بعض المفسرين و مال إليه الشيخ بهاء الملة والدين فسي الحديث الخامس من الأربعين والظاهر أن شهادتها بطريق النطق والقادر الذي أقدم اللسان على النطق قادر على انطافها و اقدارها عليه و يحتمل أن يكون بلسان الحال فإن كل عضو لما كان مباشراً لفعل من الأفعال كان حضور ذلك العضو و ماصدر عنه في علم الله بمنزلة الشهادة القولية بين يديه و هذا الاحتمال بعيد جداً بل يأباه ظاهر الآية .

قوله (ولا يظلمون فتيلاً) الفتيل ما يكون في شق النواء من العبط وقبل ما يفتل بين الأصبعين من الوسخ وهو كناية عن نفى الظلم مطلقاً .

قوله (و سورة النور أنزلت بعد سورة النساء) الظاهر أنه لم يذكره لبيان السابق إذ لا تطلق له بل ذكره لبيان الواقع والاشهاد بأن سبيلاً في آية النساء هو الجلد الذي في آية النور لأن القرآن بعضه يفسر بعضاً و الراسخون في العلم يعرفونه بالهام الهى و تعريف نبوى .

قوله (واللاتي يأتين الفاحشة - الخ) قيل المراد بالفاحشة الزنا و قيل المساحقة و بالاسكان منهن هنا أو حبسهن في البيوت فجلها سجناً عليهن و لدل المضاف الى الموت محذوف أي ملك الموت والسبيل هو الجلد ولم يذكره استثناء بقوله : الزانية

مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر و
ليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين» .

٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن محمد بن الفضيل، عن
أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قيل لأُمير المؤمنين عليه السلام : من
و الزاني فأجلدوا» .

قوله (ولا تأخذكم بهما رأفة) قال الفاضل الاردبيلي هي تدل على تحريم ترك
الحد أو البعض منه كما أو كيفاً رحمة لهما بل مطلق الرحمة بأن يقال مسكين عذوبه ، أو
حصل له عذاب كثير ونحو ذلك بالجملة الرحمة في دين الله أي طاعته و حكمه بخلاف مقتضاء
حرام بل يفهم أنها تسلب الايمان بالله واليوم الآخر بمعنى أن المؤمن بهما لا يفعل ذلك، و
في حضور طائفة عند إقامة الحد زيادة في التثكيل فان التفضيع ينكل أكثر ما ينكل
التعذيب، والطائفة قيل أقلها ثلاثة وقيل اثنان وقيل أربعة وقيل واحد و قيل جمع
يحصل به التشهير. (١)

(١) قوله ويحصل به التشهير، هذا الحديث يؤوله رد على المرجئة وهم كانوا جماعة
في صدر الاسلام يرون أنه لا يضر مع الايمان شيء من عمل الجوارح كما مر مراراً فهم نظير
جماعة من عوام الشيعة يزعمون السعادة الآخرة تنحصر في ولاية أهل البيت عليهم السلام ولا
يضر مع ولايتهم ترك العبادات وارتكاب المناهي والتباعد ومثلهم جماعة من الزنادقة المتظاهرين
بالاسلام يطعمون أن يعدم المسلمون من جماعتهم ويصافوهم المودة ويماونوهم في مقاصدهم
يقولون بأنواعهم نحن مسلمون وإن تركوا الصلاة والصوم وسائر ما جاء به النبي ورسوله
يستنهضون بأكثر أحكامه ويجدون في نفسها ونسخها وبيان الحجة التي أقامها الامام «ع» أنه لو
كان الايمان بلا عمل سبباً للنجاة في الآخرة لم يكن قائدة في تنابيع الانبياء واحداً بعد واحد و
نسخ شريعة باخرى وتعذيب من يبنى على الدين المنسوخ ولا يؤمن بالدين الناسخ فقد نسخ
المسيح «ع» سبب اليهود وبعض أحكامهم وعذب اليهود لعدم ايمانهم به مع أن جميعهم كانوا على
نفي الشرك ولم يكن الايمان بالنبي الامتدعة للعمل بشريعته، و أيضاً ورد في آيات كثيرة
في السور المكية الاكتفاء بالايمان ونفي الشرك في النجاة ولكن في السور المدنية آيات
في مواخذة الناس في الآخرة بعمل الجوارح و ان لم يكونوا مشركين و هي ناسخة
للآيات المكية و صارت المنسوخة لاصحاب الارزاء من المتشابهات التي يتمسك بها
الذين في قلوبهم زيغ. (ش)

شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ كان مؤمناً ؟ قال : فأين فرائض الله ؟ . قال : وسمعته يقول : كان عليٌّ عليه السلام يقول : لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام . قال : وقلت لأبي جعفر عليه السلام : إن عندنا قوماً يقولون : إذا شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ فهو مؤمن قال : فلم يضربون الحدود و لم تقطع أيديهم ؟ ! وما خلق الله عز وجل خلقاً أكرم على الله عز وجل من المؤمن . لأن الملائكة خدام المؤمنين وأن جوار الله للمؤمنين وأن الجنة للمؤمنين وأن الحور العين للمؤمنين . ثم قال : فما بال من جحد الفرائض كان كافراً ؟ .

قوله (قيل لامير المؤمنين دعه من شهد أن لا إله إلا الله - الخ) هذا القول يحصل أن يكون استنهاماً واخباراً . وقوله دعه فأين فرائض الله يدل على أنها معتبرة في الإيمان و لكن بعد الهجرة و أما قبلها فلا كما مر .

قوله (لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل) أي لو كان الإيمان كلاماً لسانياً و هو الإقرار بالشهادتين أو قلبياً أيضاً وهو التصديق فإن الكلام يطلق على المنقول أيضاً لم ينزل هذه الأحكام التي وقع الوعيد والتفليظ فيها و توجيه الشرطية ظاهر فإن مناط الكرامة والثواب والعلامة والمقاب هو الإيمان وعدمه هو فلو كان الإيمان مجرد كلام لم ينزل هذه الأحكام فإن قيل لعل الإيمان وعدمه مناط لأصل الثواب والعقاب وتفاوت الدرجات والدرجات لأجل تلك الأحكام فيتوجه المنع إلى الشرطية قلنا الممتنع أن الدرجات أيضاً للإيمان فيتم الشرطية إذ حصلها أن الإيمان موجب لاستحقاق الثواب والدرجات العالية فلو كان كلاماً فقط لم ينزل أحكام والحاصل أن كلامنا في الإيمان الكامل . وظاهر أنه ليس مجرد كلام بل الأعمال والأحكام معتبرة فيها .

قوله (فلم يضربون الحدود و لم تقطع أيديهم) التذيب بالضرب والقطع و الإهانة بهما يدل على أن الزاني والسارق مثلاً ليسا بمسؤولين لأن المؤمن عزيز لا يذنب ولا يهان . **قوله** (ثم قال فما بال من جحد الفرائض كان كافراً) لعل المراد أن جاحد الفرائض مثل الصلاة والزكاة والصوم وغيرها كافر عندهم أيضاً وما ذلك إلا لأنها معتبرة في الإيمان وإذا كان كذلك كان تاركها أيضاً كافراً كما يدل عليه ما روى عن أبي عبد الله دعه وأن الكفر كما يطلق على كفر الجحود كذلك يطلق على ترك ما أمر الله عز وجل به . وما روى عنه دعه في تفسير قوله تعالى وانا هدبناه السبيل أما شاكراً و أما كفوراً قال أما دأخذ فهو شاكراً وأما كافراً فهو كافراً والكفر بهذا المعنى ينافي الإيمان الكامل دون إيمان التصديق وما روى من أن المؤمن لا

٣- علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن سلام الجعفي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الايمان ، فقال : الايمان أن يطاع الله فلا يعصى .

(باب)

في أن الايمان ميثوث لجوارح البدن كلها

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن بكر بن صالح ، عن القاسم بن بريد قال : حدثنا أبو عمر والزبير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : أيها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله ؟ قال : ما لا يقبل الله شيئاً إلا به ، قلت : وما هو ؟ قال : الايمان بالله الذي لا إله إلا هو ، أعلى الأعمال درجة أشرفها منزلة وأسنها

يدخل النار يراد به المؤمن الكامل ثم المنهوم من هذا القول أن الفرائض معتبرة في الايمان الكامل ، وأما أنها من أجزائه أو شرائطه أو هي أيضاً ايمان فلا دلالة فيه على شيء من ذلك ولكن المشهور الأول وعليه روايات منها الروايات الأولى من هذا الباب والثاني محتمل الثالث مدلول بعض الاخبار كما سيأتي في الباب الثاني من تسمية الصلاة ايماناً .

قوله (فقال الايمان أن يطاع الله فلا يعصى) قد ذكرنا أن الايمان في عرف الائمة عليهم السلام هو الايمان الكامل الذي لا يستحق صاحبه الخزي والمخذلان وليس ذلك الا التصديق والطاعة لله تعالى في أوامره ونواهيه فكان ما عداه لبس بايمان حفيضة ، وليس المقصود نفي الايمان عن غيره (١) لأن كثيراً من الآيات والروايات دالة على أن التصديق ايمان ، قوله (باب في أن الايمان ميثوث لجوارح البدن) كلها اللام صلة لميثوث أو بمعنى في ظرف له ويؤيده وجود في بدلها في بعض النسخ وهو الاظهر .

(١) وليس المقصود نفي الايمان عن غيره أحاديث هذا الباب أيضاً رد على المرجئة يرون الفساق والمؤمنين سواء في الفضل عند الله ليصير موجباً لعدم تنفير الناس عن بني امية والاجتناب عن لعنهم والتبري منهم ولكن الايمان الظاهر من الفساق في مذهبنا لا يؤثر الا في بعض أحكام الدنيا وأما الفضل عند الله ومساواة المودة معهم وأعانتهم كسائر الصالحين فلا ولما كان هذا المذهب من الآراء غير المحمودة التي تنفر عنها كثير في الامة بالغ الائمة عليهم السلام في نفيه ورده فانه يوجب جرأة الولاة على الشر والظلم واطمئنانهم من مخالفة العامة وتودتهم وبوهن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعدم حرمة للصلحاء في الجامعة الانسانية وعدم رغبة الناس في التشبه بهم وأيضاً ان كان الصالح و الظالم سواء في الحرمة والفضل بطل مكارم الاخلاق وراجت الهمجية . (ش)

نوره ، ثابتة حجته ، يشهد له به الكتاب و يدعوہ إليه ، قال : قلت : صفه لي جعلت فداك حتى أفهمه ، قال : الايمان حالات و درجات و طبقات و منازل ، فمنه التام المنتهى تمامه و منه الناقص البين نقصانه و منه الرأجح الزائد رجحانه ، قلت : إن الايمان لينم و ينقص و يزيد ؟ قال : نعم ، قلت : كيف ذلك ؟ قال : لأن الله تبارك و تعالى فرض الايمان على جوارح ابن آدم و قسمه عليها و فرقته فيها ،

قوله (الايمان حالات و درجات و طبقات و منازل) اشارة الى أن للايمان مراتب متكررة و هي حالات للانسان باعتبار قيامها به و درجات باعتبار ترقيه من بعضها الى بعض و منه يظهر سر ماروى من أن الايمان ينقسم من بعضه الى بعض ، و طبقات باعتبار تفاوت مراتبها في نفسها و كون بعضها فوق بعض و منازل باعتبار أن الانسان ينزل فيها و يأوى اليها فمنه التام المنتهى تمامه كايमान الانبياء و الاوصياء و منه الناقص البين نقصانه و هو أدنى المراتب الذى دونه الكفر و منه الرأجح الزائد رجحانه و هو على مراتب غير محصورة باعتبار التفاوت نسي الكمية و الكيفية و الى هذه الاقسام أشار أمير المؤمنين (ع) بقوله فمن الايمان ما يكون تابساً مستقراً في القلوب و منه ما يكون عوارى بين القلوب و الصدور الى أحل معلوم ، قسم الايمان الى قسمين لان الايمان ان بلغ حد الكمال فهو القسم الاول و الا فهو القسم الثانى ، واستعار له لفظ العوارى باعتبار كونه في معرض الزوال كالعوارى و كنى بكونه بين القلوب و الصدور عن كونه متردداً غير مستقر و لا متمكن في جوهر النفس ، و القسمان الاخيران هنا أهنى الناقص و الرأجح داخلان في العوارى ، و الله هو الموفق للمهتدي و منه البداية و النهاية ،

قوله (قلت ان الايمان لينم و ينقص و يزيد) لوجه لسؤاله بعد ما صرف أن للايمان درجات و أنه عمل اذ لا ريب في أن العمل يقبل الزيادة و النقصان و كأنه طلب زيادة التقرير و التوضيح ليبرف حقيقة الحال أو ظن أن المراد بالعمل عمل مخصوص ان نقص انقى الايمان وان زاد لم يكن للزيادة مدخل فيه ، فأجاب (ع) بقوله نعم تصديقاً لذلك و تصريحاً بأن جنس الاعمال أنواعه متكررة يزداد الايمان باعتبارها و ينقص ، قال المحقق الطوسي الايمان في اللغة التصديق و في العرف التصديق المخصوص و هو التصديق بالله و برسوله و بما ثبت أنه جاء به الرسول و هذا التقدير من الايمان لا يقبل الزيادة و النقصان اذ الانفس منه ليس بايمان و الزائد لا مدخل له فيه بل في كماله ، و من علامات الاتيان بالصالحات و ترك المنهيات و بهذا الاعتبار يتحقق فيه الزيادة و النقصان ،

قوله (و قسمه عليها و فرقته فيها) هذه القسمة اما قسمة الكل على جزئياته أو قسمة الكل على

فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها فمنها قلبه الذي به عقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره ومنها عيناه اللتان يبصر بهما وأذناه اللتان يسمع بهما ويداه اللتان يبطش بهما ورجلاه اللتان يمشي بهما وفرجه الذي الباه من قبله ، ولسانه الذي ينطق به ورأسه الذي فيه وجهه . فليس من هذه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها ، بفرض من الله تبارك اسمه ، ينطق به الكتاب لها ويشهد به عليها بفرض على القلب غير ما فرض على السمع وفرض على السمع غير ما فرض على العينين وفرض على العينين غير ما فرض على اللسان وفرض على اللسان غير ما فرض على اليدين وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين وفرض على

أجزائه والاول قريب من الشكر بالمعنى اللغوي، الثاني من الشكر بالمعنى العرفي.
قوله (فمنها قلبه الذي به عقل الخ) المراد بالقلب الروح والعقل والنفس الناطقة بالاعتبارات وقد يطلق على القوة المميزة (١) بين الحق والباطل وهو أمير البدن و حاكم على جوارحه وحواصه فاذا رجعت الجوارح الى أمره ورأيه وتديره في أعمالها حصلت السياسة البدنية وتحققت ملكة المدالة وانتظمت الامور وان خالفته فسد النظام وذاع الشرور واستولى المرض عليها حتى يزول عنها استعداد الخير بالمرء.
قوله (وفرجه الذي الباه من قبله) بكسر الفاء أي من عنده . و الباء : جماع كردن .

قوله (ينطق به الكتاب لها ويشهد به عليها) الضمير في به في الموضعين للإيمان أو للفرض وفي لها وعليها للجارحة .

(١) وعلى القوة المميزة، ويقال لها في اصطلاح الحكماء العقل المعلى وليس الا خاصة من خواص النفس الناطقة كالعقل النظري وبالجملة للنفس قوتان نظرية بها يدرك حقائق الكليات على ما هي عليه بغير آلة والجزئيات بتوسط الآلة وقوة عملية يدرك بها حسن بعض الافعال وقبح بعضها وقالوا تسرع السبي الى ادراك فباحة بعض الامور ككشف المودة دليل على قوة النفس النطقية بخلاف الذي لا يدرك الا متأخراً والحيوان غير الناطق لا يدرك قبح شيء او حسنه، والدليل على أن العقل النظري غير المعلى عدم اختلاف الامم في الاوليات النظرية كالكل اعظم من الجزء والاثنتان نصف الادبئة واختلافهم في اوليات القوة العملية كقبح ذبح الحيوانات عند اهل الهند وحسن شرب الخمر عند النصارى. (ش)

الرجلين غير ما فرض على الفرج و فرض على الفرج غير ما فرض على الوجه ،
فأما ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إنها واحداً ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً

قوله (فأما ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم
بأن لا إله إلا الله) لعل المراد بالإقرار بالإقرار بما جاء به الرسول باطناً بالقلب لا ظاهراً
باللسان لأن المفروض أنه من فعل القلب ، وبالمعرفة التصديق بالتوحيد والرسالة ، وبالعقد
رسوخ ذلك التصديق وثبوته أو العطف للتفسير ، وبالرضا الرضا بقضاء الله وهو من نصرة
المحبة فإن من أحب الله لا ينكر ما صدر منه ويكون راضياً به وإن كان بشئاً مرأ مخالفاً لطبيعته ،
ويكون الموت والحياة والفناء والبقاء والفقر والغنى وأقبال الدنيا وإدبارها عنده سواء لا
يرجح أحدهما على الآخر لصدوره من المحبوب وكل ما صدر من المحبوب فهو محبوب ،
والتسليم فوق الرضا لأن العبد في مقام الرضا يرى نفسه ويمد كل فعله عز شأنه موافقاً لطبيعته ،
في مرتبة التسليم يسلم نفسه وطبيعته وما يوافق به بخالفه إليه ومن ههنا يظهر أن الإيمان
القلبي يتفاوت قوة وضعفاً (١) على مراتب متكثرة و أن أدناها أصل المعرفة لأن زواله يوجب
الدخول في الكفر بخلاف اليقيني فإن زوالها يوجب زوال الكمال وربما يشعر به ما نقلناه
عن المحقق سابقاً و الظاهر أن قوله بأن لا إله إلا الله - إلى آخره ، متعلق بالإقرار والمعرفة و
المقدوران قوله والإقرار بما جاء من عند الله ، مطلق على أن لا إله إلا الله فيكون الأولان بيانا
للاخيرين والاخير بيانا للأول .

(١) قوله « يتفاوت قوة وضعفاً » يوصف الإيمان بالقوة والضعف بالقلّة والكثرة باعتبار
ما يؤمن به لا باعتبار نفس معناه المصدري كما أن العلم يوصف بالقلّة والكثرة باعتبار المعلوم
ولكن الظن يوصف بالشدة والضعف باعتبار نفس معناه المصدري والفرق أن الظن يجتمع
مع تجويز التقيض وهو قريب وبميد بخلاف العلم والإيمان فانهما الاعتقاد بالشئ مع عدم
تجويز الخلاف أصلاً ، ولا يتصور فيه تفاوت أصلاً والغرض من هذه الأحاديث كما قلنا الرد
على المرجئة حيث كان مذهبهم التقريب والمعاذة بين فساق بني أمية والمتدينين من رعاياهم
عكس مذهب الخوارج حيث كانوا على تشديد العداوة وإفادة البغضاء ليسهل عليهم الخروج
على المولاء وتوهين ملك بني أمية بتكفيرهم وكان ضرر المرجئة أشد ولذلك قال أمير المؤمنين
« دع لا تتقاتلوا بدي الخوارج فإنه ليس من طلب الحق فأخطأ (يشير إلى الخوارج) كمن
طلب الباطل فأصاب (إشارة إلى بني أمية) . (ث)»

عبده ورسوله صلوات الله عليه وآله والإقرار بما جاء من عند الله من نبي أو كتاب فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفة وهو عمله وهو قول الله عز وجل «إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً» وقال : «ألا بذكر الله تطمئن القلوب» وقال : «الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم» وقال : «إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء» فلذلك ما فرض الله عز وجل على القلب من الإقرار والمعرفة وهو رأس الإيمان، وفرض الله على اللسان القول والتعبير عن القلب بما عقد عليه وأقر به، قال الله تبارك وتعالى «وقولوا للناس حسناً» وقال : «قولوا آمنا بالله

قوله (و قلبه مطمئن بالإيمان) حال مؤكدة لأن الإكراه لا ينفك عنه غالباً و دليل على أن الإيمان من الفروض القلبية وعلى أن لا يزول بالإكراه و اظهار ثبوتيه باللسان عند التقية وعلى أن الإقرار باللسان وغيره من الاعمال بدونه ليس بإيمان.

قوله (وقال ان تبدوا) أى ان تبدوا ما في أنفسكم من الإيمان والكفر والكبر و العجب و غيرها من المعاصي القلبية أو تخفوها بحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء بالفضل اذا كان من أهله و يعذب من يشاء بالعقل اذا كان من أهلته و هذه الآية دلت بعمومها على المؤاخذه والتعذيب بنية المعاصي والمخاطرات النفسية و يمكن تخصيصها بالمقاييد القلبية والخبائث النفسية مثل الإيمان والكفر والكبر والعجب و أمثالها لما يظهر من ظاهرها استشهاد المصنوع هنا ولدلالة الاخبار الكثيرة الآتية في أبوابها على عدم المؤاخذه بالنية والمخاطرات و لقوله تعالى ولا يكلف الله نفساً الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، فان ذكر الاكتساب في طرف المعصية دليل على أنه لا يمتنع بها الا بعد المبالغة في الكسب، والمبالغة لا يتحقق الا بعد ايجاد المنوى والاتباع بها بخلاف الطاعة فانه بشاب بها لامل الكسب و هو يتحقق بالنية فيشأب بها كما يشأب بفعل المنوى، وقيل ان نية المعصية معصية يقتضى العقوبة ولكنه تعالى يعفو عن المؤمنين و يكون المراد بقوله فيغفر لمن يشاء المؤمنون والله اعلم.

قوله (وفرض الله على اللسان القول والتعبير عن القلب) دل على وجوب الإقرار باللسان بالاعتقادات مثل الإيمان وغيره، ولا يدل على اشتراط قبول الإيمان القلبي به كما ظن نعم بشرط عدم الانكار باللسان لقوله تعالى ووجدوا بها و استيقنتها أنفسهم، وينبى أن يراد بالقول القول الواجب متعلقاً مثل أداء الشهادات والإقرار بحقوق الناس و اظهار العقائد القلبية والقول الحسن للناس مثل تعليم العلوم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و أمثال ذلك حيث ذكر التعبير بعده من باب ذكر الخاص بعد العام لزيادة الاهتمام، و

و ما أنزل إلينا و ما أنزل إليكم وإلينا وإلحكم واحد و نحن له مسلمون ، فهذا ما فرض الله على اللسان و هو عمله ، و فرض على السمع أن ينزه عن الاستماع إلى ما حرم الله و أن يعرض عما لا يحل له مما نهى الله عز وجل عنه والاصغاء إلى ما أسخط الله عز وجل فقال في ذلك : «وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها و يستهزئ بها فلا تتعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره » ثم استثنى الله عز وجل موضع النسيان فقال : « وإما ينسيك الشيطان فلا تتعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين » . فقال : « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيشبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب » وقال عز وجل :

من ههنا ظهر أن عطف التعبير على القول ليس للتفسير ، و حمله على التفسير مع أنه خلاف الظاهر مغل فوجهين : الأول أن الفروض اللسانية غير منحصرة في التعبير بل هي أكثر من أن تحصى ، والثاني لا يناسب قوله «ع» استشهاده له قال الله تبارك اسمه و قولوا للناس حسناً اذ لا يدخل له في التعبير عن التلب بخلاف ما قلنا فان هذا شاهد للقول و ما بعده شاهد للتعبير ، وينبغي أيضاً أن يراد بالافسراد في قوله «وأقر به» الاقرار القلبي لا سنده إلى القلب و هو ظاهر .

قوله (و فرض على السمع أن ينزه عن الاستماع إلى ما حرم الله) يندرج فيه جميع المحرمات السمعية مثل الغناء واللبية و صوت الاجنبية والزامير و نحوها و كسائر الكذب و ذم الائمة عليهم السلام ، و انكار حقوقهم واستهزاء المؤمنين وغيرها .

قوله (فقال في ذلك وقد نزل عليكم في الكتاب) ذلك اشارة الى النهي عن استماع ما حرم الله والاصغاء الى ما أسخط الله ، والمراد بالآيات الائمة عليهم السلام أو الاعم يعني اذا سمعتم الرجل يجحد الحق و يكذب بهو يقع في الائمة و يستهزئ بهم فقوموا من عنده ولا تتأعدوا ولا تجالسوه حتى يخوض و يشرح في حديث غيره فيحينئذ يجوز مجالسته لارشاده و غيره مما يجوز الجلوس معه ثم استثنى موضع النسيان اذ لا يكلف معه فقال « وإما ينسيك الشيطان » حرمة المجالسة فلا تتعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ، وهم المذكورون ، والافهار في مقام الاضمار للتنصيص على ظلمهم و للتنصيص بملة الحرمة .

قوله (فبشر عباد الذين) الاضافة للتشريف والاشمار بأنهم هم المستحقون بأن يسموا عباداً و أحسن القول ما فيه رضا الله تعالى أو رضا أكثر ، وما هو أشد على النفس وأشق ، هذه كلمة جامعة يندرج فيها القول في اصول الدين و فروعه والاصلاح بسين الناس ، و روى أن المراد به نقل الحديث باللفظ من غير زيادة ونقصان والتعظيم أحسن .

«قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون و الذين هم للزكوة فاعلون » وقال : « إذا سمعوا اللغو ، أعرضوا عنه و قالوا لنا أعمالنا و لكم أعمالكم » وقال : « وإذا مروا باللغو مروا كراماً » فهذا ما فرض الله على السمع من الإيمان أن لا يصنى إلى ما لا يحل له و هو عمله و هو من الإيمان ، وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرم الله عليه وأن يعرض عما نهى الله عنه ، مما لا يحل له و هو عمله و هو من الإيمان ، فقال تبارك وتعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم » فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم وأن ينظر

قوله (و الذين هم عن اللغو معرضون) اللغو الفحش و ما لا خير فيه من الكلام و يمكن في الاستشهاد كون بعض أفراد حراماً والأعراض عنه واجب مثل الدناء والذم والصنع و العبل والمليور والكاذب وغيرها .

قوله (وإذا مروا باللغو مروا كراماً) أي مكرمين أنفسهم عن استماع اللغو والكريم من الناس الشريف الذي يثبأ من أمثال الأمور المذكورة .

قوله (فهذا ما فرض الله على السمع من الإيمان أن لا يصنى إلى ما لا يحل) هذا اشارة إلى المذكور من الواجبات والمحرمات ، و الظاهر أن من الإيمان « مبتدأ » و « أن لا يصنى » خبره ، و اكتفى بذكر عدم الاسماء إلى ما لا يحل عن ذكر الاسماء إلى ما يجب ولو جمل ومن « بياناً لما بقى أن لا يصنى منفصلاً ولا محل له من الأعراب إلا أن يجعل بدلاً لما و هو بعيد .

قوله (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) قال في مجمع البيان « يغضوا » مجزوم لأنه جواب شرط مقدر تقديره قل للمؤمنين غضوا فانك إن تقل لهم يغضوا ثم قال ويجوز أن يكون مجزوماً على تقدير ليتغضوا ، وقيل خبر بمعنى الأمر والأوسط أوسط عند الفاضل الأردبيلي حيث قال ولعل اللام مقدر والتقدير ليتغضوا ثم ذكر الأول ورده من غير وجه وجبه ولم يذكر الثالث ، وقال صاحب الكشاف « ومن » للتبعية والمراد غضي البصر عما يحرم . و الاقتصار على ما يحل وهو منسوب سبويه ، وجوز الاخفش أن يكون زائدة وبعض أصحابنا رد الأخير لضعف زيادة من في الأثبات الاشارة ورجع الأول لأنه لا يجب الغض عن جميع المحرمات لجواز النظر إلى شهور المحرمات و أبدانها عدا المودة والى وجوه الاجنبيات وكثيرها وقدمها في إحدى الرايتين أوفى حال الضرورة كالنظر للملاج أو تحمل الشهادة أو اقامتها والى المخطوبة مع إمكان النكاح وبدونه إلى وجوه الاماء المستعرضات للبيع ، والفاضل الأردبيلي رجع الثاني

المرء إلى فرج أخيه و يحفظ فرجه أن ينظر إليه و قال : « و قل للمؤمنات يفضن
من أبصارهن و يحفظن فروجهن » من أن تنظر إحداهن إلى فرج أختها و تحفظ فرجها
من أن ينظر إليها. و قال : كل شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنى
إلا هذه الآية فإنها من النظر، ثم نظم ما فرض على القلب واللسان والسمع والبصر

ورداً لاول بأن التبعيض يفيد غرض بعض البصر دون البعض لا بعض البصر وهو المطلوب و
المثول كما يفهم من قوله والمراد إلى آخره، أقول يمكن أن يراد بالتبعيض غرض
بعض البصر بأدخائه في الجملة بحيث لا يرى المحرم لأطبقه رأساً و يراد به على أي تقدير
ترك النظر إلى ما لا يحل .

قوله (فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم) دل على أن الأمر بالشئ نهى عن شئ
أي نهاهم أن ينظر كل واحد إلى عورة غيره، ذكرأ كان أم أنثى، قبل أن أم دبراً، وأن ينظر
المرء إلى فرج أخيه وكذا فرج أخته والطلب للتفسير ويمكن أن يراد بغض البصر ترك
النظر إلى كل ما لا يحل والمذكور أكمل أفراداً وهذا ناظر إلى قوله ينضوا من أبصارهم،
وتفسير له وقوله و يحفظ فرجه ناظر إلى قوله تعالى و يحفظوا فروجهم، وتفسير له والظاهر
أن عطف يحفظ على ينظر غير صحيح لعدم اندراج تحت النهي، و كأنه عطف على نهاهم
بضماد فعل أي وأمره أن يحفظ فرجه فليتأمل.

قوله (من أن تنظر إحداهن إلى فرج أختها وتحفظ فرجها من أن ينظر إليها) ومن
متعلق بينضن و يحفظن أو بفعل مقدر بقرينة السابق أي نهاهم من أن تنظر وهذا ناظر إلى
ينضن و تفسير له، وقوله و تحفظ فرجها ناظر إلى يحفظن و تفسير له ولا يبعد تعميم الغرض
ليشم كل ما لا يحل لهن النظر إليه والمذكور بعض أفراد و تخصيص الحفظ بما ذكره لأن
التوافق بين الترينتين، وهذه الرواية وغيرها يدل على المذكور.

قوله (فإنها من النظر) لما كان النظر إلى المورة مع قبحة مثيراً للشهوة و السفاد
غالباً حرم النظر إليها وأوجب حفظها عنه دفعاً للفساد.

قوله (ثم نظم ما فرض على القلب واللسان والسمع والبصر في آية أخرى) فيه أن
الفروض القلبية واللسانية غير مندرجة في الآية الاولى والفروض اللسانية في الآية الثانية و
يمكن أن يقال يفهم ذلك من قوله يستترون أن يشهد عليكم، ومن قوله ولا تقف ما ليس
لك به علم، فإن استشار الشئ عبارة عن إضماره في القلب و عدم إظهاره باللسان
و عدم منسابة غير المعلوم عبارة عن عدم التصديق به و عدم إظهار العلم به باللسان
والله أعلم .

في آية أخرى فقال: «وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم» يعني بالجلود: الفروج والأفخاذ. وقال: «ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا» فهذا ما فرض الله على العيين من فض البصر عما حرم الله عز وجل وهو عملهما وهو من الإيمان. وفرض الله على اليدين أن لا يبطش بهما إلى ما حرم الله وأن يبطش بهما إلى ما أمر الله عز وجل. وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم والجهد في سبيل الله والطهور للصلاة، فقال: «يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين» وقال: «فاذا لقيتهم الذين كفروا ف ضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فامسا مناً

قوله (وما كنتم تستترون) قبل كنتم تستترون القبايح عند فعلكم أياها وما كنتم عالمين ولا غائين بعهادة الجوارح على أنفسها فيدل على أنهم مكلفون بالفروج ولولا لم يشهد على أنفسها وقيل لعل المراد بها أنكم ما كنتم تستترون وتدفوا شهادتها على أنفسها بعدم فعل القبايح أو في القيامة بأن لا تشهد على أنفسها.

قوله (يعني بالجلود الفروج والأفخاذ) قبل هذا التفسير يدل على أن الأفخاذ عورة يحرم النظر إليها كما هو مذهب بعض وأن الفروج والأفخاذ تشهد على فعلها وهو الزنا واللواط واللمس.

قوله (إن السمع والبصر والفؤاد) قد فرض الله تعالى على هذه الاعضاء فرائض يخرج بها عليك ويسألك عن كل واحد يوم القيامة فيما صرفته أصرفته فيما خلق لاجله أو في غيره، فوجب أن لا تستعمل في محرم لأنه يشهد عليك وعلى نفسه بما فعل من خير أو شر.

قوله (إلى ما حرم الله) مثل القتل والضرب والنهب والسرقة وكتابة الكذب والظلم ونحوها.

قوله (وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم) إذ يصل الصدقة إلى الفقراء و يصل الخير إلى الأقرباء والضرب والبطش والشدة في الجهاد والطهور للصلاة ينسل اليدين ومسح الرأس والرجلين من فروش اليد واستشهد للطهور والجهاد بالأيدين وبفهم منه وجوب استعمال اليد في غسل الوجه وهو ما لانه الفرد المثالب أو لأن فرد الواجب التخييري أيضاً واجب وإن كان التخصيص ببعض الأفراد مستحباً.

بعد و إيماناً فداءً حتى تضع الحرب أوزارها، فهذا ما فرض الله على اليدين لأنَّ الضرب من علاجيهما، و فرض على الرجلين أن لايمشي بهما إلى شيء من معاصي الله و فرض عليهما المشي إلى ما يرضى الله عز وجل فقال: «ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا» وقال: «واقصد في مشيك و اغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير» وقال: فيما شهدت الأيدي والأرجل على أنفسهما و على أربابهما من تضييعهما لما أمر الله عز وجل به و فرضه عليهما: «اليوم نختم على أفواههم و تكلمنا أيديهم و تشهد أرجلهم بما كانوا يَكْسِبُونَ» فهذا أيضاً مما فرض الله على اليدين و على الرجلين و هو عملهما وهو من الايمان و فرض على الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصلاة فقال: «يا أيها الذين آمنوا اركعوا و اسجدوا و اعبدوا ربكم و افعلوا الخير لعلكم تفلحون» فهذه

قوله (فضرِب الرقاب) ضرب الرقاب عبارة عن القتل بضرب العنق و أصله فاضربوا الرقاب ضرباً حذف الفعل و اقيم المصدر مقامه و اضيف إلى المفعول، والاثخان اكثاد القتل أو الجراح بحيث لا يقدر على النهوض، والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به وشدته كناية عن الاسر، ومنأ و فداء مذلول مطلق لفعل محذوف أي فاما تمنون منأ و اما تفدون فداء و أوزار الحرب آلاتها مثل السيف والسنان و غيرها و المروى و مذهب الاصحاب أن الاسير ان أخذ والحرب قائمة تعين قتله اما بضرب عنقه أو بقطع يده ورجله من خلاف، وتركه حتى ينزف و يموت وان أخذ بعد انقضاء الحرب تخير الامام بين المن و الفداء والاسترقاق ولا يجوز القتل، والاسترقاق علم من السنة.

قوله (و فرض عليهما المشي إلى ما يرضى الله عز وجل) مثل الحج والجهاد والزيارات و فناء حوائج المؤمنين والذهاب إلى الصلاة والقيام فيها و نحوها.

قوله (اليوم نختم على أفواههم) قبل هذا ينافي ما روي أن الناس في ذلك اليوم يحتجون لأنفسهم و يسمى كل منهم في فكاهة رقبته كما قال سبحانه: يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، والله سبحانه يلقن من يشاء حجته و يرشد إليه أيضاً ما روي في دعاء الوضوء اللهم لنفني حجتي يوم ألقاك، واجيب بأن الختم مخصوص بالكفار كما قاله بعض المفسرين أو أن الختم يكون بعد الاحتجاج والمجادلة كما في بعض الروايات، وبالجملة المعلوم أن الختم يقع في ذلك اليوم فيجوز أن يتسع الختم في مقام و يقع المجادلة في مقام آخر.

فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين ، وقال : في موضع آخر ، هو أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً ، وقال فيما فرض على الجوارح من الطهور و

قوله (لهذه فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين) أي الركوع والسجود والعبادة و فعل الخير فريضة على الاعضاء المذكورة غير مختصة بأحدها أما الركوع فلأن للوجه فيه نصيباً من الفرض وهو الانحناء و للرجلين كذلك وهو القيام ، ولليدين كذلك وهو وسولهما إلى الركبتين هذا في الفرائض ، وأما أفعالها المندوبة فكثيرة تعرف بالنظر في كتب الفروع ، وأما السجود ففرض الرجل وضع الركبتين والأيهامين على الأرض ، و فرض الوجه السجود على التراب ونحوه ، وفرض اليدين وضع الكفين على الأرض ، وأما العبادة و فعل الخير فظاهر إذ لكل عضو من الاعضاء فيهما نصيب من الفرض ولعل الترخي للتحقيق لأن حقيقته عليه عز شأنه محال ، وإنما جيء به لئلا يغتر العابد بفعله .

قوله (وقال في موضع آخر و أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) أي المساجد السبعة وهي الاعضاء المشهورة أعني الجبهة والكفين والركبتين والأيهامين لله أي خلقت لأن يعبد بها الله فلا تشاركوا معه غيره في سجودكم عليها وهذا التفسير هو المشهور بين المفسرين والمذكور في حديث حماد عن أبي عبد الله (ع) ، والمروني عن أبي جعفر محمد بن علي بن موسى عليهم السلام حين سأله المعتصم عن هذه الآية ، و به قال سعيد بن جبير والزعاج والفراء و يؤيده قول النبي (ص) ، وأمرت أن أسجد على سبعة أركان أي أعضائه و على هذا لا عبرة بقول من قال المراد بها المساجد المروفة . ولا يقول من قال هي بتاع الأرض كلها متسكاً بقوله (ص) جعلت الأرض مسجداً ، ولا يقول من قال : هي المسجد الحرام ، والجمع باعتبار أنه قبله لجميع المساجد ولا يقول من قال هي السجودات جميع مسجد بالفتح مصدراً أي السجودات لله فلا يفعل لغيره لأن المصومين أولى بمعرفة منازل القرآن و مراده من غيرهم نعم حمل الآية على الأعم و جعل المذكور هنا أظهر أفرادها و أكملها ممكن .

قوله (وقال فيما فرض الخ) كان المراد وقال هذه الآية يعني أن المساجد لله فيما فرض الله على الجوارح السبعة من الطهور والصلاة بها لهذه أيضاً فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين كالسابقة ، ولعل ذلك في قوله وذلك أن الله عز وجل الخ ، إشارة إلى كون القرآن دليلاً على بشا الإيمان على الجوارح ، وتفصيل القول فيه أن الآيات المذكورة أعادت على أنه تعالى فرض على كل جوارحة شيئاً غير ما فرضه على الأخرى ، ولم يثبت بهذا التدرج من جهة القرآن ما ذكره أولاً من أنه تعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرضه فيها فأشار هنا إلى اثبات ذلك بالقرآن وحاصله أن الآية وهي قوله عز وجل وما كان الله ليبضيع

الصلاة بها و ذلك أن الله عز وجل لما صرف نية عليه السلام إلى الكعبة عن البيت المقدس فأنزل الله عز وجل : « وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤف رحيم » فسمى الصلاة إيماناً فمن لقي الله عز وجل حافظاً لجوارحه موفياً كل جاحته من جوارحه ما فرض الله عز وجل عليها لقي الله عز وجل مستكملاً لإيمانه و هو من أهل الجنة و من خان في شيء منها أو تعدى ما أمر الله عز وجل فيها لقي الله عز وجل ناقص الإيمان، قلت: قد فهمت نقصان الإيمان و تمامه، فمن أين جاءت زيادته؟ فقال: قول الله عز وجل: « وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيتكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون » وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم » و قال : « و نحن نقص عليك نبأهم بالحق » إنهم فتية

إيمانكم ، دلت على أن الصلاة إيمان ولا ريب في أن الصلاة مركبة من أفعال جميع الجوارح فقد ثبت أن الإيمان مركب منها هذا ما خطر بالبال على سبيل الاحتمال والله أعلم.
قوله (و هو من أهل الجنة) كمال الإيمان من أهل الجنة قطعاً و ناقص الإيمان قد يدخل النار و هذا أحد وجوه الجمع بين ما دل على أن المؤمن لا يدخل النار و ما دل على أنه يدخلها.

قوله (ومن خان في شيء منها أو تعدى ما أمر الله) الظاهر أن الخيانة فعل المتهبات، والتعدى ترك الأمورات.

قوله (قلت قد فهمت نقصان الإيمان و تمامه فمن أين جاءت زيادته) لما ذكره ع، أولان الإيمان مفروض على الجوارح وأنه يزيد و ينقص، و علم السائل الأول سريحا من الآيات المذكورة والثاني ضمناً أو التزاماً منها للعلم الضروري بأن العمل يزيد و ينقص سأل عن الآيات الدالة على الثاني سريحا أو قصد من السؤال اني قد فهمت مما ذكر نقصان الإيمان العملي وتمامه باعتبار أن العمل يزيد و ينقص فمن أين جاءت زيادة الإيمان التصديقي وأية آية تدل عليها، عليه حيث قد استخدم إذا أراد بلفظ الإيمان الإيمان العملي و بضميره الإيمان التصديقي والاستخدام شائع عند البلغاء، و على التقديرين لا يرد أنه إذا هلم نقصان الإيمان وتمامه فقد علم زيادته لان في التام زيادة ليست في الناقص.

قوله (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) دل على أن الإيمان سبب للإيمان يعني أن الدرجة التحتانية منه سبب لحصول الدرجة فوقانية ، و كذلك الكفر و من ثم قيل الخير والشر بسريان.

آمنوا بربهم و زدناهم هدى ، ولو كان كله واحداً لازيادة فيه ولانقصان لم يكن لأحد منهم فضل على الآخر ولاستوت النعم فيه ولاستوى الناس وبطل التفضيل و لكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة و بالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله و بالنقصان دخل المفرطون النار .

٢- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، و محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، جميعاً ، عن البرقي ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى بن

قوله (زدناهم هدى) المراد به الهداية الخاصة المختصة بالاولياء وهي بصيرة قلبية زائدة على أصل التصديق (١) بها ينزاد ويرتقى الى مرتبة عين اليقين .

قوله (ولو كان كله واحداً) أى لو كان كل الإيمان واحداً لازيادة فيه ولانقصان لم يكن لأحد من المؤمنين فضل على الآخر لان الفضل إنما هو بالإيمان فلا فضل مع مساواتهم فيه ، و لاستوت النعم في الإيمان مثل الهدايات الخاصة والالطاف والتوفيقات وغيرها ، ولاستوى الناس في الدخول في الجنة لاستوائهم في الإيمان الموجب لدخولها ، و بطل تفضيل بعضهم على بعض بالدرجات واللوازم كلها باطله بالسنة والآيات ولكن بتمام الإيمان باعتبار أصل التصديق والعمل بالواجبات وترك المنهيات دخل المؤمنون المتصنون به الجنة و بالزيادة في الإيمان لذلك مع العمل بالأعمال المندوبة والآداب المرفوعة و الاخلاق المطلوبة تفاضل المؤمنون المتصفون بها بالدرجات العالية والمقامات الرفيعة عند الله تعالى و بالنقصان في التصديق لعدم تمكنه واستقراره في القلب أو في التفسير في الأعمال الواجبة بترك الواجبات و فصل المنهيات دخل المفرطون في النار وقد ظهر من ذلك أن المدعين للإيمان ثلاثة أقسام تام و زايد و ناقص وقد علم حكم كل واحد منها والله هو الموفق .

قوله (عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه و محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى جميعاً ، عن البرقي ، عن النضر بن سويد) الظاهر أن لفظة عن أبيه

(١) قوله وزائدة على أصل التصديق ، وأصل التصديق غير قابل للزيادة والنقصان كما قلنا وإنما التشكيك في اخضاع سائر القوى و ادراك سائر المدارك فان الذي يبصر شيئاً و يسمع صوته و يلمس سطحه و يذوق طعمه غير من يسمح صوته فقط و الذي يعتقد بوجود شيء لرؤية آثاره غير من يراه نفسه والمؤمن بالله متيقن بوجوده قطعاً لا ظناً فقد يكون له دليل واحد وقد يكون له أدلة كثيرة بمنزلة من يشاهده و يتأثر بالإيمان جميع قواه و بذلك يتفاوت درجاتهم . (ش)

عمران الجلبى، عن عبيد الله بن الحسن بن هارون قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : « إن السمع والبصر والفؤاد كلٌ أولئك كان عنه مسئولا » قال : يسأل السمع عما سمع والبصر عما نظر إليه والفؤاد عما عقد عليه .

٣ - أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان أو غيره ، عن العلاء ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سأله عن الايمان فقال : شهادة أن لا إله إلا الله والإقرار بما جاء من عند الله وما استقر في القلوب من التصديق بذلك ، قال : قلت : الشهادة أليست عملاً ؟ قال : بلى ، قلت : العمل من الايمان ؟ قال : نعم الايمان لا يكون إلا بعمل والعمل منه ولا يثبت الايمان إلا بعمل .

أو جميعاً دائمة بل لا محصل له لان البرقى ليس الا محمد بن خالد ولا معنى لرواية البرقى عن البرقى وقد يقال المراد بالبرقى خالد لان البرقى لقب لهذه القبيلة أو نسبة الى مسكنهم ،

قوله (فقال شهادة أن لا إله إلا الله) كناية عن الشهادتين والمراد بها الإقرار اللسانى وبما يمدحها الإقرار القلبى وفيه دلالة على أن الايمان مركب من الشهادة والتصديق ، وهذا نوع من الايمان الكامل و ساء بعض المحققين بايمان المصدقين أن كان مع الشهادة خلوا النفس عن غيره تعالى و تنزهها عن هواها فان لا إله الا الله دل على التوحيد و هو انما يتحقق فى نفس الامر بالانفرد عن الشرك الجلى والخبى ، وانما قلنا هذا نوع من الايمان الكامل لان له أنواعاً آخر منها مركب من التصديق وتخليه النفس عن الرذائل و تحليتها بالفضائل ومنها مركب من التصديق أو أعمال الجوارح ، ومنها مركب من الجميع وهذا أفضل الأنواع ،

قوله (قال نعم الايمان لا يكون الا بعمل) لعل المراد أن الايمان لا يوجد أو لا يكن ايماناً الا بعمل ، والعمل بعض منه ولا يثبت الايمان فى نفس الامر الا بعمل كما أن الكل لا يوجد الا بجزء ولا يكون كلاً الا بجزء والجزء بعض منه ولا يثبت الكل فى نفس الامر الا بجزء فيثبت أن الايمان مركب والعمل بعض أجزائه وهو الايمان الكامل أو المراد أن الايمان وهو التصديق لا يكون الا مقروناً بالعمل والعمل من شيم أهل الايمان ومحاسنه التى تقتضى الايمان الاثبات بها ولا يثبت الايمان عندنا أو لا يستقر فى نفس الامر الا بعمل لان التصديق أمر قلبى لا يثبت الا بدليل وهو العمل أو لا يستقر الا به ، فلا يفيد أنه مركب ، والاول أنسب بظاهر صدر الحديث وعلى التقديرين لا يرد أن أول هذا الكلام يدل على أن العمل جزء من الايمان و ظاهر آخره على أنه خارج منه دليل عليه على أنه لو حمل على هذا لا يمكن أن يقال ان المراد شرح اصول الكافي - ٧ -

ج ٨ باب في أن الإيمان مبنوث لجوارح البدن كلها - ح ٤ - ١١٣ -

٤ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن عثمان بن عيسى ، عن عبد الله بن مسكان ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما الاسلام ؟ فقال : دين الله اسمه الاسلام وهو دين الله قبل أن تكونوا حيث كنتم و بعد أن تكونوا ، فمن أقر بدين الله فهو مسلم ومن عمل بما أمر الله عز وجل به فهو مؤمن .

بالإيمان الاول الإيمان الكامل ، وبالثاني التصديق فيكون المقصود أن الإيمان مطلقاً لا يتحقق ولا يعلم الا بالعمل والله أعلم .

قوله : (قال قلت له ما الاسلام) قال دين الله اسمه الاسلام كما قال تعالى وإن الدين عند الله الاسلام ، وقال ومن يبتغ غير الاسلام ديناً ، وهو دين الله قبل أن تكونوا وتوجدوا على هذا المكان المخصوص حيث كنتم في الاظلة أو في العلم الاذلي و بعد أن تكونوا فمن أقر بدين الله فهو مسلم ومن عمل مع ذلك بما أمر الله عز وجل به فهو مؤمن ، لا يقال الظاهر ان ما هنا سؤال عن الحقيقة لا عن الحكم . فقوله فمن أقر بدين الله فهو مسلم حيث وقع جواباً عن السؤال المذكور وجب أن يكون جداً لأن المقول في جوابه هو الحمد فيلزم أن يكون الاسلام مجرد الاقرار بما جاء به النبي ص وإن لم يكن معه تصديق وليس الامر كذلك لقوله تعالى ورضيت لكم الاسلام ديناً ، والله سبحانه لا يرضى اقراراً بدون تصديق بقلب و اللسان راضياً عن المنافقين و أنه محال قطعاً ، لانا نقول لا يلزم من كونه تعالى لا يرضى الاسلام بدون التصديق أن يكون التصديق جزءاً من الاسلام لاحتمال أن يكون شرطاً فيه والله تعالى لا يرضى عملاً بدون شرطه و الشرط خارج عن المهمة (١) على أن لا نسلم أن ما يختص بالسؤال عن تمام الحقيقة لجواز أن يكون سؤالاً عن الذاتي سواء كان تمام الذاتيات أو بعضها ، وقد جوز هذا بعض المحققين الا أن الاول

(١) قوله و الشرط خارج عن المهمة وعلى ذلك عمل الفقهاء وهم المهره في أمثال هذه الامور مثلاً اذا قيل يجب السجدة لثلاثة بعض الايات قالوا يجب في سجدة الثلاثة ما صرف بالصرح دخله في ماهية السجدة و مثاها في الصلاة لا ما هو شرط فيها فوضع الوجهة على ما يصح السجود عليه و عدم كون محل السجدة مرتفعاً عن مكان الرجلين و وضع المساجد السبعة على الارض واجب ولا يجب الاستقبال والطهارة والذكر وغيرها مما يعتبر في سجدة الصلاة شرطاً فانها داخلية في المطلوب منها في الصلاة لاني صحت اطلاق اسم السجدة ولم يعلم ما يؤخذ في ماهية السجدة الا من احكام سجدة الصلاة . (ش)

٥ - عنه ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن يحيى بن عمران الحلبي عن أيوب بن الحر ، عن أبي بصير قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال له سلام : إن خيشمة بن أبي خيشمة يحدثنا عنك أنه سألك عن الاسلام فقلت له : إن الاسلام من استقبل قبلتنا وشهد شهادتنا ونسك نسكنا ووالى ولينا وعادى عادىنا فهو مسلم . فقال : صدق خيشمة ، قلت : وسألك عن الايمان فقلت : الايمان بالله والتصديق بكتاب الله وأن لا يعصى الله ، فقال : صدق خيشمة .

٦ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن أبي عمير ، عن جميل بن دراج ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الايمان ، فقال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قال : قلت : أليس هذا عملاً ؟ قال : بلى ، قلت : فالعمل من الايمان ؟ قال : لا يثبت له الايمان إلا بالعمل والعمل منه .

مشهور بين أرباب المنقول ، وما يؤيد ذلك أن للفصل والحاشية آية يسئل بها عنهما فلو اختص ما بنص الحديث بغير بعض الذاتيات بلا آية يسئل بها عنه ، ولو سلم فنقول ما استقطب التصديق في تفسير الاسلام لأن الأقرار غير مختص باللسان بل يشمل فعل القلب أعني التصديق لأن التصديق نوع من الأقرار ، ولو سلم فنقول المراد بالأقرار هو الفرد الكامل المقارن للتصديق إذ ما ليس بمقارن له كانه ليس بأقرار ، وأما عدم ذكر الأقرار في الايمان فلا ينافي بالمقايسة مع احتمال أن يكون المقصود ذكر ما يستلزم به كل واحد عن الآخر .

قوله (فقلت له ان الاسلام من استقبل قبلتنا وشهد شهادتنا ونسك نسكنا) نسكك ينسك من باب قتل تلوع بقرية والنسك بضمين اسم منه والناسك الذي يؤدي المناسك و هي الطاعات ، و سميت الذبيحة نسكة لان قربانها طاعة ، و يحتمل أن يراد بالنسك الايمان بالحج اذا عرفت هذا فنقول ظاهر هذا الكلام أن الاسلام الأقرار بالشهادتين ، وفعل الطاعات ومحبة أولياء الامة عليهم السلام ، ومعاداة أعدائهم سواء كان معه تصديق أم لا ، وأن الناسك ليس بمسلم وأن الايمان التصديق بالتوحيد والرسالة والولاية فان كل ذلك مندرج في الايمان بالله والتصديق بكتاب الله ، وعدم المعصية بفعل الطاعات وترك المنهيات فالإيمان أخص من الاسلام .

قوله (شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله) خص الشهادتين بالذكر لانها أعظم أفراد الايمان على تدبير و أعظم أجزائه على تقدير آخر مع دلالتهم على التصديق الذي هو الايمان في الاصل و ليس المقصود حصر الايمان فيهما فلا ينافي سائر الاخبار .

٧ - بعض أصحابنا ، عن علي بن العباس ، عن علي بن ميسر ، عن حماد بن عمر و النصيبى قال : سأل رجل العالم عليه السلام فقال : أيها العالم أخبرني أي الأعمال أفضل عند الله ؟ قال : ما لا يقبل عمل إلا به ، فقال : وما ذلك ؟ قال : الإيمان بالله الذي هو أعلى الأعمال درجة وأسانها حظاً وأشرفها منزلة ، قلت : أخبرني عن الإيمان أقول وعمل أم قول بلا عمل ؟ قال : الإيمان عمل كله والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله بيئه في كتابه ، واضح نوره ، ثابتة حجته ، يشهده الكتاب ويدعو إليه ، قلت : صف لي ذلك حتى أفهمه ، فقال : إن الإيمان - آلات و درجات و طبقات و منازل فمنه التام المنتهى تمامه ، ومنه الناقص المنتهى نقصانه ومنه الزائد المرآجح زيادته ، قلت : وإن الإيمان ليتم ويزيد وينقص ؟ قال : نعم ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : إن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح بني آدم وقسمه عليها و فرقه عليها فليس من جوارحهم جارحة إلا وهي موكله من الإيمان بغير ما وكلت به أختها ، فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره ، ومنها يدها اللتان يبطش بهما ورجلاه اللتان يمشي بهما وفرجه الذي الباه من قبله ولسانه الذي ينطق به الكتاب ويشهد به عليها ، وعيناه اللتان يبصر بهما ، وأذناه اللتان يسمع بهما وفرض على

قوله (قال لا يثبت له الإيمان إلا بالعمل والعمل منه) لعل المراد أن الإيمان عبادة عن التصديق والعمل ، و يطلق على نفس العمل أيضاً كالشهادتين والصلاة ونحوهما ، وعلى هذا لا يثبت له الإيمان إلا بالعمل كما لا يثبت الكل إلا بالجزء والعمل منه أي بعض أجزائه على تقدير وبعض أفرادها على تقدير آخر . وقد مر توجبه آخر قبيل ذلك والله أعلم .

قوله (قال سأل رجل العالم ع) فقال يا أيها العالم) هذا الخبر مذكور في صدر الباب متناً مع اختلاف في السند وتعبير يسير في المتن وحذف في الآخر .

قوله (ولسانه الذي ينطق به الكتاب ويشهد به عليها) الظاهر أن المراد بالكتاب القرآن ، والضمير في يشهد راجع إليه وفي به إلى اللسان أو إلى اللسان بحذف مضاف أي بأقواله و في عليها إلى اللسان واللسان يذكر ويؤنث كما سرح به في المذهب ونطق القرآن بأقوال اللسان خبراً وشرأ و شهادته عليها كثير ، ويحتمل أن يراد بالكتاب كتاب الأعمال و صحيفتها

القلب غير ما فرض على اللسان و فرض على اللسان غير ما فرض على العينين و فرض على العينين غير ما فرض على السمع و فرض على السمع غير ما فرض على اليدين و فرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين و فرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج و فرض على الفرج غير ما فرض على الوجه، فأما ما فرض على القلب من الايمان فالاقرار والمعرفة والتصديق والتسليم والعقد والرضا بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحداً، صمداً ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله.

٨- محمد بن الحسن، عن بعض أصحابنا، عن الأشعث بن محمد، عن محمد بن حفص ابن خارجة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : - وسأله رجل عن قول المرجئة في الكفر والايمن قال: إنهم يحتجون علينا ويقولون: كما أن الكافر عندنا هو

و شهادته عليها يوم القيامة ظاهرة . و قراءة الكتاب بضم الكاف و شد الفاء و ارادة الحفظلة بميدة .

قوله (فاما ما فرض على القلب من الايمان والاقرار والمعرفة) كذا في النسخ و الظاهر فالاقرار بالفناء ليكون جواباً لاما و موافقاً لما مر في صدر الباب و لعل الواو صهو من النسخ أو زائدة.

قوله (أحداً صمداً) هنا في أكثر النسخ منصوبان وفي بعضها مرفوعان.

قوله (وسأله رجل عن قول المرجئة في الكفر والايمن (١)) اهو صحيح أم فاسد،

(١) قوله ومن قول المرجئة في الكفر والايمن هم فرقة من فرق الاسلام وهم و الخوارج على طرفي نقيض كان هؤلاء يعتقدون كفر الفساق وهم على غاية البهت والعداوة مع بني أمية المولاء في عصرهم والمرجئة كانوا يعتقدون تساوي السالغ والطالح والمأبد والفاسق في الفضل عند الله وكانوا متملقين ومائلين الى ولايتهم وكان يؤيدهم سياسة بني أمية اوجدتهم وروجت آرائهم بين المسلمين وذلك لان ظلم بني أمية و تجاهرهم بالنسق والفجور بل كفرهم الباطني نفهم لانهم كانوا من يتأيدوا بحاربي رسول الله صلى الله عليه وآله في احدوا الاحزاب وغيرها لما ينحصر حب الجاهلية ولاحتدهم على رسول الله صلى الله عليه وآله يقتل أشياخهم من قلوبهم بعد و قد ظهر منهم الانكار عليه وعلى أهل بيته والعادة بعد ظهور كل دين وسنة حقة ان يبتى جماعة ممن لا يؤمن بها سنيين بل قروناً يثيرون الفتن ولم يكن بنو أمية يصرحون بما في ضمائرهم خوفاً من الناس ولان بناءهم

الكافر عند الله فكذلك نجد المؤمن إذا أقر بايمانه أنه عند الله مؤمن، فقال : سبحان الله وكيف يستوي هذان والكفر إقرار من العبد فلا يكلف بعد إقراره ببينة والإيمان

وهم فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة سادقين في المشبه به كاذبين في المشبه، ومجمل قولهم في حقيقتهم أن الإيمان محض إقرار اللسان بالشهادتين وما جاء به الرسول، والكفر مقابل له وهو إنكاره شيئاً من ذلك وبذلك بنوا أن الكافر عندنا كافر عند الله تعالى وكذا المؤمن عندنا مؤمن عند الله تعالى وهو ظاهر بناء على أصلهم، والسائل سأل عن صحة ذلك وبطلانه فأجاب وعه بأنه باطل لبطلان أصلهم، وذلك لأن الإيمان عبادة عن التصديق والأفراد والممل، والكفر إنكار شيء من ذلك وإذا كان كذلك كان الكافر عندنا بترك واحد من الأمور المذكورة كافراً عند الله تعالى، وأما المؤمن عندنا وهو المتصف بالأمور الثلاثة أما بالآخرين قطعاً وأما بالاول فظناً لدلائلها عليه دلالة غير قطعية لأن القتل يجوز عدمه تجوزاً مرجوحاً فلا يلزم أن يكون مؤمناً عند الله تعالى لجواز أن يكون مقرأ عاملاً غير مصدق والله سبحانه عالم بعدم تصديقه هو مؤمن عندنا تجري عليه أحكام الإيمان وكافر عند الله تعالى.

قوله (والكفر إقرار) أي الكفر إقرار من العبد على نفسه بعدم الإيمان، فلا يكلف

بإدولتهم كان على دين عدوهم فأخفوا في قلوبهم ما نبأ عنه أعمالهم فقتلوا الحسين وع و أسروا أهل بيت نبيهم و قتلوا أهل المدينة قتلاً عاماً لنصرتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبلوا أحداً ممن يتولاهم في ولايتهم بل قتلوه و شردوه و سلطوا على صلحاء الأمة فسادهم كزياد بن أبيه و عبيد الله والحجاج بن يوسف وأوجب ذلك تنفير الناس عنهم ونوردهم وقبام الناس من كل ناحية عليهم ولم يجمع فيه التشديد والتشريد والقتل والنفي و تجراً عليهم الخوارج و رأوا جهادهم أفضل من جهاد الكفار الأسليين و خرج عليهم جماعة من الصلحاء في كل ناحية وأظهروا الثبري منهم واللمن عليهم و اجتهدوا في إزالة ظلمهم فرأت بنو أمية أن التوسل بما توسلوا به أولاً أضر بمصدهم و أفنى لدولتهم فأخترعوا لهم مذهب المرجئة وغرضهم أن بنو أمية مسلمون مؤمنون وأن ظهر منهم النجور والقتل والمناهي وهم والصلحاء سواء عند الله في القتل فيجب مودتهم والمساواة معهم وأعاقتهم في التدبير الملكي و نصرهم في جهاد عدوهم و بالجملة دفع تنفير الناس وما يلزمه ولما كان هذا من أضر الأراء في فرق الإسلام بل منافياً لأصل تشريع هذا الدين وكل دين بل لولا احتمال الشبهة الممكنة في حتمهم لحكم بكفرهم لمخالفتهم ضروري الإسلام بل ضروري كل دين ولا تنفي قائمة أرسال الرسل و انزال الكتب و لم يبق للطاعات واكتساب الفضائل و مكارم الاخلاق موقع، رد الأمة عليهم السلام في هذه الاحاديث رأيهم ومنعهم. (ش)

دعوى لا يجوز إلا بيّنة وبينة عمله وبينة فاذا اتفقا فالعبد عند الله مؤمن والكفر موجود بكل جهة من هذه الجهات الثلاث من نية أو قول أو عمل و الأحكام تجري على القول والعمل ، فما أكثر من يشهد له المؤمنون بالايمان و يجري عليه أحكام المؤمنين و هو عند الله كافر وقد أصاب من أجرى عليه أحكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله.

(باب السبق إلى الايمان)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد قال :

بعد اقراره بينة على المقرب وهو عدم الايمان كما في سائر أقارير العقلاء على أنفسهم بسبل الاقرار بعدم الايمان أولى بعدم التكليف لان كل اقرار غيره يجوز العقل عدم تحقق المقرب في نفس الامر بخلاف الاقرار بالكفر فانه عبارة عن انكار شيء من أجزاء الايمان و تركه هو عين الكفر ، فلا يحتاج الى بينة قطعاً بخلاف الايمان فانه دعوى لثبوت له ، ولا يجوز ذلك ولا يثبت الا بيّنة كما في سائر الدعاوى و بيّنته عمله المشتمل باللسان والجوارح ، وبينة المتعلقة بالقلب وهي التصديق فاذا اتفق العمل والنية شهد شاهد عادل فالعبد عند الله مؤمن ، وان اختلفا بأن يشهد العمل دون النية فهو ليس بمؤمن عند الله تعالى و مؤمن عندنا لانا نحكم بظاهره على باطنه فنحكم بأنه مؤمن مسدداً حكماً ظاهراً فالباطن فقولهم بأن كل مؤمن عندنا مؤمن عند الله باطل ، و أما قولهم الكافر عندنا كافر عند الله فهو صحيح اذ الكفر موجود بانقضاء كل جهة من هذه الجهات الثلاثة المنتبهة في الايمان وجوداً من نية و تصديق أو قول باللسان أو عمل بالجوارح يعني بتحقيق الكفر بانقضاء واحد من هذه الثلاثة فمن اتقى منه واحد منها وعلمنا ذلك فهو كافر عندنا كما هو كافر عند الله تعالى وأما اذا لم نعلم كما اذا انتفت منه النية فقط فهو مؤمن عندنا وكافر عند الله وأحكام الايمان تجري عليه باعتبار القول والعمل دون النية لان علمنا بالنية متعسر وقد ظهر مما ذكر أن السجود له بالايمان والمجرب عليه أحكام المؤمنين وهو كافر عند الله كثير و ان من أجرى عليه الأحكام مسبب لانه مكلف بالحكم على ظاهر قوله وعمله الدالين على النية وليس مكلفاً بالحكم على الباطن لعدم علمه به ولكن لما كان يخلف المدلول عن اللفظ وما يجري مجراه كثيراً كان وجود القول والعمل بدون النية كثيراً ولذلك كان وجود الكافر عند الله كثيراً.

قوله (باب السبق إلى الايمان) (١) سبق پیش دستی نمودن و پیش گرفتن .

(١) قوله (باب السبق إلى الايمان) قدم في كتاب العقل والجهل أن الثواب على

حدثنا أبو عمر الزبيرى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : إن للإيمان درجات ومنازل ، يتفاضل المؤمنون فيها عند الله ؟ قال : نعم ، قلت : صفه لى رحمك الله حتى أفهمه ، قال : إن الله سبق بين المؤمنين كما يسبق بين الخيل يوم الرهان ثم فضّلهم على درجاتهم في السبق إليه ، فجعل كل امرئ منهم على درجة سبقه لا ينقصه فيها من حقه ولا يتقدم مسبوقة سابقاً ولا مفضول فاضلاً . يتفاضل بذلك أوائل هذه

قوله (قال إن الله سبق بين المؤمنين) أى قرر السبق وقدره بين المؤمنين فى الإيمان وندبهم إليه كما يسبق بين الخيل يوم الرهان فمنهم فى المقام الأدنى وهو مقام يتحقق فيه المسبوقية دون السابقية ، ومنهم فى المقام الأعلى وهو مقام يتحقق فيه السابقية دون المسبوقية وهو مقام خاتم الأنبياء ، و بين المقامين مقامات غير محصورة يجتمع فيها السابقية والمسبوقية باعتبارين ، والتعبيه من باب تشبيه المعقول بالمحسوس لقصد الإيضاح .

قوله (فجعل كل امرئ منهم على درجة سبقه) المراد بجعله عليها إعطاؤه المراتب له فى تلك الدرجة من الاجر والثواب والتقرب من غير أن ينقص من حقوقه فيها ، و نرى الاقتدار بنفى النقص دون الزيادة إيماء الى جوازها من باب التفضل وان لم يستحق .

قوله (ولا يتقدم مسبوقة سابقاً) كما أن المسبوق فى المشبه لا يتقدم سابقاً لعدم وسع ذلك ، وللزوم خلاف الفرع كذلك المسبوق فى المشبه لا يتقدم سابقاً فى الكمال والمنزلة والاجر والتقرب لانه تعالى حكيم عدل لا يجوز ، بل يضع كلا فى موضعه .

قوله (تفاضل بذلك أوائل هذه الامة و أواخرها) ذلك اشارة الى السبق و الاوائل والاواخر أما بحسب الدرجات أو بحسب الوجود والازمان كالصحابة والتابعين الى يوم الدين فكما أن فى عصرنا هذا يقع التفاضل بملو الدرجة فى الإيمان والعلم و تعلية النفس عن الرذائل و تعليلتها بالفضائل حتى أن من قدم المفضول على الفاضل ورجحه عليه ، كان رأيه ضعيفاً وعقله خفيفاً كذلك فى أوائل هذه الامة ، و من هذا يظهر أن تقديم المفضل

على المفضل وما فى هذا الباب يؤيده فإن السابق الى الإيمان لابد أن يكون عقله أقوى و مبارجة الوهم له أضنف والا فلا يسبق الى الإيمان والوهم يأمر بحفظ العادات و يخاف من مخالفة الجمهور ولا يجوز ترك ما عليه أكثر الناس ولا يقدم على المخالفة الا من اطمئن بعقله و تجرأ على مخالفة الجمهور ولم يتأثر برأى الاكثريين و ضيف المثل لا يطمئن بصحة رأيه الا اذا رأى المشهور موافقين له هذا بناء على أن يكون المراد السبق بالزمان وأما الانواع

الاخر من السبق فظاهر . (ش)

الامة و أواخرها و لو لم يكن للسابق إلى الايمان فضل على المسبوق إذا للحق آخر هذه الامة أولها. نعم و لتقدم موهم إذا لم يكن لمن سبق إلى الايمان الفضل على من أبطأ عنه ولكن بدرجات الايمان قدّم الله السابقين و بالأبطاء عن الايمان

على على دع، كان باطلا و لعل الغرض الاصلى من هذا الحديث هو التنبيه عليه و ان كان ظاهرة أهم.

قوله (و لو لم يكن للسابق إلى الايمان فضل على المسبوق إذا للحق آخر هذه الامة أولها) أى للحق آخر هذه الامة بحسب درجات الايمان أولها بحسبها فساويهم على الدرجة أو للحق آخر هذه الامة بحسب الازمان كالتابعين ومن بعدهم أول هذه الامة بحسبها كالصحابه من المهاجرين و الانصار ، و ذلك لانه اذا سقط اعتبار السبق لزم التساوى و الاشتراك في الدرجة.

قوله (نعم و لتقدم موهم) و نعم، تصديق لمضمون الشرطية المذكورة و تهديد لشرطية اخرى أفهم من الاولى، و تصديق لمضمونها أيضاً أى اذا لم يكن لمن سبق إلى الايمان الفضل على ما أبطأ عنه لتقدم آخر هذه الامة بحسب ما ذكر أول هذه الامة بحسبه فقوله و لتقدم موهم، جزاء الشرط على تقدير جواز تقديمه، أو دليل على جزائه المحذوف على تقدير عدم جوازه و بناء الشرطية الاولى على عدم تكرار العمل في آخر هذه الامة و بقاء هذه الشرطية على اعتبارها فيهم، و وجه الشرطية أن السبق إلى الايمان اذا لم يكن له مدخل في الترجيح لزم تقدم الآخر مع زيادة العمل و تكرره لاختصاصه بهذه المزية، و اعلم أن المراد بالايمان اما نفس التصديق أو التصديق مع العمل و لكل واحد منهما درجات و منازل بعضها فوق بعض و آخرها غاية الكمال للبشر كمرتبة عين اليقين أو أعلى منها و صرف جميع الجوارح في جميع الاوقات في جميع ما خلقت له ثم المراد بالمسابقة اليه اما المسابقة إلى درجاته و منازلها و طلب الاعلى فالاعلى إلى غايتها و هي بزيادة العلم والعمل، أو المسابقة إلى أسسه و هي السبق الزماني على سبيل منع الخلط، و الاول في الموضعين أولى من الاخير نظراً إلى ظاهر الحديث فمن اجتمع فيه المسابقة بالمعنيين كأمر المؤمنين دع، فهو الكامل مطلقاً و السابق على الاطلاق و من انقضى عنه الامر ان هو الناقص للاحق مطلقاً و من له سبق الزمان إلى الايمان مع انقضاء الزيادة عنهما أو بالعكس فهو السابق و أعلى درجة و أما اذا تعارض الامران بأن يكون لاحدهما سبق الزمان و للاخر زيادة العمل فظاهر هذا الحديث أن السابق زماناً أفضل و أعلى درجة من الآخر، و تخصيص ذلك بالصحابي محتمل لان السابق أعون للنبي من اللاحق و التعميم أظهر و الله أعلم.

قوله (ولكن بدرجات الايمان) لما كان الشرط في التفضيل وهو عدم الفضل للسابق

أخسر الله المقصّرين لأننا نجد من المؤمنين من الآخرين من هو أكثر عملاً من الأولين وأكثرهم صلاةً وصوماً وحجاً وزكاةً وجهاداً وإنفاقاً ولولم يكن سوابق يفضل بها المؤمنون بعضهم بعضاً عند الله لكان الآخرون بكثرة العمل مقدّمين على الأولين ولكن أبى الله عزّ وجلّ أن يدرك آخر درجات الإيمان أولها ويتقدم فيها من أخسر الله أو يؤخر فيها من قدّم الله . قلت : أخبرني عما ندب الله عزّ وجلّ المؤمنين إليه من الاستباق إلى الإيمان ، فقال : قول الله عزّ وجلّ : « سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ

على المسبوق يستلزم لحوق المسبوق به أو تقدمه عليه بالاعتبارين كما أشرنا إليه أشارتنا إلى نفسى التالية فيهما بآيات نقيض الشرط بحكم الله تعالى إذ نقيضه وهو ثبوت الفضل للسابق يستلزم عدم اللحق والتقدم وهو ظاهر .

قوله (لانا نجد من المؤمنين) كأنه بيان للشرطية الثانية و توجيه لمضمونها و حاصله اننا نجد من آخر هذه الأمة من هو أكثر عملاً و عبادة من أولها فلولم يكن للسابق إلى الإيمان والتصديق وأعمال درجاتها المبشّية على اليقين والرضا والعلم والحلم وتخليّة النفس من الرذائل وتحليلتها بالفضائل فضل على المسبوق لكان المسبوق بسبب كثرة العمل وانفاقها متقدماً عليه ، ولكن هذا باطل لان الله عز وجل أبى أن يدرك آخر درجات الإيمان أولها و يلحق صاحب الآخر بصاحب الاول وكذا أبى أن يقدم في درجات الإيمان من أخرا الله أو يؤخر فيها من قدّم الله بل كل في درجته لا يقدم ولا يؤخر فقوله ولكن أبى الله ، اشارة إلى بطلان التالى تأكيداً لما مر ، و فيه سر لا يخفى وهو أنه اذا كان اللاحق في الإيمان مع كثرة العمل غير لاحق بالسابق إليه ولا مقدم عليه مع قلة عمله كان تقديم العاصب الاول المتفعل لاسم الخلافة مع تأخره في الإيمان على تقدير تسليم إيمانه ، ومع قلة عمله على العالم الربانى والمؤمن الواحدانى على بن أبى طالب (ع) مع تقدمه إلى الإيمان وسبقه إلى أعلى مراتبه و كثرة عمله باتفاق الخاصة والعامة باطلاً بالضرورة .

قوله (قلت أخبرني عما ندب الله عز وجل) لما دل كلامه (ع) ، ما بقا على أنه تعالى طلب منهم الاستباق إلى الإيمان و دعاهم إليه سألته الزبيرى عن موضع من القرآن يدل عليه قوله (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ) أى سارعوا مسارعة السابقين في المضمار إلى سبب مغفرة من ربكم من الاعمال الصالحة الموافقة لمقتضى اللواميس الالهية والكمالات النفسانية ، و أعظم تلك الاعمال هو الإيمان الكامل البالغ إلى النهاية المتوقف على

ورسله و قال : والسابقون السابقون ، أولئك المقربون » و قال : « والسابقون

جميع الكمالات النفسانية .

قوله (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) قال الفاضل الإردبيلي كنى بالعرض من مطلق المقدار و هو متعارف و نقل على ذلك الاشارة في جميع البيان وأنه لما علم أن عرضه الذي هو أقل من الطول عرفاً في غير المتساوي علم أن طوله أيضاً يكون اما أكثر أو مثله ، وقال القاضي ذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريق التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس أنها كسبع سموات و سبع أرضين لو وصل بعضها ببعض و ظهر الآية وجوب المساعدة أو رجحانها الى الطاعة الموجبة للدخول في الجنة وأظمها الايمان بالله و كتبه ورسله واليوم الآخر والترقى الى مقاماته العالية .

قوله (أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) ظاهر هذه الآية و غيرها من الآيات والروايات أن الجنة مخلوقة الآن وكذا النار قال الفاضل المذكور : وقال به الأصحاب و صرح به الشيخ المفيد في بعض رسائله وقال أن الجنة مخلوقة مسكونة سكنتها الملائكة و ظاهر الآية أنها في السماء والظاهر أن المراد به أنه يكون بعضها في السماء ويكون البعض الآخر فوقها أو يكون أبوابها فيها أو فوق الكل وما ذكره الحكماء من أن السماء لا تقبل المحرق والالتيام وأن فوقها لا خلاء ولا ملأه ، غير مسموع شرعاً (١) و هو ظاهر كما قيل أن النار

(١) قوله وما ذكره الحكماء غير مسموع شرعاً ما ذكره الحكماء يعني امتناع المحرق على الفلك مما لم يدل عليه دليل عقلى ولم يبينوه ببرهان تلميعي كما هو دأبهم في الفلكيات اعترف بذلك المنصفون منهم و صرحوا بأن الدليل خاص بمحددة الجهات و على فرض صحته فلا يوجب عبور الملائكة الاجسام الاخرية خرقاً كما لا يوجب دخول الملائكة في القبور نهياً و في البهوت خراب الجدار ، والبحث السخى أورده المشرح بحث طويل جداً لا يمكن حق ادائه في هذا الموضع ولا يناسب فيه الاشارة مختصرة فنقول اولاً الحق أن الجنة والنار موجودتان فعلاً و ان خالف فيه جماعة من المسلمين وربما ينسب الى السيد الرضى رضي الله عنه ، وثانياً بناء على وجودهما فعلاً فالحق أن مكان الجنة في السموات أو فوقها ومكان النار تحت الأرض أو تحت البحر ، ثالثاً أن أحكام الاجسام الدنيوية المبنية على التجريبات والمعادات غير جارية في الاجسام الاخرية ولا يجوز التشكيك في وجود الجنة والنار أو في مكانهما بعدم امكان جريان أحكام الاجسام الدنيوية عليها ، لان التجزية خاصة بالدنيوية منها مثلاً اذا قيل كيف يرتفع الصلحاء من الأرض و كيف يصعدون الى السماء يوم القيامة ولم يرد في رواية أو آية ذكر صعودهم وآلة صعودهم وان الابدان مائلة الى الأرض لجاذبيتها و أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيراً من خواص أصحابه و الأئمة عليهم السلام رأوا أهل الجنة في الجنة و أهل النار في النار مع هذه

الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا

تحت الأرض فتكون الآية دليلاً على بطلان ما قالوه انتهى كلامه أعلى الله مقامه ، و قال القاضي فيه دلالة على أن الجنة مخلوقة وأنها خارجة عن هذا العالم (١) و ذهب جماعة من المعتزلة إلى أنها مخلوقة وأنها خارجة عن هذا العالم، وذهب جماعة من المعتزلة إلى أنها غير مخلوقة وإنما تخلقان يوم القيامة.

قوله (و قال السابقون) السابقون مبتدأ و خبر أي السابقون إلى مادعاهم إليه من التوحيد والإيمان والإخلاص والطاعة هم السابقون إلى المقامات العلية والدرجات الرفيعة أو السابقون ذلك هم السابقون الذين عرفت حالهم وبذلك وصفهم ، و يكون تعريف الخبر للمبالغة والإشارة إلى ما هو معلوم لك ، و هذا بحسب الظاهر خبر ، و بحسب المعنى حث على المسابقة إلى ما ذكر.

قوله (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) قال المفسرون : السابقون الأولون من المهاجرين هم الذين صلوا إلى القبلتين أو شهدوا بدرأ أو أسلموا قبل الهجرة ومن الأنصار أهل بيعة العقبة الأولى و كانوا سبعة نفر و أهل بيعة العقبة الثانية ، و كانوا سبعين، و قال الفاضل النيشابوري : الظاهر أن الآية عامة في كل من سبق بالهجرة والنصرة، و قال أكثر العلماء كلمة «من» للتبويض و إنما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لأنهم آمنوا و في عدد المسلمين قلة وفيهم ضعف فقوى الإسلام بسببهم، و كثر عدد المسلمين و اقتدى بهم غيرهم، و قيل للتبيين فيتناول المدح جميع الصحابة.

قوله (والذين اتبعوهم بإحسان) قال صاحب الكشاف والنيشابوري هم الذين آمنوا حين قدم عليهم أبوذرارة مصعب بن عمير فسلمهم القرآن وقال القاضي : هم اللاحقون بالسابقين أو

المسافة البعيدة بين الأرض إلى السموات و حيلولة الأرض بين الأنصار و بين جهنم و كيف يفتح من الجنة التي في السماء باب إلى قبور الصالحين وكيف يرى ذلك صاحب القبر مع كونه ميتاً ولا يراه الناس مع كونهم أحياء و أمثال ذلك كثيرة مما دما المعتزلة إلى إنكار أصل وجودهما فعلاً وما ينفرد عليه.

وجواب ذلك وأمثاله إن حكم الآخرة غير حكم الدنيا فإنه عالم آخر لا يقاس ما فيه بما في هذا العالم ولا يستنح هناك الاتصال من بهمد والرؤية مع الفاصلة والعبور من الموانع و الحواجب المنعوية كما يدخل الملائكة في القبور بفريش و تجوز الألاك بدير خرق وفي بيت لا خرق فيه لقبض روح المحمورين فيه و لتسهيل ذلك مجال واسع في موضعه إن شاء الله. (ش)
(١) قوله و أنها خارجة عن هذا العالم ، لأن الجنة أو سع من عالم الأجسام بماواتها و أرضها لأن أرضها السموات والأرض فكيف يكون في موضع منه. (ش)

عنه، فبدأ بالمهاجرين الأولين على درجة سبقهم، ثم ثنى بالأَنْصار ثم ثلث بالتابعين لهم بإحسان، فوضع كل قوم على قدر درجاتهم و منازلهم عنده، ثم ذكر ما فضل الله عز وجل به أوليائه بعضهم على بعض، فقال عز وجل: «تلك الرُّسُلُ فضَّلنا بعضهم على بعض منهم من كَلَّمَ الله و رفع بعضهم فوق بعض درجات - إلى آخر الآية -» وقال: «ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض»، وقال: «انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخره أكبر درجات و أكبر تفضيلاً» وقال: «هم درجات عند الله» وقال: «ويؤت كل ذي فضل فضله»، وقال: «الذين آمنوا و هاجروا

من اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة.

قوله (ثم ذكر ما فضل الله عز وجل به أوليائه) بعد ما فرغ من ذكر آيات دلت على الدعاء إلى الاستباق ذكر آيات دلت على ما يقرب عليه من التفضيل و أعلاه الدرجة. قوله (تلك الرُّسُلُ) في الكشف تلك إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في سورة أُو التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله (و رفع بعضهم فوق بعض درجات) في الكشف أي منهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل ارفع منهم بدرجات كثيرة، والظاهر أنه أراد محمداً صلى الله عليه وسلم لأنه هو المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤت أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر ولولم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلاً منيفاً على سائر ما أوتي الانبياء لأنه المعجزة الباقية على وجه السدھر دون سائر المعجزات، وفي هذا الإيهام من تفخيم فضله و أعلاه قدره ما لا يخفى لصا فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يمتدح والتميز الذي لا يلبس.

قوله (هم درجات) أي ذوو درجات متفاوتة بعضها فوق بعض.

قوله (و يؤت كل ذي فضل فضله) فوجب بحسب هذه الصادق أن يضع كل ذي فضل في منزلته و درجته فدرجة الفاضل أرفع من درجة غيره و درجة الأفضل أعلى من درجة المفضول، و درجة السابق إلى الإيمان أشرف و أرفع من درجة المسبوق و قد رداً الله عز شأنه بهذه الآية و أمثالها على من علم أنه سيزعم جواز تفضيل المفضول على الأفضل بل الجاهل على الفاضل، و من زعم أن الأفضلية باختيار الزيادة في الثواب و أعلاه الدرجة في الآخرة لا باعتبار السبق والكمال في الإيمان والزيادة في العمل ثمالي ولم يدر أن الزيادة في الثواب والدرجة إنما هي بالاعتبار المذكور، والالزم الكذب بالوعد والوعد بطلان الكتاب

وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم و أنفُسهم أعظم درجة عند الله ، و قال : و فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا ٥ درجات منه و مغفرة و رحمة ، و قال :

والشرعة تعود بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ،

قوله (و قال الذين آمنوا و هاجروا) أي قال الذين آمنوا بالله و رسوله و اليوم الآخر إيماناً لا يقو به شك و هاجروا إلى الرسول و هادفوا الاوطان و تركوا الاقارب و الجيران و طلبوا مرضات الله و جاهدوا في سبيل الله بصرف أموالهم و رفع أنفُسهم إلى الله و دفع هواها أعظم درجة عند الله ممن لم يتصف بالصفات المذكورة لازالة طمعهم من الحياة الدنيوية ، و بذل أرواحهم القدسية طلباً للحياة الآخروية ، و صرف همّهم العالية لاعلاء كلمة الحق و تنويع الدين ، فلذلك سادوا أعظم درجة عند رب العالمين ، والله لا يضيع أجر المحسنين و من هذا يظهر أن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه أعظم درجة من جميع الصحابة لانه آمن و هاجر و جاهد حين قُتلوا و فُردوا كما يظهر بالنظر في حاله و حالهم في حرب حنين و أحد و خيبر و غيرها من الحروب .

قوله (و قال فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا درجات منه و مغفرة و رحمة) أجرًا مفعول ثانٍ لفضل باعتبار تضمنه معنى الاخطاء كأنه قيل و أخطاهم زيادة على القاعدين أجرًا عظيمًا ، و كل واحدة من درجات منه و مغفرة و رحمة بدل من أجرًا ، و يجوز أن تكون منسوبة إلى المصدر لان فضل بمعنى أجر كأنه قيل : و أجرهم زيادة على القاعدين أجرًا عظيمًا ، و البديل بحالته ، و يجوز أيضاً أن ينصب درجات بنزع الجائز أي بدرجات أو على المصدر لانها تدل على التفضيل فكأنه قيل : فضلهم تفضيلات كقولك ضربته أسواطاً أي ضربات لان الاسواط تدل على الضربات و حينئذ ينصب أجرًا على أنه حال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ، و مغفرة و رحمة على المصدر باعتبار فعلهما أي ففعلهم مغفرة و رحمة ، كذا ذكره المفسرون ، و ههنا شبهتان لا بأس أن نشر اليه الأولى أن النيشابوري قال في تفسيره : استدل الشيعة ههنا بأن علياً دعه أفضل من غيره من الصحابة لانه بالنسبة اليهم مجاهدوهم بالاضافة اليه قاعدون لما اشتهر من وقايمة و اقدامه و شجاعته و حمايته ، و أجاب أهل السنة بأن جهاد أبي بكر بالدعوة إلى الدين و هو الجهاد الأكبر حين كان الاسلام شميخاً و الاحتياج إلى المدد شديداً و انما جهاد علي دعه ظهر بالمدينة في الفزوات و كان الاسلام في ذلك الوقت قوياً و الحق أن الآية لا تدل الا على تفضيل المجاهدين على القاعدين أما على تفضيل المجاهدين بعضهم على بعض فلا انتهى ، أقول هذا المجيب اعترف بأن علياً دعه ، فسي الفزوات سابق على أبي بكر و غيره و سبقه دعه في العلم و العمل و الزهد أشهر من أن

« لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا » وقال : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » وقال : « ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يعطون موطأ

ينكره أحد من المعاندين ، وأما ما ذكره من جهاد أبي بكر في الدين حين كان ضعيفاً فلا أثر له ، وأى جهاد كان له لم يكن لعلى وع مع أن دعوتهم إلى الدين وارشاد الصحابة أجمعين وارجاع الثلاثة كثيراً عن الباطل إلى الحق المبين أشهر من أن يخفى وأكثر من أن يحصى ، والثاني أن فاضلاً من الشبهة كان في مجلس حاكم من أهل السنة وكان فيه أيضاً عالم ذو ذنب (١) فذكر ذو ذنب أن عائشة كانت أفضل من فاطمة عليها السلام ، فقال الحاكم لذلك الفاضل : ما تقول ؟ فقال : أيها الأمير أنا أقول في شأنها ما قال الله تعالى وقرأ هذه الآية رمزاً إلى الحق وإشارة إلى ارتدادها بخروجها على علي وع فضحك الحاكم بمعرفة قصده وخاطب ذا الذنب فقال ما تقول ؟ فبهت الذي كفر .

قوله (و قال لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح) إذافاق الأموال في سبيل الله والمقاتلة من قبل الفتح أعظم وأشرف وأسبق وأشق على النفس منهما من بعد الفتح لوقوعهما عند ضعف الاسلام وقوة الكفر وكثرة الندو و شدة شوكتهم فلذلك صار سبباً لرفع درجات السابقين وعظمتها .

قوله (والذين أوتوا العلم درجات) قيل المراد الرفعة في مجلس النبي وهو المناسب للمقام والمشهور الرفعة في درجات ثواب الآخرة .

قوله (وقال ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ) ذلك إشارة إلى وجوب الجهاد المنهوم من

(١) قوله «عالم ذو ذنب» كأنه كان ناسبياً يعمر به أمراره على تفضيل عائشة وأكثرهم على تفضيل فاطمة قال السهيلي وهو من أعظم علماء أهل السنة يذكر عن أبي بكر بن داود أنه سئل أعاشه أفضل أم خديجة ؟ فقال : عائشة أقرها رسول الله (ص) السلام من جبريل وخديجة أقرها جبريل السلام من ربها على لسان محمد وع في أفضل ، قبل له : فمن أفضل أم خديجة أم فاطمة ؟ فقال : إن رسول الله (ص) قال : أن فاطمة بضعة مني فلا يدل بضعة من رسول الله أحداً ، قال السهيلي : وهذا استقرار حسن ويشهد لصحة هذا الاستقرار أن أبا لبابة حين ارتبط نفسه وحلف أن لا يحل له الرسول الله (ص) فجاءت فاطمة لتحمله فأبى من أجل اسمه فقال رسول الله (ص) : إنما فاطمة بضعة مني فحلته قال : ويدل على تفضيل فاطمة قوله وع لها أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة الأمريم فدخل في هذا الحديث أمهما وأخوانها وقد تكلم الناس في المعنى الذي به سادت به فاطمة غيرها إلى آخر ما قال . (ش)

يعبث الكفار ولا يبالون من عدو نيلاً : إلا كتب لهم به عمل صالح » وقال : « وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله » وقال : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » فهذا ذكر درجات الايمان و منازلها عند الله عز وجل .

(باب)

❖ (درجات الايمان) ❖

١- عذرة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن الحسن بن محبوب ، عن عمارة بن أبي الأحوص ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل وضع الايمان على سبعة أسهم على البر والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم ، ثم

الاية السابقة والمنع من التخلف عنه وما بعده بحث عليه ويجرى مجرى المنع من التخلف وانظروا هذه المطبوعات والنصب الامياء والنصب والجمعة المجاعة الشديدة والموتى امام اسم مكان أو مصدر ، والضمير في دنيته عائد الى الوطى وفيه دلالة على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسناً تكتب في ديوان عمله .

قوله (وما تقدموا لأنفسكم من خير) فيه حث على الخير وترغيب فيه والمراد به الانفاق أو الامم .

قوله (وما تقدموا لأنفسكم من خير) يدل على أن عمل الخير سبب لتلويح الدرجة ورفع المنزلة ، وعمل الشر خلاف ذلك ففيه ترغيب في الخير وتنبه من الشر .

قوله (إن الله عز وجل وضع الايمان على سبعة أسهم) هذه الاسهم كلها من أفعال القلب (١) وصفاته الا النادر منها . الاول البرأي الاحسان الى نفسه بفعل الواجبات وترك المنهيات ، والى الوالدين والأقربين والأخوان المؤمنين ، وقد روى عن أبي عبد الله عليه السلام ،

(١) قوله هذه الاسهم كلها من أفعال القلب ومن مراتب السلوك في اصطلاح العرفاء وهو حركة للسانية من النفس الى الكمال الانساني وقد تكلم فيها العلماء بهذا الشأن ومن أحسن ما صنّف فيه كتاب أوصاف الاشراف للمحقق الطوسي الذي أشار اليه المصنف ، وأعلم أن تلك المراتب غير متناهية من جهة التقسيم كما امر الحركات كما أن السير في المسافة ينقسم الى الفراسخ والاميال والاذرع والاصابع وباعتبار كل تقسيم يختلف عدد الاقسام فان قسمنا مسافة بالفراسخ وحصل عشرة اقسام مثلاً كانت بالاميال ثلاثين قسماً وبالاذرع مائة وعشرين بالذراع والمسافة واحدة كذلك السير الى الكمال الالهي ينقسم باقسام يختلف باعتبارات وقديماً منها

أنه قال: ومن خالص الايمان البر بالاخوان: الثاني: الصدق وهو القول المطابق للمواقع كما هو المشهور وينشأ من استقامة اللسان واعتداله في البيان ويطلق أيضاً على قول القلب والجوارح المطابقتين للقوانين المدلية والموازن الشرعية منه والصدق هو من حصل له ملكة الصدق في جميع هذه الامور ولا يصد منه خلاف المطلوب عقلاً أو نقلاً، كما صرح به المحقق الطوسي في أوصاف الاشراف. الثالث: اليقين وهو الحالة التي تحصل للانسان عند كمال قوته النظرية كما ان التقوى هي الحالة التي تحصل له عند كمال قوته العملية و بعبارة اخرى هو الاعتقاد

بما لا يطابق السمع وأشار إليه الشاعر،

هفت شهر عشق را عطار گشت

ماهنود اندر خم يك كوچه ايم

وضبطها المحقق الطوسي في ستة أقسام ثم قسم كل قسم الى ستة، وقسم مولانا الصادق (ع) في هذا الحديث الى سبعة أقسام، وفي حديث الى عشرة، وفي حديث آخر سيأتي ان شاء الله تعالى أيضاً الى سبعة، وكل قسم منها الى سبعة فصارت تسعة وأربعين، ثم قسم كل منها الى عشرة وللتناس فيما يشقون مذاهب وكلها صحيح والاولى بنساختها اصطلاح الامام (ع) ووجه الترتيب أن الانسان في مبدء السلوك لا يمكن أن يكون راعياً في الشر مراعياً في النقي عرساً من الخير لان من هذه صفته لا يتصور في حقه التوجه الى الكمال التقماني فأول المراتب البر ولما كان البر ذا درجات أولها أن يكون معتقداً الحسن الحسن وقبح القبيح ومعد ذلك يرتكب القبايح مسامحة وغفلة وغروراً كما نرى من كثير من الفساق المعترفين بقبح فعلهم وهؤلاء لا يمدى فعلهم قولهم فتأسي المراتب الصدق، ثم من صدق قوله فعلة قد لا يكون ايمانه خالياً عن شوائب الوهم، ولم يكن له محض اليقين بحيث يثبت على الحركة على ما يأتي شرحه ان شاء الله في درجات الايمان و ثالث المراتب لمزيد الكمال اليقين، ولما لم يكن اليقين بنفسه محركاً للانسان الا بالرضا كما أن العلم بالنافع لا يوجب الحركة اليه الا اذا اشتاق فرب عالم ينفع التجارة لا يتجر لعدم شوقه ورب مشفق بالجنة لا يعبد الله لعدم شوقه لذلك كان الرضا رابعاً والوفاء بعد الرضا بمنزلة تحريك المضلات بعد الشوق ثم هبر دع، مما ينبغي لسالك بعد الوفاء بالشروط، بالعلم والحلم وهو العلم المفيد في الآخرة وهو المعرفة بالله تعالى وصفاته وأسمائه وأفعاله بما يسمى عندهم بالفناء أوله العلم و آخره الحلم وهذا وجه قريب الاحتمال في ضبط الاسهم السبعة والله العالم بحقيقة كلام وليه و كل كلام من هذا الجنس في أخبار الأئمة عليهم السلام ورد مجملاً ولم يرد فيه شرح يجوز للمقول التدبر فيها و أبدأ أقرب الاحتمالات فيه والا كان ذكرهم شيئاً تعالى أولياء الله عن العبث. (ش)

قسم ذلك بين الناس ، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل ، محتمل ، و قسم لبعض الناس السهم و لبعض السهمين و لبعض الثلاثة حتى انتهوا إلى [السبعة

الاجازم المطابق الثابت الذى لا يمكن زواله وهو فى الحقيقة مؤلف من علمين العلم بشئ و العلم بأنه لا يمكن خلاف ذلك العلم ، وله مراتب مذكورة فى القرآن علم اليقين و عيّن اليقين و حق اليقين ، قال الله تعالى ولو تعلمون علم اليقين لثرون الجحيم ثم لثرونها عيّن اليقين ، وقال هو نسلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين و هذه المراتب مترتبة فى الفضل و الكمال مثلاً العلم بالنار بتوسط النور أو الدخان هو علم اليقين و العلم بها بمعاينة جرمها المفيض للنور عين اليقين و العلم بها بالوفاة فيها ومعرفة كينيتها التى لا تظهر بالتعبير حق اليقين ، و بالجملة علم اليقين يحصل بالبرهان ، وعين اليقين بالكشف ، وحق اليقين بالاتصال المعنوى الذى لا يدرك بالتعبير ، الرابع الرضاء بقضاء الله فى النفس و المال و الولد حلواً كان ام مرأ ، الخامس الوفاء بعهده و هو ما عتدوه على أنفسهم من الشهادة برؤيته حين اشهدهم على أنفسهم ألتست بربكم قالوا بلى أوالاعم منه و من الوفاء بالرسالة و الولاية و التكليف و عهدود الناس و شروطهم الجائزة ، السادس العلم بالاحكام الدينية و الشرايع النبوية و الاخلاق النفسية ، و بالجملة المراد به البصيرة القلبية فى أمر الدين و هى التى توجب استيلاء الخوف و الخشية على القلب كما قال جل شأنه و انما يعشى الله من عباده العلماء السابع الحلم وهو هيئة حاصلة للنفس من الاعتدال فى القوة النفسية مائعة لها من الانفعال بسهولة عن السواردات المكروهة المؤذية التى من شأنها تحريك النفس الى الانتقام و النسلط و الترفع و الغلبة و بالجملة هو صفة يوجب سكون النفس و تأنيها عند هيجان الغضب ،

قوله (فهو كامل محتمل) ليلوغ ايمانه حد الكمال واحتماله جميع سهامه وانجائه.

قوله (ثم قال: لا تحملوا على صاحب السهم سهمين) كما أن القوة الجسمانية يتفاوت

فى أفراد الانسان حتى يقدر أحد بحمل من والاخر بحمل اثنين والثالث بحمل ثلاثة و هكذا ، و كذلك القوة الروحانية فتكلف الأدنى حين كونه أدنى بما كلف به الأعلى تكليفهما لا يطاق ، والثواب والمعقاب ليسا بمساويين كما روى و انما يداق الله العباد فى الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول فى الدنيا نعم على الأعلى أن ينزل الأدنى الى درجته بالتعليم والرفق والوعظ كما سيجىء عن أبى عبدالله (ع) قال واذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه اليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره ، و على الأدنى أن ينضرع الى الله عز وجل فى المسألة بان يكمله و يوفقه المترقى الى درجة أعلى من درجته كما مر فى

ثم قال : لاتحملوا على صاحب السهم سهمين ولا على صاحب السهمين ثلاثة فتهبضوهم ،
ثم قال : كذلك حتى ينتهي إلى [ال] سبعة .

٢- أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار و محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى جميعاً ، عن ابن فضال عن الحسن بن الجهم ، عن أبي اليقظان ، عن يعقوب ابن الضحاك عن رجل من أصحابنا سرّاج و كان خادماً لأبي عبد الله عليه السلام قال : بعثني أبو عبد الله عليه السلام في حاجة و هو بالحيرة أنا و جماعة من مواليه قال : فانطلقنا فيها ثم رجعنا مفتمين قال : و كان فراشي في الحائر الذي كنا فيه نزولاً ، فجئت و أنا بحال فرميت بنفسي فبينما أنا كذلك إذ أنا بأبي عبد الله عليه السلام قد أقبل قال : فقال : قد أتيناك أو قال : جئناك ، فاستويت جالساً و جلس على صدر فراشي فسألني عما بعثني له فأخبرته ، فحمد الله ثم جرى ذكر قوم فقلت : جعلت فداك إننا نبرأ منهم ، إنهم لا يقولون ما نقول . قال : فقال : يقولون ما تقولون تبرؤون منهم ؟ قال : قلت : نعم قال : فهو ذاعندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم ؟ قال : قلت :

كتاب العقل ، و من ههنا ظهر أن القسمة المذكورة لا توجب الفلج لان المطلوب من كل أحد ما يقتضيه قسمة و نصيبه وأن كل ذي قسم قابل للدرجة الفوقانية اما في نفس الامر أو في ظنه و تجويزه و ان بناء الكمال على التدرج والتعلم والطلب منه تعالى ، و فيه دلالة على أن الرجل بعد تحصيل أصل الايمان لو قصر في كماله لقصور في القوة العقلية أو القوة العملية لا يمد مقصراً ولا يؤخذ عليه والله أعلم .

قوله (فتهبضوهم) بهضم الحاء بيهضه بالضاد أى أثقله و أعجزه و بالفاء أكثر .
قوله (و هو بالحيرة) الحيرة بالكسر مدينة كان يسكنها النعمان بن المنذر وهي على رأس ميل من الكوفة .

قوله (مفتمين) بالعين المعجمة وفي بعض النسخ معتمين ، بالعين المهملة قبل أى داخلين وقت العتمة .

قوله (و كان فراشي في الحائر) الحائر المكان المطشّن والبستان كالبحر و كرهلا .

قوله (و أنا بحال) أى من الضعف والكلال .

قوله (انهم لا يقولون ما نقول) من الفضائل أو من المسائل أو من الاعمال الصالحة التي يقولها أصحاب العرفان و يعملها أرباب الايقان ، لامن اصول العقائد .

لا - جعلت فداك - قال : و هو ذا عند الله ما ليس عندنا افترأه أطرحنا ؟ قال : قلت :
 لا والله جعلت فداك ، ما تفعل ؟ قال : فتوكلوهم ولا تبرؤوا منهم ، إن من المسلمين من
 له سهم * ومنهم من له سهمان ، ومنهم له ثلاثة أسهم ، ومنهم من له أربعة أسهم ، ومنهم
 من له خمسة أسهم ، ومنهم من له ستة أسهم ، ومنهم من له سبعة أسهم ، فليس ينبغي
 أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين ، ولا صاحب السهمين على ما عليه
 صاحب الثلاثة ، ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة ، ولا صاحب الأربعة على ما
 عليه صاحب الخمسة ، ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستة ، ولا صاحب الستة على
 ما عليه صاحب السبعة ، وسأ ضرب لك مثلاً إن رجلاً كان له جار * و كان نصرانياً
 فدعاه إلى الإسلام و زينته له فأجابه فأتاه سحيراً ففزع عليه الباب فقال له : من
 هذا ؟ قال : أنا فلان قال : و ما حاجتك ؟ فقال : توضعاً و البس ثوبيك و مر بنا
 إلى الصلاة قال : فتوضعاً و لبس ثوبيه و خرج معه ، قال : فصلياً ما شاء الله ثم صلوا
 الفجر ، ثم مكثا حتى أصبحا ، فقام الذي كان نصرانياً يريد منزله ، فقال له الرجل
 أين تذهب ؟ النهار قصير والذى بينك و بين الظهر قليل ؟ قال : فجلس معه إلى أن
 صلى الظهر ، ثم قال : و ما بين الظهر والعصر قليل فاحتبسه حتى صلى العصر .

قوله (ما تفعل) لما رجع السائل بالمقدمات المذكورة عن الجهل المركب و هو
 القطع بالبراءة منهم إلى الجهل البسيط ، استفهم عما يلزمه من التوسط بين التولي والتبري أو التولي
 بقوله ما تفعل على سبعة المتكلم ، والحاصل أن الاحتمالات ثلاثة التولي والتبري والسكوت ،
 ولما بطل التبري استفهم عن أحد الآخرين فأجاب وع ، بأن اللازم عليكم هو التولي ، وفي
 بعض النسخ ما يفعل ، بالياء و هو حينئذ من تنمة السابق ، و ما ، نافية و الفاعل
 ضمير عائد إلى الله .

قوله (فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين) كل من
 القوة المبلية والقوة العقلية أما في مرتبة النقص أو في مرتبة الكمال أو الأولى في مرتبة
 النقص و الثانية في مرتبة الكمال أو بالعكس ، فالاحتمالات باعتبار التوتين أربعة
 ولا ينبغي أن يحمل الناقص على ما عليه الكامل بل ينبغي أن يراعى التوسط في كل مرتبة
 كما يظهر من المثل .

قوله (ثم صلوا الفجر ثم مكثا حتى أصبحا) يمكن أن يراد بالفجر الفريضة و

قال : ثم قام و أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له : إن هذا آخر النهار وأقل من أوئله فاحتسبه حتى صلى المغرب ثم أراد أن ينصرف إلى منزله فقال له : إنما بقيت صلاة واحدة قال : فمكث حتى صلى العشاء الآخرة ثم تفرقا فلما كان سحيراً غدا عليه ف ضرب عليه الباب فقال : من هذا ؟ قال : أنا فلان ، قال : وما حاجتك ؟ قال : توضأ والبس ثوبيك و اخرج بنا فصل ، قال : أطلب لهذا الدأين من هو أفرغ مني و أنا إنسان مسكين و عليّ عيال ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : أدخله في شيء أخرجه منه . أو قال : أدخله من مثله و أخرجه من مثل هذا .

(باب آخر منه)

١- أحمد بن محمد ، عن الحسن بن موسى ، عن أحمد بن عمر ، عن يحيى بن أسان عن شهاب قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : لو علم الناس كيف خلق الله تبارك و تعالى هذا المخلوق لم يلم أحدٌ أحداً . فقلت : أصلحك الله فكيف ذاك ؟

بالصباح الدخول في الصبح المعنى الكامل الثور و أن يراد به النافلة مع الحذف أي حتى أصبحا وصليا الفريضة .

قوله (أدخله في شيء أخرجه منه) لا يخفى أن هذه العبارة ذات وجهين لأن الشيء يحتمل الاسلام و النصرانية .

قوله (لو علم الناس كيف خلق الله تبارك و تعالى هذا المخلوق لم يلم أحدٌ أحداً) عدم اللوم باعتبار تصور في القوة النظرية أو في القوة العملية ظاهر و لذلك لا يلام شارب الخمر مثلا لو ادعى عدم العلم بحرمته و أمكن في حقه و لامن أنكر شيئا مما جاء به النبي و ص . إذا لم يبلغه بل اللازم عليه حينئذ هو الارشاد و التعليم برفق و الحاق الناقص بالتكامل ، كما دل عليه الثاني من هذا الباب . و أما إذا كانت القوتان كاملتين فإن علم مثلا و جهوب شيء و قدر على فعله و تركه فانه يلام قطعاً و منه يظهر الجمع بين الروايات الدالة على اللوم و عدمه فليتأمل .

قوله (أن الله تبارك و تعالى خلق اجزاء بلغ بها تسعة و أربعين جزءاً) (١) كان

(١) قوله و بلغ بها تسعة و أربعين جزءاً ، حاصلة من ضرب سبعة في نفسها فكانه قسم المراتب أولا إلى سبعة ثم كل قسم إلى سبعة نظير ما مر من المحقق الطوسي و ر . حيث قسم أولا إلى ستة أقسام و كل قسم إلى ستة . (ش)

فقال : إن الله تبارك و تعالي خلق أجزاء بلغ بها تسعة و أربعين جزءاً ، ثم جعل الأجزاء أعشاراً فجعل الجزء عشرة أعشار ، ثم قسمه بين الخلق فجعل في رجل عشر جزء و في آخر عشري جزء حتى بلغ به جزءاً تاماً و في آخر جزءاً أو عشر جزء و آخر جزءاً و عشري جزء و آخر جزءاً و ثلاثة أعشار جزء حتى بلغ به جزئين تامين ، ثم بحساب ذلك حتى بلغ بأرفعهم تسعة و أربعين جزءاً ، فمن لم يجعل فيه إلا عشر جزء لم يقدر على أن يكون مثل صاحب العشريين و كذلك صاحب العشرين لا يكون مثل صاحب الثلاثة الأعشار و كذلك من تم له جزء لا يقدر على أن يكون مثل صاحب الجزئين ولو علم الناس أن الله عز وجل خلق هذا الخلق على هذا لم يلم أحداً أحداً .

٢ - محمد بن يحيى ، عن محمد بن أحمد ، عن بعض أصحابه ، عن الحسن بن علي بن أبي عثمان ، عن محمد بن عثمان ، عن محمد بن حماد الخزّاز ، عن عبد العزيز القراطيسي قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا عبد العزيز إن الإيمان عشر درجات

المراد بها العقل و ما يتبعه من قوة الأعمال و الأخلاق كالنواك و الرهد و الورع و اليقين و الرضا و غيرها من الصفات الإنسانية ، فإنها تبلغ تسعة و أربعين ، ثم جعل تلك الأجزاء أعشاراً بأن جعل التوكل عشرة أجزاء ، و قوة العمل عشرة أجزاء ، و قوة البصر كذلك و هكذا ، و الحاصل أنه قدر عمل البصر و السمع و اللسان و الرجل و اليد و عمل القلب أعنى التصديق و الأخلاق أعشاراً ، و يؤيد قوله «ع» في آخر الباب د و بعضهم أكثر صلاة من بعض و بعضهم أفد بصر من بعض و هي الدرجات .

قوله (فجعل الجزء عشرة أعشار ثم قسمه بين الخلق) أي جعل كل جزء عشرة أجزاء فبلغ المجموع أربعين جزءاً ، و العال كالتجميع هو الكامل مطلقاً و الناقص هو الناقص مطلقاً و ما بينهما كامل و ناقص بالإضافة و الناس بعد تفاوتهم بهذه المراتب متشاركون في أصل القوة التكليفية و القدرة و اللوم باعتبار هذه القوة و القدرة و ابطال استعدادهما و صرفهما في غير الجهات المشروعة لا باعتبار ما هو فوق طاقتهما .

قوله (أن الإيمان عشر درجات) (١) يجوز أن يراد بالإيمان هنا التصديق و

(١) قوله و الإيمان عشر درجات لا ينافي ذلك تسبيح الأقسام أو جعلها تسعة و أربعين على ما ذكرنا ، و أما اختلاف الناس في درجاتهم و التكلم معهم على قدر عقولهم و عدم جواز

بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة فلا يقولن صاحب الاثني لصاحب الواحد لست على شيء حتى ينتهي إلى العاشرة فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق

الايمان الكامل المركب منه و من العمل والاجزاء الاصلية المذكورة التي جعل كل واحد عشرة أجزاء .

قوله (و إذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق) ينبغي لأرباب الكمال و اهل الصحة والسلامة أن يرحموا أهل النقص و أرباب الذنوب بانقاذهم و اعانتهم على الخروج منهما بالرفق واللين تدريجاً لان ذلك دأب الانبياء والعلماء العالمين بكيفية التعليم والفهم، و في قوله «فارفعه إليك» دلالة واضحة على أن القيام على الدرجة الاولى ليس من باب الحتم والحصر بل هو قابل للترقي الى الاعلى فالاعلى حتى يبلغ غاية ما يمكن له من الكمال. لا يقال المخبر السابق دل على أن صاحب عشر جزء لا يقدر أن يكون مثل صاحب العشرين فكيف يؤمر صاحب العشرين بأن يرفعه الى درجته برفق ؟ لاننا نقول لكل

محمل أحد على شيء لا يقدر فهو مما لا يخفى على المزاويل لهذه الامور كالتدريس والسوخط ووصى به الحكماء أيضاً في علومهم التي لا يستلزم الخطأ فيها سوء العاقبة فكيف في علم الدين الذي لانجاء للمضال فيه بدأ. قال الشيخ أبو علي بن سينا في آخر الاشارات القمق الحکم في لطائف الكلم فسنه عن الجاهلين والمبتدئين و من لم يردق الفطنة الوقادة والدربة والمادة و كان صفاء مع المفاغة او كان من ملحدة هؤلاء المتفلسفة ومن همجهم انتهى.

و مما أوصى به افلاطون أن لا يتصدى أحد للفلسفة اذالم يحكم العلوم التعليمية وكان مكتوباً على مدرسه: من لا يعلم الهندسة فلا يحضر هنا والسرفيه أن العقل الانساني قلما يخلص عن شائبة الوهم ومثاله المعروف البيت جماد والجماد لا يخاف منه يحكم به العقل ولا يذعن به الوهم والانسان بعد قيام الدليل على عدم الخوف يخاف من الميت متابعة لوهمه و نظير هذا ثابت في كل قضية عقلية قام على صحتها البرهان والوهم حاضر يمارسه وقل أن يتفق رجل لا يتشوش خاطره به ويقدر على الجزم بالحق والقطع على الدليل وعدم الاعتناء بالوهم ومما جربنا في العلوم وجربنا عليه في تدريس العقليات منذ سنين الاحتراف من تعليم الفلسفة الالهية لمن لم يرتض ذهنه بالرياضيات كالهندسة والهيئة ولا تتكلم في العقليات مع من لا يعرفها فان المخاطر يتبلبل ويتشوش عند سماع البرهان و يتردد بين قبول البرهان ومتابعة أوعامه المركزة السراسخة في قلبه منذ حداثة الى أن كمل و من أحسن ما يؤثر في اقامة الذهن البراهين الرياضية. (ش)

فتكسره ، فان من كسر مؤمناً فعليه جبره .

٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن ابن مسكان ، عن سدير قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام : إن المؤمنين على منازل منهم على واحدة ومنهم على اثنتين ومنهم على ثلاث ومنهم على أربع ومنهم على خمس ومنهم على ست ومنهم على سبع فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو وعلى صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقو وعلى صاحب الثلاث أربعاً لم يقو وعلى صاحب الأربع خمساً لم يقو وعلى صاحب الخمس ستاً لم يقو وعلى صاحب الست سبعا لم يقو وعلى هذه الدرجات .

٤- عنه ، عن علي بن الحكم ، عن محمد بن سنان ، عن الصباح بن سيابة ، عن أبي عبد الله عليه السلام : قال : ما أنتم والبراءة ، يبرء بعضكم من بعض ، إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض ، وبعضهم أكثر صلاة من بعض ، وبعضهم أنفذ بصرأ من بعض وهي الدرجات .

(باب نسبة الاسلام)

١- عدثة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابنا رفعه

العقود أنه صاحب عصر بالفعل وله استعداد اكتساب عصر آخر على أنه لو فرض اختصاصه بالعصر وعدم استعداده للزائد في نفس الامر فلا ريب في أن صاحب العقدين لا يعلم ذلك ، بل ربما يظن أنه قابل للترقي فهو مأمور بهذا الاعتبار رجاء لتحقيق مطلقه وأنه أعلم ، قوله (من كسر مؤمناً فعليه جبره) إن كان كسره باخراجه عن الدين فعليه أن يدخله فيه بالارشاد وإن كان يكسر قلبه فعليه أن يرضيه .

قوله (وبعضهم أنفذ بصرأ) لعل المراد بالبصر البصر القلبي فهو إشارة إلى تفاوت الدرجات في القوة النظرية وما قبله إلى تفاوت الدرجات في القوة العملية ، وكان قوله (وهي الدرجات) إشارة إلى الدرجات التي في قوله تعالى وهم درجات عند الله .

قوله (باب نسبة الاسلام) أي صفته التي يتضح بها أمره وحقيقته ، يقال نسبة الشيء نسبة من باب طلب أي عزوته إليه وانسب هو إليه اعتزى والاسم النسبة بالكسر ولما كانت نسبة شيء إلى شيء توضح أمره وحاله وما يؤول هو إليه أراد بها هذا من باب ذكر الملزوم وإرادة اللزوم .

قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا نسبنا الإسلام نسبة لا ينسبها أحدٌ قبلي ولا ينسبها أحدٌ بعدي إلا بمثل ذلك : إن الإسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الإقرار والإقرار هو العمل والعمل هو الأداء ، إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربه فأخذه ، إن المؤمن يرى يقينه في عمله والكافر يرى إنكاره في عمله ، فوالذي نفسي بيده ما عرفوا أمرهم ، فاعنبروا

قوله (إن الإسلام هو التسليم والتسليم هو اليقين واليقين هو التصديق والتصديق هو الإقرار والإقرار هو العمل والعمل هو الأداء) (١) أشار به إلى أن الإسلام هو دين الله الذي أشار إليه جل شأنه بقوله « إن الدين عند الله الإسلام » يتوقف حصوله على ستة أمور حتى أنه ينتفى بأنتفاء واحد منها الأول التسليم وهو بذل العبد نفسه ورضاء بالاحكام الالهية والثواب وان كان مرة في طبعه ، الثاني اليقين بالله واليوم الآخر والثواب والعقاب وهو المسم به مع زوال الشك ، الثالث التصديق الذي هو الايمان الخالص ، الرابع الاقرار بما يجب الاقرار به ، الخامس العمل بالجوارح ، السادس أداء ما اقترض الله به بل ما ندبه اليه الا أنه حمل كل لاحق على سابقه وكل واحد على الإسلام على سبيل القياس المفصول النتائج وان كانا متغايرين يتوقف السابق على اللاحق لشدة الاتصال بينهما ، ثم هذه العبارة لا تخلو من لطف وهو أنه جعل الذي هو الايمان الخالص الحقيقى بين ثلاثة وثلاثة و اشتراك الثلاثة التى قبله فى أنها من مقتضياته وأسباب حصوله ، و اشتراك الثلاثة التى بعده فى أنها من لوازمه وآثاره و تعارته ، وبالجملة جعل التصديق الذى هو الايمان وسطاً عدلاً وجعل أول مراتبه من جهة الاسباب مراقبة الاسلام ، و ثانيها التسليم ، و ثالثها اليقين ، وجعل أول مراتبه من جانب المسببات الاقرار ، و ثانيها العمل ، و ثالثها الاداء فليتامر.

قوله (إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربه فأخذه) هذا بمنزلة التأكيد لقوله « إن الإسلام هو التسليم » لان دين الحق لا يجوز أخذه من رأى بل يجب أخذه من الرب بلا واسطة أو بواسطة عالم ربانى ، و من أخذه من الرب كان من أهل التسليم له.

قوله (إن المؤمن يرى يقينه في عمله والكافر يرى إنكاره في عمله) يرى امام مجهول

(١) قوله « والعمل هو الاداء » وفي نهج البلاغة « والاقرار هو الاداء والاداء هو العمل » و تكلم فى هذا الحديث شراح نهج البلاغة و استدلل به ابن أبى الحديد على صحة مذهبه وهو ان العمل من الايمان . (ش)

إنكار الكافرين والمنافقين بأعمالهم الخبيثة.

٢- عنه ، عن أبيه ، عن عبدالله بن القاسم ، عن مدرك بن عبدالرحمن ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : الإسلام عريان ، فلباسه الحياء و زينته الوفاق و مروته العمل الصالح و عماده الورع و لكل شيء أساس ، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت.

من الرؤية أو معلوم من الآراء و ما بعده على الأول مرفوع و على الثاني منصوب، وهذا بمنزلة الدليل والتأكيد لما لزم من قوله واليقين هو العمل و صريح في أن العمل منتهى الإيمان و أن كل من كان عمله خبيثاً غير واقع على القوانين الشرعية فهو كافر أو منافق و أن كان مذهباً للإيمان، و أن الإيمان هو التصديق القلبي والعمل دليل عليه فكل ما دل على أن الإيمان هو التصديق مع العمل أو دل على أنه العمل فلا بد من حملته على أن إضافة العمل إليه إضافة كمال لا أنه جزء منه بحيث ينتفى الإيمان بانتفاءه، لا يقال إذا كان الإيمان نفس التصديق وجب أن لا يتفاوت إذا التصديق لا يزيد ولا ينقص لأنه علم والعلوم لا تتفاوت فوجب أن يكون إيمان أحدهما مثل إيمان أمير المؤمنين (ع) و أنه باطل قطعاً، لا ناشول لأنسلم أن العلوم لا تتفاوت وقد زعم النووي من الغاية أن التصديق الواحد يزيد باعتبار كثرة الأدلة وإن كان هذا لا يعلم من شيء لأن كثرة الأدلة إنما يفيد العلم بالشئ من جهات متعددة لا تتفاوت العلم ولوسلم فلا نسلم أن تفاوت مراتب الإيمان وقع من جهة التصديق بل من جهة الأعمال المنضافة إليه لأجل الكمال، و الحاصل أن العمل غير داخل في حقيقة الإيمان لأنه غير داخل في حقيقة أفراده والتفاوت إنما هو بين الأفراد لا بين الحقيقة فليتنامل.

قوله (الإسلام عريان فلباسه الحياء) شبه الإسلام بالرجل العريان في النقص و الضعف و أثبت اللباس له ترشيداً للتشبيه، و شبه الحياء به لأنه يمنع من المماس و يحجب عن القبايح و يحسن الصورة و يدفع العار كاللباس الفاخر الساتر و زينته الوفاق يعهد الربوبية والرسالة والولاية، أو الأعم منه و من عهود الناس ولا يبعد أن يراد به الأفراد و التسليم، و مروته العمل الصالح و هو من آثارها إذ من شأن المروءة وهي كمال الرجولية الحث على فعل ما ينبغي فعله، و عماده الورع من المنهيات والمكروهات بل عن المشتبهات أيضاً لأن ذلك يوجب ثبات الإسلام وبقاء كما أن فعل المنهيات يوجب زواله و فناءه.

قوله (و لكل شيء أساس) الظاهر أنه كلام أبي عبدالله (ع) واستعمار أساس

علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن علي بن معبد ، عن عبد الله بن القاسم ، عن مدرك ابن عبد الله بن حمزة ، عن أبي عبد الله مثله .

٣- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنى . عن أبي جعفر الثاني عليه السلام ، عن أبيه ، عن جدّه صلوات الله عليهم قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصة وجعل له نوراً وجعل له حصناً وجعل له ناصراً . فأما عرسته فالقرآن ، وأما نوره فالحكمة

الإسلام لحب أهل البيت عليهم السلام اذ حبهم مبدء للإسلام ودين الحق وأصل له لما يعتبر فيه و به بناء وثباته .

قوله (ان الله خلق الإسلام فجعل له عرصة) شبه الإسلام بالدار في الرجوع اليه و السكون فيه والانس به و جعل له عرصة وهى موضع واسع فيها لا بناء فيه و جعل له نوراً يرى به ما خفى كما أن للبيت نوراً . وجعل له حصناً يمنع من خروج المصلح عنه ودخول المنفذ فيه كما أن للدار حصناً مانعاً من ذلك ، وجعل له ناصراً ينصره و يروجه و يشد به في أمره واصلاحه كما أن للدار ناصراً كذلك فأما عرسته فالقرآن لان أهله يستريح فيه و يسر اليه و أيضاً لا يدخل في الدين الا ما يدخل في القرآن كما أنه لا يدخل في الدار الا ما يدخل في العرصة . وأما نوره فالحكمة (١) لان بالحكمة وهى العلم يظهر أوامر الدين وفوائده و آدابه و أسرارها ، وأما حصنه فالمعروف لان المعروف و أقامته يوجب

(١) قوله «أما نوره فالحكمة» القرآن والحكمة و بعبارة اخرى الشرع و العقل وأن يفيد العقل والحكمة ان لم ينظر بهما الى القرآن ولا يستفيد من القرآن اذالم يتدبر فيه بمثله فالقرآن عرصة يرى ما فيها بنور العقل والحكمة وقد روى في آخر كتاب العقل (المجلد الاول صفحة ٣٣٧) عن أمير المؤمنين «ع» «بالعقل استخرج غور الحكمة وبالحكمة استخرج غور العقل الى آخره» وفي حديث ورد في بعض نسخ الكافي آخر كتاب العقل و الجهل عن الصادق «ع» في حديث طويل : «أن أول الامور ومبداها قوتها وعمارتها التي لا ينتفع شيء الا به» العقل الذى جعله الله ذينة لخلقه ونوراً لهم ، فبالعقل عرف العباد خالقهم ، وأنهم مخلوقون ، وأنه المدبر لهم ، وأنهم المديرون ، وأنه الباقي وهم الفاتون ، و استدلسوا بقولهم على ما أرادوا من خلقه ، من سمائه وأرضه ، و شمس و قمره . و ليله ونهاره ، بأن له ولهم خالقاً ومدبراً لم يزل ولا يزول ، و عرفوا به الحسن من التبيين ، و أن الظلمة في الجهل ، وأن النور في العلم ، فهذا ما دلهم عليه العقل .

قيل له : فهل يكتفى بالعباد بالعقل دون غيره ؟ قال : ان العاقل لدلالة عقله الذى جعله

و أمّا حصنه فالمعروف، وأمّا أنصاره فأنا و أهل بيتي و شيعتنا ، فأحبّوا أهل بيتي و أنصارهم فإنّه لما أُسري بي إلى السّماء الدّنيا فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السّماء ، استودع الله حبّتي و حبّ أهل بيتي و شيعتهم في قلوب الملائكة، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة ، ثمّ هبط بي إلى أهل الأرض فنسبني لأهل الأرض فاستودع الله عزّ وجلّ حبّتي وحبّ أهل بيتي و شيعتهم في قلوب مؤمني أمّتي فمؤمنوا

حفظه من خروج الحقّ عنه و دخول الباطل فيه و أيضاً حفظه بوجوب حياة الإسلام و تركه بوجوب هلاكه فهو يشبه الحصن ، وأمّا أنصاره فأنا و أهل بيتي و شيعتنا ولعل المراد بالشّيعه من كان تابعاً لهم في العلم والعمل اذ لا يتصور النّسرة بدونهما .

قوله (ثم هبط بي إلى أهل الأرض فنسبني لأهل الأرض) فإن قلت كيف ذكر نسبة لأهل الأرض والمؤمنون به إلى يوم القيامة لم يكتولوا موجودين في ذلك الزمان، قلت لعله نادى بقوله يا أيّها الناس هذا محمد بن عبدالله رسول الله وخاتم النبيين، فسمع صوته من في

بها الله قرانه وزيّنه و هدايته، علم أنّ الله هو الحق، و أنّه هو ربّه، وعلم أنّ له خالقه محبة، وأن له كراهية، وأن له طاعة، وأن له معصية ، فلم يجد عقله يدله على ذلك و علم أنّه لا يوصل اليه الا بالعلم و طلبه، و أنّه لا ينتفع بعقله أنّ لم يحبّ ذلك بعلمه، فوجب على الناقل طلب العلم والادب الذي لا قوام له الا به .

قال الراغب الاصفهاني في كتابه المسمى بالذريعة: الله عز وجل رسولان الى خلائقه أحدهما من الباطن وهو العقل ، والثاني من الظاهر وهو الرسول ولا سبيل لاحد الانتفاع بالرسول الظاهر ما لم يتقدمه الانتفاع بالباطن فالباطن يبرف صحة دعوى الظاهر ولولاه لما كان تلزم الحجة و لهذا أحال الله من يشكك في وحدانيته وصحة نبوة أنبيائه على العقل و أمر أن يفزع اليه في معرفة صحتهما فالعقل قائم والدين مسدود ولو لم يكن العقل لم يكن الدين باقيا ولو لم يكن الدين لاصبح العقل حائرا واجتماعهما كما قال تعالى: نور علي نور، ونقل الفيض رحمه الله - في كتاب عين اليقين عن بعض الفضلاء و هو الراغب في تفصيل الشّأنين قال: اعلم أنّ العقل لن يهتدي الا بالشرح والشرح لن يتبين الا بالعقل والعقل كالاس والشرح كالبناء ولن يثبت بناء ما لم يكن اس و لن يبنى اس ما لم يكن بناء، و أيضاً العقل كالبرق والشرح كالشماع و لن ينفع البرق ما لم يكن شماع من خارج ولن يضيئ الشماع ما لم يكن برق . قال : و أيضاً فالعقل كالسراج والشرح كالزيت الذي بعده فما لم يكن الزيت لم يشعل السراج وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت انتهى . وقال الرضا «ع» : ولا يبا بأهل الدين ممن لا عقل له . وقال الصادق «ع» : ليس بين الايمان والكفر الاقله العقل، وكل ذلك مأخوذ من كلام أمير المؤمنين «ع» . (ش)

أمتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة ، ألا فلو أن الرجل من أمتي
عبد الله عز وجل عمره أيام الدنيا ثم لقي الله عز وجل مبغضاً لأهل بيتي وشيعتي
ما فرج الله صدره إلا عن الشقاق.

(باب خصال المؤمن)

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسين بن محبوب ، عن
جميل بن صالح ، عن عبد الملك بن غالب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ينبغي للمؤمن
أن يكون فيه ثمان خصال : وقوراً عند الزهراء ، صبوراً عند البلاء ، شكوراً عند
الرخاء ، قانعاً بما رزقه الله ، لا يظلم الأعداء ولا يتحامل للأصدقاء ، يدينه منه في

أصلاّب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة فأجاب من أجاب كما نادى خليل الرحمن للحجج
أو أراد بذكر نسبه لأهل الأرض ذكره في القرآن فانهم يسمونه بطناً بعد بطن وعصراً بعد
عصر إلى يوم القيامة فيحبهم شببتهم ويبلغهم عدوهم والله أعلم .
قوله (وقوراً عند الزهراء) الوقور فعول من الوقار وهو الحلم والرزاة ،
والهز : التحريك ، يقال هز زته هزاً فاهتز من باب قتل أي حركته ، والزهراء الفتن
يهتز الناس فيها .

قوله (صبوراً عند البلاء) البلاء اسم لما يمتحن به من شر أو خير ، و يقال
بالفارسية وزحمت و نمت ، وكثر استعماله في الشر والعبث وهو حبس النفس على الأمور
الشاقة عليها وترك الاعتراض على المقدور وعدم اظهار الشكاية والاضطراب من
أعظم خصال الايمان .

قوله (شكوراً عند الرخاء) الرخاء النعمة والعصب وسعة العيش ، والشكر الاعتراف
بالنعمه ظاهراً وباطناً ومعرفة حق النعم والاثيان بطاعته وترك معصيته والشكور للمبالغة فيه .
قوله (قانعاً بما رزقه الله) لا يبعثه الحرص على الحرام و جمع ما لا يحتاج اليه
وتضييع العمر فيما لا ينفعه .

قوله (لا يظلم الأعداء) المقصود ان لا يظلم مطلقاً وانما خص الأعداء بالذكر لانهم
مورد الظلم اذ المداوة تبث عليه غالباً .

قوله (ولا يتحامل للأصدقاء) أي لا يتحامل على الناس بمعنى لا يجوز عليهم لاجل
الأصدقاء وطلب مرضاتهم ، وقبل لا يتحمل الوزر لاجلهم كما اذا كان عندك شهادة على صديقك
لغيره فلا تشهد له رعاية للصداقة .

تعب والناس منه في راحة ، إن العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل أمير جنوده والرفق أخوه والبر والده .

قوله (يده منه في تعب والناس منه في راحة) لقيامه بالمعابد ليلاً ونهاراً واشتغاله بالطاعات سراً وجهاراً حتى أسهرت ليلته وأغضت هواجره وكان همه بمد ذلك رفح الأذى عن الناس وإيصال الخير إليهم ، فهم منه في راحة دينية وأخروية .

قوله (إن العلم خليل المؤمن) إشارة إلى ما هو الأصل لجميع ما ذكر لتوفيق الخصال المذكورة على هذه الأمور ، والمخلقة بالنفس الصداقة والمحبة التي تحللت القلب فسارت خلاله أي في باطنه والخليل الصديق قبل بمعنى فاعل وقد يكون بمعنى مفعول ، و إنما كان العلم خليل المؤمن لأنه ينفعه غاية النفع كالخليل ، والمراد بالمؤمن النفس الناطقة المطيعة المنزلة إلى هذا البدن لتجصيل معرفة الحق من جهة آثاره ، ومشاهدة عجائب صنعته ، والتقرب منه قبل الموت وبدنه على الوجه الأكمل كما قال عزشأنه وسريرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، ولما كان ذلك التجصيل لأبنم الأبالأعضاء والحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والنسب والحلم والعقل وغيرها خلقت لها هذه الأمور وجعلت جنودها وهي سلطان على الجميع تأمر كل واحد بما خلق له ~~تنها عن غيره~~ فتأمر اللسان بالقول الصحيح وتأمر البصر بالنظر الصحيح وتأمر الشهوة بطلب ما ينفع البدن وتأمر الغضب بدفع ما يضره ، وقس عليه وكما أن للسلطان الظاهر وزيراً يشاوره في نظام أمره ومملكته وأميراً لجنوده يقهر الأعداء بحسن تدبيره ويضبط أمور عماره ، كذلك لسلطان البدن وزيراً وأميراً فوزيره الحلم وأميره العقل إذ العقل ينهى إليه أن مرسوم اليد مثلاً الأخذ والاعطاء الصحيحين ، ومرسوم اللسان القول اللين والاقوال الصحيحة الموافقة للقوانين الشرعية ، ومرسوم الشهوة هو التقدر الضروري من الطعام والشراب ونحوهما ، ومرسوم الغضب هو دفع المانع منه ودفع المدد المفسد فيأمر الوزير وهو الحلم بأن يعطى كل واحد ما أنهأه الأمير إليه ويمتنعه من التجاوز عنه ، فأمر البدن إذا رجع إليها تم نظام مملكته وسارت جنوده مستخرعة له فتجمل له السعادة الأبدية والتقرب بالحضرة الربوبية ولو أنكم كس الأمور وصحت الرعايا وغلبت الشهوة والغضب على الأمير والوزير زالت سلطنته وخربت مملكته ونكست أحواله وبعد عن مولاة وهو من الخاسرين .

قوله (والرفق أخوه والبر والده) أي الرفق وهو اللين والثلطف بالصديق والعدو والجليل والرفق بمنزلة الأخ في دفع الشر عنه . والبر هو الاحسان إلى الخلق بمنزلة الوالد في جلب النفع وطلب الخير له .

٢- علي بن ابراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله ، عن أبيه عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : الايمان له أركان أربعة التوكل على الله ، وتفويض الأمر إلى الله ، والرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمر الله عز وجل .

٣- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه عمه ذكره ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تعرفون حتى تصدقوا ولا تصدقون حتى تسلموا أبواباً أربعة لا يصلح

قوله (الايمان له أركان أربعة) المراد بالايمان اما التصديق الجازم الثابت المطابق للواقع أو هو مع العمل ، ولكماله أولئياته واستقراره أركان أربعة لوائتفى أحد ها لبطل كماله و زال استقراره الاول التوكل على الله وهو الاعتماد عليه والموقوف به في الرزق وغيره من الضروريات ، وقطع تعلق القلب بغيره من الأسباب والمسببات وهو يوجب قوة الايمان وثباته اذ لو اتفى التوكل عليه وتعلق القلب بغيره من الأسباب والمسببات والوسائط تحركت الجوارح الى تحصيلها وفرغ القلب عن ذكره وذهبت الجوارح عن طاعته ، وهو يوجب ضعف الايمان ، الثاني تفويض الأمر في دفع شر الأعداء وكيد الخصماء ومكائد النفس ووساوس الشيطان أو مطلقاً الى الله كما فوض مؤمن آل فرعون أمره الى الله وفوقه الله سيئات ما مكروا ، فان من استكفاه كفاه الله وفرغ هو لذكره وطاعته وهو يوجب قوة الايمان وثباته ، الثالث الرضا بقضاء الله في حصول الشدة والرخاء و نزول المصيبة والبلاء ، وهذه خصلة شريفة توجب كمال الايمان وثباته ، وانتفاؤها يوجب السخط بالله وبمنه ، وذلك يوجب نقص الايمان بل زواله غالباً ، الرابع التسليم لأمر الله عز وجل والالتقاد له في الشرايع والاحكام والحدود وكل ما أنزله على رسوله وهو في الحقيقة قبول قول الله وقول الرسول والأوصياء وأفعالهم ظاهراً وباطناً و تلقاها بالبشر والسرور وان كان ثقيلاً على النفس وغير موافق للطبع ، وهو أصل عظيم لرسوخ الايمان وكماله اذ لو اتفى استولى حده وهو الشك على القلب والشك يناهض أصل الايمان فضلاً عن كماله .

قوله (عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه) قد مر هذا الحديث سنداً ومتناً في أوائل كتاب الحججة في باب معرفة الامام والرد اليه و ذكرنا شرحه مفصلاً .

قوله (انكم لا تكونوا صالحين حتى تعرفوا) ذكر اموراً أربعة كل سابق موقوف

أولها إلا بآخرها ، ضل أصحاب الثلاثة و تاهوا تيهاً بعيداً ، إن الله تبارك وتعالى لا يقبل إلا العمل الصالح ولا يتقبل الله إلا بالوفاء بالشروط والعهود ، ومن وفى الله بشروطه و استكمل ما وصف في عهده نال ما عنده و استكمل وعده ، إن الله عز وجل أخبر العباد بطريق الهدى و شرع لهم فيها المنار و أخبرهم كيف يسلكون ، فقال : « وإنني لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحاً ثم اهتدى » و قال : « إننا يتقبل »

على اللاحق لظهور أن الصلاح وهو التحلى بالفضائل الظاهرة والباطنة والتخلى عن الرذائل متوقف على معرفتها والمعرفة متوقفة على التصديق اذ هي بدو له نفاق واستهزاء ، والتصديق موقوف على تسليم أبواب أربعة . ولعل المراد بها الاقرار بالله ، والاقرار بالرسول ، والاقرار بما جاء به الرسول ، والاقرار بالائمة عليهم السلام بعده ، أو المراد بها الرسول وعلى والحسن والحمد عليهم السلام ، أو المراد بها الأربعة المذكورة في الآية الآتية و هي التوبة والايمان والعمل الصالح والاعتداء وهو متابعة الامام ولكن لا يخلو هذا عن مناقشة .

قوله (لا يصلح أولها إلا بآخرها) فلا يصلح الاقرار بالله والتسليم له إلا بالاقرار بالامام والتسليم له .

قوله (لا يقبل إلا العمل الصالح) وهو المستعمل على ما يعتبر في تحقيقه و صلاحه شرعاً داخل كان أم خارجاً ومن جملة ذلك التسليم للأبواب الأربعة وهو شرط الله و عهده على عباده في صلاح العمل و قبوله واستحقاق الاجر به . ولا يتقبل الله من العاملين أعمالهم إلا بوفائهم بشروطه وعهوده ومن وفى الله بشروطه وحفظها وأتى بما وصف في عهده على وجه الكمال ورياء و عبده بإرشاد الرسول والهداية من بعده نال ما عنده من الثواب الجزيل و استكمل وعده من الاجر العظيم كما قال عز وجل أو فؤا بعهدي أوف بعهدكم أي أوفوا بما عاهدتكم عليه من الامور المذكورة أوف بعهديكم من الثواب والجزاء . وقيل إن للوفاء عرضاً عربياً أوله الاقرار بالشهادتين و آخره الاستغراق في التوحيد .

قوله (إن الله عز وجل أخبر العباد بطريق الهدى) بيان للشروط والعهود المذكورة أو تأكيد لها أو دليل عليها ولذا ترك المصنف ، والمراد بطريق الهدى طرق الشرع الموصلة الى المطلوب الهادية الى مقام القرب وبالمناد وهي جمع المنارة على غير قياس يعني موضع النور ومحل أعلام الهدى وهم الحجج عليهم السلام لانهم محال أنوار الله تعالى و علومه التي بمنزلة النور في الاصل الى المطلوب بأخبارهم كيفية سلوكهم طرق الشرع والزامهم باقتفاء آثار الحجج و اتباع أقوالهم وأعمالهم و عقائدهم فقال عز وجل :

(و انى لغفار لمن تاب) عن الباطل ورجع الى والى الحجج (وآمن) بى و بهم

الله من المتقين » فمن اتقى الله عز وجل فيما أمره لقي الله عز وجل مؤمناً بما جاء به محمد ﷺ، هيهات هيهات فات قوم و ماتوا قبل أن يهتدوا و ظنوا أنهم آمنوا و أشركوا من حيث لا يعلمون، إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى و من أخذ في غيرها سلك طريق الردى، و صل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله ﷺ و طاعة رسوله بطاعته، فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله وهو الإقرار بما نزل (وعمل صالحاً) ببيانهم وإرشادهم، (ثم اهتدى) إلى وإلى مقام قريب أو إلى العلم بأنه لا يتحقق المنفرة والعمل الصالح بدون التوبة والإيمان المذكورين.

(و قال عز وجل إنما يتقبل الله من المتقين) الذين يتمكنون بما جاء به الرسول (ص) و بين لهم الحجج ولم يتجاوزوه ويقومون على ما أمرهم الله به و ينتهوا عما نهاهم عنه . (فمن اتقى الله عز وجل فيما أمره) من متابعة الحجج و اقتفاء آثارهم . (لقي الله عز وجل) يوم القيامة مؤمناً (بما جاء به محمد، ص) هيهات هيهات (أي بعد التقوى واللقاء بالإيمان . (فات قوم) في الضلالة (وماتوا قبل أن يهتدوا) إلى الله و الحجج (و ظنوا أنهم آمنوا) بالله والحال أنهم (أشركوا) به (من حيث لا يعلمون) أنه اتباع الهوى و ترك متابعة الحجج شرك بالله العظيم . ثم أوضح ذلك على سبيل الاقتباس من القرآن الكريم بقوله (أنه من أتى البيوت) بيوت الشرع (من أبوابها) وهي الحجج (اهتدى) إلى دين الله الموصول إليه (و من أخذ في غيرها سلك طريق الردى) أي الضلال والهلاك و سر ذلك أن الوصول إلى الله متوقف على سلوك سبيله المتوقف على العلم بالمبدأ و المعاد و القوانين الشرعية المقررة بالوحي و شيء من ذلك لا يتيسر إلا بإرشاد معلم رباني وهو النبي ومن يقوم مقامه من الأوصياء والعلماء التابعين لهم فمن أخذ منهم فقد اهتدى . و من عدل عنهم فقد سلك سبيل الردى و ضل عن سبيل الحق . و مثله كمثل من قصد جهة الشرق وهو سلك سبيل الغرب فتكلم بالغ في السير بعد عن المقصد و ضل عن سبيله وهو الضلال البعيد (ثم أكد ذلك بقوله) و صل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله وطاعة رسوله بطاعته (في قوله) أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم و هو يفيد التلازم (فمن ترك طاعة ولاة الأمر لم يطع الله ولا رسوله) لأن ترك التلازم بوجب ترك التلازم والحال أن الإقرار بطاعة ولاة الأمر (وهو الإقرار بما نزل من عند الله) وهي الآية الكريمة لأن كل من أقربه ففدأقر بالاولين أيضاً دون العكس فان كثيراً من الناس أقروا بالاولين دون الاخير فيهم لم يقرروا بما نزل من عند الله ثم بالغ في الإقرار بولاية الأمور حيث عليه بقوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) والزينة مطلق ما يتزين به شرعاً، و منه الإقرار والتصديق بولاية ولاة الأمر لأنه أعظم ما يقرب به الظاهر و

من عند الله ، خذوا زينتكم عند كل مسجد واتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع
و يذكر فيها اسمه ، فاتته قد خبيركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر
الله عز وجل وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تنقلب فيه القلوب و
الأبصار ، إن الله قد استخلص الرسل لأمره ، ثم استخلصهم مصداقين لذلك في نذره
فقال : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » تاء من جهل و اعتدى من أبصر وعقل ،
إن الله عز وجل يقول : « فانها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »
و كيف يهتدي من لم يبصر وكيف يبصر من لم ينذر اتبعوا رسول الله ﷺ وأقروا

الباطن (واتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) أي اطلبوها وهي بيوت
النبوة والوصاية التي شرفها الله تعالى على بيوتات سائر الأنبياء والأوصياء ، و يذكر فيها
اسم الله وآياته ، كما أشار إليه بقوله (فاتته قد خبيركم أنهم) أي الرسول ودلاء الأمر (رجال لا
تلهيهم تجارة) أي مطلق الاكتساب (ولا بيع عن ذكر الله) عز وجل (وإقام الصلاة وإيتاء
الزكاة) يخافون يوماً (أي عذابه أو شربه) تنقلب فيه القلوب والأبصار (ظهور
الباطن و من جانب إلى جانب كتقلب الحجة على الرضاء) و ذلك (كثرة شدائد
و ظلمة مصائبه .

قوله (إن الله قد استخلص الرسل لأمره) والاستخلاص رهانيدن خواستن ودهانيدن
خواستن وباك شدن خواستن ، و كان المنذر بضمين جمع النذير ، و أن المراد به على بن
أبي طالب و ولادة الأمر بعمده ، أي جعل الرسل خالصين لأمره فارغين عما عداه بالمجاهدات
النفسانية والفأبيدات الربانية ثم جعلهم خالصين من باب التأكيد حال كونهم مصدقين لأجل
خلوصهم في نذره أي في وصف الأولياء و تعيين الأوصياء (فقال وإن من أمة إلا خلا فيها
نذير) فكيف يجوز أن لا يكون في هذه الأمة نذير منصوب من قبل الله و قبل رسوله ، و فيه
رد على من جعل الكفرة أصحابين للخلافة قائلين للنباية (تاء) أي تحير في الدين و ضل الطريق
من جهل النذير و اعتدى من أبصر و عقله .

قوله (إن الله عز وجل يقول فانها لاتعمى الأبصار) فيه تسهيل للأول و تنقيح للثاني ،
و إشارة إلى أن سبب الجهل ذهاب البصيرة و إبطال القوة القلبية التي بها تدرك الصور
الحقة والأسرار الالهية و إبطالها يتحقق ثارة بدم التفكير والنذير ، و أخرى بتأنيده القوة
الشهوية والغضبية حتى ينزل في الدرجة الحيوانية .

قوله (كيف يهتدي من لم يبصر وكيف يبصر من لم ينذر) إشارة إلى أن الهداية

بما نزل من عند الله واتبعوا آثار الهدى، فانهم علامات الأمانة والنقي، واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى بن مريم عليه السلام وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن، اقنصوا الطريق بالتماس المنار والتمسوا من وراء الحجب الآثار، تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربكم.

٤- عنه، عن أبيه، عن سليمان الجعفري، عن أبي الحسن الرضا، عن أبيه عليه السلام

الى الدين بدون البصيرة والبصيرة بدون هداية الهادى وارشاد المتفرد محال ولذلك أمر باتباع الرسول والائمة الهداة بعده فقال (اتبعوا رسول الله وص) وأقروا بما نزل من عند الله) ومنه طاعة ولاية الامر (و اتبعوا آثار) ائمة (الهدى) من العقائد والاقوال و الافعال و الاخلاق (فانهم علامات الامانة والنقي) اذ بهم يعرف الامانة أى الدين والتقوى، وبملم أركانها وشرائطها وكيفية الوصول اليها والتقوى مثلكة تحدث من ملازمة الأمور واجتناب المنهيات والمشتبهات و تمرتها حفظ النفس عن الدنيا.

قوله (واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى بن مريم) المقصود أن من أنكر واحداً من الائمة أو أزاله عن موضعه لم يؤمن بالله، وذكر عيسى بن مريم على سبيل التمثيل والا فالحكم مشترك وهو أن منكر أحد من الرسل غير مؤمن بالله تعالى بما ذهب اليه حذاق المتكلمين ودليلهم على ذلك هو السمع دون العقل اذ لا يمنع فى العقل أن يعرف الله من كذب رسوله لانها معلومان لا ارتباط لاحدهما بالآخر عقلاً، لا يقال العقل دل عليه لان منكر الرسول مقر بانه غير مرسل لهذا الرسول، ولا شيء من المقر بانه غير مرسل لهذا الرسول مقر بانه سبحانه فلا شيء من منكر الرسول مقر بانه سبحانه فلا يكون مؤمناً به وهو المطلوب أما الصغرى فصادقة لانها الواقع وأما الكبرى فلان الاله الذى لم يرسل هذا الرسول ليس هو الله سبحانه. لا نقول يصير النزاع لفظياً والكبرى فيها مصادر، أما الاول فلان الخلاف يتوجه الى أن المعارف بالشيء المقربة من وجه وغير مقر به من وجه آخر هل يسمى عارفاً لذلك الشيء أم لا، وأما الثانى فهو ظاهر فليتم.

قوله (اقنصوا الطريق بالتماس المنار) قص الامر واقتصداً اتبعه، أى اتبعوا الطريق و اطلبوه بطلب أعلامه التى نصبت لمعرفة كيالاتها.

قوله (والتمسوا من وراء الحجب الانار) أى اطلبوا آثار الائمة وأخبارهم من وراء حجب شبهات الجاحدين، أو من وراءهم، فبهم أمر بالرجوع اليهم عند غيبتهم بخلاف السابق فانه أمر به عند حضورهم، ويحتمل أن يراد بالحجب الانبياء فبهم حث على اقتفاء آثار أقدامهم و سلوك طريقهم، ولا يتحقق ذلك الا بارشاد الاوصياء.

قال : رفع إلى رسول الله ﷺ قوم في بعض غزواته فقال من القوم ؟ فقالوا :
مؤمنون يا رسول الله ، قال : وما بلغ من إيمانكم ؟ قالوا : الصبر عند البلاء والشكر
عند الرخاء والرضا بالقضاء ، فقال رسول الله ﷺ : حلمااء علماء كادوا من الفقه
أن يكونوا أنبياء ، إن كنتم كما تصفون ، فلا تبئوا مالا تسكنون ولا تجمعوا مالا
تأكلون و اتقوا الله الذي إليه ترجعون .

(باب)

١. علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، و محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ،
و عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، جميعاً ، عن الحسن بن محبوب ، عن
يعقوب السراج ، عن جابر ، عن أبي جعفر ﷺ و بأسانيد مختلفة ، عن الأصمغ
ابن نباتة قال : خطبنا أمير المؤمنين ﷺ في داره - أو قال : في القصر - و نحن
مجمعون ، ثم أمر صلوات الله عليه فكتب في كتاب و قرأه على الناس و روى غيره
أن ابن الكواء سأل أمير المؤمنين ﷺ عن صفة الاسلام و الايمان و الكفر و النفاق ،

قوله (فقال من القوم) سأل عما يوجب تمييزهم من الخصال والصفات (فقالوا
مؤمنون) أي نحن أو القوم مؤمنون ، و لما كان للإيمان آثار و لوازم شريفة يدل عليه
سأل عما بلغهم منها من أجل إيمانهم فقالوا : الصبر على المشاق عند البلاء والشكر للمنعم
عند الرخاء والرضا بالقضاء ، و لما كانت هذه الأمور من آثار العلم و الحكمة والحلم
و كانت من أعظم صفات الانبياء قال « من » حلمااء علماء (١) لأن وجود الاثر يدل على
وجود المؤثر ، وشبههم بالانبياء على وجه المبالغة لكمال النشأه والتقارب ، ثم لما كانت هذه
الصفات تقتضي الزهد في الدنيا والتقوى أي الاتيان بالأمورات و ترك المنهيات حظهم
على الاول بقوله : إن كنتم صادقين ، فلا تبئوا مالا تسكنون ولا تجمعوا مالا تأكلون وخسبها
بالنهي لانها من أعظم مطالب الراغبين في الدنيا و على الثاني بقوله (واتقوا الله الذي اليه
ترجعون) و فيه وعد و وعيد جميعاً .

(١) قوله « علماء حلمااء » لانهم استنبطوا الوازم الايمان بفعلهم فانهم لهم أن المؤمن
يصبر عند البلاء اذ علموا أن ما يصيب الانسان إنما هو من الله تعالى وهو لا يريد السوء له بقاء
والشكر عند الرضا لان النعمة منه تعالى ، والرضا بالقضاء بسم ذلك وغيره ، و سماهم الفقهاء
لاستنباطهم و عدم وقوفهم على حفظ ما سمعوا .

فقال : أما بعد فإن الله تبارك و تعالي شرع الاسلام و سهل شرائعه لمن ورده و أعز أركانه لمن حاربه و جعله عزاً لمن تولاه و سلماً لمن دخله و هدى لمن اتهم به و زينة لمن تجلله و عذراً لمن انتحله و عروة لمن اعتصم به و حبلاً لمن استمسك به و برهاناً لمن

قوله (و روى غيره أن ابن الكواء) الظاهر أن ضمير غيره راجع الى الاصمغ بن بانه ، و عبدالله بن الكواء من رجال أمير المؤمنين (ع) خارجي ملعون .

قوله (شرع الاسلام) أى أظهره و أوضحه أو جعله شريعة للمعقول و طريقاً لها لتسلك اليه .

قوله (و سهل شرائعه لمن ورده) الشرائع جمع الشريعة و هى طريق الماء . و المراد بها قواعد و أركانه و خطاياته على سبيل الاستعارة ، و يسهلها اظهارها و إيضاحها و جعلها سهل المأخذ بحيث يفهمها الفصيح و الالكن و يدركها النبي و الفطن .

قوله (و أعز أركانه لمن حاربه) اعل المراد بأعزاز أركانه أى قواعد و قوانينه و أحكامه و حدوده و حمايتها بتصره و دفعها بأهله على من قصد محاربتها و هدمه و اطفاء نوره و ازالة بنيانه مغالبة من المشركين و الجاحدين و الجاهلين .

قوله (و جعله عزاً لمن تولاه) فى الدنيا من القتل و الاسر و النهب بالعدوان و فى الآخرة من المذاب و النكال و العزى و الخذلان .

قوله (و سلماً لمن دخله) استعار له لفظ السلم بالكسر و هو الصلح باعتبار عدم أذى لمن دخل فيه و انقاد لحكمه فهو كالمسالمة المصالح له ، و قد لاحظ شبهه بالغالب من الشجعان باعتبار مسالمتهم و مصالحته لمن تبعه و انقاد لامره ، و إيذائه لمن خالفه و عانده و فى معنى مسالمتهم معه جعله محقون الدم مستقراً فى يده ما يملكه و محفوظاً فى الآخرة من عقوبة المخالفة .

(و هدى لمن اتهم به) فانه يهديه الى سعادة الدنيا و الآخرة التى أعظمها قرب الحق و هو المطلوب من خلق الانسان .

(و زينة لمن تجلله) أى جعله برهاناً و لباساً من قولهم جلل فرساً له فتجلل . ولا ريب فى أن أحكام الاسلام بعضها يتعلق بالظاهر و بعضها يتعلق بالباطن ، و من تلبس بها يتزين ظاهراً و باطنه فيصير انساناً كاملاً له سورة مزينة ظاهراً و باطناً (و عذراً لمن انتحله) العذر بالضم و ضمير و الممذرة اسم لما يرفع به اللوم . و الانتحال اما بمعنى أخذ النحلة و الدين أو بمعنى ادعائه و انتسابه اليه مع عدم كونه له ، و الاسلام على الاول عذر له فى الدنيا و الآخرة و يرفع به اللوم عنه مطلقاً ، و على الثانى عذر له فى الدنيا و يرفع عنه لومها مثل القتل

تكلّم به و نوراً لمن استضاء به و عوناً لمن استغاث به و شاهداً لمن خاصم به و فلجاً لمن حاج به و علماً لمن وعاه و حديثاً لمن روى و حكماً لمن قضا و حليماً لمن جرب

والأسر و الفهب و الأذى و غير ها .

(و عروة لمن اعتم به) عروة دسّه كوزه و دسّه هرچيز ، و اعتمام دست درزیدن .
لاحظ شبه الاسلام بالعروة لانه عروة الخيرات كلها فمن اعتم به ملك جميعها و رفعها لنفسه ،
(و حلياً لمن استمسك به) لان الاسلام حبل الله المتين بينه وبين خلقه فمن استمسك به خرج من حضيض النقص الى أوج الكمال و من جب الدربة و الفراق الى منزل القرب و الوصال ، و الحبل يطلق على الرسن و على العهد و الامان و الكل محتمل .

(و برهاناً لمن تكلم به) لان من علم حقه يقنه و عرف أسرار غلب به على من جهده و أنكره عند المناظرة و لذلك كان العالم بالشرع كما ينبغي فاتقاً على الباطل و أهله دائماً .
(و نوراً لمن استضاء به) شبهه بالنور و استعار له لفظه و رشح به بذكر الاستضاء ،
و وجه المشابهة أنه يهدي النفس الناطقة المستضيئة به في ظلمات البشرية و الفسوش
الفسانية الى فناء القديس و طريق الجنة .
(و شاهداً لمن خاصم به) الشاهد أهم من البرهان لتناوله الجدل و الخطابة مع
احتمال ارادة أنه برهان لمن احتج به و شاهد لمن جعله مؤيداً .

(و فلجاً لمن حاج به) الفلج بالفتح و السكون الظفر و الفوز كالافلاج ، و الاسم منه
الفلج بالضم و السكون وهو الغلبة و جعله فلجاً من باب المبالغة لكونه تاماً في الغلبة فكأنه
نفسها . (و علماً لمن وعاه) اطلاق العلم على الاسلام من باب اطلاق المسبب على السبب لان الاسلام
سبب لحصول العلم لمن وعاه و حفظه و توقف وعيه و حفظه على قدر من العلم به لا ينافي ذلك لان
العلم به يزداد و يتكامل بالتدريج حتى يبلغ غاية الكمال .

(و حديثاً لمن روى) خبراً جديداً مشتملاً على المواعظ و النصائح و القصص و الاحكام
و الحدود و غيرها لمن روى ، و أخبر ، و فيه بحث على روايته ، و في السابق على درايته .

(و حكماً لمن قضى) أى و جعله حكماً ذا جراً من القيايح باعناً على المحاسن لمن
أريد القضاء و الحكم و هو أصل له .

(و حليماً لمن جرب) اطلاق الحكم على الاسلام مجازاً من باب اطلاق المسبب على
السبب لان الاسلام سبب لحصول ملكة الحكم لمن جرب الامور و تفكر في عواقبها و عرف
قبح السفه الناش من طغيان القوة الغضبية و تجاوزها عن الاعتدال ، و من خفة النفس و
حركتها الى ما لا يليق مثل القتل و الضرب و البطش و العنم و الترفع و التسلط و الغلبة و غيرها

و لباساً لمن تدبر و فهماً لمن تفطن و يقيناً لمن عقل و بصيرة لمن عزم و آية لمن توسم و عبرة لمن اتعظ و نجاة لمن صدق و تؤدة لمن أصلح و زلفى لمن اقترب و ثقة لمن توكل و رخاءاً لمن فوض و سبقة لمن أحسن و خيراً لمن سارع و جنة

من المقاسد. (و لباساً لمن تدبر) فان من تفكر فيه وتدبر في أوامره و ذواجره و ربط نفسه بقوانينه و معارفه حصلت له حالة منوسطة معتدلة محيطية بباطنه شبيهة باللباس في الاحاطة و الشمول و الزينة و هي لباس العلم و المعرفة ، و أطلق تلك الحالة على الاسلام اطلاقاً للمسبب على السبب لان الاسلام و معارفه مسبب لها .

(و فهماً لمن تفطن) الفهم جودة تهيو الذهن لقبول ما يرد عليه و لما كان الاسلام الدخول فيه و رياضة النفس بقوانينه لاتصاف الذهن بذلك التهيؤ و قبوله للانوار العقلية و الاسرار الربوبية أطلق عليه لفظ الفهم مجازاً اطلاقاً لاسم المسبب على السبب .

(و يقيناً لمن عقل) لما كان اليقين هو العلم الاستدلالي مع ذوال الشك ، و كان الاسلام و الدخول فيه و التمسك بقوانينه سبباً لحصوله أطلق عليه لفظ اليقين مجازاً على نحو ماهر . (و بصيرة لمن عزم) أي من عزم على أي أمر من الامور الدنيوية و الاخروية و قصد فعله فان في الاسلام بصيرة لكيفية فعله على الوجه الذي ينبغي و هذا الاطلاق أيضاً مثل ماهر .

(و آية لمن توسم) أي من تفرس طرق الخير الموصلة الى الحق و مقاصده النسي ترشد الى ساحة القدس فان الاسلام آية و علامة لذلك المتفرس المتوسم فاذا اهتدى بهاسلك طريق الهدى . (و عبرة لمن اتعظ) عبرت اعتبار گرفتني و بند گرفتني ، و متعظتني كبرئته و ذلك ظاهر لان في الاسلام عبرة للمعتبر و عظة للمتعظ لما فيه من اخبار القرون الخالية و احوال الايام الماضية و كيفية تصرف الزمان بهم و جريان القضاء فيهم مثل قوم فرعون و عاد و ثمود و قوم نوح و صالح و هود و غيرهم ممن لا يحصى كثرة .

(و نجاة لمن صدق) فان الاسلام سبب لنجاة من صدق الرسول فيما جاء به و دخل فيه من القتل و الاسر و النهب و الاذى في الدنيا ، و من العذاب و العقوبة في الآخرة ، و الاطلاق فيه و فيما سبق مثل ماهر . (و تؤدة لمن أصلح) تؤدة - بضم التاء و سكون الهمزة و فتحها - الرذانة و القأنى و ذلك ظاهر لان من أصلح بقواعد الاسلام و تبع حكمه كان الاسلام سبباً لنأنيته و رذائته . (و زلفى لمن اقترب) زلفى نزدك شدن يعنى أن الاسلام سبب القرب من الله لكل من اقترب اليه ، و الحاصل أن كل من اقترب فسبب قربه هو الاسلام باعتبار التمسك بذيله ، و العمل بقوانينه .

(و ثقة لمن توكل) أي هو سبب ثقة و اعتماد لمن توكل على الله لاشتماله على

لمن صبر و لباساً لمن اتقى و ظهيراً لمن رشد و كهفاً لمن آمن و أمانة لمن أسلم و

الوعد الصادق مثل من يتوكل على الله فهو حسبه وغير ذلك و هو يوجب زيادة اعتماد المتوكل .
(و رخاء لمن فوض) أى هو رخاء سهل غير صعب لمن فوض أموره إليه ولم يتكلف فإن الاسلام
ملة سهلة . وقيل من ترك البحث والاستقصاء من الدليل فتعسك بإحكام الاسلام ودلائل القرآن
والسنة المتداولة بين أهله ، و فوض أمره إليه استراح بذلك التفويض ولا يقع في تعب ، وقيل :
المراد أن المسلم إذا كمل اسلامه و فوض أمره الى الله كفاه فى جميع الامور وأراحه من
الاهتمام بها ، (وسبقة لمن أحسن) السبقة والسبق بفتحين الخطر وهو ما يتراهن عليه
المتسابقان أى الاسلام خطر و حفظ لمن أحسن الى أهله أو لمن أحسن صحبته ، أو لمن أحسن العمل
فيه ، أو الأعم من الجميع وبالجملة هو نصيب المحسن وكان غير المحسن ليس له نصيب فيه .

(و خيراً لمن سارح) الخير ما ينفع فى الدنيا والاخرة ، والاسلام خير لمن سارح اليه لانه
ينفعه فيهما . (و جنة لمن صبر) استعار لفظ الجنة للاسلام لانه يحفظ من صبر على العمل
بقواعده وأركانها من العقوبة الدنيوية والاخرية كما أن الجنة تحفظ صاحبها من شر
الاعداء وضروبهم . (و لباساً لمن اتقى) فان من اتقى الله حق ثقافته واجتنب عما يضر فى
الاخرة من محرمانه ومكروهاته وترك واجباته حصلت له حالة معتدلة محيطة بظاهره ، و
سمى تلك الحالة الشبيهة باللباس فى الاحاطة والشمول والزينة اسلاماً مجازاً تسمية للمسبب
باسم السبب ، لان تلك الحالة حصلت بسبب الاسلام و متابعتها . فالمراد باللباس هنا لباس
الظاهر وهو لباس التقوى وفى السابق لباس الباطن المحيط بالنفس الناطقة الحاسل
بالفكر والتفكير فى معارف الاسلام و أسرار الله أعلم .

(و ظهيراً لمن رشد) ظهير يرى كنهه و هم يستر . ورشد راء راست يافتن ، وانما كان
الاسلام ظهيراً لمن رشد وسلك طريقاً مستقيماً وهو طريق الحق لان قواعده ترشد اليه ، و
قوانينه تدل عليه ، فهو يهتد به و يمدد الى أن يبلغ الى الغاية ويصل الى النهاية .

(و كهفاً لمن آمن) كهف غارى كه دركوه باشد ، و يناهى كه دفع كند از شخص
حوادثه . يعنى من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر فقد دخل فى الاسلام الذى بمنزلة الكهف
فى دفع الضر عنه اذ كل ضرر يعود الى أحد فالما يعود اليه بمخالفة قانون من قوانينه و
خروجه منه . (و أمانة لمن أسلم) أمانة ايمن داشتن و بى ترس شدن ، يعنى من أسلم لله ودخل
فى الاسلام كان آمناً من غيره فالاسلام سبب لآمنه ، فالطلاق الامنة على الاسلام للمبالغة فى
السببية . (و رجاء لمن صدق) يعنى من صدق النبى و العترة النبوية دخل فى الاسلام ،
والاسلام سبب لرجائه المثوبات الدنيوية والاخرية .

رجاء لمن صدق و غنى لمن قنع، فذلك الحق، سبيله الهدى و مآثرته المجد وصفته الحسنى فهو أبلغ المنهاج مشرق المنار، ذا كى المصباح، رفيع الناية، يسير المضمار،

(و غنى لمن قنع) غنى آسوده داشتن و فائده دادن و بس کردن . و قناعت باندك چیزی اكتفا کردن. و لعل المراد أن من قنع بالقليل من المال و اكتفى بالكفاف من الرزق، فالاسلام غنى له اعلان التمسك بقواعده و الاعتماد بقوانينه . يوجب وصول ذلك القدر اليه كما قال عز وجل «و من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب» أولانه يحثه على القيام بها و يبيده الثبوت عليها لاشتماله على فوائد القناعة و مضار عدمها و الله أعلم .

(فذلك الحق سبيله الهدى) هدى راه نمودن و بيان کردن و راه راست . و الغناء ، للتفريع ، و ذلك للتنبيه على علو المنزلة يعنى ذلك الحق الثابت الذى لا يأتى به الباطل من بين يديه وهو الاسلام ، سبيله اراءه الطريق الموصلة الى المطلوب، أو سبيله السبيل المستقيم الموصل اليه، أو سبيله بيان ما يحتاج اليه الانسان .

(و مآثرته المجد) المآثره بالسكون بعد الفزع قبل الضم . المكرمه واحده المآثر و هى المكارم من الاثر و هو النقل و الرواية لأنها تنقل و تروى و المجد الكرم و الشرف، و رجل ماجد أى كريم شريف، و لعل المقصود أن مكارمه عين الشرف لاهله أو مقتضيه له .
(و صفته الحسنى) أى الخصلة الحسنى مثل الدعوة الى الخير و نحوها .

(فهو أبلغ المنهاج) الأبلغ الواضح من بلغ الحق اذا وضح و ظهر، و منهاج الاسلام طريقه التى يصدق على من سلكها أنه مسلم و هى الاقرار بالله و رسوله و التصديق بما جاء به الرسول و وضوحها ظاهر، (مشرق المنار) الاشراف بالقاف الاضاءة، و المنار الاعمال الصالحة التى يتنور بها قلوب العارفين كالمبادات الخمس و نحوها، و كونها مشرقه ظاهر، و قد يقرىء بالغاء، و كونها مشرقه عالية على غيرها من المبادات أيضاً ظاهر .

(ذاكى المصباح) الذاكى المنوقد المستنير يقال ذكت النار اذا اشتد لهبها و استنار، و المصباح جراح، و الجميع مما يبيع استناره للفقرة و الصارف الاسلاميه و رشحه بالذكاء و صفه بالذكاء و الاستنارة اما لانه فى نفسه نور الهى مستنير و اطلاق النور على العلم شائع أو لظهوره من الأدلة الاسلاميه و هى الكتاب و السنة بل يمكن أن يراد به نفس هذه الأدلة، و قبل اريد به علماء الاسلام و كنى بالذكاء عن صفاء عقولهم، أو عن ظهور العلم و اقتداء الخلق بهم .

(رفيع الناية) كما جعل للإسلام مصباحاً و للمصباح ذكاء كذلك جعل له غاية و للنساية رفعة و لعل المراد بما ينه الوصول الى الجنة، و رفعت ظاهره اذ لا غاية أرفع منه منزلة و أعلى منه مرتبة، أو المراد الموت المعروف أو موت الشهوات و كون كل واحد رفيعاً لكونه سبيلاً للرسول المذكور

جامع الحلبة، سريع السبقة، أليم النعمة، كامل العُدَّة، كريم الفرسان، فالإيمان منهاجه والصالحات مناره والفقہ مصابيحہ والدنيا مضماره والموت غايته والقيامة حلبيته

والثقوب بالحق. (يسير المضمار) المضمار الميدان و مضمار الاسلام الدنيا وهي يسير قليل يسهل السبق فيها الى الله تعالى، وفي بعض النسخه بشيره بالشين المعجمة فكانها تبشر للسابق بما عند الله تعالى. (جامع الحلبة) الحلبة وذان سجد و ضربة خيل يجمع من كل أوب للسباق ولا يخرج من وجه واحد يقال جاءت الفرس في آخر الحلبة أي آخر الخيل وهي بمعنى الحلبة، ولهذا تجتمع على حلارب، وقد شبه المسلمين بالحلبة واستمار لهم لفظها حيث أحتموا في الاسلام للسباق الى طاعة الرب وقد شاع إطلاقها على محلها تجوراً، وهذا الإطلاق هو الاول بالارادة هنا بالنظر الى ما سبأني ومحلها هنا هو القيامة لانها محل لاجتماعهم فيها للسباق الى حضرة الله التي هي الجنة كاجتماع الخيل في الحلبة للسباق الى السبق وهو الرهن.

(سريع السبقة) سبقتها الجنة وسرعتها ظاهرة لان مضمارها وهي الدنيا التي هي مدة العمر في زمان التكليف يسير.

(أليم النعمة) أليم درد رسانند بمعنى المولم وشعته النار وإيلامها ظاهر.

(كامل العدة) العدة بالضم والشد ما أعدته و هيأته من مال أو سلاح أو غير ذلك مما ينفعك يوماً ما، والمراد بها هنا التقوى والورع وكما لهما ظاهر.

(كريم الفرسان) المراد بالفرسان أهل الاحسان وعلماء الاسلام، وكونهم كرماء و شرفاء ظاهر باعتبار اقتباس الانوار منهم وهدايتهم للضفاء.

(فالإيمان منهاجه) لما جمل سابقاً للاسلام منهاجاً أي طريقاً واضحاً يوصل الى الرحمن عينه هنا بأنه الإيمان، فهذا ناظر الى قوله أبلغ المعناه. وقس عليه ما بعده.

(والصالحات مناره) أي الاعمال العالحة والاخلاق الفاضلة علامات الاسلام بها يعرف الاسلام والداخل فيه. (والفقہ مصابيحہ) المراد بالفقہ العلم بأحكام الاسلام وأسراره، أو البصيرة القلبية في أمر الدين وهو شبه بالمصباح في أنه يضيئ طريق الحق ويرى به وجه المطلوب ولذلك استمار له لفظ المصباح. (والدنيا مضماره) اذهب محل للسباق الى الطاعات، والسمي الى القربات، وقد وصفها سابقاً بأنها يسير للتحريرك الى التسابق فيها.

(والموت غايته) أي الموت المعروف غايته التي هي سبب الوصول الى الله تعالى أو موت الشهوات فانها أيضاً غاية قريبة للاسلام موصلة اليه تعالى وهذه الفقرة متعلقة بقوله رفيع الغاية فكان الانسب أن يقدم على قوله والدنيا مضماره، ولعل التأخير هنا لاجل أن ذكر الغاية بعد ذكر المضمار أنسب بحسب الواقع والتقديم سابقاً باعتبار الرفع والشرف.

والجنة سبقته و النار نعمته والتقوى عدته والمحسون فرسانه، فبالإيمان يُستدل على الصالحات و بالصالحات يعمر الفقه وبالفقه يُرهب الموت و بالصوت تختتم الدنيا

(والقيامة حلته) قد ذكرنا أن الحلبة هي الخيول المجتمة من كل أوب للسباق و أنها تطلق على محلها أيضاً و باعتبار هذا الإطلاق استعار لفظ الحلبة للقيامة لأنها حلبة الاسلام و محل اجتماع المسلمين للسباق الى حضرة الله التي هي الجنة كاجتماع الخيل في الحلبة للسباق الى الرهن. (والجنة سبقته) السبق ما يوضع بين أهل السباق وهي الثمرة المطلوبة منه و استعارها للجنة لكونها الثمرة المطلوبة من الاسلام والغاية المقصودة من الدين كما أن السبق غاية سعى المراهنين. (والنار نعمته) لما جيل سابقاً للإسلام نعمة مولعة لمن خالفه فسر هذا بأن نعمته النار وهي أشد النعمات.

(والتقوى عدته) لأنها تنفع صاحبها في أشد الاوقات وأعظمها وهو القيامة كما أن العدة من المال تنفع صاحبها في وقت الحاجة.

(والمحسون فرسانه) استعار لفظ الفرسان لارباب الاحسان و علماء الدين وهم فرسان الاحسان والمعلوم لملاحظة تشبيه الاحسان والمعلوم بالفارس الجواد.

(فبالإيمان يستدل على الصالحات) لدلالة المجهول على المفضل اذ يدخل في الإيمان التصديق بما جاء به النبي اجمالاً ومنه الاخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة كالعبادات والخمس ونحوها وأيضاً الإيمان منهج الاسلام و طريقه الواضح ولا بد للطريق من زاد يناسبه وزاد طريق الاسلام هو الاخلاق و الاعمال الصالحة، وهو يقتضيها و يطلبها فيدل الإيمان عليها كدلالة السبب على المسبب، و ما وقع في بعض الروايات من أن الاعمال تدل على الإيمان فهو باعتبار أن الأثر يدل على المؤثر، والمسبب على السبب.

(و بالصالحات يعمر الفقه) ولما شبه آناً الفقه بالمصباح في الهداية الى المطلوب و كان تعمير المصباح الحقيقي بالدهن كان تعمير الشبيه بالمصباح أيضاً يشبه بالدهن و هو الاعمال الصالحة، و لذلك روى أن العلم مقرون بالعمل فان عمل بقي والارتمل، وبعبارة أخرى الفقه نور نفساني، والعمل نور جسماني و للظاهر تأثير في الباطن، فالعمل يوجب ثبات الفقه و زيادته و هو المراد بشعبه.

(و بالفقه يرهب الموت) لان الفقه بما بعد الموت والمعلم اجمالاً وتفصيلاً بما يرد على الانسان بعده من الخير والشر والحساب والعيزان والعراط وغيرها من أحوال البرزخ والقيامة وأحوالها يوجب الخوف من الموت لامن حيث هو موت، بل من حيث أنه لا يدري ما ينزل به بعده، و يوجب ذلك كمال الاستعداد لما بعده والله هو الموفق.

و بالدنيا تجوز القيامة وبالقيامة تُزال الجنة والجنة حسرة أهل النار والنار موعظة
المتقين والتقوى سنخ الايمان.

(باب صفة الايمان)

١- بالاسناد الأول، عن ابن محبوب، عن يعقوب السراج، عن جابر، عن أبي
جعفر عليه السلام قال : سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الايمان ، فقال : "إن الله عز وجل
جعل الايمان على أربع دعائم : على الصبر واليقين والعدل والجهاد، فالصبر من ذلك

(و بالموت تختم الدنيا) لان الدنيا مضار، والموت غاية فاذا ورد ختمت الدنيا و
انقطع السير فيها، ثم لا يعود اليها.

(و بالدنيا يجوز القيامة) ومن ثم قبل من مات فامت قيامته. (و بالقيامة تزل الجنة) أي
تقرب (والجنة حسرة أهل النار) لما رأوا من كمال نعيمها وحرمانهم عنها مع شدة ادعتو بنهم
بالنار (والنار موعظة المتقين) موعظه يند ذاهن. وذلك لان المتقين ينغفلون من النار و
شدة اندها وينركون كل ما يؤثم، و يهتفون عن كل ما يوجب الدخول فيها.

(والتقوى سنخ الايمان) السنخ من كل شيء أصله والجمع أسناخ. مثل حمل و
أحمال، و ذلك لان المراد بالايمان الايمان الكامل، وقد مر أن كماله بالأعمال فله سنخان
أحدهما اليقين وهو الكمال في القوة النظرية، والثاني التقوى وهي الكمال في القوة العملية
فاذا تحقق كمال الايمان فهما سنخاء.

(ان الله عز وجل جعل الايمان على أربع دعائم) (١) أي جعل بناءه عليها فهي أساسه
لاحتماله لان حقيقته التصديق لما مر مراراً، والدعامة مرفوعة، وقد شبه الايمان بالسبب
من الشعر و نحوه مما يكون اعتماده على الدعائم، ولاحظ في ذلك أن الايمان هو المقصود
الأسلي و أن الامور الاربعة مقصودة لحفظه وبقائه.

(على الصبر واليقين والعدل والجهاد) قدم الاعم ولكل واحد منها مدخل عظيم في
تحقق الايمان و ثباته وبقائه، والمراد بالصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة و خلع
النفس عن الشهوات ومنعها عن الجزع عند المصيبات، وهو كنز من كنوز الجنة و طريق
عظيم للدخول فيها، و باعث قوى للبقاء على الايمان، و باليقين العلم مع زوال الهلك و

(١) قوله وعلى أربع دعائم، قد مر أن هذه الامور الانسانية التي تعد من درجات الايمان
أو مراتب السلوك ينقسم باعتبارات مختلفة الى أقسام مختلفة لا منافاة بينها وجميعها صحيحة
باعتبار ويتدخل أقسامها (ش).

على أربع شعب : على الشوق والاشفاق والزهد والترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن راقب الموت سارع إلى الخيرات، واليقين على أربع شعب:

عدم احتمال طرياقه و حاصله مشاهدة النيوب بأنوار القلوب و ملاحظة الاسرار بمعاونة الافكار و بالمعدل ملكة الاعتدال في القوة النظرية والعملية والتوسط في القوة الشهوية و النضبية وهو مؤتمر لقوة الايمان وكماله، و بالجهد المجاهدة النفسانية والبدنية والمراقبة الروحانية والجسمانية، والله سبحانه أظهر الدين و طلب الايمان به وجعل عزهما و كمالهما في الجهاد فمن جاهد كمل ايمانه و شارك المجاهدين، و من فقد نفس ايمانه و شارك المتخلفين والمنافقين، (فالصبر من ذلك على أربع شعب) اما فرغ من دعائم الاسلام شرع في تفصيلها لان الصبر من المباح ليس من دعائمه واليقين بكثير من الاشياء وذكر آثار تلك أيضاً ليس منها و كذا المعدل والجهاد وذكر منها ما هو من الايمان وذكر لكل واحد منها أربع شعب و الشعب وثمراتها، والشعب جمع الشعبة، والمراد بها هنا الاغصان فتشبه الصبر مثلاً بشجرة في كونه أساساً والشعب بالاغصان في كونها فرعاً، وما يترتب على الشعب بالانمار في كونه حاصلاً. (على الشوق) أى الشوق إلى الجنة ونعيمها و درجاتها وهو ميل النفس إلى الشيء بعد تصور و تصور نفعه، والصبر أصل له اذ هو لا يحصل بدون الصبر عن أحكام الله و مكاره النفس، و هو مع ذلك سبب لكمال الصبر و ثباته.

(والاشفاق) وهو الخوف من نار جهنم أو من نار الفراق لان الصابر بشرقياته يصل إلى أعلى مراتب القرب فيحصل له الخوف مما ذكر وهو سبب لبقاء الصبر و ثباته، (والزهد) أى الزهد في الدنيا و زهواتها وهو لا يحصل بدون الصبر في الطاعات و زجر النفس عن المنهيات و هو مع ذلك سبب لثبات الصبر.

(والترقب) أى ترقب الموت و انتظاره و هو لا يحصل بدون الصبر لان الصابر هو الذي يطلب الأحياء الحقيقية التي تحصل بالموت والترقب سبب لبقاء الصبر و كماله ثم أشار إلى فوائد تلك الشعب و ثمراتها بقوله.

(فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات) أى فارقها و طيب نفسه عن جميع مشتهياتها التي هي طرف النار لان من اشتاق إلى شيء يجتنب عما يوصل إلى خضه.

(و من أشفق من النار رجع عن المحرمات) لانها مؤدية إلى النار، وسبب لها ومن خاف من المسبب يفر عن السبب فمن ادعى الاشفاق و ارتكب الحرام فهو كاذب،

(و من زهد في الدنيا هانت عليها المصيبات) اذ منشأ صوبتها هو الميل إلى الدنيا

تبصرة القطنة ، وتأول الحكمة ، ومعرفة العبرة ، وسنة الأولين . فمن أبصر القطنة عرف الحكمة ، ومن تأول الحكمة عرف العبرة ، ومن عرف العبرة عرف السنة ومن عرف السنة فكأنما كان مع الأولين واهتدى إلى التي هي أقوم ونظر إلى من

و محبة فنياتها والشوق إلى لذاتها و راحتها النفسية والبدنية ، ومن ثم يكون الفقد والبلاء عند الزهاد أحسن من الفراغ والفناء .

(و من راقب الموت سارع إلى الصيرات) حذراً من أن يموت قبل أن يدركها ، و لعلمه بأنها سبب للحياة الأبدية التي هي الحياة الحقيقية فيستند لها بالتبادر إلى الأعمال الصالحة ، و لما فرغ من شب الصبر و بيان فوائدها أشار إلى شعب اليقين وفوائدها بقوله ، (واليقين على أربع شعب تبصر القطنة) النطنة جودة الذهن وتهيؤه لأدراك الأشياء و أحوالها كما هي ، والاضافة من باب اضافة المصدر إلى مفعوله ، والمراد برؤيتها التوجه إليها ، والتأمل فيها و في مقتضاها من العلوم والمعارف ، و جعلها قاعلاً للمصدر و ارادة رؤيتها للأشياء و ان كان محتملاً في نفسه لكن يتنافى قوله فمن أبصر القطنة .

(و تأول الحكمة) التأول بمعنى التأويل و هو تفسيرها يؤول اليه الشيء ، و الحكمة العلم الذي يمنع اللسان من التبيح مطلقاً ، والمراد بتأولها الوصول إلى فورها ليعرف منافع كل شيء و مضاره . (و معرفة العبرة) وهي اسم من الاعتناء بأثار الماضين وأطوار الأولين فانهم عبرة لأولي الابصار و محل لاعتبار ما كانوا فيه من نعيم الدنيا ولذاتها ، والمباهاة بكثرة أسبابها و زهراتها ثم مفارقتهم لذلك كله بالموت و بقاء المحسرة والندامة لهم حجباً حائلة بينهم و بين الوصول إلى حضرة جلال الله .

(و سنة الأولين) أي و معرفة سنتهم و طريقةهم من خير يوجب النجاة و شر يوجب الهلاك ، ثم أشار إلى فوائد هذه الشعب والترتيب بينها بقوله :

(فمن أبصر القطنة) و نظر إلى وجه مقتضاها (عرف الحكمة و من تأول الحكمة) و بلغ غورها (عرف العبرة) بأحواله و أحوال الماضين ، (و من عرف العبرة عرف السنة) أي سنة الأولين و طرزهم و طريقتهم ،

(و من عرف السنة فكأنما كان مع الأولين) في حياتهم فيرى أعمالهم و ما يتقنها من العقوبات الدنيوية ، أو يمدحونهم فيرى حسراتهم و عقوباتهم الأخروية (و اهتدى) بذلك إلى الطريقة (التي هي أقوم) الطرائق و أفضلها .

(و نظر إلى من نجى بما نجى) من الأعمال الصالحة والأخلاق المرشدة .

(و من هلك بما هلك) من الأعمال الباطلة والأخلاق الفاسدة .

ننجى بما ننجى و من هلك بما هلك و إنما أهلك الله من أهلك بمعصيته وأنجى من أنجى بطاعته، والعدل على أربع شعب : غامض الفهم ، و غمر العلم، و زهرة الحكم و روضة الحلم، فمن فهم فسر جميع العلم ، و من علم عرف شرائع الحكم، و من حلم لم يفرط في أمره و عاش في الناس حميداً ، و الجهاد على أربع شعب : على الأمر بالمعروف، و النهي عن المنكر، و الصدق في المواطن و شتان الفاسقين ، فمن أمر بالمعروف شد

(و إنما أهلك الله من أهلك) من الامم السابقة و غيرهم (بمعصيته) .

(و أنجى من أنجى بطاعته) يظهر كل ذلك لمن نظر في الايات و الروايات ، و فيه ترغيب في الطاعة و زجر عن المعصية . (والعدل على أربع شعب) اولها (غامض الفهم و غمر العلم) الاضافة فيها اضافة الصفة الى الموصوف أي الفهم الغامض الذي ينفذ في بواطن الاشياء و الغامر أي الغائر الذي يطلع عليه أذهان الاذكياء ، ولو كان الغايب من النفوس بدل الغامض كان له أيضاً معنى صحيح و الغايب الذي يدخل في الماء يطلع على ما فيه من اللؤلؤ و نجوء لياخذه و استعير للفهم الغايب الذي ينفذ في دقائق الاشياء و يطلع على أسرارها و حقائقها (و) اخريها ، (زهرة الحكم و روضة الحلم) أي تضارتهما و تضارتهما و حسنهما و كمالهما ، و التركيب من باب لحين الماء ، و جملة من باب المكنية و التخييلية ببيد ، و المراد بزهرة الحكم الحكم المعجب للانام . و بروضة الحلم الحلم المكمل للنظام ، ثم أشار الى ثمرات تلك الشعب و فوائدها المترتبة عليها بقوله :

(فمن فهم) بالفهم الغامض أو الغايب . (فسر جميع العلم) الشرعي و القانون العقلي و النقلى لان هذا التفسير من شأن الفهم المذكور و آثاره .

(و من علم) كذلك . (عرف) جميع (شرائع الحكم) و مداربه و موارده لان ذلك من آثار العلم الغامر . (و من حلم لم يفرط في أمره) ولم يقصر فيه أملاً لان شأن الحلم الكامل هو التحرر عن طرف الافراط و التفريط و الاستقرار في الوسط .

(و عاش في الناس حميداً) أي محموداً لانه يظفر بنصرة الغضب عند نزول التنب و مكاره النفس فيحمده الناس و ينسرونه كما قيل : الحلم يكتسب المدح من المملوك و المحبة من المملوك . (و الجهاد على أربع شعب) اولها (الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر) أي الأمر بالطاعة و النهي عن المعصية بالشرائط و المراتب المذكور في كتب الفروع (و) ثالثها (الصدق في المواطن) أي مواطن جهاد النفس و البدن و الفاسق بالأمر و النهي و من أن يكون قوله موافقاً لفعله ، و فعله موافقاً لقلبه ، و قلبه موافقاً لرضا الله تعالى ، (و) رابعها (شتان الفاسقين) أي بعضهم وهو راجع الى انكارهم بالقلب و مقتضى الايمان ، وليس بداخل

ظهر المؤمن، ومن نهي عن المنكر أرغم أنف المنافق وأمن كيده، ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه ومن شأ الفاسقين غضب الله ومن غضب الله غضب الله له، فذلك الايمان ودعائمه وشعبه.

(باب)

فضل الايمان على الاسلام واليقين على الايمان

١- أبو علي الأشعري، عن محمد بن سالم، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا أخا جعفر إن الايمان أفضل من الاسلام وإن اليقين أفضل من الايمان وما من شيء أعز من اليقين.

في النهي عن المنكر عند جماعة، ومن الامحاب من أدخله فيه مجازاً، ولما فرغ من شعب الجهاد أشار الى فوائدها بقوله:

(فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن، ومن نهي عن المنكر أرغم أنف المنافق وأمن كيده) والمراد بشد ظهر المؤمن تنويته وإيمانه، وبأرغام أنف المنافق إهانته وإذلاله وذلك لان الامر بالمعروف تحرير المبدأ على ما يقربه الى الله تعالى باتباع شرائعه، والنهي عن المنكر زجره عما يبعد منه ومن الندم عاجلاً وآجلاً، ومن البين أن من اتصف بهذه السنة يكون مقوياً ومرغماً وآمناً.

(و من صدق في المواطن) كلها (قضى الذي) يجب (عليه) من القول الحق وغيره، و دخل في زمرة الصادقين الذين مدحهم الله في كتابه الكريم بقوله ويوم ينفع الصادقين صدقهم (و من شأ الفاسقين) وأبغضهم لنفسهم (غضب الله) طلباً لمرضاته، (و من غضب الله غضب الله له) وأرضاه في الدنيا والآخرة، نعم من كان الله كان الله له؛ رضي الله عنه ورضي عنه. (فذلك الايمان ودعائمه وشعبه) وثمراته شبيهة والله هو الموفق للصواب.

قوله (ان الايمان أفضل من الاسلام) (١) لاعتبار خصوصية في الايمان غير معتبرة في الاسلام وهي التصديق والاقرار بالولاية، وقد مر سابقاً ما يوضحه فلا يبعد (وان اليقين أفضل من الايمان) لان الايمان اما نفس التصديق، وهو مع العمل، سواء حصل ذلك بالبرهان أو بالتقليد كما في أكثر العوام وسواء احتمل التقبض أولاً واليقين غاية الكمال في القوة النظرية التي

(١) و ان الايمان أفضل من الاسلام، في صدر الحديث يا أخا جعفر المشهور في اسم هذه الطائفة بصيغة النسبة والنسبة اليه جعلت أيضاً و يا أخا جعفر فالظاهر أنه تصحيف من بعض النساخ. (ش)

٢- عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد والحسين بن محمد ، عن معلى بن محمد جميعاً ، عن الوشاء ، عن أبي الحسن عليه السلام قال : سمعته يقول : الايمان فوق الاسلام بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة ، وما قسم في الناس شيء أقل من اليقين .

لا يحتمل التقوى سواء حصلت بالبرهان وهو علم اليقين أو بالمجاهدات والرياضات النفسانية والهدايات الخاصة بالاولياء وهو عين اليقين وحق اليقين ، وبالعجلة هو أعلى مراتب العلم و أشرفها ولا ريب في أنه أفضل من الايمان ، (وما من شيء أعز من اليقين) أي أرفع درجة ، أو أقل وجوداً ومن علامة قلته في أكثر الخلق صدور المعصية منهم ، اذ لا يصدر معصية من أهل اليقين وإنما يكون لهم ظن ضعيف يزول بأدنى وسوسة النفس والشيطان ألا ترى أن الطبيب إذا أخبر أحدهم بأن الشيء الفلاني يضره ، أو يوجب زيادة مرضه ، أو يظؤبه يمتنع بقوله المنيد للظن و يترك ذلك الشيء حفظاً لنفسه من الضرر الضعيف ، ولا يمتنع قول الله تعالى ولا قول رسوله بأن هذه معصية مهلكة وليس ذلك إلا لأن ظنه بقولهما دون الظن بقول ذلك الطبيب .

قوله (الايمان فوق الاسلام بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة) فاليقين أفضل من التقوى والتقوى أفضل من الايمان ، والايمان أفضل من الاسلام فدل على أن كل مؤمن مسلم دون العكس لاعتبار خصوصية في الايمان دون الاسلام ، كما مر . وان كل متق مؤمن دون العكس لان المتق يؤثر ذكر من لم يزل ولا يزال على ذكر من لم يكن فكان ، وطاعة من لم يزل ولا يزال على خدمة من لم يكن فكان ، ومحبة من لم يزل ولا يزال على محبة من لم يكن فكان ، وكل مؤمن ليس كذلك . وأيضاً التقوى من الوقاية ، وهي في اللغة فرط الصيانة وفي العرف صيانة النفس عما يضرها في الآخرة وقصرها على ما ينفعها فيها ولها ثلاث مراتب : الاولى التقوى من العذاب الخلد بآظهار الشهادتين وهي أدناها ، والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصاير عند قوم وهو المتعارف في عرف الشرع باسم التقوى ، والثالثة التقوى عن كل ما يشغل القلب عن الحق والرجوع اليه بالكلية وهو لخاص الخاص ، والمراد بالتقوى هنا أحد المعنيين الآخرين وكونه فوق الايمان ظاهر اذ كل مؤمن ليست لهذه المرتبة سواء اريد بالايمان التصديق فقط ، أو هو مع العمل . اما التصديق فظاهر ، واما التصديق مع العمل فباعتبار أن التجنب عن الكل حتى عن المباحات والمكروهات والمشتبهات معتبر في التقوى دون الايمان لانه مقول بالاجابة أو باعتبار أن شرح اصول الكافي - ١٦٠ -

٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن حمزان بن أعيان قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن الله فضل الايمان على الاسلام بدرجة كما فضل الكعبة على المسجد الحرام .

٤- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن هارون بن الجهم أو غيره عن عمر بن أبان الكلبى ، عن عبد الحميد الواسطى ، عن أبي بصير قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا أبا محمد الاسلام درجة قال : قلت : نعم قال : والايمن على الاسلام درجة قال : قلت : نعم ، قال : والتقوى على الايمان درجة . قال : قلت : نعم ، قال : واليقين على التقوى درجة ، قال : قلت : نعم ، قال : فما أوتي الناس أقل من اليقين وإنما تمسكتكم بأدنى الاسلام فأياكم أن ينفلت من أيديكم .

الملكة منبذة فيها لافيه فلينأمل ، و على أن كل من انصف باليقين منصف بالتقوى دون العكس أما الاول فظاهر بالتأمل فيما ذكرنا ، وأما الثانى فلان التقوى قد توجد بدون اليقين كما فى بعض المقلدين (وما قسم فى الناس شيء أقل من اليقين) ثم حق اليقين أقل من عين اليقين وهين اليقين أقل من علم اليقين .

قوله (كما فضل الكعبة على المسجد الحرام) فكما أن حرمة المسجد داخلية فى حرمة الكعبة دون العكس ، كذلك حرمة الاسلام داخلية فى حرمة الايمان دون العكس ، فالايمن أفضل من الاسلام .

قوله (يا أبا محمد الاسلام درجة) لما كان الاسلام أول درجة من الدرجات المطلوبة قال : الاسلام درجة . ولم يقل : الاسلام على الكفر درجة كما قال : (والايمن على الاسلام درجة) . قوله (فما أوتي الناس أقل من اليقين) قال بعض الأكابر : معناه ما أوتي الناس شيئاً قلباً من اليقين ، ويحتمل أن يكون معناه أن اليقين فيهم أقل من كل شيء ، والاول يفيد نفس اليقين بالمرء . والثاني يفيد بوثقل من الاول أنسب بقوله (وإنما تمسكتكم بأدنى الاسلام فأياكم أن ينفلت من أيديكم) التفلت والافلات والافلات التخلّص من الشيء فجاء . وفيه ترغيب فى امساك حالهم من أدنى الاسلام وحفظه ، ونحوذير من الغفلة عنه و تفلته فإن تفلته يوجب الدخول فى الكفر ولعل المراد بالاسلام هنا الايمان مجازاً من باب تسمية الشيء باسم جزئه بقرينة أن المخاطب كان مؤمناً مع أن هذه التسمية لا تخلو من نكتة وهي أن المؤمن اذا خرج من الايمان خرج من الاسلام ودخل فى الكفر .

٥- علي بن ابراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس قال : سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الايمان والاسلام فقال : قال أبو جعفر عليه السلام : انما هو الاسلام ، والايمان فوقه بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة ، ولم يقسم بين الناس شيء أقل من اليقين ، قال : قلت : فأى شيء اليقين ؟ قال : التوكل على الله والتسليم لله والرضا بقضاء الله والتفويض إلى الله ، قلت : فما تفسير ذلك ؟ قال : هكذا قال أبو جعفر عليه السلام .

قوله (قال قلت فأى شيء اليقين) قال : التوكل على الله ، والتسليم لله ، والرضا بقضاء الله ، والتفويض إلى الله (تفسير اليقين بما ذكر من باب تفسير الشيء بأقاربه اذ اليقين سبب للأمور المذكورة ، وذلك لانه اذا حصل لاحد بالبرهان أو الهداية الخاصة أو الكشف بتصفية النفس اليقين بالله وبوحدانيته وعلمه وقدرته و تقديره للأشياء ، و تدبيره فيها ، وحكمته التي لا يفوتها شيء من المصالح ، ورأفته بالعباد ، و احسانه اليهم ظاهراً وباطناً ، و تقديره كمالات الاعضاء الظاهرة والباطنة ، و تدبير منافعها بالاستحقاق والامصلحة منهم ومن غيرهم و اقبال الارزاق اليهم حيث لا شعور لهم بطرقها ولا قدرة لهم على تحصيلها مع عدم جوره بوجه من الوجوه حصلت له حالات قلبية شريفة بعضها أدفع من بعض أحدها العلم بأن من كان كذلك كان قادراً على مستقبل اموره وهماته و ايسال أرزاقه و تحصيل مراداته ، و ذلك يبعثه على التوكل عليه في اموره ، والاعتماد عليه من الوثوق به كما يثق الموكل على وكيله ، وليس معنى التوكل قطع نفسه عن اموره بل لا بد من التمسك بها والاعتماد على الله وثانيها العلم بعظمته وكبريائه واشتمال حكمه على مصالح وان لم يعلم خصوصياتها وتفاسيلها ، وذلك يبعثه على التسليم لله في أحكامه وغاية الانقياد والاخبات والخضوع والخشوع له ، وثالثها العلم بأنه يلبس المحبة له وتفرغ القلب عن غيره و جعله سريراً المحبة ، وذلك يبعثه الى الرضا بقضاء الله من الصحة والسقم والفناء والفقر وغيرها من المصائب والنوائب الواردة على النفس والمال والولد ، بل يوجد لذة ذلك في نفسه كما هو شأن المحب بالنظر الى فعل حبيبه وان كانت مرة في نفس الخلق عن حبه ، ورابعها العلم بكمال قدرته و جريان حكمه مع ملاحظة العجز في نفسه وذلك يبعثه على تفويض امره وورده اليه و جعله الحاكم فيه وسلب القدرة عن نفسه ومشاهدة اضمحلال قدرته في قدرة الله ، و هذا قريب من مرتبة الفناء في الله لا اله الا الله في هذه المرتبة لا يرى لنفسه وجوداً ولا قدرته اسماً .

قوله (قلت فما تفسير ذلك) كان المسائل استبعد تفسير اليقين بالتوكل وما بعده لعدم

٦- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن الرضا عليه السلام قال : الايمان فوق الاسلام بدرجة ، والتقوى فوق الايمان بدرجة ، واليقين فوق التقوى بدرجة و لم يقسم بين العباد شيء أقل من اليقين .

(باب)

حقيقة الايمان واليقين

١- عدة من أصحابنا . عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع

بأنه غيرة أو استعلاء عن حاله ووجه محنته لعدم تغطيته به فأجاب دع ، بما أجاب لضيق المقام عن ذكره ، أو لغير ذلك ومثل هذا الجواب شائع كما تقول : العلم هو العمل فيقال : كيف ذلك ، أو ما وجهه فنقول هكذا قالوا .

قوله (الايمان فوق الاسلام بدرجة) قد ذكرنا شرحه ولا بأس أن نعيد له لزيادة التوضيح فنقول : الاسلام هو الاقرار ، والايمان أما التصديق ، أو التصديق مع الاقرار ، وعلى التقديرين فهو فوق الاسلام بدرجة أما على الثاني فظاهر ، أما على الاول فلا ان التصديق القلبي أفضل وأعلى من الاقرار اللساني ، كما أن القلب أفضل من اللسان . (والتقوى فوق الايمان بدرجة) لان التقوى هو التجنب عما يضر في الآخرة وإن كان ضرره يسيراً وله ثلاث مراتب كما مر ، وليست المراد هنا المرتبة الاولى لأنها مرتبة الايمان بل المراد الاخريتان لانهما فوق الايمان (واليقين فوق التقوى) اذ التقوى قد لا يكون في مرتبة اليقين . نعم من اتقى وثبت قدمه فيها ترقى في اليقين الى أن يبلغ أعلى مراتبه وهي مرتبة حق اليقين (١) وهي التي أشار أمير المؤمنين وح . بقوله « لو كشف الغطاء ما ازدادت يقيناً »

(١) قوله « وهي مرتبة حق اليقين » كأنه اراد باليقين غير ما يتبادر الى أذهاننا لان اليقين وهو العلم بالواقع في مقابل الظن من شرائط الايمان بل الاسلام اذ قد مر أن ظن أن الله واحد ، أو ظن أن محمداً رسول الله ، و قال اني أظن ذلك وفي القلب منه شيء لا يحكم به بالجملة ليس المراد باليقين هنا المعنى المقابل للظن بل معنى آخر وكأنه سلامة الايمان من معارضة الوهام وغلبة الوسواس فان الانسان قد يعلم ثبوت أمر مثل أن الميت جماد و الجماد لا يخاف منه ولا يعترف بأن الميت لا يخاف منه وإن كان متيقناً بأنه جماد كالجماد . وكذلك اليقين بالوحدانية والرسالة قد يكون مع معارضة الوهام كثيرة يمنع الانسان عن الالتزام بلوازم يقينه وإنما يحصل بعد ارتكاز التقوى في قلبه حالة يقين على الوهام ولا يمنعه .

عن محمد بن عذافر ، عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : بينا رسول الله ﷺ في بعض أسفاره إذ لقيه ركب . فقالوا : السلام عليك يا رسول الله . فقال : ما أنتم ؟ فقالوا : نحن مؤمنون يا رسول الله ، قال : فما حقيقة إيمانكم ؟ قالوا : الرضا بقضاء الله ، والنقيض إلى الله ، والتسليم لأمر الله ، فقال رسول الله ﷺ : علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء ، [و] إن كنتم صادقين فلا تبسوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تأكلون واتقوا الله الذي إليه ترجعون .

قوله (بينا رسول الله ﷺ) في بعض أسفاره (ركب) قال بعض المحققين : بينا هي بين الظرفية اشبهت ففتحها فسارت ألفاً ، ويقع بعدها حينئذ اذلفجائية غالباً و ما ملها محذوف يفسر الفعل الواقع بعد اذ عند بعض ، و بعضهم يجعلها خبراً عن مصدر مسبوك من الفعل أى بين أوقات سفره لفي الركب ، و الركب جمع راكب الدابة مثل صاحب و صاحب .

قوله (فقال ما أنتم) وما كما تكون سؤالاً عن حقيقة الشيء كذلك تكون سؤالاً عن خواصه وآثاره المترتبة عليه وهو المراد هنا فذلك أجابوا بها (فقالوا نحن مؤمنون) أى متصفون بالإيمان الكامل (يا رسول الله) ولما ادعوا أنهم من أهل الايمان سألتهم رسول الله ﷺ عن خواص الايمان وآثاره اللازمة له ليعلم هل علموا الايمان أم لا ، (قال : فما حقيقة إيمانكم) أى ما الذى بنىء عن كون ما تدعون من الايمان حقاً ثابتاً فاجابوا بأفضل خواص الايمان وأكمل آثاره التى لا تنفك عنه حقيقة الايمان الكامل . (قالوا الرضا بقضاء الله) فى جميع الاحوال (والنقيض إلى الله) فى جميع الامور (والتسليم لأمر الله) و الاخبار له فى جميع الاحكام . (فقال رسول الله ﷺ) فى مدحهم لكون هذه الخصال المرضية من آثار العلم والحكمة ، وهما من أعظم صفات الانبياء (علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء) لأن وجود الاثر دليل على وجود المؤثر ، وقد ذكرنا سابقاً أن الحكيم أرفع من العليم ، وشبههم بالانبياء على وجه المبالغة لكمال النشأه والتقارب ، ولما كانت هذه الصفات يقتضى الزهد فى الدنيا والنقوى أى التحرر عما يؤثم وتفرغ القلب عن غيره تعالى عنهم على الاول بقوله (فان كنتم صادقين فلا تبسوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تأكلون) وانما خصهما بالنهي لانهما من أعظم مطالب الراغبين فى الدنيا ، وعلى الثانى بقوله (واتقوا الله الذى إليه

ترجى عن الجرى على مقتضى إيمانه كما لا يخاف عمال الموتى عن الاموات ولا يخاف المعارس من المعنى على جذع موضوع على جدرانها . (ش)

٢- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، وعلي بن إبراهيم ، عن أبيه ، جميعاً عن ابن محبوب ، عن أبي محمد الوائلي وإبراهيم بن مهزيب ، عن إسحاق بن عمار قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلي بالناس الصبح ، فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوى برأسه ، مصفراً لونه ، قد نحف جسمه و غارت عيناه في رأسه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كيف أصبحت يا فلان ؟ قال : أصبحت يا رسول الله موقناً ، فعجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قوله وقال : إن لكل يقين حقيقة فما حقيقة يقينك ؟ فقال : إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي و أظلم هو أجري فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها حتى كأنني أنظر إلى عرش ربي

ترجمون) وفيه وعد ووعد جميعاً وقد مر تنبيه التقوى وبيان مراتبها.

قوله (فنظر إلى شاب في المسجد) يحتمل أن يكون حادثة بين مالك الانصاري الاثني (وهو يخفق) أي يضرب أو ينام حتى يسقط ذقنه على صدره وهو قاعد . يقال : خفق برأسه إذا أخذته سنة من الناس فقال رأسه دون سائر جسده و حينئذ قوله (ويهوى برأسه) كالتفسير له . ومنشأ هذا وما بعده من اصفرار اللون و نحافة الجسم و غور العينين قلة الاكل و كثرة السهر و الرياضة والعبادة والحزن من امر الآخرة . (فعجب رسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله) لانه أخبر بشيء نادر الوقوع موجب لحمده واستحسانه والرضا عنه ، والتعجب المبال في النفس لزيادة وصف مدح أو ذم في المستعجب منه . ولما ادعى اليقين لنفسه تقاضاه ومن بمصادقه أي ما يصدق به وطلب منه شواهد تشهد له بحقيقة دعواه ، وقال (ان لكل يقين حقيقة) أي لكل فرد من أفراد الشخصية كما يشعر به قوله (فما حقيقة يقينك) فان الاضافة تفيد الاختصاص و الجزئية أو لكل نوع من أنواعه وهي علم اليقين . وعين اليقين ، وحق اليقين . ولعل المراد بحقيقة اليقين نهايته التي ينتهي إليها ويستقر فيها ولها آثار شريفة وصفات لطيفة و امارات منيعة دالة على حصولها وتحققها والسؤال وقع عن تلك الآثار فلذلك أجاب بها (فقال : ان يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني) في أمر الآخرة أو بالمر القرائ و شوق اللقاء (أسهر ليلي) بترك النوم مع التفكير والتضرع والعبادة (و أظلم هو أجري) بالصيام ، و ترك الشراب والطعام ، ونسبة الاسهار الى الليل والاضطواء الى الهواجر مجاز عقلي . و اظلماء الهواجر كناية عن الصوم في حر النهار فان الصوم فيه أشق وأفضل و نوابه أكمل وأجزل (فعزفت نفسي عن الدنيا وما فيها) ومن نعيمها وزهراتها وعزفت بسكون الناء أي عافتها و كرهتها نفسي وانصرفت عنها وضم الناء محتمل أي مهنت نفسي و سرفتها عنهما (حتى كأنني أنظر إلى عرش ربي) وقد نصب

وقد نُصِبَ للحساب و حُشِر الخلائق لذلك و أنا فيهم و كأنني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون وعلى الأرائك متكئون ، و كأنني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذبون مضطربون و كأنني الآن أسمع زفير النار ، يدور في مسامعي ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : هذا عبدٌ نوره قلبه بالإيمان ، ثم قال له : إلزم ما أنت عليه ، فقال الشاب : ادع الله لي يا رسول الله أن أُرزق الشهادة معك ، فدعاه رسول الله ﷺ فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي ﷺ فاستشهد بعد تسعة نفر و كان هو العاشر .

للحساب و حشر الخلائق لذلك و أنا فيهم) تمثيل لحال الغائب بحال الشاهد لزيادة الإيضاح مع احتمال ارادة الظاهر والاضافة للاختصاص كبيت الله و كأنه فقد المادة حصول الظن بثبوت خبر كان لاسمه من غير تشبيه أو قصد تشبيه النظر القلبي بالنظر العيني لقصد التوضيح ، (و كأنني أنظر إلى أهل الجنة يتنعمون في الجنة ويتعارفون) أي يدورون بعضهم بعضاً ويتكلمون (وعلى الأرائك متكئون ، و كأنني أنظر إلى أهل النار مضطربون مضطربون) أي صايحون مستنبطون . (و كأنني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي) جمع مسمع وهو آلة السمع أو جمع مسمع على غير قياس كمشابهة ولامع جمع شبه و لمعة ، وينبغي أن يعلم أن السالك العارف الموقن الزاهد وإن كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدة عين بصيرته لأحوال الجنة ودرجاتها و سمادتها و أهلها و أحوال النار ودرجاتها و شقاوتها و أهلها كالذين شاهدوا الجنة بعين حسهم وتنعم أهلها كالذين شاهدوا النار و عذاب أهلها ، وهي مرتبة عين اليقين أو حق اليقين أو مرتبة علم اليقين على احتمال بعيد ، والحق أن الجواب بمرتبة عين اليقين أنسب (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعد ما سمع منه هذه الآثار والإمارات التي شواهد صدق على وجود حقيقة اليقين و غاية كماله فيه : (هذا عبد نوره قلبه بالإيمان) أريد بالإيمان الإيمان الكامل ، وقد مر أنه لا يتحقق إلا بعد استقامة جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة ، ولا ريب في أن الإيمان بهذا المعنى نور الهی يتنور به الظاهر والباطن ، و كل يهتدى به إلى ما هو له وقد مر أيضاً أن بين الظاهر والباطن مناسبة توجب تأثير كل منهما عن الآخر فنور الظاهر سبب لنور الباطن و بالعكس على وجه لا يدور ، و إنما اكتفى بذكر نور الباطن وهو نور القلب لانه المقصود الاظم والمطلوب الاهم و لانه المقتضى للصفات المذكورة بالاوسطة (ثم قال له إلزم ما أنت عليه) دل أن الكمالات البشرية قد تزول بعدم المحافظة ، و لذلك قال المعارفون الصائغون من ذوالها : و ربنا لا نزع قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: استقبل رسول الله ﷺ حارثة بن مالك بن النعمان الأنصاري فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك؟ فقال: يا رسول الله! مؤمن حقاً، فقال له رسول الله ﷺ: لكل شيء حقيقة فما حقيقة قولك؟ فقال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظلمات هو أجزى وكأني أنظر إلى عرش ربي [و] قد وضع للحساب. وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون في الجنة. وكأني أسمع عواء أهل النار في النار، فقال له رسول الله ﷺ: عبدك أنك أنت الوهاب.

قوله (فقال يا رسول الله مؤمن حقاً) أي كامل في خصال الايمان وهو من سار في طرق الايمان باكتساب مكارم الاعمال والاخلاق حتى يبلغ أعلاه وترقى بالمجاهدة والوفاء من حضيض نفسه إلى أن بلغ ذراه، ولما ادعى هذه المرتبة وطلق بدعوى حق الايمان تقاضاه بمصادق ذلك وإماراته وطلب منه بيان آثاره وعلاماته (فقال له رسول الله وس) لكل شيء حقيقة) أي لكل شيء من الاشياء الظاهرة والباطنة حقيقة بها تمامه وكمالها وغاية اليها انتهاءه وما له (فما حقيقة قولك) الظاهر في دعوى ذلك الامر الباطن الكامل؛ وما غايته المترتبة عليه وما علاماته الدالة عليه. (فقال: يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظلمات هو أجزى وكأني أنظر إلى عرش ربي وقد وضع للحساب، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون) أي يزور بعضهم بعضاً (في الجنة) وكأني أسمع عواء أهل النار في النار أي صياحهم، والعوى صوت السباع، وكأنه بالدب والكلب أخص والسالك إذا اجتهد في زيادة العلم والعمل والاخلاق وقطع تعلقه عن المحسوسات ورسوم المادات ومات مع الحياة بلغ مرتبة عين اليقين وشاهد جمال الاسرار، وانكشف له أحوال الآخرة والجنة والنار، ثم إذا رجع إلى نفسه ونظر إلى عالم المحسوسات لا يبين التعلق خطر يباله بعض تلك الاحوال والنقش في نفسه بعض هذه الآثار ولو شاعده الجنة يجد في نفسه السرور والنشاط، ولو شاهد النار يجد في نفسه الحزن والخوف، وبالحيلة تظهر له حالات مع الحياة كما تظهر بعد الموت الآن ظهورها بعد الموت لا ينفع بل يوجب الحسرة والندامة بخلاف ظهورها قبله فإنه يوجب السعادة التي هي قرب الحق والأعراض عن غيره بالكلية، واعلم أن في هذه الرواية ورواية القاسم بن يزيد دلالة واضحة على أن حارثة استشهد في عهد الرسول وس، وقال الفاضل الاسترأبادي في رجاله حارثة بن النعمان الأنصاري كنيته

نوراً لله قلبه ، أبصرت فائت ، فقال : يا رسول الله أدع الله لي أن يرزقني الشهادة معك ، فقال : اللهم ارزق حارثة الشهادة ، فلم يلبث إلا أياماً حتى بعث رسول الله ﷺ بسريته فبعثه فيها فقاتل فقتل تسعة أو ثمانية ، ثم قُتل .

و في رواية القاسم بن بريد ، عن أبي بصير : قال : استشهد مع جعفر بن أبي طالب بعد تسعة نفر وكان هو العاشر .

٤- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : إن علي كل حق حقيقة و علي كل صواب نوراً .

أبو عبد الله شهد بدراً واحداً وما بعدهما من المشاهد وذكر هو أنه رأى جبرئيل عليه السلام دفعته على سورة دحية الكلبي أولهما حين خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني قريظة ، والثاني حين رجع من حنين . وشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام القتال و توفي في زمن معاوية ولا يخفى المناقات بينه وبين الرواية الآن يكون هذا غيره .

قوله (أن علي كل حق حقيقة) الحق وهو ضد الباطل كل ما جاء به الرسول من الأحكام والأخلاق والشرائع و جميع ما أمر به ودعا إليه فاخبره به أن علي كل حق ظاهر حقيقة هو ينهي إليها ويراد بها ، وفيها كماله وإليه مآله ، وقول بعض المحققين في تفسير ما جاء به الشارح إلى شريعة وحقيقة إشارة إليهما حيث أرادوا بالشريعة ظاهراً ورد به النقل وبالحقيقة باطن ما بين المبدئ وبين الله عز وجل فحكم الشريعة على الظاهر ، وحكم الحقيقة على الباطن كما روي عنه عليه السلام ونحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر ، فقد ظهر أن الحق كالشريعة أول الحقيقة وهي غايته وهو ظاهر وهي بطائفة ، فكل عبادة ظاهرة أن لم تصدر عن حقيقة باطنة كأعمال المنافقين فهي باطلة ، وكل طاعة أن لم تنته إلى حقيقة ثابتة كأعمال المرأين فهي باطلة ، وكذلك الأخلاق لها حق وحقيقة كالنور كل فإن حقه مع العام بضرورة عقد الإيمان مع تعلقهم بالأسباب وحقيقته ينهي إليها الغاص بقطع الأسباب وسكون السر إلى مسبب الأسباب ، والحياء فانه له حقاً مع الكل وله حقيقة مع الخواص ، وكالتقوى فإن أوله حق وهو تقوى الشرك يشمل عوام المؤمنين وله حقيقة وغاية يبلنها خواص الأولياء ، وكذلك الإيمان فإن أوله حق وبه يخرج عن الكفر وهو يشمل عوام المؤمنين وله حقيقة وقاية وهي كماله يبلنها خواص المؤمنين الذين قال الله تعالى في شأنهم وإنا المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تلى عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ، وكذلك اليقين أوله حق وآخره و

باب التفكير

١. علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام : قال كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : نبه بالتفكر قلبك ، و جاف عن

باطنه سقيمة هي غايته وكماله وبالجملة الحق في كل شيء بمنزلة القشر والحقيقة بمنزلة اللب ولا ينفع القشر بدون اللب وإنما قال : على كل حق ولم يقل لكل حق للتنبية بالاستعلاء على أن حقيقة كل شيء باعتبار حقيقة التي هو بها هو حتى لو لم يكن حقيقة كاملة وغاية مرادة منه لم يكن حتماً أو باعتبار المجانسة مع قوله (وعلى كل سواب نوراً) السواب ضد الخطأ أي على كل سواب جلي أو خفي من قول أو فعل أو عند برهان بحقيقته ودليل يصدق كالايمان واليقين فإن له ما علامات دالة عليهما وبيانات كاشفة عنهما حتى أن من ادعاهما ولم تكن له تلك العلامات والبيانات كانت دعواه باطلة وإنما سمي البرهان نوراً لأن البرهان آلة لظهور المستولات كما أن النور آلة لظهور المحسوسات.

قوله (نبه بالتفكر قلبك) دل على أن القلب يغفل عن الحق والآخر وما ينفع فيها وأنه لا بد من تنبيهه من الغفلة دائماً بالتفكير واختلعت العبارة في تفسيره والمرجع واحد . قال الغزالي : حقيقة التفكير طلب علم غير بدهي من مقدمات موصلة اليه كما إذا تفكر أن الآخرة باقية وأن الدنيا فانية ، فإنه يحصل له العلم بأن الآخرة خير من الدنيا وهو يبهته على العمل بالآخرة فالتفكير سبب لهذا العلم ، وهذا العلم يقتضي حالة نفسانية وهو التوجه إلى الآخرة وهذه الحالة يقتضي العمل لها وقس على هذا فالتفكير موجب لتنوير القلب وخروجه من الغفلة ، وأصل لجميع الخبرات ، وقال المحقق الطوسي : التفكير سبب الباطن من المبادئ إلى المقاصد وهو قريب من النظر ولا يرتفع أحد من النقص إلى الكمال إلا بهذا السبب ومبادئه الآفاق والآنفس بأن يتفكر في أجزاء العالم وذراته ، وفي الأجرام العلوية من الأفلاك والكواكب وحركاتها وأوضاعها ومقاديرها واختلافاتها ومقارناتها ومفارقاتها وتأثيراتها وتغييراتها ، وفي الأجرام السفلية وتربيتها وتفاعلها وكيفيةها ومركباتها ومعدنياتها وحيواناتها ، وفي أجزاء الإنسان وأعضائه من العظام والمضلات والعصبات والعروق وغيرها مما لا يحصى كثرة ، ويستدل بها وبما فيها من المصالح والمنافع والحكم والتدبير على كمال الصانع وعظمته وعلمه وقدرته وعدم ثبات ماسواه ، وبالجملة التفكير قيماً ذكر ونحوه من حيث الخلق والحكمة والمصالح أثر العلم بوجود الصانع وقدرته ومن حيث تغييره وانقلابه وفناؤه بعد وجود أثره الانقطاع عنه والتوجه بالكلية إلى الخالق الحق ، ومن هذا القبيل التفكير في أحوال الماضين وانقطاع أيديهم عن الدنيا وما فيها ورجوعهم إلى دار الآخرة فإنه يوجب انقطاع المتفكر عن

الليل جنبك! واثق الله ربك.

٢- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن بعض أصحابه ، عن أبان ، عن الحسن الصيقل قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عما يروي الناس [أن] تفكر ساعة خير من قيام ليلة ، قلت : كيف تفكر ؟ قال : يمر بالخربة أو بالدأد فيقول : أين ساكنوك ، أين بانوك ، ما [بأ] لك لا تتكلمين .

٣- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن بعض رجاله ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أفضل العبادة إدمان التفكير في الله وفي قدرته .

غير الله إليه بالطاعة والتقوى ، و لذلك أمر بهما بعد الأمر بالتفكير ، وقال (وجاف عن الليل جنبك) وهو كناية عن الأمر بالقيام للعبادة في ظلمات الليل إلى أن العباد فيها أفضل كما دلت عليه الآيات والروايات (واتق الله ربك) بترك المحرمات بل المكروهات والمشتبهات .

قوله (أن تفكر ساعة خير من قيام ليلة) أي تفكر ساعة في عظمته وآلائه وتوأمرا بإياديه ونعمائه أو في سكرات الموت وما بعده من العقوبات أو في محن الدنيا وعدم وفائها وما فيها من المصائب والويلات أو في فناء أهلها وانقطاع أيديهم من التصرفات (خير من قيام ليلة) للعبادة فإن كل ذلك يوجب تنور القلب وسفاه الذهن وترك الدنيا والميل إلى الآخرة وحلاوة الذكر والطاعة وكمال السعادة ومحبة الحق وأعراضه عن غيره واستعمال الأعضاء الظاهرة والباطنة فيما خلقت له ، وربما يخطر بالقلب بتفكير ساعة حالة مانعة من المعاصي في مدة العمر فهو أفضل من عبادة ليلة لكثرة فوائده وعظمتها (قلت كيف تفكر) أراد إيضاحه بمثال جزئي فلذلك أتى به (قال يمر بالخربة أو بالدار) التي حلك أهلها (فيقول) تحسرا أو حزنا لحاله وحالهم (أين ساكنوك أين بانوك مالك لا تتكلمين) فإنه إذا تفكر في ذلك تجدهم انقطعوا عن الدنيا وتمراتها ، وزالت أيديهم عما كان لهم من أسبابها وزهراتها وانتقلوا عن دار الانس والاحبة وخلوا بيت العزبة والوحشة ، مالهم من أحبائهم ظهير ولا نصير ولا له من أموالهم قطمير ولا نقيز إذ أوجدتهم كذلك خطر بباله أنه يصير مثلهم عن قريب ولا يكون له من ماله حق ولا نصيب ففسد لذلك قنيت الدنيا في بصره وتحتقر زهراتها في نظره فيقدم إلى إصلاح أمره ومشواه ولا يبيع آخرته بديناره .

قوله (أفضل العبادة إدمان التفكير في الله وفي قدرته) أفضلية العبادة باعتبار عظمة قدرها وكثرة منافعها وآثارها وشرافه لوازمها وأسرارها ولا ريب في أن إدمان التفكير في الله وفي قدرته

٤- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن معمر بن خلاد قال : سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول : ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم . إنما العبادة التفكير في أمر الله عز وجل .

٥- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن إسماعيل بن سهل ، عن حماد ، عن ربعي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : [إن] التفكير

أعظم العبادات قدراً وأشرفها أثراً وأفخمها رتبة وأرفعها منزلة ، ولذلك وقع الأمر به في آيات متكاثرة وروايات متضافرة وله آثار شريفة ولوازم متينة كآثار عبادات عظيمة كمعرفة الرب وعظمته وعلمه وقدرته واحتقار الدنيا وزهراتها ومعرفة الجنة ودرجاتها ومعرفة النار ودرجاتها والانعطاع عن غير الحق وتفريغ القلب له وبالجملة إيمان التفكير عبادة وأصل لجميع العبادات فهو أفضلها ، وليس المراد التفكير في حقيقة ذاته وحقيقة قدرته وسائر صفاته إذ معرفتها خارجة عن قدرة البشر ولا يصل إليها العقل والتفكير ، وكان التفكير فيها مؤدياً إلى الضلال المبين والالحاد في الدين بل المراد به التفكير في وضع صنع الله وآثار قدرته فإن التفكير فيها وفي عظمته يدل على عظمة الصانع الحق وكمال قدرته ، ومما يدل على ذلك ما رواه محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : « يا أيكم والتفكير في الله ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظيم خلقه ، وماروا حسين بن المباح عن أبيه قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « من نظر في الله كيف هو ملكه وبالجملة التفكير على قسمين : تفكير في الحق ، وتفكير في الخلق ، والعبد ممنوع من الأول ومنسوب إلى الثاني ، قال الله تعالى : « و يفكرون في خلق السموات والأرض الآية » .

قوله (إنما العبادة التفكير في أمر الله عز وجل) المحصر إضافي بالنسبة إلى غير المتفكر أو حقيقى لأن العبادة كلها تابعة للتفكير فلا توجد عبادة بدون تفكير ، فإن من تفكر أبصر الحق وطرقه الموصلة إليه وعانت الدنيا وما فيها عنده لما رأى من كثرة انقلابها على أهلها وعدم الوفاء لهم فبحسب كمال الميل إلى المولى الحق وغاية الخشوع والطاعة له والشوق إلى لقاءه لعلمه بأن الوصول إلى الدرجة العليا ، والبلوغ إلى السعادة العظمى ، والتخلص من أهوال العقاب ، والتقرب إلى مقام الزلفى إنما يحصل بترك الدنيا والتزام العبادة والتقوى فيصرف نفسه عن مبدآن الطفيلان ويجريها في مضمار الطاعة ومرضات الرحمن ، ويقدم لنفسه ما ينفعه في دار الجنان والثواب من الله الملك المنان .

قوله (التفكير يدعو إلى البر والعمل به) لأن التفكير سراج القلب يرى به المتفكر

يدعو إلى البر والعمل به.

(باب المكارم)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الهيثم بن أبي مسروق، عن يزيد بن إسحاق شعر، عن الحسين بن عطية، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : المكارم عشر

خيرة و شره و منافعه و مضاره و كل قلب لا فكر فيه فهو مظلم لا يرى إلى البر دليلا ولا إلى العمل سبيلا، و من التفكر أن يتفكر لاي شيء خلق و من أين جاء وإلى أين يقصد ولاي شيء أنزل في هذا المنزل، و فيها سعادته و شقاوته فان هذا التفكير أشد جاذب له إلى البر والعمل به، ومنه أن يتفكر في قوله تعالى: «أولم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لهم». الآية إلى غيرها من الآيات الدالة على الترغيب في التفكير فان التفكير فيها أقوى ذاجر له من الدنيا و اكمل داع إلى البر والعمل به لاخره اذ من تفكر في أحوال الماضين من الرعايا و السلاطين و أعمالهم و أخبارهم و آثارهم و تفكر في أنهم بنوا ما لم يسكنوا و جمعوا ما لم يأكلوا و سمعوا فيما لم ينتفعوا و في أنهم كم تركوا من جنات و عبود و زروع و مقام كريم و نعمة كانوا فيها فاكهين تبرد الدنيا و ما فيها عنده، و اشرق قلبه بنور ربه حتى رأى يمين البصيرة أحوال الآخرة و مقاماتها و رغبته عن قنات الدنيا و زهراتها و مال إلى حضرة الحق و الجلال و اشتاق إلى كآس القرب و الوصال، و علم أن ذلك لا يحصل الا بالبر والعمل فعلم أن التفكير يدعو اليهما، نعم ما قيل:

و لم أر كالإسقام للمرء واعظاً	ولا كمروء الدهر للمرء هادياً
لعمرك ما يدري الفتي كيف ينبغي	إذا هو لم يجعل له الله واقياً
و أحسن فان المرء لابد ميت	و انك قد تجزى بما كنت ساعياً

و منه أن يتفكر في معاني آيات القرآن عند تلاوته فإذا بلغ آيات الصفات مثل العزيز و الحكيم و القدوس يتأمل في أسرارها، وإذا بلغ آيات الافعال مثل خلق السموات و الأرض يتأمل في عظمة الخالق و كمال علمه و قدرته، وعلى هذا فانه يحمل له بذلك الانقطاع عن الدنيا و ملكة الميل إلى البر والعمل به.

قوله (قال المكارم عشر) المكرمة بزرگ و بزرگوارى و المكارم بزرگيها و بزرگواريها و ينهى أن يعلم أن النفس الناطقة اذا تركت سلطتها في ملك البدن و صارت مأسورة في يد قواء حصلت له أخلاق مهلكة مثل الكذب و الخيانة و الحرص و الحسد و النحر و الغضب و البخل و قطع الرحم و أمثال ذلك مما يعد في هذا الكتاب ثم تسرى تلك الاخلاق إلى الاعضاء الفاضحة فيصدر منها الضرب و القتل و النهب و البهتان و نحوها، و بذلك تمهد عن

فإن استطعت أن تكون فيك فلنكن، فإنها تكون في الرجل ولا تكون في ولده
و تكون في الولد ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في الحر، قيل :
وما هن ؟ قال : صدق البأس وصدق اللسان وأداء الأمانة وصلة الرحم وإقراء

رب العالمين و تستقر في أسفل السافلين و إن راعت سلطنتها فيه و أسرت قواه واعطت كل
واحدة ما فيه سلاحها قتلا و شرعا حصلت لها أخلاق سالحة منجية مثل حسن الخلق والرفق
والحكمة والعدالة والشجاعة و أمثالها مما يعد في هذا الكتاب أيضا و يصدر بسببها من
الأعضاء أفعال حسنة ومكارم فاضلة مثل الصدق وأداء الأمانة وغيرهما من الأمور المذكورة وإن
المكارم غير منحصرة فيما ذكره إن إطلاقها عليه مجاز من باب تسمية السبب باسم المسبب
لأن ما ذكر من الأفعال سبب لمكارم النفس (فإن استطعت أن تكون فيك فلنكن) دل على أنها كسبية
تتحصل بمشقة الاكتساب والمجاهدة مع النفس الأمارة ورياضتها، وقد بالغ في ذلك بقوله (فإنها تكون
في الرجل، ولا تكون في ولده وتكون في ولده ولا تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون
في الحر) للتنبيه على أنها نعمة عظيمة يمن الله على عباده ممن أخذت هذه العناية الإلهية و
توجهت إليه التوفيقات الربانية بحسن سياسته وكمال عزيمته و تمام إرادته إلى معالي الأمور
(قيل : وما هن، قال صدق البأس) أي الخوف أو الخضوع أو الشدة والفقر و منه البأس الفقير
أو القوة و صدق الخوف عن المعصية بأن يتركها ومن التقصير في العمل بأن يسعى في كماله
ومن عدم الوصول إلى درجة الإبرار بأن يسعى في اكتساب الخبرات فلما دعي الخوف في
شيء من ذلك و بقي عليه ولم يسع في إزالته فهو كاذب و صدق الخضوع بأن يخضع لله
تعالى لا لغيره فمن ادعى الخضوع لله تعالى وهو يخضع لغيره فهو كاذب و صدق التقصير بأن
يترك عن نفسه هواها ومتميناتها و آمالها وألا فهو ليس بفقير، و صدق القوة أن يصرفها في
الطاعات فمن صرفها في المعاصي فهو ضعيف عاجز، (و صدق اللسان) بأن لا يتكلم بما ليس فيه
رضاء تعالى مثل الكذب واللفو والفحش والفتية و نحوها بل يتكلم بما فيه رضاء من الأمور الدينية
أو الدينية (وأداء الأمانة) أي أمانة الناس برأكان أو فاجرا أو أمانة الله تعالى أي أمانة الأمانة
وفعل الطاعات وترك المنهيات والمعهود،

(وصلة الرحم) أي الاحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والاسهار والتعطف عليهم
والرفق بهم والرعاية لأحوالهم في السر والعلانية وإن أساءه فكأنه بالاحسان إليهم و سل
ما بينهم و بينه من علاقة القرابة والصهر، ويدخل فيها صلة أقرباء النبي ومن (واقراء الضيف)
أي المؤمن أو المسلم مطلقا أو الأعم منه، ومن الكتابي على احتمال لدلالة ظاهر بعض الروايات
عليه، وأما الحرى ففيه تأمل والظاهر أن الإقراء بمعنى القرى المجرد يقال : قرى الضيف

الضيف وإطعام السائل والمكافاة على الصنائع والتذمم للجار والتذمم للصاحب و
رأسهن الحياء .

٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى ، عن
عبدالله بن مسكان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله عز وجل خص رسله بمكارم

أقره من باب رمي بالكسر والقسر والاسم القراء بالفتح والمعد (إطعام السائل) كذلك
والإطعام كما يوجب الثواب الجزيل في الآخرة كذلك يدفع الفقر والبلاء ويوجب زيادة الرزق
في الدنيا ثم يتفاوت ذلك بحسب تفاوت نية المطعم واحتياجه واستحقاق السائل وصلاجه، (و
المكافاة على الصنائع) جمع الصنعة وهي ما استطعته من خير وكل شيء سواه شيئاً حتى صار
مثله فهو مكافئه له والمكافاة بين الناس من هذا، ويقال بالفتارية باداش دادن بمثل وقديهم
ويراد مطلق المجازاة الشامل للمساوي والأزيد والانتقص ثم المكافاة من باب الآداب والاستحباب
لجواز الأخذ من غير عوض للمرويات منها رواية إسحاق بن عمار قال قلت له: والرجل الفقير
يهدى إلى الهدية يترضى لما عندي فأخذهما ولا أعطيه شيئاً قال نعم هي لك حلال ولكن لا
تدع أن تمطيه، (والتذمم للجار، والتذمم للصاحب) التذمم يجيء للجنب مثل تأثم وتخرج
أي تجنب التأثم والخرج، ومنه التذمم وهو مجانية الذم والتحرر منه والمقصود أن من مكارم
الرجل أن يحفظ ذمام الجار والصاحب ويترحم عن نفسه ذم الناس له أن لم يحفظه، والذمام
بالكسر الحرمة، وما يذم به الرجل على أمانته من العهد والأمان وغيرهما (رأسهن الحياء)
هو خلق غريزي أو مكتسب يمنع من فعل القبيح وخلاف الآداب والتفكير في الحقوق خوفاً من
الذم والظم به، ولا يوجد شيء من المكارم بدونه ولذلك هو رأسهن.

قوله (إن الله عز وجل خص رسله بمكارم الأخلاق) الأخلاق جمع خلق وهو ملكة للنفس
بصدره الفعل بسهولة من غير روية وفكر خلاف الحال؛ وقد توهم أن الأخلاق كلها خلقية فيكون
التكليف بها تكليفاً بما لا يطاق وهذا التوهم فاسد لأن الأخلاق قد تتغير وتبديل كما هو المشاهد
في كثير من الناس فأنهم يزاولون ويمارسون خلقاً من الأخلاق حتى يصير ملكة لا يقال مدخول الباء
أما مقصود كما يقتضيه القاعدة، أو مقصود عليه، فعلى الأول لزم أن لا توجد المكارم في غير
الرسل وهو يناقض ما بعده وعلى الثاني لزم أن لا يوجد في الرسل غير المكارم لانا نقول يمكن
دفع الأول بأن للمكارم عرضاً عريضاً والمقصود على الرسل هو الطرف الاعلى، ولا ينافيه وجود
مادونه على تفاوت المراتب في غيرهم، أو بأن خلقية المكارم مقصورة على الرسل جميعاً
ولا توجد في غيرهم جميعاً ولا ينافيه وجودها في بعض الأغيار، ويمكن دفع الثاني بأن
الحصر إضافي بالنسبة إلى أعداد المكارم يعني أن الرسل مقصودون على المكارم ولا يتجاوزونها

الاخلاق، فامتنحوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله واعلموا أن ذلك من خير وإن لاتكن فيكم فاسألوا الله و ارغبوا إليه فيها، قال : فذكر [ها] عشرة: اليقين والقناعة والصبر والشكر والحلم وحسن الخلق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروءة قال : وروي بعضهم بعد هذه الخصال العشرة وزاد فيها الصدق و أداء الأمانة.

الى أعدادها بخلاف غيرهم وهذا أظهر على أنه يمكن ان يكون المقصود أنه تعالى خص رسله بانزال المكارم اليهم وتقريرهم لها وعلى هذا لا يتوجه شيء.

(فامتنحوا أنفسكم) و اختبروها (فإن كانت فيكم فاحمدوا الله) لانها من أعظم نعمائه لديكم (واعلموا أن ذلك من خير) عظيم أفاضه عليكم (و ان لاتكن فيكم فاسألوا الله) عن تيسير ذلك الكمال (و ارغبوا اليه) بالتضرع والابتغال .

(قال فذكرها عشرة) غير العشرة المذكورة في الحديث السابق لكونها غير منحصرة فيها . (اليقين) بالله واليوم الآخر وكتبه و رسله، وهو العلم مع زوال الشك و علاماته الممثلة بمقتضاء (والقناعة) وهي الرضا بالقليل وفيه راحة في الدارين، و في الحديث والقناعة كنز لا يفنى لان الانفاق معها لا ينفطع كلما تمذره عليه شيء من امور الدنيا فنع ببادوله ورضى وفيه عز من فتح وذل من طمع، لان القانع لا يذله الطلب فلا يزال عزباً .

(والصبر) على المصيبة وفعل الطاعة وترك المعصية (والشكر) لله في جميع الاحوال باللسان والجنان والاركان (والحلم) بضبط النفس عن الانتقام عند صدور ما يؤذيه عن الغير وهو سفة لها بالاعتدال في القوة الغضبية.

(و حسن الخلق) مع الناس بالجميل والطلاقة والبغاشة والتروء والتلطف و الاشفاق عليهم (و السخاء) أي بذل المال بسهولة على قدر لا يد منه في موضعه و هو فضيلة تقاينة مندرجة تحت الاعتدال في القوة الشهوية وأفضله ما وقع بغير سؤال كما يدل عليه قول أمير المؤمنين ع: السخاء ما كان ابتداء فاما ما كان عن مشقة فحياء وتذمه أي استنكاف و معافية عن الذم (والغيرة) أي الحمية في الدين والاستنكاف عما يفاير و تغير الطبع عما يخالفه (والشجاعة) وهي ملكة للنفس حاصلة من الاعتدال في القوة الغضبية و يبينها عليها الامر بالمروءة والنهي عن المنكر وامضاء الاحكام والحدود والجهاد مع النفس والشيطان والعدو (والمروءة) أي كمال الرجولية في الدين ورعاية حال فقراء المسلمين والمسلمين و تفقد أحوال اليتامى والارامل والمساكين.

(قال وروي بعضهم بعد هذه الخصال العشرة وزاد فيها الصدق) أي صدق البأس و صدق اللسان (و أداء الأمانة) الى الناس، أو مطلقاً وهو أي الصدق مفعول روى و زاد على سبيل

٣- عنه، عن بكر بن صالح، عن جعفر بن محمد الهاشمي، عن إسماعيل بن عباد قال بكر: وأظنني قد سمعته من إسماعيل؛ عن عبدالله بن بكير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنا لنحب من كان عاقلاً، فهِماً، ففقيهاً، حليماً، مدارياً، صبوراً صدوقاً، وفيما التنازع وإن توهم زيادة لفظ بمداوراد.

قوله (إنا لنحب من كان عاقلاً) له جوهر مجرد (١) نوراني يدرك به المعقولات والمنقولات ويميز بين الحق والباطل والهادي والمضل (فهماً) انهم من صفات العاقل وهو جودة تهيؤ الذهن لقبول ما يرد عليه من الحق وبه ينتقل من المبادئ الى المطالب بسرعة . (فقيهاً) الفقه العلم بالاحكام من الحلال والحرام و بالاخلاق وآفات النفوس (٢) و مواسع

(١) قوله له جوهر مجرد جري على اصطلاح الحكماء فان العقل عندهم يطلق على العقل النظري والعقل العملي، وهما مما امتاز به الانسان من سائر الحيوانات، فانها تشترك مع الانسان في الحس، ويمتاز الانسان عنها بشيئين: الاول بأنه يدرك الحسن والقبح في الافعال ويحكم بأن بعض الاعمال حسن وبعضها قبيح، ولا يدرك الحيوان شيئاً من ذلك البته، ولذلك كلف الانسان بتكاليف وصار مسؤولاً عن أفعاله وان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولاً، وهذا يسمى العقل العملي وهو الذي أنكره الاشاعرة، والثاني أنه يدرك الكليات والمعاني العامة، ولا يدركها الحيوانات والدليل عليه أنه يتكلم، وأكثر كلماته كليات يدرك معناها ويحكم عنها ولا يقدر على ذلك الحيوانات الاخرى، فالحيوان يتوجع ويعرض له الالم ويحس به ويخاف من عدوه، ويحصل له الباء على الفرار، ويجب أولاده ويحفظها من الافات حتى تكبر وتسلمني عن الام، ولكن لا يقدر على لفظ يحكي به عن معنى الالم والخوف والحب لانه لم يدرك معنى عاماً يشمل أفراد كل منها، وإنما يحصل لها مصاديق هذه المعاني كما يحصل للطفل الصغير قبل أن يتكلم، ولذلك عبر عن ادراك الكلى بالنطق، وبالجملة أشار الشارح بقوله يدرك به المعقولات الى العقل النظري، وبقوله ويميز بين الحق والباطل الى العقل العملي وكلاهما حاصل للانسان بسبب تجرده عن المادة ذاتاً وان تعلق بها فعلاً ولا ريب أن الاختيار من لوازم النفس المجردة والطبيعة متهورة مجبورة في أفعالها لاسبيل لها الى التخلف عما أودع فيها، والانسان لكونه مختاراً غير مجبور لا بد أن يكون له قوة يرجح بها ما ينهى أن يفعله ويميز ما يجب أن يشركه وهو العقل العملي، ولكونه مستعداً لاستنباط المجهولات من المعلومات أن يكون له عقل نظري يدرك به الكليات اذ الجزمي لا يكون كلياً ولا مكتسباً . (ش)

(٢) قوله و بالاخلاق و آفات النفوس ، جري على اصطلاح الائمة عليهم السلام في تعريف الفقه ، فان الفقه عندهم عليهم السلام كان يشمل علم الاخلاق وغيره . ولكن في شرح اصول الكافي - ١١١ -

إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَصَّ الْأَنْبِيَاءَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَمَنْ كَانَتْ فِيهِ فُضَيْلَةٌ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَى ذَلِكَ وَمَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ فَلْيَتَضَرَّعْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلْيَسْأَلْهُ إِيَّاهَا، قَالَ : قُلْتُ : جَعَلْتَ فِدَاكَ وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : هُنَّ الْوَرَعُ وَالْقَنَاعَةُ وَالصَّبْرُ وَالشُّكْرُ وَالْحِلْمُ وَالْحَيَاءُ وَالسَّخَاءُ وَالشَّجَاعَةُ وَالْفِيْرَةُ وَالْبِرُّ وَصَدَقَ الْحَدِيثُ وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ.

٤- عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عِيْسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ارْتَضَى لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ،

القرب من الحق أو بصيرة قلبية في أمور الدين تابعة للعلم والعمل مستلزمة للخوف والخشية (١)
(مدارياً) المدارة الملائمة والملائمة مع الناس وترك مجادلتهم ومناقشتهم.

(سَدُوقاً وَفِيّاً) أى دائم الصدق والوفاء ، والصدق ملكة تحصل عن لزوم الاقوال العاطفة، والوفاء ملكة تنشأ عن لزوم العهد والامانة والبقاء عليه ومما فضيلتان داخلتان تحت اللغة متلازمان، و لذلك قال أمير المؤمنين (ع) : ان الوفاء توأم الصدق ولما كان التوأم هو الولد المقارن لولد آخر في بطن واحد شبه به الوفاء لمقارنته الصدق تحت العفة ، و في هذا الحديث تحريص على محبة الموصوف بالصفات المذكورة فيه واختيار مصاحبه ، فانه دليل الى سبيل الخيرات و مرشد الى طرق النجاة ولكن وجداله منسرفان الجاهل قد يدل على فلا بد للمطالب من حزم ونجس لتلايقخذ الجاهل مصاحباً ولا يقع في وبيل الغفلة يهدى الايمان، واعلم أن المكارم المذكورة في هذا الحديث اثني عشر كما في السابق الآن اليقين وحسن الخلق والمروءة المذكورة في السابق غير مذكورة في هذا الحديث، والورع والحياء والبر المذكورة في هذا الحديث غير مذكورة في السابق، والورع هو الكف عن المحرمات و المشتبهات بل عن المباحات أيضاً والبر هو الاحسان بالوالدين والاقربين بل بالناس أجمعين وقد يطلق على الاعمال الصالحة والخيرات كلها.

وهو المثلأخرين رضي الله عنهم خصوصاً الفقه بالاحكام الظاهرية وميزوا بينه وبين علم الاخلاق ولا مباحة في الاصطلاح. (ش)

(١) قوله مستلزمة للخوف والخشية، فرق بعض علماء الاخلاق بين الخوف والخشية وقال ان الخوف من الضمائم وأهل الأهواء لكثرة معاصيهم وتقصيرهم يخافون العذاب، والخشية حاسلة للعلماء بالله والاولياء لمعرفةهم بمنفعة ربهم والاستعداد بشدة قهره وكمال رحمته و عظم قدرته واحتاطة علمه وسائر صفاته الكمالية لا للخوف من العذاب اذ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال تعالى «أنا يا يحيى إله من عباده العلماء» . (ش)

فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق.

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: الايمان أربعة أركان: الرضا بقضاء الله والتوكل على الله و تفويض الأمر إلى الله والتسليم لأمر الله.

٦- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي، عن عبد الله بن سنان عن رجل من بني هاشم قال: أربع من كن فيه كمل إسلامه ولو كان من قرنه إلى قدمه خطايا لم تنقصه: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر.

قوله (فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق) فانهما يوجبان كمال الدين و قراره كما أن البخل و سوء الخلق يوجبان نقصا و إرادته. فالدين كالمصاحبان راعيته قر وان آذيته ضر. **قوله (الايمان أربعة أركان الرضا بقضاء الله والتوكل على الله و تفويض الأمر إلى الله والتسليم لأمر الله)** الرضا بقضاء الله سكون النفس تحت مجارى القدر و سرورها بما يرد عليها وان كان ثقبلا عليها لانه من الحبيب و كل شيء من الحبيب فهو حبيب والتوكل جعل الغير وكيلا في اموره وهو على قسمين أحدهما أن يقصد رجوع الوكيل اليه في امضاءها والاخر أن يقصد استغلاله فيه وهذا القسم هو التفويض فالنفويض قسم من التوكل وأفضل أفراد، ثم التفويض على قسمين: أحدهما أن يرى المفوض كل ما يفعله المفوض اليه موافقا لطبعه والاخر أن بمجرد نفسه من ملاحظة الموافقة والمخالفة حتى كأنه فوض نفسه وطبعه أيضا اليه. وهذا هو التسليم فالنسليم نوع من التفويض وأكمل أفراد، وانما كانت هذه الأربعة أركان الايمان اذ بانتفاء الرضا بقضاء الله ينحقق السخط عليه وهو بوجوب هدم بناء الايمان به، و بانتفاء التوكل ينحقق الحرص في الطلب وفوات كثير من الاعمال الصالحة المنبئة في الايمان وهو بوجوب هدمه و كذا انتفاء التفويض والتسليم بوجوب تحقق تعلقات كثيرة منافية للايمان الكامل، وبالجملة هذه الامور من لوازم اليقين فانفائها موجب لانقائه المنافي للايمان.

قوله (أربع من كن فيه كمل إسلامه ولو كان من قرنه إلى قدمه خطايا لم تنقصه) أي أربع خصال، والضمير المقبول في لم تنقصه راجع إلى الاسلام، أو إلى من (الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر) قد مر تفسيرها، ولا يخفى أن ثبوتها يستلزم انتفاء المعصيات (١) مطلقا كما لا يخفى على المتأمل.

(١) قوله يستلزم انتفاء المعصيات، أولانه ينتهي أمره إلى النوبة يقبها ويموت نائبا البتة (ش)

٧- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، وعلي بن إبراهيم عن أبيه، جميعاً عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن أبي حمزة، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بخير رجالكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله! قال: إن من خير رجالكم النقي، السمع الكفين، النقي الطرفين، البر بالديه ولا يلجى عياله إلى غيره.

(باب فضل اليقين)

١- الحسين بن محمد، عن مملوك بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن مثنى ابن الوليد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس شيء إلا وله حد؛ قال: قلت: جعلت فداك فما حد التوكل؟ قال: اليقين، قلت: فما حد اليقين؟ قال: ألا تخاف مع الله شيئاً.

قوله (ألا أخبركم بخير رجالكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال إن من خير رجالكم) لا يقال أول هذا الكلام ينافي آخره في الجملة لأن قوله خير رجالكم يفيد أنه الخير مطلقاً، و قوله من خير رجالكم يفيد أنه من جملة خير الرجال وبعضهم لا يقول لعل المراد بالاول الصنف بالآخر كل فرد من هذا الصنف أو يقول الآخر قرينة على أن المراد بالاول الخير الاصافي بالنسبة الى من لم توجد فيه الصفات المذكورة دون الخير الحقيقي وعلى الإطلاق.

(النقي النفي السمع الكفين) والنقي المحترز عن كل ما يؤثم خوفاً من الله تعالى و تبعيداً لنفسه عن مخالفته ودالنقي، التنظيف الظاهر والباطن من الوسخ النفساني والدنس الجسماني والسمع الجود المعطى واسناد الجود والاعطاء الى الكفين لظهورهما متهما في ذكر الكفين مبالغة في كمالهما.

(النقي الطرفين) أي اللرجين أو الفرج واللسان، أو الفرج والبطن، وقيل الوالدين (والبر بالديه) أي المحسن إليهما والمطيع لهما والرفيق بهما والمتحرى لمحابهما والمتوقى عن مكابهما.

(ولا يلجى عياله الى غيره) مع القدرة على اتفاق ما يكتفيهم يقال: ألجأت إليه ولجأت بالهمزة والضميف أي اضطررت و أكرهته.

قوله (فما حد التوكل؟ قال اليقين) في المصباح اليقين: العلم الحاصل عن نظر و استدلال، ولهذا لا يسمى علم الله يقيناً. وفي أوصاف الاشراف اليقين اعتقاد جازم مطابق ثابت

٢- عنه، عن معلى، عن الحسن بن علي الوشاء، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن أبي ولاد الجشاط وعبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من صحة يقين المرء المسلم أن لا يرضى

لا يمكن زواله و هو في الحقيقة مؤلف من علمين: العلم بالمعلوم، والعلم بأن خلاف ذلك العلم محال وله مراتب علم اليقين وعين اليقين و حق اليقين والقرآن ناطق بذلك والحد في اللغة منتهى كل شيء و نهايته وفي المرف التعريف و يمكن ارادة كلا المعنيين: أما الاول فلان التوكل ينتهي الى اليقين و هو منتهى و أثره اذا الانسان قبل التوكل يظن أن له مدخلا في حصول مهماته فليس له يقين بالله و صفاته الذاتية والفعلية كما هو حقه و بعده يرى أن مهماته تحصل على الوجه الاحسن والاكمل فيحصل له يقين كما هو حقه فاليقين حده و منتهاه. وأما الثاني فلان اليقين أثر من آثار التوكل كما عرفت فتعريفه باليقين تعريف له بأثر من آثاره، و أما جعل الحد بمعنى التعريف و جعل اليقين سبباً للتوكل فهو وان كان محتملاً في نفسه لكن لا يناسب ما بعده اذ اليقين سبب لعدم الخوف من غير الله دون العكس.

(قلت فما حد اليقين؟ قال الانحاف مع الله شيئاً) جعل عدم الخوف من غير الله نهاية لليقين و أثره من آثاره أو تعريفاً له بما لا يوجب اليقين لان الانسان اذا كملت قوته النظرية باليقين بالله و صفاته العظام لا يخاف الا من الله كما قال من شأنه: انما يخشى الله من عباده العلماء ثم نقول حد الخوف استئصال الجوارح والاعضاء فيما خلقت له و صرفها عن غيره، ثم حد هذا تعريف القلب بما عدا بحيث لا ينظر الى شيء سواه، ولا يرى في الوجود الا اياه فهو منتهى كل غاية و غاية الغايات كما ورد في بعض الروايات.

(قال من صحة يقين المرء المسلم أن لا يرضى الناس بسخط الله) ليس كل من يدعى اليقين له يقين صحيح صادق مستمر بل لصحته وثبوته و كونه ملكة علامات، ومن علامات صحته أن لا يرضى الناس أبداً بما يوجب سخط الله تعالى و غضبه عليه كما هو فعل غير موقن فانه يقول ما يوافق طبع الناس و يعمل ما فيه رضاهم و ان كان فيه سخط الرب لثلاث ينوت مقاصده المأمولة منهم ، أو لنير ذلك من الافراض الفاسدة فيترك الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و يحاسب الفاسقين والمظالمين ، و يساهل معهم و يميل الى ما هو مستحسن في طباعهم المموجة ولا يعلم أن أقل ما يفعل الله تعالى بمن جعل رجاء فداء لرضا غيره و سخطه فداء لسخط خلقه بعد مقتنه هو أن يضرب على قلبه ذل الحجاب وأن يقلب قلب من طلب رضا يبطئه اياه كما روى من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه و أسخط عليه الناس بخلاف الموقن فانه لما كانت ثقته بالحق و اعتماده على لطفه و احسانه مع يقينه بأن الخلق متهودون مضطرون و أن

الناس بسخط الله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله، فإن الرزق لا يسوقه حرم حريص ولا يردّه كراهية كاره، ولو أن أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت، ثم قال: إن الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في

قلوبهم بيده يتصرف فيها ما يشاء كان صليبا في الدين قابلا على اليقين يقول الحق و يأمر به وينهى عن الباطل و يزجر عنه و يفرم ما فيه رضى الناس و سخط الرب ولا يبالي أن ذلك يوجب سخطهم ومنهم لعلبه بأن حصول المقاصد و وصول الارزاق من عند الله تعالى.

(ولا يلومهم على ما لم يؤته الله) أى ولا يذمهم على ما لم يؤته الله تعالى من الرزق و هو ما يحتاج إليه و ينتفع به فى التمشى والبقاء وفى اختصاصه بالحلل أو شموله للحرام أيضا خلافاً لمذكور فى موضعه والذى من الذم لوجوه الأول أن ذمهم ظلم لهم لأنهم لم يمنعوه بل الله لم يؤته ما طلب منهم، الثانى أن ذمهم ينتهى الى الله لأنه انما يذم المانع من الاعطاء ولا مضى ولا مانع الا الله فيرجع الذم اليه، الثالث أن ذم المانع من الخلق شرك لأنه اعتقد أنهم مانع له فذمه فأشرك فى المنع مع الله غيره ألا ترى كيف يردّه عن هذا الشرك الى التوحيد وعن الجهل الى العلم وعن الشك الى اليقين وعن الاضطراب الى الاطمينان بقوله:

(فإن الرزق لا يسوقه حرم حريص ولا يردّه كراهية كاره) فإن أمر الرزق ليس بيد احد حتى يسوقه اليه عند حرصه أو تردّه عند كراهيته بل هو بيده تعالى يوصله الى عباده على حسب ما يقتضيه المصلحة من الزيادة والنقصان، و يحتمل أن يكون المراد أن الرزق لا يسوقه الى أحد حرم حريص ولا يردّه عند كراهية كاره فينبى أن لا يذم المخلق بالرد والمنع، ويؤيده ما روى من طرق العامة وأن رزق الله لا يسوقه اليك حرم حريص ولا يردّه عنك كراهية كاره، .

(لو أن أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت) بالغ به فى أن رزق كل أحد كموته بيده تعالى يوصله اليه قطعاً أرادّه أو كرهه لان الحكيم القادر اذا جعل الوجود موقوفاً على الرزق يمنع عليه أن يقطع الرزق مع محقق الوجود بل وجب عليه ايصاله، و ان لم يكن المرزوق عالماً بطرقه و منه ينشأ الاضطراب والهم والحزن، ويدرك الى السؤال والذم والدافع له هو اليقين والرضا عنه تعالى و لذلك حث على طلبهما للظفر بالروح فى القلب والتخلص من الاضطراب و بالراحة فى البدن والتفرغ من ذل السؤال و خسايس الاكتساب بقوله:

(ثم قال ان الله بعدله وقسطه) المعطف للتفسير (جعل الروح والراحة) أى راحة القلب وسكونه عن الاضطراب و راحة البدن و فراغه من الاعقاب.

اليقين والرضا و جعل الهم والحزن في الشك والسخط.

٣- ابن محبوب، عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن

العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين.

٤- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن أبان، عن زرارة، عن

أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آله: لا يجد أحد [كم] طعم الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

(في اليقين والرضا) فان الموقن بالله و بصفاته العظمى والراسى عنه بالمتنع والاعطاء يطمئن قلبه عن التردد والتلون ، و يفرغ عن الاعتماد والتعزن و يتنزع عن علقه الاسباب و يتوكل على رب الارباب فيستريح عن تصادم الهموم والاضطراب ويتخلص عن تراكم الغموم والاكتساب لتيقنه بأن وزقه يصل اليه لانه ضمنه عادل حكيم ثم عكس ذلك تأكيداً بقوله (و جعل الهم والحزن) الهم الهم المقتضى للنفس أو الهم في تحصيل المطلوب عند صوبته خوفاً من فواته، والحزن غم يصيب الانسان بفوات المحبوب.

(في الشك والسخط) لان الشك يوجب تردد القلب وانزعاجه وتلونه واضطرابه من تجاذب الاسباب وغفلته عن تقدير رب الارباب وكل ذلك يوقه في الهم والحزن والعذاب وكذا سخط القلب بالمفسوم وعدم الرضا به يوقه في الهم والحزن والغموم ولذلك قيل : ما العيش الا في الرضا والمبر في حكم القضاء . ما بات من عدم الرضا الا على جمر الدماء قوله (أن العمل الدائم القليل على اليقين) بذلك أو مطلقاً . (أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين) لا بد من اعتبار الدوام في العمل الكثير ليكون نساً على أن الافضية باعتبار اليقين ولعل السرفيه أن اليقين يوجب التقوى وكمال الاخلاص والفضل بزاد بهما و لذلك قال أمير المؤمنين (ع) لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل ما يتقبله وفيه ايماء الى قوله تعالى وانما يتقبل الله من المتقين، وإشارة الى أن المقبول من الاعمال لا يعد قلباً وكيف يعد قلباً ما يضاعف و يضاعف عند الله تعالى، والى أن العمل على غير يقين قد لا يكون مقبولا وقد سمع (ع) رجلاً من الحرورية يشهد ويشترأ فقال: دنوم على يقين خير من صلاة في شك، وذلك لان صلاة الشاك فيما يجب الاعتقاد فيه لا تنفعه صلاة ولا دنوم الموقن بنفعه.

(لا يجد أحد [كم] طعم الايمان) فيه مكنية وتخييلية حيث شبه الايمان بالطعام في أنه غذاء للروح به ينمو ويبلغ حد الكمال كما أن الطعام غذاء للبدن.

(حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه) إشارة الى أن للايمان

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه جلس إلى حائط مائل، يقضي بين

بداية ونهاية ونهاية غدايته حتى ونهايته حقيقة كما أشار إليه أجمالاً بقوله سابقاً: إن على كل حق حقيقة وأن المؤمن ينبغي أن يسير في طرق الإيمان باكتساب مكارم الأخلاق حتى يبلغ أعلاه ويترقى بالمجاهدة والوفاء من حضيض النقصان إلى أن يبلغ ذراه فلا يزعمه الهوى ولا تحركه الشهوة والمنى ويثقل بكليته قلبه إلى المولى ويحقق ما قلنا قوله حتى يعلم لذكر الحقيقة بلفظ الغاية وهو حتى الموضوع لها فجعلها حقيقة الإيمان المترقى إليها باستعمال وغائته وليس المراد بهذا العلم العلم بسابق قدر الله ونفوذ حكمه فيما قدره وقضاء من عطاء ومنع وضر ونفع لأن هذا أول الإيمان وحقه الذي اشترك فيه المؤمنون كلهم (١). بل المراد والله أعلم يقينياً بالمطلوب بالغا مرتبة عين اليقين حتى كأنه يعاينه كما أخبر حادثة بحضور النبي ومنه بأنه مؤمن حقاً وأدعى حقيقة الإيمان فطالبه بامارات تلك الحقيقة التي ادعى بلوغها، فقالوا عزفت نفسى عن الدنيا إلى آخر ما ذكره، وما كان هذا الحديث إلا كما روى أن أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان، فلو كان المراد الاعتقاد بأن الله معهم أينما كانوا علماً وأحاطة لم يكن للتفضيل معنى وقائد لاشتراك الكل فيه فلا بد من أن يراد بلوغ صاحب هذا الإيمان (١) قوله واشترك فيه المؤمنون كلهم، قد سبق منا مراراً خصوصاً في مقدمة الكتاب أن اليقين بالمعنى الذي ذكره الشارح أولاً وهو التصديق الثابت العازم المطابق للواقع معنى واحد لا يقبل الشدة والضعف بنفسه وهو مناط الإيمان والاسلام اذ لم يحكم أحد من علماء المسلمين من صدر الاسلام إلى زماننا هذا باسلام من يظن صدق رسول الله تعالى، وإنما يحكم بما يدل على يقينه ومنه المانع من احتمال النقيض فلا بد أن يلتزم بتأويل ما يوهم خلاف ذلك والظاهر أن يحمل الدرجات والمراتب على درجات تطلب العقل على الوهم. اذ قد يتفق أن يعلم الإنسان شيئاً علماً يقيناً ولكن يمارضه وهمه كمن يعلم بقتله أن الميت حماد لا يخاف ولكن يخاف منه يوهمه ومن يعلم أن البطالة توجب الحرمان والفقر ولا يبالى به لمعارضة وهمه والمؤمن يجب أن لا يعنى يوهمه بكل حال ويفلب عليه، ويلتزم بلوازم يقينه ومثال علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين يشترى هذا التأويل فإن الذي يعلم بوجود النار، والذي يراها بعينه كلاهما عالمان. لا يحتمل عندهما عدم وجود النار لكن العين بأبصارها تطلب على الوهم غلبة لا تحصل من العلم. والذي ماس النار وأدرك ألم الحرق يجنب عنها أكثر ممن لم يدركه وهذا حاصل بالتجربة في أفراد الناس، وفي أمثالنا ما معناه لسبع الحبة يخاف من الحبل وذكرنا هناك تأويلاً آخر ينطبق على كثير من الروايات. (ش)

الناس فقال: بعضهم ، لا تثبت تحت هذا الحائط ، فإنه معور فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: حرس امره أجله فلما قام سقط الحائط قال: وكان أمير المؤمنين عليه السلام يفعل هذا وأشباهه وهذا البقين.

غاية يفضل بها على غيره فكذا المراد هنا أن أحداً لا يجد طعم الايمان وحقيقته حتى ينتهي الى غاية يعلم بها يقيناً كالعيان ان ما أساء به من خير وشر ونفع وضر لم يكن ليخطئه أى يجاوزه الى غيره. وما أخطأ أى جاوزه الى غيره لم يكن قط ليميبه ولا يعرف بلوغ المبدى الى حقيقة هذا الايمان والعلم الا بظهور أماراته له ولغيره كما أبان حارثة أمارات ما دهمى من حقيقة ايمانه فبسلم له ويشف هو عند علمه ومن أمارات من بلغ حقيقة هذا اليقين والايمان أنه يسكن حسن طلب الدنيا وثمراتها، ومن التشرى الى منافعها وزهراتها، وتعذيب القلب والمخاطر بانظارها وتمنيها ثقة بأن ما قسم له منها لا يجاوزه وما جاوزه الى غيره لا يسيبه فيطمئن قلبه و يرضى بسابق قسمته له فلا يحرس فى طلب المنافع ولا يتوجه قلبه اليها كأنه يخاف فيها منع مانع، ولا يتحرك فى أسبابها الآن يتوجه اليه أمر المولى كقوله فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، فالظاهر منه متحرك والباطن ساكن مطمئن موقن بأنه لا يد من كون جميع ما قدر الله كونه وامضاء ، ومن لم يبلغ هذه المرتبة فعليه الصبر على ما يكره فان فيه خيراً كثيراً لعله يوصله الى غاية مقام اليقين والرضا قال بعض الاكابر: عليه السلام عباد لا يرضون له منهم بالصبر على ما قدره قضى بل يتلقون أمراً حكمه باليقين والمحبة والرضا .

قوله (فانه معور) بضم الميم وسكون العين وكسر الواو أى ذو عوار بفتح العين وضمها يعنى فيه عيب وخلل يخاف منه القطع والهدم.

(حرس امره أجله) امره مرفوع على الفاعلية وأجله منصوب على المفعولية والعكس محتمل والمقصود الانكار لان أجل المرء ليس بيده حتى يحرسه .

(وهذا اليقين) بالقدر فانه يسكن النفس فى مثل هذه المواضع لعلمه يقيناً بأن كل ما قدر وقوعه فهو واقع فلا ينفع الفرار منه وكل ما قدر عدم وقوعه فهو غير واقع فلا يضر عدم الفرار. لا يقال لعل تقدير عدم وقوع الحائط عليه مثلاً مشروط بالفرار فيجب الفرار طلباً للقدر وتحرراً عن الهلاك لانا نقول الفرار وعدمه أيضاً داخلان فى التقدير، ومن جملة المقدران كان المتدور هو الفرار، وقع قطعاً وان كان عدمه لم يقع. فان قلت لا معنى حيثئذ للتكليف بالفرار. قلت التكليف به تكليف بالمتدور والتكليف بالمقدور أيضاً مقدر فهو واقع على أنه يمكن أن يقال مناط التكليف به امكانه فى ذاته، أو التكليف به مختص بغير الموقن لان الموقن يتوكل على الله ، و يفرض أمره اليه فيقيه عن كل مكروه كما قال عز وجل واليس الله بكاف عبده، وكما قال مؤمن آل فرعون ذو الخوف امرى الى الله ان الله بصير بالعباد فبقاء

٦ عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن صفوان الجمال قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: "وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا" فقال: أما إنه ما كان ذهباً ولا فضة وإنما كان أربع كلمات: لا إله إلا أنا، من أيقن بالموت لم يضحك منه، من أيقن بالحساب لم يفرح قلبه، ومن أيقن بالقدر لم يخش إلا الله.

الله سبحانه ما مكره وإسر ذلك أن المؤمن الموقن المتوكل المفوض امره إلى الله إذا بلغ إيمانه وإيقانه وتوكله وتفويضه حد الكمال لا ينتظر إلى الأسباب والوسائط في النفع والضر ولا يتعلق قلبه بها أصلاً وإنما كان نظره إلى مسبب الأسباب وتعلق قلبه به وحده، وأما من لم يبلغ حد الكمال ولم ينسب عليه مشاهدة اليقين كأحد المؤمنين فإنه يخاطب بالفرار قضاء الحق والوسائط. هذا الذي ذكرنا من باب الاحتمال والله أعلم بحقيقة الحال.

قوله (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين) قال القرطبي كان اسمهما اسرم وأسير، وقال عياض كان أبوهما الصالح جدتهما السابغ وكان اسمهما كاشحاً. ففيه أنه تعالى يحفظ الصالح في نفسه وولده وإن بعدوا كما يشعر به قوله تعالى "إن أولى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين"، وروى أنه تعالى يحفظه في سببه من ذريته.

(وإنما كان أربع كلمات) حث بالاولى على التوحيد المطلق والتنزيه عن جميع مالا يلقى به تعالى، وبالثاني على تذكر الموت والاستعداد لما بعده والتحزن لأحوال الهرذخ، وبالثالثة على تذكر أحوال القيامة وأحوالها سيما الحساب الذي لا يعلم مآل أحواله وهو يوجب ذوال الفرح والسرور عن القلب، وبالرابعة على اليقين بالقدر والخوف من الله وحده، واقتصر بذكر هذه الخصال لأن الانصاف بها يوجب البلوغ إلى غاية الكمال.

(لا إله إلا الله) أما من أيقن بالموت لم يضحك منه (السن معروف) و يحتتمل أن يراد به العمر أي لم يضحك في مدة عمره لأن الضحك ينشأ من الفرح والسرور والمؤمن بالموت وشدائده وما بعده من القبر وسؤال منكر وتكير فيه وأحوال الهرذخ والقيامة والجنة والنار قلبه محزون مندوم داباً لعدم علمه بمآل حاله وما يفعل به في تلك المواطن فينتطح عنه أسباب السرور بالكلية

(ومن أيقن بالحساب) عن القليل والكثير، (لم يفرح قلبه) لشدة الحزن والخوف من رجحان سيئاته على حسناته ويوجب ذلك اشتغاله بحاسبة النفس قبل أن تحاسب.

(ومن أيقن بالقدر) قيل المراد به التقدير كما أن المراد بالقضاء المخلق على وفق التدبير،

٧- عنه، عن علي بن الحكم ، عن صفوان الجمال ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال :
 كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : لا يجد عبد طعم الايمان حتى يعلم أن ما أصابه لم
 يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن الضرر النافع هو الله عز وجل .
 ٨- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الوشاء ، عن عبد الله بن
 سنان ، عن أبي حمزة ، عن سعيد بن قيس الهمداني قال : نظرت يوماً في الحرب إلى

و قيل المراد به تعلق علم الله سبحانه وإرادته بالكائنات قبل وجودها .

(لم يخش الا الله) و من علاماته تخلية الظاهر والباطن عن الرذائل وتخليتها بالفضائل
 وعدم الرجوع في جلب النفع ودفع الضرر إلى الله . قال عياض قبل : الكنز كان لوحاً من ذهب
 مكتوباً في جانب منه « بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر ثم نصب عجباً لمن
 أيقن بالفار ثم ضحك » و في رواية « لا إله الا أنا محمد عبدي ورسولي » و في الشق الآخر
 « أنا الله الذي لا إله الا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له للخير و
 أجرته على يديه والويل لمن خلقت للشر وأجرته على يديه » و قبل المكتوب « عجبت
 لمن آمن بالقدر كيف يحزن ولمن آمن بالرزق كيف يتمب ولمن أيقن بالموت كيف يفرح ولمن
 أيقن بالحساب كيف يفتل ولمن ذأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله الا الله
 محمد رسول الله » . وقبل كان الكنز مالا مدفوناً انتهى .

قوله (لا يجد عبد طعم الايمان) أي لذته و حقيقته (حتى يعلم) يقيناً لا يمتري به شك .
 (ان ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه) لثبته بأن ما أصابه علم الله أن لا
 بأه يصيبه فيستحيل أن لا يصيبه ، وما أخطأه علم الله بأنه لا يصيبه فيستحيل أن يصيبه كل ذلك لاستحالة
 أن يصير علمه جهلاً هذا فيما لا اختيار للعبد فيه مثل الصحة والسقم والحد والقبح والعلو والقصر
 إلى غير ذلك ظاهر ، فأما في فعله الاختياري مثل الصلاة وتركها والشرب وتركه . والقتل وعدمه
 إلى غير ذلك فذلك لعلمه تعالى في الازل بكل ما يقع فلا بد من أن يقع لما ذكر ولكن علمه ليس
 علمه لوقوعه بل تابع له ، وقد مر توضيحه في كتاب التوحيد .

(و أن الضرر النافع هو الله عز وجل) الضر والنفع منه تعالى بلا واسطة ، والضرر
 يعود إلى النفع العظيم كحمى يوم مثلاً فانها توجب ثواباً جزيلاً ، و أما الضر و النفع
 المستندان إلى الغير ظاهراً فهما مستندان إلى الله تعالى عز شأنه باطناً لانه أقدره
 عليهما ، فاذن ليس الضر النافع الا هو ، فاذن لا بد لكل أحد أن لا يطلب الخير الا منه ، ولا
 يلوذ في دفع الضر الا اليه .

رجل عليه ثوبان فحر كثر فرسى فاذا هو أمير المؤمنين عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع؟ فقال: نعم يا سعيد بن قيس إنه ليس من عبد إلا وله من الله حافظٌ وواقية معه، ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بحر، فاذا نزل القضاء خلبا بينه وبين كل شيء.

٩- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن علي بن أسباط قال: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: كان في الكنز الذي قال الله عز وجل: «وكان تحته كنز لهما» كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يركن إليها وينبغي لمن عقل عن الله أن لا يشتم الله في قضائه ولا يستبطئه في رزقه، فقلت: جعلت فداك أريد أن أكتبه قال: فضرب والله يده إلى الدواة ليضعها بين يدي، فتناولت يده، فقبضتها وأخذت الدواة فكتبته.

١٠- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن عبد الرحمن العزمي، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان قبر غلام علي يحب علياً عليه السلام حباً شديداً فاذا خرج علي صلوات الله عليه خرج علي أثره بالسيف، فرآه ذات ليلة فقال: يا قبر مالك؟ فقال: جئت لأمشي خلفك يا أمير المؤمنين قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أو من أهل الأرض؟ فقال: لا، بل من أهل الأرض.

قوله (ملكان يحفظانه) يدل من حافظ وواقية، والقضاء الأمر أو الحكم بوقوع الشيء على النحو المقدر والحاصل أن مع وجود الحافظ لا يضر شيء ومع عدمه لا ينفع شيء فليس في تحمل آلات الحرب مثل الدرع وغيره فائدة وهذا أمر يقتضيه اليقين بالله وبقدرة، فإن المستغرق في بحر اليقين لا يرى غيره ولا يخاف أحداً سواء فضلاً من أن يتحدر منه ويحترق من شره، وأما غيره فلما لم يكن له هذه المرتبة كان عليه التمسك بالأسباب والجربان على ظاهر العريضة.

قوله (كان فيه بسم الله الرحمن الرحيم) كان فيه تأكيد لما سبق والقضاء مشترك بين الحكم والأمر ويحمل على أحدهما بالقرينة، وهو هنا يحتمل كلا المميين، ولا ينافي هذا الخبر بامر ولا ما ذكرنا من طرق العامة وأقوالهم، لجواز أن يكون كل ذلك مكتوباً فيه.

فقال: إن أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلا بأذن الله من السماء فارجع، فرجع.
 ١١- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس عمّن ذكره قال: قيل
 للرّضا عليه السلام: إنك تتكلم بهذا الكلام والسيف يقطر دماً، فقال: إن الله وادياً من
 ذهب، حماه بأضعف خلقه: النمل: فلو دامه البخاتي لم تصل إليه.

(باب الرضا بالقضاء)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عن
 بعض أشياخ بني النجاشي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رأس طاعة الله الصبر والرّضا

قوله (إن أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلا بأذن الله) فيه وفيما بعده إشارة
 إلى أن الإيمان بالقدر والایقان به كما روی عنه هو لكل امرء عاقبة سوف يأتيك ما قدر
 لك، ومن كلامه وعه لما خوف من المبلّة و دان علی من الله جنة حصينة فإذا جاء يومی المفرجت
 عنی وأسلمنی، أراد بيومى حضور الموت، وبالأفراج زوال أسباب العناء المستلزم
 لدمها وبإسلام الجنة إسلامها له إلى العتبة نفهياً للجنة بمن يحفظه ثم يسلمه إلى
 القاتل، ومن كلامه المنظوم:

فى أى يومى من الموت افر
 فى أى يومى من الموت افر
 فى أى يومى من الموت افر
 فى أى يومى من الموت افر

وفى ذلك ملاحظ لقوله تعالى وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً فإذا
 جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، وقد أشرنا سابقاً إلى أن الموقن بالله وقدره لما كان
 توسله بالله تاماً بالغاً حد الغاية كان الله بكفيه، وبحصل له أسباب النفع ويدفع عنه أسباب الضرر
 ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وأما غيره فلما لم يكن له مثل هذا التوسل والتوكل فربما كان
 تمسكه بأسباب النفع سبباً وشرطاً للحصول له، وغراره عن أسباب الضرر باعثاً لدفعه عنه.

قوله (قال رأس طاعة الله الصبر والرّضا عن الله فيما أحب العبد أو كرهه) الرأس
 العضو المعروف والاصل ومنه رأس المال والاشرف قدراً، ومنه رئيس القوم. وكل واحد
 منهما محتمل والاول من باب المكنية والتخييلية، والصبر نوع من العفة الحاصلة من الاعتدال
 فى القوة الشهوية، وهو قوة للانسان يقتدر بها على حبس نفسه على الامور العاقلة مثل البليات
 والمحبيات، وفعل الطاعات وترك المنهيات، والرّضا عن الله بفنائه فيما أحبه العبد مثل
 الصحة فى الجسم، والسمة فى الرزق، ونحوهما، أو فيما كرهه مثل السقم والضيق وغيرهما

مبادء من الاقبال الى الواردات من الحق وتلقيها بالقبول، والسرور بها لكونها تحفة وهدية منه تعالى له منافع كثيرة، والقضاء الامر والحكم والخلق على وفق التقدير الاولي، ومن ثمة قيل: القضاء والتدر مثلان لا ينفك أحدهما عن الآخر اذ القدر بمنزلة الاساس والقضاء بمنزلة البناء ووجه كون الصبر والرضا رأس الطاعة ظاهر اذ بانتفاء الصبر في المعصيات والعبادات والمنهيات يتحقق الجرح والشكوى من الله. وترك الطاعات وفعل المنهيات وكل ذلك بوجوب انتفاء الطاعة، وبانتفاء الرضا يتحقق السخط وهو أيضاً بوجوب انتفاء الطاعة لان بناء الطاعة على المحبة، وبناء السخط على البغض، وهما لا يجتمعان، واعلم ان رضا العبد و سروره فيما أحب سهل، لانه موافق لطبعه، وأما رضاء فيما كرهه فصعب لانه مخالف لطبعه وميله الى شيء والى ضده مشكل، ومن ثمة ذهب جماعة من الناس الى أن الرضا بما يستكرهه الطبع و يخالف هوى النفس كالبلايا والمصائب فيمكن، وغاية ما يمكن هي الصبر عنه، والجواب عنه أن الرضاء ثمرة المحبة الكاملة ومحبة المبدل للرب اذا بلغت حد الكمال يمكن أن يرجح ارادته على ارادة نفسه، بل يمكن أن لا يرى لنفسه مراداً غير مراده تعالى لاستغراقه في بحر المحبة، اولاً في فعل المحبوب مثله محبوب، أو لانه لا يجد في نفسه الألم لاشتغال قلبه به، وغفائه عن نفسه فضلاً عن الامور الموافقة لها، كما أن المجاهد لتوغل في الجهاد قد لا يجد ألم الجراحة وبالجملة هو أمر ممكن الا انه سبب نادر ثم الرضاء بالغير لا ينافي الدعا لرفعه خلافاً لطائفة من المتصوفة المبتدعة حيث قالوا: ان شرط الرضاء ترك الدعاء لرفع البلاء و طلب النعماء، لان طلب رفع أمر وارد منه تعالى وحصول غيره ينافي الرضا بما حكم به، وهم في طرف الافراط، والطائفة الاولى في طرف التفریط، والجواب عنه أولاً بالنقض وهو أن دعاء الانبياء والاصياء وحشهم عليه أمر مشهور، وفي الكتب السماوية وغيرها مذكور ولا ينكره أحد من أهل الاسلام، وثانياً بالمنع لانا لانسلم أن الطلب المذكور ينافي الرضاء وانما المنافي له استكراه النفس بالواردات من عند الله تعالى والطلب لا يستلزم الاستكراه، وثالثاً بالحل وهو أن الدعاء عبادة أمر الله تعالى بها غير مرة لتضمنها انكسار القلب وعجزه وتضرعه وتواضعه وخشوعه ومخالفة أمر الله تعالى تنافي الرضا وههنا بحث مشهور وهو أن المعصية والكفر بلية، والرضا بهما معصية وكفر فكيف يعد من الفضائل وكيف يطلبه الشارع، واجيب عنه بأنه مستثنى لورود النهي عنه كما نقله الغزالي، وأجاب هو بأن المعصية من قضاء الله تعالى ولكن لها وجهان: أحدهما كونها من فعل العبد باختياره وسبباً لمقتنه، وثانيهما كونها بقضاء الله وتقديره عدم خلو العالم منها ولا بد من الرضا بها على هذا الوجه

عن الله فيما أحب العبد أو كره ولا يرضى عبد عن الله فيما أحب أو كره إلا كان خيراً له فيما أحب أو كره.

٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن حماد بن عيسى عن عبد الله بن مسكان، عن ليث المرادي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أعلم الناس بالله أرضاهم يقض الله عز وجل.

٣- عنه، عن يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد، عن عاصم بن حميد، عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: الصبر والرضا عن الله رأس طاعة الله ومن صبر ورضى عن الله فيما قضى عليه فيما أحب أو كره لم يقض الله عز وجل له فيما أحب.

دون الاول الذي هو صدرها من العبد، واجيب عنه أيضاً بأن الرضاء بالقضاء لا يستلزم الرضاء بالمقضى، والمقضى ان كان فعله تعالى أو فعل العبد وهو خير، فالرضاء به مطلوب من دليل خارج وقدم لهذا زيادة توضيح في كتاب النقل في حديث جنوده.

(ولا يرضى عبد عن الله فيما أحب أو كره الا كان خيراً له فيما أحب أو كره) اسم كان راجع الى ما قضاء الله بقرينة المقام أى كاف ما قضاء الله خيراً للعبد فيما أحبه وما كرهه لاشتماله على مصالح جليلة أو خفية كما قال سبحانه وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، أو الى رضاء العبد وهو خير له لانه يوجب أجراً عظيماً وذلك كما أن الدواء مرغى مذاق العريض مكروه له الا أنه خير له في الواقع، فكما أن الحكيم منا يدوى المريض بما هو خير له، وإن كان مكروهاً لطبعه كذلك الحكيم المطلق يفعل بعباده ما هو خير لهم.

قوله (ان أعلم الناس بالله أرضاهم يقض الله عز وجل) دل على أن الرضاء بالقضاء تابع للعلم والمعرفة، وأنه قابل للشدة والضعف مثلهما، والوجه فيه أن بناء الرضاء على العلم بأنه عدل حكيم يفعل الاشياء على ما يقتضيه الحكمة والمصلحة، فكلما كان العلم بالله أزيد وأتم كان الرضاء بقضائه أكثر وأعظم، وأيضاً الرضاء به ثمره المحبة والمحبة تابعة للعلم به فكلما زاد العلم زادت المحبة وكلما زادت المحبة زاد الرضاء به ألا ترى أن المحبة اذا بلغت حد الكمال وجد المحب كلما صدر من المحبوب لذيقاً موافقاً لطبعه وإن كان كريهاً بالنسبة الى الغير سيما اذا علم أن المحبوب يجعل ذلك وسيلة الى البر والاحسان.

قوله (ومن صبر ورضى عن الله فيما قضى عليه) دل بحسب المفهوم على أن من أم يصبر ولم يرض قد يقضى الله عليه ما هو شر له فلا بد من القول بأن المفهوم غير معتبر، أو القول بأن ما قضاء شر له لثقله أجراً الصبر والرضاء، أو في نظره بخلاف العاير والمراضى فانه خير.

أو كره إلا ما هو خير له.

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن داود الرقي عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (ﷺ) قال الله عز وجل: إن من عبادي المؤمنين عبداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى والسعة والصحة في البدن فأبلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن، فيصلح عليهم أمر دينهم وإن من عبادي المؤمنين لعبداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالفاقة والمسكنة والسقم في أبدانهم فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم، فيصلح عليهم أمر دينهم وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين وإن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادتي فيقوم من رقاده ولذيق وساده فينجد لي الليالي فيتعب نفسه في عبادتي فأضربه بالنعاس الليلة والليالين نظراً مني له وإبقاء عليه، فبما حشني يصبح فيقوم وهو ماقت لنفسه زارى عليها ولو أدخلني بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العجب من ذلك فيصيره العجب إلى في نظرهما، ولي الواقع.

قوله (قال الله عز وجل إن من عبادي المؤمنين عبداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى والسعة والصحة في البدن فأبلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن فيصلح عليهم أمر دينهم) الدنيا كلها وكل ما فيها من خير وشر ونفع وضر وسعة وسقم وغنى وفقر إلى غير ذلك محض الاختيار والامتحان، فيختبر الغنى بالغنى ليرى أنه شكره أم يكفره، و لعلمه بأنه أصلح لدينه، ويختبر الفقر بالفقر ليختبره بأنه يصبر أم يشكو و لعلمه بأنه أصلح لدينه، ووجوه الابتلاء والاختبار منكرة وطرق الامتحان متعددة، والله تعالى عالم ببلكل أحدهما هو أصلح له فلو اختبر الغنى بالفقر أو العكس لتسد دينهما وقس عليها.

(وهو ماقت لنفسه زارى عليها) أي مبدئ لها مبيب ومعاتب عليها لتقصيرها في العبادات، وتركها بالنوم وهذا مع كونه دائماً للمعجب من أعظم العبادات.

(ودخلني بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله العجب) وهو ابتهاج الإنسان و سروره بنصور الكمال في نفسه واستظامه إياه لامن حيث أنه من عطايا تعالى ونعمائه عليه مع طلب زيادته، والخوف من نقصه أو زواله، بل من حيث أنه وصف له موجب لملو قدره ورفع درجته وسمو مرتبته وخروجه عن حد النقص والتقصير مع المفلة عن قياس نفسه إلى الغير بكونه أكمل وأفضل منه، وبهذا التقيد ينصل من الكبر إذا بد فيه أن يرى لنفسه مرتبة، وللغير مرتبة، ثم

الفئة بأعماله فيأتيه من ذلك ما فيه هلاكه لمعجبه بأعماله و رضاء عن نفسه حتى يظن أنه قدفاق العابدين و جاز في عبادته حد التقصير فيتباعد مني عند ذلك و هو يظن أنه ينترب إلي ، فلا يتكلم العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي فإنهم لو اجتهدوا و اتعبوا أنفسهم و أفنوا أعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالفين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جثاتي و رفيع درجات العلى في جواردي ولكن فبر حملي فليثقوا و بفضلتي فليفرحوا و إلى حسن الظن بي فليطمأنوا ، فإن رحماني عند ذلك تداركهم ، و مني يبلغهم رضواني و مغفرتي ، تلبسهم عغوي فأنسى أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت.

٥- عده من أصحابنا: عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن صفوان الجمال، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: ينبغي لمن عقل عن الله أن لا

يرى مرتبه فوق مرتبه غيره، والعجب من أعظم الذنوب المهلكة حتى روى عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجيب، وفيه دلالة على أنه تعالى قد يلو العبد بالذنب ليدفع عنه العجب.

(فلا يتكلم العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي) وإن كانت حسنة تامة إلا أن كان والافعال لانهم، وإن بالغوا واجتهدوا كانوا مقصرين غير بالدين كنه العباد و حقيقتها ولأنه لا قدر لعبادتهم في جنب ثوابها وهو الجنة ونعيمها و درجاتها و قرب الحق ولأن منسبات العباد كثيرة لا يتحقق العلم بخلوسها منها إلا عند المعاينة و حضور الموت ، وفيه دلالة على أنه يجوز العمل لغرض الثواب .

(والى حسن الظن بي فليطمأنوا) كان يظن منه الفران حين يستغفر و قبول العمل حين يعمل، والتوبة إذا تاب، والاجابة اذا دعا، والكفاية اذا استكفاه و نحو ذلك. و بالجملة ينهى أن يعمل ولا يتكلم بحسن عمله وكثرته بل بحسن ظنه بالله في قبول عمله ورفع درجته واحسانه. و أما من يحسن ظنه بالله بدون العمل فهو احمق و نظيره من لم يزرع في وقته ويتوقع الحصاد كما يتوقع الزارعون.

قوله (ينبغي لمن عقل من الله أن لا يستعظمه في رزقه) المجرور في رزقه يعود الى الله أو الى من، أى من عرفه ينهى أن لا ينسب اليه البطؤ واليغل في ابعال الرزق كاليهود قالوا

يسبغته في رزقه ولا يشمه في قضاؤه.

٦- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن محمد بن إسماعيل، عن علي بن النعمان، عن عمرو بن نهبك بياع الهروي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال الله عز وجل "عبدني المؤمن لا أصرفه في شيء إلا جعلته خيراً له، فليرض بقضائي و ليصبر على بلائي و ليشكر نعمائي أكتبه يا محمد من الصديقين عندي.

٧- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن مالك بن عطية، عن داود بن فرقد، عن أبي عبد الله عليه السلام أن "فيما أوحى الله عز وجل" إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى بن عمران ما خلقت خلقاً أحب إلي من عبدي المؤمن فإني إنما ابتليته لما هو خير له و أعافيه لما هو خير له، و أزوي عنه ما هو شر له لما هو خير له، و أنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي و ليشكر نعمائي و ليرض بقضائي، أكتبه في الصديقين عندي، إذا عمل برضائي و أطاع أمري.

يدالله منلولة. (ولا يشمه في قضاؤه) بالظلم والجور و بنفبه، أولايك فيه بل يستيقن من اتهمته في قوله بمعنى شككت في صدقه.

قوله (عن عمرو بن نهبك بياع الهروي) قال في المنرب ثوب هروي بالتحريك و مروى بالسكون منسوب إلى هرات و مرو، و هما قريتان معروفتان بخراسان، و من خواهرزاده هما على شط الفرات و لم يسمح ذلك لغيره و في الاشكال سوى هراء خراسان هراء اخرى هي بنواحي اصطخر من بلاد فارس.

(أكتبه يا محمد في الصديقين عندي) الصدق راست گفتن و راست شدن و راست داشتن و المراد هنا تقويم البدي ظاهراً و باطنه و تقويم الباطن بتحقيق بتخليته عن الرذائل و تحليته بالفضائل و تقويم الظاهر بتحقيق بفعل الطاعات و ترك المنهيات و اليه يشير قوله تعالى "أما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا إلى قوله- أولئك هم الصادقون، و لا ريب في أن الصدق بهذا المعنى قابل للزيادة و النقصان، و من بلغ حد الكمال فهو صديق و مفهومه في الصدق أيضاً على أفراد متفاوت، و الصديق الأكمل هو الذي قطع منازل الناسومية و دفع عوائق البشريه حتى شاهد جمال الاسرار و جلال الحق، و استغرق في توحيده بحيث لا يطلب إلا إياه و يغفل عن معاينة ما سواه.

(إذا عمل برضائي و أطاع أمري) لعل المراد أن كتب من اتصف بالخصال المذكورة

٨- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن فضيل بن عثمان، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: عجبت للمرأة المسلم لا يقضي الله عز وجل له قضاء إلا كان خيراً له وإن قرض بالمقاريض كان خيراً له وإن ملك مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له.

٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن سنان، عن صالح بن عقبة عن عبد الله بن محمد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أحق خلق الله أن يسلم لما قضى الله عز وجل: من عرف الله عز وجل، ومن رضى بالقضاء أتى عليه القضاء وعظم الله أجره، ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء وأحبط الله أجره.

١٠- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه قال: قال [لي] علي بن الحسين صلوات الله عليهما:

وهي الصبر على البلاء والشكر على النعماء والرجاء بالقضاء في زمرة الصديقين مشروط بالعمل بما فيه رضا الله تعالى وإطاعة أمره بالشرائع والأحكام ولا يتحقق ذلك إلا بأخذها من أهل العلم.

قوله (عجبت للمرأة المسلم لا يقضى الله عز وجل له قضاء إلا كان خيراً له) أي ضمنت له ذلك وأعدت أمراً ضليماً لكونه تفضيلاً مشتملاً على نفع عظيم وخير جليل، والأصل أن الإنسان لا يتعجب من الشيء إلا إذا عظم موقعه عنده وخفى عليه سببه فأخبره به، بذلك يعلم موقع القضاء ويرضى به لعلو منزلته، وإنما حملنا تعجبه به، على المجازلة لا يخفى عليه أسباب القضاء والتعجب ما خفى سببه ولم يعلم وجهه، والمقاريض جمع المقرض وهو آلة القرض، تقول: قرضت الشيء قرضاً من باب ضرب أي قطعته.

قوله (أحق خلق الله أن يسلم لما قضى الله عز وجل من عرف الله عز وجل) أي من عرف الله حق معرفته وعرف حكمته وعدله ونفعه وأحسانه فهو أحق أن يسلم ما قضاه الله عليه من غيره لأن التسليم له، تابع للمعرفة فكما كانت المعرفة أكمل وأكثر كان التسليم أولى وأجدر. (ومن رضى بالقضاء أتى عليه القضاء وعظم الله أجره) تعظيم الأجر لجريان القضاء عليه والرضاء به، فله أجران كاملان، وأما الاحباط فيحتمل أن يكون المراد بإحباط أجر الرضا، أو إحباط أجر جريان القضاء أيضاً ويؤيد الأول ما روى من أبي عبد الله عليه السلام قال: ثواب المؤمن من ولده إذا مات الجنة صبراً ولم يصبر.

الزهد عشرة أجزاء، أعلا درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا.

١١- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن علي، عن علي بن أسباط، عن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لقي الحسن بن علي عليه السلام

قوله (الزهد عشرة أجزاء أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا) دل على أن الرضا فوق اليقين، واليقين فوق الورع، والورع فوق الزهد، وجه الترتيب أن الدنيا رأس كل خطيئة فلا بد للسالك من الزهد فيها أولاً، ثم بعد الزهد يسهل له ترك المعصية لأن المعصية كلها عائدة إلى الدنيا فيحصل له مرتبة الورع، فإذا حصلت له هذه المرتبة قرب من الحق فيحصل له مرتبة عن اليقين أو حق اليقين، واليقين يوجب المحبة فيحصل له الرضا لأن الرضا لازم للمحبة وتابع له وعلى أن لكل واحد منها عشرة أجزاء كل جزء يصدق عليه اسم الكل، فكل جزء من الزهد مثلاً زهداً لغيره أفراد متفاوتة والظاهر أن كل جزء فوقاني مشتمل على جزء تحتاني مع زيادة فعلى هذا الجزء العاشر من الزهد مثلاً عبارة عن الزهد على وجه الكمال، وإنما قلنا الظاهر ذلك لاحتمال أن يكون العاشر جزء من الزهد الكامل كالسوابق، وإن شئت زيادة توضيح المقال فنقول على سبيل الاجمال أن كل خصلة من خصال الخير ليست لها مرتبة شخصية لا تقبل الزيادة والنقصان، بل لها عرض عرض يمكن أن يفرض فيها درجات بعضها فوق بعض، والعلم بتلك الدرجات تفصيلاً وتمييزاً ليس في وسعنا، وإنما هو عند أهله ففرضنا عشرة وبين تفاوت مراتبها على سبيل الاجمال وتفاوت مراتب بعض الخصال على سبيل التفصيل وأشار بذلك إلى أن الرضا فوق الجميع، ومن ثم كان مقام الرضا فوق جميع مقامات السالكين لأن الرضا ثمرة المحبة الكاملة إذا المحبة في الجملة تكون في كل مؤمن مع انقضاء فضيلة الرضا عن أكثرهم والمحبة الكاملة ثمرة اليقين بالله وبكمال ذاته وصفاته وصدق مقاله وحسن فعله بحيث يرى كل سبب من أسباب المحبة مختصاً به، واليقين ثمرة الورع، وهو الإعراض عن كل ما يوجب الالتم، والورع ثمرة الزهد وهو الإعراض عن الدنيا وزهراتها المانعة من السير إلى الحق، وبالجمل السالك إذا أخذ ما يمينه وترك ما لا يمينه وصل إلى مقام المشاهدة وإذا وصل إلى هذا المقام يستولى على قلبه المحبة الثابتة، وإذا حصلت له المحبة حصلت له فضيلة الرضا فيرضى بكل ما صدر منه كما هو شأن المحب مع محبوبه.

عبدالله بن جعفر فقال : يا عبدالله ! كيف يكون المؤمن مؤمناً و هو يسخط نفسه و يحقر منزلته والحاكم عليه الله ، وأنا الضامن لمن لم يهجم في قلبه إلا الرضاء أن يدعو الله فيستجاب له .

١٢- عنه ، عن أبيه ، عن ابن سنان ، عمن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له بأي شيء يعلم المؤمن بآته مؤمن ؟ قال : بالتسليم لله والرضاء فيما ورد عليه من سرور أو سخط .

١٣- عنه ، عن أبيه ، عن ابن سنان ، عن الحسين بن المختار ، عن عبدالله

قوله (كيف يكون المؤمن مؤمناً) وكيف للانكار والمقصود في الكمال ان لم يقصد تحقير الحاكم . (و هو يسخط نفسه) الواو للحال و القسم . بالكسر - الحصة والنصيب المقدر له لمصالح حاله .

(و يحقر منزلته) عند الله تعالى لانه تعالى جعل ذلك قسماً له لرفع منزلته فتحقير القسم السبب لها تحقير لها .

(والحاكم عليه الله) عطفت على منزلته ، والله بدل عن الحاكم . أي و يحقر الحاكم عليه وهو الله لان تحقير حكم الحاكم تحقير له ، و يحتمل أن يكون الواو للحال والحاكم حينئذ مبتدأ والله خبره ، والمقصود أن تحقير القسم والمنزلة مستلزمة لتحقير الله لانه الحاكم عليه ، أو أنه لا جور في تقسيمه فكيف يحقر ما قدره له من القسم .

(وأنا الضامن لمن لم يهجم في قلبه إلا الرضاء) هجم الامر في القلب أي وقع و خطر (أن يدعو الله فيستجاب له) الرضاء بالقسم شكر للنعمة والمنعم و هو يوجب الزيادة فكيف اذا طلبها من الله فانه لا يرد .

قوله (بأي شيء يعلم المؤمن بآته مؤمن) لعل المراد بالمؤمن المؤمن الكامل وله علامات أفواها التسليم لله في حكمه و تلقيه بالقبول ظاهراً و باطناً والرضاء بكل ما ورد عليه مما يوجب السرور أو السخط و يوافق الطبع أو يخالفه . قال المحدث الطوسي في أوصاف الاشراف نقل ان واحداً من أهل الرضاء مضى له سبعون سنة ولم يقل ليت كان ذاك و ليت لم يكن هذا وسئل ان أي أثر بلغك من الرضاء قال بلغني شائبة من الرضاء وريح منه ومع ذلك لو جعلني الله سراط جهنم و مر على الخلايق كلهم و دخلوا الجنة ثم أدخلني وحدي في النار لم يخطر ببالى لم كان حظي هذا و حظ غيري ذاك .

ابن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لم يكن رسول الله ﷺ يقول لشيء قد مضى : لو كان غيره .

(باب)

التفويض إلى الله والتوكل عليه

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن مفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام ما اعتصم به عبد من عباده دون أحد من خلقه، عرفت ذلك من نيته، ثم تكبده السماوات والأرض ومن فيهن

قوله (لم يكن رسول الله ﷺ يقول لشيء قد مضى لو كان غيره) روى مسلم عن النبي ﷺ قال : وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا لم يصبنى كذا فإن «لو» تفتح عمل الشيطان» (١) أقول ينبغي للمؤمن أن يطالب من طريق أحله الله ما ينتفع به في أمر دنياه وآخرته الذي يصون به دينه وعياله ومروته وعرضه، ولا يهجر في تحصيل ذلك وبتكل على القدر فينسب إلى التفريط شرعاً وعادة ومع الطلب فلا بد من الاستئانة بالله والدعاء إليه، وبسلوك هاتين الطريقتين يحصل خير الدارين، ثم إن أصابه شيء بعد ذلك ينبغي له التسليم والرضا بقضائه وترك أن يقول لو أني فعلت كذا لم يصبنى كذا، فإنه يجر إلى وسوسة الشيطان، وأن التدبير يسبق القدر، وقال الأبي في كتاب أكمال الأكمال وألحق الشاطبي بلوء ليت وهو كذلك إذا أريد بليت الندم والتأسف على عدم فعل ما لو فعله لم يصبه أي تعنى لو فعل ذلك، وقال عياض النهي عن هذا القول مختص بالماضي لأن النهي إنما هو عن دعوى رد القدر بعد وقوعه، وأما المستقبل فيجوز فيه ذلك، ومنه قوله «دع» ولولا أن أشق على أمتي لأمرنهم بالسؤال عند كل صلاة، لأنه مستقبل لا اعتراض فيه على قدر مضى، وإنما أخبر فيه أنه كان يفعل ما هو في قدرته لولا المانع، وأما ما مضى وذهب فليس في القدرة والامكان فعله، وقال الأبي، والذي عندي أن النهي على عمومته ولكنه نهى تنزيه، وقال الحاذري انتهى عن هذا القول في الماضي يناقض ما جاءه من «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى» وأجاب بأن الظاهر أن النهي إنما هو عن إطلاق ذلك فيما لا فائدة فيه فهو نهى تنزيه، وأما من يقول ناسئاً على فعل طاعة فلا بأس به، وعليه يحمل أكثر ما جاء من استعمال ذلك في الأحاديث

قوله (ما اعتصم به عبد من عباده دون أحد من خلقه) الاعتصام به دون غيره عبارة عن الانقطاع عن الغير بالكلية والرجوع إليه والركون إلى فضله وهو معنى التوكل والتفويض

إلا جعلت له المخرج من بينهن وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي ، عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماوات والأرض من يديه وأسخت الأرض من تحته ولم أبال بأي واد هلك.

٢- أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن ابن محبوب ، عن أبي حفص الأعشى ، عن عمر [و] بن خالد ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال : خرجت حتى انتهيت إلى هذا الحائط فالتكأت عليه فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ، ينظر في تجاه وجهي ثم قال : يا علي بن الحسين مالي أراك كئيباً حزيناً؟ أعلى الدنيا؟ فرزق الله حاضر للبر والفاجر ، قلت : ما على هذا أحزن وإنه لكما تقول ، قال : فعلى الآخرة ؟ فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر - أو قال : قادر - قلت : ما على هذا أحزن وإنه لكما تقول ، فقال : مم حزبك؟ قلت : ممّا تتخوف من فتنة ابن الزبير وما فيه الناس قال : فضحك ، ثم قال : يا علي بن

والوكيل كما يدفع الضر من موكله يجلب النفع اليه أيضاً واقتصر على الاول لان دفع الضر أهم من جلب النفع على أن جلب النفع لدفع الضر أيضاً.

(و أسخت الأرض من تحته) السخت بالفتح الصلب الشديد فارسي معرب يستعمله العرب والمعجم على معنى واحد ، وهو كناية عن تضيق الامر عليه لان سلاية الأرض يستلزم الضيق والسنك في العيش لعدم خروج الزرع والنبات منها.

(ولم أبال بأي واد هلك) اشارة الى سلب اللطف والتوفيق عنه وعدم المبالاة بسيره في وادي الضلالة او وقوعه في وادي جهنم وهلاكه فيهما .

قوله (ينظر في تجاه وجهي) بضم التاء وفتحها ما يواجهه ، وأصله وجاء قلبت الواو تاء جوازاً ويجوز استعمال الأصل فيقال وجاء لكنه قليل وقعدوا تجاهه أي مستقبلين له (قال فعلى الآخرة فوعد صادق يحكم فيه ملك قاهر أو قال قادر) الترديد من الراوي حيث لم يحفظ أنه سمع هذا اللفظ أو ذلك لا يقال قوله «فوعد صادق» لا يدفع الحزن على الآخرة ولا ينفيه بل يؤكد لانا نقول لعل المراد أن العامل للآخرة لا ينبغي أن يحزن عليها لان الله تعالى وعد لهم الاجر الجليل ووعد صادق ، وهو في امثاله قادر قاهر لا يمتعه أحد ، أو المراد أن وعده بالمنفرة : أو وعده أهل السمة بالدرجات العالية صادق.

(قلت ممّا تتخوف من فتنة ابن الزبير وما فيه الناس) حيث خرج وادى الخلافة و بايمه أهل مكة وغيرهم في دولة بني أمية وسلطانهم وخوفه وحج من ثوران نار الفتنة والحرب

الحسين هل رأيت أحدا دعا الله فلم يجبه ؟ قلت : لا ، قال فهل : رأيت أحدا توكل على الله فلم يكفه ؟ قلت : لا ، قال : فهل رأيت أحدا سأل الله فلم يعطه ؟ قلت : لا ، ثم غاب ضئي ، علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب مثله .
 ٣- عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن علي بن حسان ، عن عمه عبد الرحمن بن كثير ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الغنى والعز يجولان ، فإذا ظفرا بموضع التوكل أو طنا .
 عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن محمد بن علي ، عن علي بن حسان مثله .

بينه وبينهم ، ونقل السادة العلوية وغيرهم .

(قال فضحك) نمل وجه الضحك تنشط نفس المخاطب وتفرج همه باظهار أن ذلك سهل ودفع سبب الحزن في غاية السهولة وذلك بأن يدعو الله وينزع اليه في دفع الفتنة ورفع الدوائر ويسأله حصول الرفاهية والامن ويتوكل عليه في جلب المنافع ورفع المكاره حتى في هذا الدعاء والمسئلة (قال فهل رأيت أحدا سأل الله فلم يعطه) هذا تأكيد لما سبق للحث على الدعاء والسؤال ولذلك لم يقل شيئا بعد ذلك وغاب .

قوله (قال إن الغنى والعز يجولان) أي يتقلبان التواحي و يمران في الاطراف كالطير طلياً للمسكن (فإذا ظفرا بموضع التوكل أو طنا) فالتوكل في غنى وعز دائماً أما الاول فلان الله يكفيه ويأتي بهماته فهو أغنى الاغنياء . وأما الثاني فلا عزاله من الفذل المطلق وهو الالتجاء الى الخلق وتمسكه بالمزال وفرو هو اللجأ الى الله . ومعنى التوكل على الله هو الرجوع اليه والاعتماد عليه والثقة بكفايته ، ويمكن أن يقال توكل العبد فيما يتبين أن يفعله أو يشركه من أمر الدنيا والاخرة هو الاعتماد على الله والثقة بكفايته ، والتمسك بحوله وقوته و ترقب التوفيق والاعانة منه دون الاعتماد على نفسه وحوله وقوته وقدرته وعلمه وما يظنه من الاسباب الضرورية والمادية وغيرها لا ترك وظائفه وعمله وأسبابه في جلب المنافع و دفع المضار ، ومن ثم اشتهر أن التمسك بالاسباب لا ينافي التوكل وفيما يجرى عليه من غيره سواء كان من قبل الله أو من قبل غيره فهو تفويض نفسه وأمره الى الله توقفاً من أن يرد عليه ما هو خير له والمعلوم أنه لا يرد عليه بعد ذلك الا ما هو خير له في الدنيا والاخرة فعليه حينئذ القيام بمقام الرضا بالقضاء وهذا أقصى مراتب الكمال ، وقال المحقق الطوسي المراد بالتوكل أن يوكل العبد جميع ما يصدر منه ويرد عليه الى الله تعالى لعلمه بأنه أقوى وأقدر ويفعل ما قدر عليه على وجه أحسن وأكمل ثم يرضى بما فعل وهو مع ذلك يسمى ويجهده فيما وكفه اليه ويمد نفسه وعلمه وقدرته

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أيما عبد أقبل قبل ما يحب الله عز وجل أقبل الله قبل ما يحب ومن اعتمى بالله عصمه الله ومن أقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء على الأرض أو كانت نازلة نزلت على أهل الأرض فشملتهم بليّة، كان في حزب الله بالفقوي من كل بليّة، أليس الله عز وجل يقول: «إن المتقين في مقام أمين».

٥- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن غير واحد، عن علي بن أسباط، عن أحمد بن عمر الحلال، عن علي بن سويد، عن أبي الحسن الأول عليه السلام وأرادته من الأسباب والشروط المخصصة لتعلق قدره تعالى وأرادته لما سنده بالنسبة إليه، ومن ذلك يظهر سر لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين. وإن أردت زيادة القوضيع فارجع إلى كلامه في أوصاف الأشراف.

قوله (أيما عبد أقبل قبل ما يحب الله عز وجل أقبل الله قبل ما يحب) يقال أقبل قبلك أي قصد قصدك وتوجه إليك، وجعلك قبالة وجهه وتلقاه، وانمراد بأقبال العبد نحو ما يحبه الله قصد والاتيان به طلباً لرضاه، وبأقبال الله نحو ما يحبه العبد إفاضة ما يسر به قلبه وتقربه عنه (و من اعتمى بالله عصمه الله) من الضياع والحاجة كما اعتمى به مؤمن آل فرعون بقوله دو اقول الى الله ان الله بصير بالعبادة فلجأ من شر فرعون وجنوده اليه سبحانه واعتمى به فوفاه الله سيئاته ما مكروا، واعتمى به يونس دح، في الظلمات بقوله دلاله الا انت سبحانه اني كنت من الظالمين، فلجأ من غضبه اليه واعتمى به فأقبل الله اليه بالقبول وعصمه بقوله فاستجبنا له ونجينا من الغم وكذلك ننجي المؤمنين، واعتمى به أيوب وأقبل اليه بقوله رب اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين، فأقبل الله اليه بالقبول وعصمه ورفع عنه الكرب والضر، وكذلك لجأ اليه كثير من الانبياء والمرسلين والصلحاء والملتقين والفاسقين فأقبل الله اليهم بقضاء حوائجهم وازاحة مكادهم.

(و من أقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء) ان جعل لم يبال وحده جواباً للشرط السابق كان جواب الشرط اللاحق قوله (كان في حزب الله) وان جعل جواباً للشرط اللاحق وجعل المجموع جواباً للشرط السابق كان قوله (كان في حزب الله) استئنافاً.

(بالفقوي من كل بليّة) أي بقيه من كل بليّة في الدنيا والاخرة

(ان المتقين في مقام أمين) أي المأمون من البليّة والافّة فيهما.

قال: سألت: عن قول الله عز وجل: «و من يتوكل على الله فهو حسبه» فقال: التوكل على الله درجات منها أن تتوكل على الله في أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنه راضياً، تعلم أنه لا يأتوك خيراً وفضلاً و تعلم أن الحكم في ذلك له، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها.

٦- عدة من أصحابنا. عن سهل بن زياد، و علي بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً عن يحيى بن المبارك، عن عبدالله بن جبلة، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أعطى ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً: من أعطى الدعاء أعطى الإجابة و من أعطى الشكر أعطى الزيادة و من أعطى التوكل أعطى الكفاية ثم قال: أثبت كتاب الله عز وجل: «و من يتوكل على الله فهو حسبه» وقال: «لئن شكرتم لأزيدنكم»

قوله (فقال التوكل على الله درجات منها أن تتوكل على الله في أمورك كلها) قد عرفت أن شرط التوكل فيها ليس رفع اليد عن أسبابها بل شرط عدم الاعتماد عليها والثوق بها فلو طلب طالب الرزق مثلاً رزقه من أسبابه المشروعة كالنجار من التجارة، والزارع من الزراعة، وليس اعتمادهما على عملهما بل على الله سبحانه، وعلى أن الرزق عليه أن شاء رزقه منهما وإن شاء رزقه من غيرهما حتى لو فسده العمل لم يضرنا لم يكن ذلك منافياً للتوكل، وكذلك لو حمل الخائف من العدو سلاحاً وقتل الخارج من البيت باباً و شرب المريض دواء، ولم يكن اعتمادهم على السلاح والقفل والدواء أكثر مما ينبغي المدوم مع السلاح ويسرى السارق بكسر القفل ولا ينفع الدواء بل اعتمادهم عليه عز وجل لم يكن هذا منافياً للتوكل، وبالجملة قلب المذوكل متوجه إلى الله وتوجهه إلى الوسائط والأسباب باعتبار أن العالم عالم الأسباب وأن الله تعالى أي أن تجري الأمور إلا بأسبابها فهو أن ظن سبباً وتعرض له ولم يعتمد عليه بل على خالقه فإن ترتب عليه الأثر شكر وإن لم يرتب لم يسخط و رضى لعلنه بأنه تعالى عالم بمصالح الأمور، وأن ما فعله كان محض الخير فهو متوكل مقفول أمره إلى الله (تعلم أنه لا يأتوك خيراً) إلا بالتفويض وإذا هدى إلى مقبولين ضمن معنى المنع أي لا يمنعك خيراً وفضلاً متصراً في حقك.

قوله (ومن أعطى التوكل أعطى الكفاية) نقل أن خليل الرحمن حين وضع في المنجنيق قال حسبي الله ونعم الوكيل، فلما رمى لافاء جبرئيل «ع» في الهواء وقال ألسك حاجة؟ قال أما إليك فلا. قال ذلك ابتداء لتوكله الذي أظهره أولاً فكفاه الله عن النار.

(و من يتوكل على الله فهو حسبه) النشر على غير ترتيب الملك فالاول للأخر

وقال : « ادعوني أستجب لكم ».

٧- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن أبي علي، عن محمد بن الحسن، عن الحسين بن راشد، عن الحسين بن علوان قال: كنت في مجلس نطلب فيه العلم وقد نعدت نفقتي في بعض الأسفار فقال لي: بعض أصحابنا من يؤمل لما قد نزل بك؟ فقلت: فالأنا فقال: إذا والله لاتسعف حاجتك ولا يبلغك أملاك ولا تنجح طلبك، قلت: وما علمك رحمتك الله؟ قال: إن أبا عبد الله عليه السلام حدثني أنه قرأ في بعض الكتب أن الله تبارك وتعالى يقول: وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لا أقطن أمل كل مؤمل [من الناس] غري باليأس ولا كسونه ثوب المذلة عند الناس ولا تحيته من قربي ولا بعده من فضلي، أيؤمل غري في الشدائد ١٤ والشدائد بدي ويرجو غري ويقرع بالفكر باب غري ١٩ ويبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلفة وبابي

وهكذا إلى الأول. والشكر الاعتراف بالاحسان والتحدث به والانتباه للمشكور، وهو بالفعل أظهر منه بالقول.

قوله (وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي) العزة الشدة والقوة والغلبة والسلطنة والملك والجلال والعظمة. والمجد الشرف والكرم الواسع، والارتفاع كناية عن الاستيلاء على جميع الممكنات والاستعلاء على جميع المخلوقات والأحاطة علماً وقدره بها لكون العرش محيطاً بجميعها.

(لا أقطن أمل كل مؤمل من الناس غري باليأس ولا كسونه ثوب المذلة عند الناس ولا تحيته من قربي ولا بعده من فضلي) باليأس متعلق بقوله لا أقطن، وفيه وعيد على كل من يؤمل غير تعالى في المقاصد بأمور أربعة: الأول اليأس من حصول ما موله غالباً أو الأباذنه تعالى بقرينة ما سيحيى. الثاني إحاطة المذلة به وإضافة الثوب إليها من باب إضافة المشبه به إلى المشبه، والكسوة ترشيح للتشبيه، والثالث تبعية أو إبعاد من قرب رحمة، والرابع تبعية من احسانه وإفضاله، وكل ذلك يوجب خسرانه في الدنيا والآخرة.

(أيؤمل غري في الشدائد) والشدائد بدي (ذكر اليد مجاز في بيان أن العداً تحت قدرته لا قدرة غيره وقد جرت الحكمة على أن يحثر الله تعالى عبده في الدنيا بالشدائد ليرجع اليه بتضرع بين يديه في دفعها فإذا رجع إلى غيره مع كون العداً بيد ذلك الغير كان ذلك موجباً للتوبيخ والانتكار (و يقرع بالفكر باب غري) تعببه الفكر باليد مكنية وإثبات القرع لها تعبيلية.

مفتوح لمن دعاني فمن ذا الذي أملى لنوائبه فقطعته دونها ١٩ و من ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني ١٩ جعلت آمال عبادي عندى محفوظة، فلم يرضوا بحفظي وملأت سماواتي ممن لا يمل من تسبيحي وأمرتهم أن لا يفلقوا الأبواب بيني وبين عبادي، فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم [أن] من طريقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري إلا من بعد إذني، فمالي أراه لاهياً عني، أعطيته بجودي مالم

وذكر الباب ترشيح، والمنصود ذمه بصرف قلبه وفكره عند الحاجة إلى غيره تعالى (و بيدي مفاتيح الأبواب وهي معلقة) أي أبواب الحاجات معلقة ومفاتيحها بيده تعالى وهو استعارة على سبيل التمثيل للتنبية على أن قضاء الحاجة المرفوعة إلى الخلق لا يتحقق إلا بإذنه أن شاء أذن به وإن شاء لم يأذن.

(و بابى مفتوح لمن دعاني) وهو أيضاً استعارة لتشبيه الغائب بالحاضر، وترغيب السائل بالرجوع إليه، وتنبية الغافل على سهولة عرض المطلب عليه.

(فمن ذا الذي أملى لنوائبه فقطعته دونها) أي قطعته عند النوائب وهجرته أو منعه من أمده ورجائه ولم أرفع نوائبه. تقول قطعت الصديق قطيعة إذا هجرته، وقطعته عن حقه إذا منعته (رجائي لعظيمة) أي لمطالب عظيمة.

(جعلت آمال عبادي عندى محفوظة) لرد ما إليهم عند طلبهم كالودعة. (فلم يرضوا بحفظي) حتى جعلوها عند غيري وطلبوها منه (و ملأت سماواتي ممن لا يمل بشيبي) وهم الملائكة عليهم السلام الذين لا يفترقون من تسبيحه ولا يسأمون من تقديسه، ولا يخالفونه في أمره (و أمرتهم أن لا يفلقوا الأبواب بيني وبين عبادي) كناية عن عدم منهم لمن أراد الوصول إليه والسؤال منه، وعرض المقاصد عليه كما يفتح حجاب الملوك، أو عن إيصال حوائج السائلين ومطالبهم إليهم فإنه تعالى قد يأمرهم بذلك كما دل عليه بعض الروايات.

(فلم يثقوا بقولي) والدليل على عدم الوثوق رجوعهم إلى الغير وجعلهم له موضعاً للحاجات ومنشاء ذلك معارضة الوهم والخيال، ولو رجعوا إلى صرافة العقل وحكمه لوجدوا أن ذلك من أقبح الفعال (ألم يعلم من طريقته نائبة من نوائبي) أي أنه مطلقاً ولا وجه لتخصيص آتيانها بالليل (أنه لا يملك كشفها) أي دفعها.

(أحد غيري إلا بعد إذني) دل ظاهراً على أن الهدى لودجج إلى غيره تعالى في كشف نوائبه فقد تكشف بأذن الله تعالى فهذا معصص لما دل على اليأس وعدم القضاء على الإطلاق لا يقال العالم عالم الأسباب فكيف يذم من رجع إلى الغير لظنه أنه سبب لا نأقول الذم باعتبار

يسألني ثم انتزعته عنه فلم يسألني رده و سأل غيري، أفيراني أبداً بالعطاء قبل المسألة ثم أسأل فلا أجيب سألني ١٩ أبخيل أنا فيبخلني عبدي ١٩ أوليس الجود والكرم لي ١٩ أوليس العفو والرحمة بيدي ١٩ أو ليس أنا محل الآمال ؟ ! فمن يقطعها دوني ١٩ أفلا يخشى المؤمنون أن يؤملوا غيري ، فلو أن أهل سماواتي وأهل أرضي أتلوا جميعاً ثم أعطيت كل واحد منهم مثل ما أمل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة و كيف ينقص ملك أنا قيّمه ، فبايؤساً للقائطين من رحمتي و بايؤساً لمن عصاني ولم يراقبني.

أن قلبه تعلق به واعتمد عليه ، و أما من لم يركن اليه و لم يثق به ولم يعتمد عليه فالظاهر أنه ليس بمذموم والاولى مع ذلك أن يرجع الى الله فان شاء الله أن يكون قضاء حاجته على يد أحد جعله وسيلة له شاء أولم يشأ.

(أفيراني أبداً بالعطاء قبل المسألة ثم اسأل فلا أجيب) الاستفهام للانكار والتعجب فان من تأمل مثلاً في وجوده وذاته و حالاته السابقة يجد أنه تعالى شأنه أكرمه ونعمه وأحسن اليه بلا سابقة مشقة واستحقاق ما لا يقررره اللسان ولا يحيط به البيان و أنه أخرجه من حد النفس الى حد الكمال بلا التماس أحد ولا معاونة مدد ولا شفاعة شفيع ، ثم لا يحصل له العلم بأنه يسطيه في مستقبل الاحوال جميع ما يحتاج اليه ، و يصلح جميع ما يرد عليه عند السؤال و التفويض والثوكل والرجوع اليه بالتضرع والابتهال، ولم ينه عن أن تعالى يقوم بكفايته و رعايته و اضطر الى أن يقرع باب غيره و يلجأ اليه ويظهر الفقر والعجز بين يديه، كان ذلك محل التعجب والانكار وان هذا الشيء عجاب.

(أفلا يخشى المؤمنون أن يؤملوا غيري) الخشية اما من العفوية أو من قطع الامال والياس عنها ، أو من الابعاد عن مقام القرب ، أو من ازالة النماء عنه، أو من دفع الوجود والقبض والجود عنه ،

(و كيف ينقص ملك أنا قيّمه) أي قايم بسباسة اموره (فيايؤساً للقائطين من رحمتي) اليأس والياس والياساء الشدة والفقر والحزن و كأنه كان غير متعين وقت ندائه لعظمته فناداه و أحضره لبروه و يتعجبوا منه ، و يحتمل أن يكون منصوباً على المفعول لفعل مقدر تفديده باعبادي أبسروا يؤساً للقائطين و نحوه ، أو على المصدر تفديده باعبادي يؤساً لهم ، وفيه وعيد عظيم لاهل القنوط من رحمته (و لم يراقبني) أي لم يخف عذابي أو لم يحفظ حقوقي.

٨- محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسن ، عن بعض أصحابنا ، عن عباد بن يعقوب الرضائي ، عن سعيد بن عبد الرحمن قال : كنت مع موسى بن عبد الله بينبع وقد نددت نفقتي في بعض الأسفار ، فقال لي بعض ولد الحسين : من تؤمل لما قد نزل بك ؟ فقلت : موسى بن عبد الله ، فقال : إذا لا تقضي حاجتك ، ثم لا تنجح طلبك ، قلت : ولم ذلك ؟ قال : لأنني قد وجدت في بعض كتب آبائي إن الله عز وجل يقول - ثم ذكر مثله - فقلت : يا ابن رسول الله أمل علي ، فأملأه علي ، فقلت : لا والله ما سأله حاجة بعدها .

(باب الخوف والرجاء)

١- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن حديد ، عن منصور بن يونس ، عن الحارث بن المغيرة ، أو أبيه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : ما كان في وصية لقمان ؟ قال : كان فيها الأعاجيب و كان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه خف الله عز وجل خيفة لوجنته ببر الثقلين لعذابك و ارج الله رجاء لوجنته بذنوب الثقلين لرحمك ، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : كان أبي يقول : إنه ليس من عبده مؤمن

قوله (قال كان فيها الاعاجيب) جمع الجمع ، كالانهم والمحب ما يوجب انفعال النفس لزيادة وصف في المتعجب منه والمعجب چیزی که ازو بنایت شکفت گیرند .
(خف الله عز وجل خيفة لوجنته ببر الثقلين لعذابك و ارج الله رجاء لوجنته بذنوب الثقلين لرحمك) الخوف حالة نفسانية موجبة لتألمها بسبب توقع مكروه سببه ممكن الوقوع أو توقع فوات أمر مرغوب فيه ولو كان وقوع سببه معلوماً أو مظلوناً فلنا غالباً بسمى ذلك انتظار المكروه أيضاً كما بسمى خوفاً والتألم فيه أزيد ، وأما الخوف والتألم بسبب توقع مكروه علم قطعاً عدم وقوع شيء من أسبابه فذلك وسواس وماليخولياء والرجاء بالمدح حالة نفسانية موجبة لفرحها بسبب توقع حصول أمر مطلوب سببه متوقع أو مظلون أو معلوم و بسمى الاخير انتظار المطلوب أيضاً والفرح فيه أشد ، وأما الرجاء والفرح بسبب توقع مطلوب علم عدم وقوع سببه فذلك غرور و حماقة ، و سبب الخوف من الله معرفته ومعرفة جلاله و عظمته وكبريائه و غناؤه عن الخلق و غضبه وقهره و كمال قدرته على الخلق ، و عدم ميلاته بتعذيبهم وإهلاكهم و معرفة عيوب نفسه وتفسيره في المعاصات والاخلاق والاداب مع التفكير في أمر الآخرة و شدائدها ، و كلما زادت تلك المعارف زاد الخوف وثمرته في القلب و

إلا وفي قلبه نوران : نور خيفة و نور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن

البدن والجوارح. اذ بالخوف يعيل القلب الى ترك الشهوات والندامة على الزلات، والعزم على الخيرات ويخضع ويراقب ويحاسب وينظر الى عاقبة الامور ويحترز من الرذائل كالكبر والحسد والبخل ويذبل البدن ويسفر اللون من الهم والسهر وتشتد الجوارح بوظائفها و يحصل له بترك الشهوات العفة والزهد وبترك المحرمات التقوى، وبترك ما لا ينسب الورع والصدق والاخلاص ودوام الذكر والتفكير، و يترقى منها الى مقام المحبة، ثم منه الى مقام الرضا وسبب الرجاء معرفته ومعرفة سعة رحمته وفيضه ولطفه ورافته و احسانه على العباد، و اجراء نعمه عليهم ظاهرة وباطنة، جليلة وخفية، ضرورية وغير ضرورية حين كونهم أجنة في بطون امهاتهم بلا سبق استحقاق ولا تقدم استبهاال والتفكير في غنائم عن عبادتهم و تعذيبهم مع عجزهم ومسكنتهم وفقرهم وحاجتهم اليه و ذلهم بين يديه، و من استقرت في قلبه هذه المعارف حصل له الرجاء بنيل الثواب والمنفرة والرحمة، ونمرته الاثيان بما يوجب الوصول اليها كما أن ثمره الخوف من العقوبة ترك ما يوجب الوبود عليها، (ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه نوران : نور خيفة و نور رجاء) لان المؤمن لا يخلو من تصور أسباب الخوف والرجاء و تجويز وقوع مقتضى كل واحد منهما بدلا من الآخر وانتهاء سيره الى القرب كأهل الايمان، أو الى البعد كأهل الجحيمان بحيث لا يرجع أحدهما على الآخر اذ لو رجح الرجاء لزم الامن لافي موضعه وأقاموا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون، ولو رجح الخوف لزم اليأس الموجب للهلاك، أنه لا يئأس من روح الله الا القوم الكافرون، ومنه ظهر أن الخوف غير القنوط وأنه والرجاء ينبغي أن يكونا متساويين مطلقاً وقد ذهب اليه أيضاً بعض العامة، و قال عياض عبادة الله بين أصلين الرجاء والخوف، و يستحب أن يغلب في حال الصحة الخوف فاذا زاد في الاجل أو انقطع الاجل يستحب أن يغلب الرجاء ليلقى الله على حاله هي أحب اليه اذ هو الله سبحانه الرحمن الرحيم ويحب الرضاء ولا يغلب الخوف حينئذ خشية أن يقنط فيهلك وفيه أن الدليل لو تم لدل على رجحان الرجاء قبل الاجل أيضاً ولم يقل به، والتعليل لعدم غلبة الخوف عند الاجل دل على عدم غلبته أيضاً قبله، وقد قال بخلافه وقيل ينبغي أن يغلب الخوف ليكف عن المعالقات ويكثر من الطاعات، فاذا دنت أمارات الموت ينبغي أن يغلب الرجاء لان ثمره الخوف وهي الانكفاف والاكتثار في الطاعة تمذرت حينئذ وهو قريب مما ذكر، وقال الابي في كتاب اكمال الاكمال مقامات الصالحين عند الاحتضار تختلف، فمن بعضهم أنه قال لا يشه يابني حدثني عن الرخص لعلي ألقى الله وأنا أحسن الظن به، و عن بعضهم أنه رجي حين احتضر، وقيل له تقدم على فقور رحيم فقال أفلا تقولون لسي

هذا لم يزد على هذا.

٢- محمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن يحيى بن المبارك، عن عبد الله بن جبلة، عن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا إسحاق خف الله كأنك

تقدم على شديد العقاب بما قرب على الكبيرة وتأخذ بالصغيرة، وهذا بحسب مقامات الخوف بنى شيء وهو أنه قال بعض الأفاضل الخوف ليس من الفضائل والكمالات العقلية في النشأة الآخرة، وإنما هو من الأمور النافعة للنفس في الهرب عن المعاصي، وفعل الطاعات ما دامت في دار العمل، وأما عند انقضاء الاجل والخروج من الدنيا التي هي دار العمل فائدة فيه، وأما الرجاء فإنه باق أبداً إلى يوم القيامة لا ينقطع لأنه كلما قال العبد من رحمة الله أكثر كان ازدياد طمعه فيما عند الله أعظم وأشد لأن خزائن جوده وخبره ورحمته غير متناهية لا تبعد ولا تنقص فثبت أن الخوف منقطع والرجاء أبداً لا ينقطع، وفيه نظر لأن الظاهر أن الخوف من العقوبة أو من فوات الثواب أو من فوات الفضل أو من فوات رفيع المنزلة أو من ظهور أساءة على رؤس الأشهاد أو من زلة القدم على الصراط باق بعد الخروج من الدنيا ثم بقاء الرجاء والطمع فيما عند الله كما حكم به يستلزم الخوف من عدم تحقق المملوع والله أعلم.

قوله (يا إسحاق خف الله كأنك تراه) وإن كنت لا تراه فإنه يراك (و شبه الرؤية القلبية بالرؤية البينية تصدأ للظهور والإيضاح والاول اشارة الى مقام المشاهدة وهي مرتبة عين اليقين أو حق اليقين وهي أعلى مراتب السالكين، وفي تلك المرتبة يتصل الطالب بالمطلوب اتصالاً منوياً بحيث لا يشاهد الا جماله وكماله. الثاني اشارة الى مقام المراقبة وهي ثمره الايمان ومرتبة عظيمة من مراتب السالكين روى عن رسول الله ص أنه قال: ما عبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وقال جل شأنه دافعن هو قائم على كل نفس بما كسبت ان الله كان عليكم رقيباً والمراقبة مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتمسرها هو العلم بأن الله تعالى مطلع على كل نفس بما كسبت وأنه تعالى عالم بسراير القلوب وخطراتها كما هو عالم بظواهر الاشياء وجلياتها وهذا العلم اذا استقر في القلب ولم يبق فيه شبهة يجذب الى مراعاة الرقيب والمصنفون بها على سنن من المديقون ومراقبتهم استمرارية القلب بملاحظة العظمة والجلال وانكساره تحت الهيبة واستعمال الجوارح بوظائف الطاعات بحيث لا يلتفت القلب الى الغير أصلاً والجوارح الى المباحات فضلاً عن المحظورات، ومنهم الوديعون وهم قوم لم تدعهم ملاحظة العظمة والجلال بل بقيت قلوبهم على الاعتدال ينسحبون انكساراً الى الاقوال والاعمال ومراقبتهم أن ينظروا الى جميع حركاتهم وسكناتهم ولحفظاتهم و

تراه وإن كنت لا تراه فإنه يراك ، فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت ، وإن كنت تعلم أنه يراك ، ثم برزت له بالمعصية ، فقد جعلته من أهون الناظرين عليك .

٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن الهيثم بن واقد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : من خاف الله أخاف الله عنه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء .

٤- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن أبيه ، عن حمزة بن عبد الله الجعفرى ، عن جميل بن دراج ، عن أبي حمزة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : من عرف الله

اختياراتهم ويرصدوا كل خاطر يسبح لهم فإن كانت الهية عملوا بمتضاها ، وإن كانت شيطانية رفضوها استحياء من الرقيب ، وإن كانت مبهمة توقفوا حتى يظهر لهم أمرها .
(فإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت) رؤيته تعالى نوع من العلم وهو العلم بالمبصرات ظاهرها و باطنها كماهى والمنكر له كافر بالله العظيم .

(و إن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك) حيث تترك المعصية عند مشاهدة غيره خوفاً من اللوم و حياء ولا تترك عند مشاهدته مع علمك بأنه شاهد حاضر وليس ذلك إلا لأنه أهون عندك من ذلك الغير و هو لازم عليك ، و إن لم تقمده و أنا أستغفر الله و أقول يا رب فعلنا كذلك لالذلك بل لاجل أنا نأمن منك و نرجو رحمتك و لا نأمن غيرك .

قوله (من خاف الله أخاف الله منه كل شيء) ظاهره أن الله تعالى يلقى الخوف منه على الأشياء مع احتمال أن يكون سر ذلك أن الخائف من الله نفسه قوة قدسية مقربة للحضرة الالهية قادرة على التأثير فى الممكنات فلذلك يخاف منه كل شيء حتى الوحوش و السباع و الحيات كما نقل ذلك عن كثير من المقربين و من لم يخف الله نفسه ضعيفة مشقة بالنقصان بعيدة عن التأثير فى عالم الامكان فلذلك يخاف من كل شيء و يتأثر منه ولما كانت القوة و الضعف و التأثير و التأثر بسبب القرب من الله و عدمه نسبت الاخافة اليه .

قوله (من عرف الله خاف الله) دل على ان الخوف من الله لازم لمعرفته فكما زادت زاده و لذلك قال عز شأنه و انما يخشى الله من عباده العلماء و ذلك لان من عرف عظمته و غلبته على جميع الكائنات و قدرته على جميع الممكنات بالاصدام و الافناء من غير أن يسأله سائل أو يمنعه مانع أو يعود اليه ضرر تهيب و خاف منه ، وأيضا من عرفه علم احتياجه اليه شرح الاصول الكافى - ١٣ -

خاف الله و من خاف الله سخت نفسه عن الدنيا .

هـ عنه ، عن ابن أبي نجران ، صحت ذكره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قلت له : قوم يعملون بالمعاصي و يقولون نرجو ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت فقال : هؤلاء قوم يترجعحون في الأمان ، كذبوا ، ليسوا براجين ، إن من رجا شيئاً

في وجوده و بقاءه و كمالاته في جميع حالاته و من البين أن الاحتياج اليه في مثل تلك الأمور العظام يستلزم الخوف منه في سلب الفيش والاکرام .

(و من خاف الله سخت نفسه عن الدنيا) أي تركها يقول سعى من الشيء يسعى من ياب تمب أي ترك فمن ادعى الخوف و مال الى الدنيا غير تارك لها و ناهض للعبادة فهو كاذب لأن الخوف يستلزم الاعراض عن الدنيا والتوجه الى العبادة .

قوله (و يقولون نرجو) أي نرجو رحمة الله أو مغفرته لدلالة الآيات والروايات على سعة عفوه و جزيل رحمته و وفور مغفرته .

(فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت) بلا توبة ولا تدارك بالتدابة والعبادة .

(فقال هؤلاء قوم يترجعحون في الأمان) الترجح ميل كردن از طرف بطرف دیگر والاماني آرزوها و دروغها و بی ترسيها جميع الامنية ، و في السببية ، أو للظرفية أو بمعنى على أي يميلون عن الحق بسبب الاماني أو فيها أو عليها باعتبار أنها يميل بهم كماتميل الارجوحة بمن فيها أو عليها و هي بضم الهمزة مثال يلعب عليه الصبيان و هو أن يوضع خشبة هلبي تل و يتمد غلامان على طرفيها .

(كذبوا) في دعوى الرجاء (ليسوا براجين) بل هم انحلوا اسم الرجاء وليس لهم معناه أصلاً و علل ذلك بقوله :

(أن من رجا شيئاً طلبه بالضرورة و أما تمسكهم بسعة الرحمة فلا يوجب صدقهم فسي الرجاء فان سعة الرحمة حق ولكن لا بد لمن يرجوها من العمل الخالص الممدوح لها و ترك المذموم في المعاصي المفوت لهذا الاستعداد و هذا هو الرجاء الصادق الممدوح كرجاء من ألقى البندقي الأرض أدنى بأدب الزراعة رحمته في الحاصل ، وأما من توغل في المعاصي فرجاء الرحمة غير ممدوح ولا منقول كرجاء من لم يزرع أن يثبت الله له زرعاً فان هذا حقيق يذم به المتقلاء ولا تتبع هؤلاء وانظر الى الانباء (ع) فانهم مع كونهم اهل بسعة الرحمة صرفوا أعمادهم في الطاعة لملهم بأن توقع الاجر بدون الطاعة محض الغرور والقول بأننا نرجو بدون العمل قول الزود ، وانظر أيضاً الى من رجا امراً من السلطان فانه

طلبه و من خاف من شيء هرب منه.

٦- ورواه علي بن محمد، رفعه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن قوماً من مواليك يلمنون بالمعاصي و يقولون نرجو؟ فقال: كذبوا ليسوالنا بموال، أولئك قوم ترجحت بهم الأمانى. من رجا شيئاً عمل له و من خاف من شيء هرب منه.

٧- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابه، عن صالح بن حمزة، رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن من العبادة شدة الخوف من الله عز وجل يقول الله: **وإنما يخشى الله من عباده العلماء** وقال جل ثناؤه: **وفا لا تخشوا**

لا يصعب بل يطلب منه ذلك الأمر و يخدمه خدمة بالغة طامياً للرضا و يكون خدمته بقدر قوة التوقع والرجاء ولما كان رجاء شيء مستلزماً للخوف من فوائده وبالعكس ولذلك قيل الخوف والرجاء متلازمان كان رجاءهم رحمة مستلزماً لخوفهم من فواتها و لذلك أشار الى أن دعواهم الخوف باطل أيضاً على وجه العموم بقوله.

(و من خاف من شيء هرب منه) بالضرورة فليس لهم خوف من فوات الرحمة والا لهربوا منه بترك المعاصي الموجبة لفواتها.

قوله (ان قوماً من مواليك) أى تأمر بك و تأمرك القائلين بولايتك المحبين لك، (يلعون بالمعاصي) أى ينزاون بالمعاصي و يفعلونها.

(و يقولون نرجو) الرحمة والمغفرة لانه تعالى واسع الرحمة والمغفرة (فقال كذبوا) فى دعوى الولاية والرجاء (ليسوالنا بموال) لان الموالات ليست بمجرد القول بل هى محبة فى الباطن ومتابعة فى الظاهر لا انفكاك بينهما والحصر المفهوم من تقديم الظرف يفيد أنهم موال لغيرهم و هو الشيطان (أولئك قوم ترجحت بهم الأمانى) الباء للتعديبة أى امالتهم الامانى عن طريق الرشاد الى سبيل الفساد حيث رجوا الرجاء مع اتقاء سببها و هو النعمى المستعمل فى المحال دون الرجاء.

قوله (ان من العبادة شدة الخوف من الله عز وجل) الخوف مبدؤه تصور حقيقة الخالق ووعيده وأحوال الآخرة والتصديق بهاد بحسب قوة ذلك التصور و التصديق يكون قوة الخوف و شدته، وهى مطلوبة ما لم يبلغ حد القنوط و ربما يشعر ذلك باعتناء زيادة الخوف على الرجاء، ويمكن أن يقال شدة الخوف تستلزم شدة الرجاء أو يقال ذكر شدة الخوف على سبيل التمثيل كما يشعر به قوله ومن العبادة، لان متها شدة الرجاء.

(يقول الله عز وجل: **وإنما يخشى الله من عباده العلماء**) لابد أن نشير الى هؤلاء العلماء

الناس و اخشون، وقال تبارك وتعالى : «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا»، قال : و قال أبو عبد الله عليه السلام : «إنَّ حبَّ الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الرَّاهِبِ» .
٨- علي بن إبراهيم ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن الحسن بن الحسين ، عن محمد بن سنان ، عن أبي سعيد الحارثي ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن علي بن الحسين صلوات -

والى العلم الذى يورث الخوف والخشية فانا نرى كثيراً من أهل العلوم الدينية وغيرها لا يصحسون من الله و يقتنون بحب الدنيا والاستكثار منها ومسحبة الامراء وملاطين الجور للرجاء والمال ويميلون معهم حيث مالوا وينالون الدنيا على أى وجه اتفق ويتبعون أهواء النفس والشیطان فنقول المراد بهذا العالم المسالم الربانى وهو الذى علم مظنة الله وجلاله وعزه وقهره لا على وجه الاعتقاد فقط بل على وجه محيط نور العلم ظاهر القلب وباطنه بحيث يستمد من التوجه الى الدنيا وما فيها فضلاً عن الوسائط اليها ويزجره عن متابعة النفس الامارة فى هواها واداءها فان هذا العلم هو الذى يورث الخشية وثمرته التقوى والورع وسائر الاخلاق النفسانية والنمل يعلم كتاب الله و سنة رسول الله ، والاهرام عن الدنيا وأهلها ويرشد الى ما ذكر ما روى عن النبى وصره أنه قال : «أنا أعرىكم بالله وأشركم له خشية» فانه كالمفسر للعلم والعالم الخاشى لله والمخلص لهما (١) هذا، وقال المحقق الطوسى فى أوصاف الأشراف أن الخوف والخشية وان كانا بمعنى واحد فى اللغة الآن بينهما فرقاً بين أرباب القلوب وهما أن الخوف تألم النفس من المكروه المنتظر والمقاب المتوقع بسبب احتمال فعل المنهيات وترك الطاعات، والخشية حالة نفسانية تنشأ من الصور بمظنة الرب وهيبته وخوف المحجب عنه بسبب الوقوف على نقصانه وتقصيره فى أداء حقيق المبودية ورعاية الادب فهى خوف خامس واليه يرشد قوله تعالى و يخشون ربهم و يخافون سوء الحساب، والرهبة قريب من الخشية

أقول ولعل المقصود من الخشية هنا المعنى الذى يورث الاستشهاد بالآية وفلا تخشوا الناس واخشون ، دل على أن الخشية وهى شدة الخوف عبادة لان الله تعالى أمر بهما كالآية السابقة الآن الامر فيها وقع ضمناً، ثم من خشى الله يخشاه الناس فكيف الله من خشيتهم لئلا يورث من يتق الله يجعل له مخرجاً، والتقوى على مراتب الاولى التبرى عن الكفر والشرك وهى تحصل بالعهداتين، وثانيها التجنب عما يؤثم، وثالثها التزعم بما يشغل القلب عن الحق وبناء الكل على الخوف من العقوبة والبهمة من الحق، ولعل المراد هنا احدى الآخرين مع

(١) قوله دوالمخلص لهما، عطف على المفسر أى هذا الحديث مفسر للعلم والعالم و

مخلص لهما بالعلم الموجب للخشية والعالم الخاشى. (ش).

الله عليهما قال : قال إن رجلاً ركب البحر بأهله فكسر بهم ، فلم ينج مثنى كان في السفينة إلا امرأة الرجل ، فإنها نجت على لوح من ألواح السفينة حتى ألجأت على جزيرة من جزائر البحر وكان في تلك الجزيرة رجل يقطع الطريق ولم يدع لله حرمة إلا انتهكها فلم يعلم إلا والمرأة قائمة على رأسه ، فرفع رأسه إليها فقال : إني أم جنيّة ؟ فقالت : إني ، فلم يكلمها كلمة حتى جلس منها مجلس الرجل من أهله ، فلما أن همّ بها اضطربت ، فقال لها : مالك تضطربين ؟ فقالت : أفرق من هذا وأومات بيدها إلى السماء - قال : فصنعت من هذا شيئاً ؟ قالت : لا وعزّته ،

احتمال الاولى بعيدا أي ومن يتق الله خوفاً منه يجعل له مخرجاً من شدائد الدنيا والاخرة كما نقل عن ابن عباس ، أو من ضيق المعاش كما يشعر به قوله تعالى ويرزقهم من حيث لا يحتسب ، وكان السر في الاول أن شدائد الدارين من الحرص على الدنيا واقتراف الذنوب والفلسة عن الحق والتمتق بمنزله من جميع ذلك وفي الثاني أن فيضه تعالى وجوده عام لا يحل فيه وإنما الباع من قبول فيضه هو بعد العبد عنه وعدم استعداد له بالذنوب ، فإذا اتقى عنها قرب منه تعالى واستحق قبول فيضه بلائف ولا كلفة ، فيجمع بذلك خير الدنيا والاخرة . (وقال أبو عبد الله «ع» إن حب الشرف والذكر أي حب الجاه والرياسة والعزة بين الناس وحب الذكر والمدح والثناء منهم والشهرة فيهم .

(لا يكونان في قلب الخائف الراجب) لأن حب ذلك من آثار الميل إلى الدنيا وأهلها وهما منزها عن ، وأيضاً حبها من الامراض النفسانية المهلكة والخوف والرهبة يهذبان النفس منها . و من ثم قالوا : الخوف نار تحرق الفواسق والهواجس . وذكر الراجب بعد الخائف من باب ذكر الخاص بعد العام لزيادة الاهتمام اذ الرهبة بمعنى الخشية وهي أخص من الخوف كما مر ، وأيضاً الراجب هو الخائف التارك لاشغال الدنيا وملاذها حتى حلالها والمعتزل من أهلها والمتمحل لمشاقها ومشاق التكاليف وغيرها .

قوله (ان رجلاً ركب البحر) أراد بالبحر السفينة مجازاً من باب تسمية الحال باسم المحل بقرينة رجوع الضمير المستتر في قوله فكسر إلى أهله بمعنى مع . (الا انتهكها) انتهك الحرمة تناولها بما لا يحل والحرمة بالضم اسم من الاحترام مثل الفرقة من الافتراق والجمع حرمان فقال أفرق من هذا الفرق محركة الخوف يقال فرق فرقاً من باب تعب أي خاف و يتعدى بالهمزة فيقال أفرقتك وإنما خافت من الله مع كونها مستكرمة لاجل التمكن فذلك اضطربت لئلا تمكنه بقدر الامكان ويقهر منه أن المستكره على الحرام وحب عليه الدفع على قدر القدرة ليتخلص من العقوبة .

قال: فأنت تفرق بين منه هذا الفرق ولم تصنع من هذا شيئاً وإنما استكرهتك استكرهاً فأنا والله أولى بهذا الفرق والخوف وأحق منك. قال: فقام ولم يحدث شيئاً ورجع إلى أهله ولبست له همة إلا التوبة والمراجعة، فبينما هو يمشي إذ صادفه راهب يمشي في الطريق، فحميت عليهما الشمس فقال الراهب للشاب: ادع الله يظللنا بغمامة، فقد حميت علينا الشمس، فقال الشاب: ما أعلم أن لي عند ربّي حسنة فأتجاسر على أن أسأله شيئاً، قال: فأدعوا أنا وتؤمن أنت، قال: نعم فأقبل الراهب يدعو والشاب يؤمن، فما كان بأسرع من أن أظلتهما غمامة، فمشيا تحتها ملياً من النهار ثم تفرقت العجدة جادتين فأخذ الشاب في واحدة وأخذ الراهب في واحدة فإذا السحابة مع الشاب فقال: الراهب أنت خير مني، لك استجيب ولم يستجب لي، فأخبرني ما قصتك؟ فأخبره بخبر المرأة فقال: غفرك ماضى حيث دخلك الخوف، فانظر كيف تكون

(فبينما هو يمشي إذ صادفه راهب) بين ظريفة والآلف للإشباع و ميمولة لفعل يفسره الفعل الواقع بعد إذا الفجائية أو خبر عن مصدر أي صادفه راهب بين أوقات مشيه، أو بين أوقات مشيه مصادفة الراهب: والمصادفة يكديكر را يافتن، والراهب ما به التصاري وهو المنقطع للعبادة، وفي بعض النسخ، اذغامه، بالضاد المعجمة، وفي بعضها اذجاءه، والمضامة نزديك كس رقتن.

(و تؤمن أنت) أي تقول آمين وهو بالقصر في الحجاز (١) والمد اشباع بدليل أنه لا يوجد في العربية كلمة على فاعيل ومعناه واللهم استجب وقيل وكذلك يكون وقيل وكذا فليكن، وعن الحسن البصري أنه اسم من أسماء الله تعالى والموجود في مشاهير الأصول الممتدة أن التشديد خطأ وقال بعضهم التشديد لغة وهو وهم قديم ووجه الوهم مذكور في الصباح، (فمشيا تحتها ملياً من النهار) أي زماناً كثيراً وساعة طويلة.

(١) قوله وهو بالقصر في الحجاز أي آمين على وزن شريف، قال الشاعر:

تباعد حتى فضحل إذ رأته آمين فزاد الله ما بيننا بعداً

وهي كلمة غير موعودة في الأصل للدعاء، بل معناه كذلك فليكن، فتعمل بعد كل كلام يليق بأن يظهر المخاطب بعده الشوق إلى وقوعه، ولذلك يطل به الصلاة عندنا، لأنه بمنزلة كلام الادميين نظير أهلاً وسهلاً ومرحباً وسلياً ورعياً، والتعبير بالدعاء نظيره اللهم استجب، لتقريب المعنى. (ش)

فيما تستقبل.

٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن حمزة بن حمران قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن ممّا حفظ من خطب النبي ﷺ أنّه قال: يا أيّها الناس إنّ لكم معالماً فانتهوا إلى معالكم وإنّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، ألا إنّ المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه ومن ديناه لأخرفته وفي

(فقال غفر لك ماضى حيث دخلك الخوف) دل على أن ترك كبيرة واحدة مع الاقتدار عليها خوفاً من الله وخالصاً لوجهه موجب لغفران الذنوب كلها ولو كان حق الناس على احتمال لأن الرجل كان يطلع الطريق مع احتمال أن يكون المغفرة للخوف مع التوبة إلى الله والمراجعة إلى الناس في حقوقهم كما ينهم من قوله وليس لعامة الأتوبة والمراجعة.

قوله (أيها الناس إن لكم معالماً فانتهوا إلى معالكم) لعل المراد بها مواضع العلوم والحفايق وهي القوانين الشرعية، أو الصحيح الدال على بها.

(و إن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم) كان المراد بها الغاية المطلوبة للإنسان وهي الكمالات الموجبة للقرب وحملها على الأجل الموعود بعيد.

(ألا أن المؤمن يعمل بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه) دل على أن الخوف كما يكون بالنسبة إلى ما يأتي يكون بالنسبة إلى ماضى أيضاً وتخصيصه بما يأتي وإطلاق الحزن على ماضى اصطلاح عند قوم وهذا أن العوقان بوجبان تحقق كمال الإنسان، لأن الخوف مما مضى يوجب نصيب العزم بالتوبة والاستغفار والتدارك والاعتراف بالتقصير واشتغال القلب بذكر الرب والخوف مما يأتي من احتمال المعصية والافتقار ونقصان الدرجة عن درجة الإبرار وانقلاب القلب والغفلة وترك الطاعات يوجب الاجتهاد في اكتساب الخيرات والمبادرة إلى تحصيل الكمالات والمحافظة لأوقات المبادات، والعالى عن الخوف فاسى القلب فاسد العقل وفويل للقاسية قلوبهم أولئك في ضلال مبين، (فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه) بأن يأخذ في الدنيا من نفسه فعل الطاعات والقربات وترك المنهيات والمهويات ورفض الدنيا وأهلها ورسوم العادات، لنفسه في الآخرة (و من ديناه لأخرفته) بأن ينفق متاعها على الفقراء والمساكين وذوى الحاجات من المسلمين ولا ينسى نصيبه من الدنيا وهي مزرعة الآخرة.

(و في الشبهة قبل الكبر) لأنه قد لا يعمل إلى الكبر فالأخير مفوت للمتعصداً ولأن القدرة

الشبية قبل الكبر وفي الحياة قبل الممات، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب وما بعدها من دار إلا الجنة أو النار .

على العمل وتحمل المعنى في أيام الشباب أقوى أولان القوى في أيامه قوية وكمال العمل تابع لقوتهما. أولان العمل اذ صار ملكة في أيامه سهل عليه في أيام الكبر أولانه ينبغي أن يكون ميول القلب في أيامه إلى الطاعة والانقياد للأوامر والنواهي ليكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات النافعة في الآخرة (١) على لوح صافي عن كدر الباطل ولوعكس وجعل أوائل ميوله وإرادته إلى المعاصي تسود مرآة نفسه بالملكات الردية فلم يكدر يقبل بعد ذلك الاستعانة بنور الحق فكان من الآخرين أعمالاً .

(و في الحياة قبل الممات) لأن العمل بعد الموت منقطع كما أشار إليه بقوله :
(فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من مستعتب) مستعتب مصدر على (نسة المفعول طلب الرضا أو اسم فاعل على احتمال بمعنى طالبه والعتب والعتاب التوبيخ والسخط المذنب والتقصير، يقال عتب عليه عتبا من بابي ضرب وقتل، وعاتبه معاتبه وعتاباً أي وبخده لأمه وسخط عليه لذنبه وتقصيره والاعتاب الأزالة لكون الهزيمة للسلب فهو بمعنى الرضا ، يقال أهتبه عتاباً أي أزال عنه العتاب وعاد إلى مسرته ورضاه . والاستعتاب طلب الاعتساب والرضا بإزالة ما هو تيب عليه والمعنى ليس بعد الدنيا من استرخاء وإقالة ذنب وقبول عذر كما قال تعالى و إن يستحبوا فمأهم من الممتبين، فالعتب يفتح أثناء المرضي أي أن يطلبوا الرضا والمسرعة عنه تعالى ويستقبلوه فلا يرض عنهم ولا يسرعهم ولا يقبلهم لأن محل الاستعتاب والاعتاب والاستقالة والإقالة إنما هو الدنيا قبل حضور الموت وأما بعده فهو دار جزاء .

(وما بعدها من دار الجنة أو النار) فمن أطاع ربه في الدنيا فالجنة داره ومثواه ومن عصاه فالنار منزله ومأواه . والمقصود من هذا الحديث حث المكلف على اغتنام الفرصة في زمن المهلة للاستعتاب والاعتذار والتوبة والاستغفار والاستيقاظ عن سنة الغفلة والاجتهاد ورأى الأعمال والاستعداد لما بعد الموت لكلا يقع بعده فسي الحسرة والندامة فيمتذر فلا -

(١) قوله وعلى لوح نفسه من الكمالات النافعة في الآخرة هذا ما جرى عليه علماء الاختلاي ويدل عليه قوله تعالى ويوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم لأن بناتهم على أن المؤمن بالذات في السعادة الآخروية هو الكمالات الحاصلة للنفس الإنسانية بسبب الملكات الكريمة، وأما عمل الجوارح كالصلاة والصيام والحج قائما يؤثر بالتسبب وبالمرض لأنه يوجب رسوخ الملكات، ورسوخ الملكات يوجب السعادة في الآخرة . فعمل الجوارح سبب سبب السعادة ولا يفيد أن لم يكسب للنفس ملكة واسعة، أوصفة ثابتة، (ش)

١٠- عنه، عن أحمد، عن ابن محبوب، عن داود الرقي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «ولمن خاف مقام ربه جنتان» قال: من علم أن الله يراه و يسمع ما يقول ويعلم ما يعمل من خير أو شر فيحجزه ذلك عن التبيح من الأعمال، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى.

١١- عنه، عن أحمد بن محمد، عن ابن سنان، عن ابن مسكان، عن الحسن بن أبي سارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً.

يقبل معذرتة فيقول وأد لم نمركم مسا يتذكر فيه من تذكركم بل قد يمنع من الاعتذار فيقول وأخسأفها ولا تكلمون .

قوله (و لمن خاف مقام ربه جنتان) قال الشيخ بهاء الملة والدين والمراد بمقام ربه والله أعلم موقفه الذي يوقف فيه العباد للحساب، أو هو مصدر بمعنى قيامه على أحوالهم و مراقبته لهم، أو المراد مقام الخائف عند ربه وفسر الجنتان بجنة يستحقها المبدئين بمقامه الحقنة وأخرى بأعماله الصالحة. أو أحدهما لفعل الحسنات والأخرى لترك السيئات أو جنة يثاب بها و أخرى ينفضل بها عليه أو جنة روحانية وأخرى جسمانية، وقال صاحب الكشاف الخطاب للثلاثين فكأنه قيل للخائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف المجنى وجود أيضاً أراد الثاني والثالث المذكورين.

أقول يجوز أن يراد جنة للخوف لانه عبادة كما مر و جنة للإلزام وهو فعل الطاعات و ترك المنهيات ويشعر به ما بعده، وما روي عن النبي ص أنه قال: «من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخافة الله عز وجل حرم الله عليه النار وأمنه من الفزع الأكبر وأنجز له ما وعده في كتابه في قوله تعالى «ولمن خاف مقام ربه جنتان» فان ترتب استحقاق الجنتين على الخوف والاجتناب يشعر بما ذكرنا.

قوله (فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أشار به الى أن الموصول في قوله تعالى «وأممن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى» فان الجنة هي المأوى من عاصم أن الله يراه الى آخره، وأنه الذي نسي مقام المراقبة، وأنه الذي له جنتان وأن نفس النفس من الهوى تابع للخوف، وأن الخوف تابع للملم المذكور، فلا خوف بدونه كما قال عز وجل «انما يخشى الله من عباده العلماء» .

قوله (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجباً) قدشاع إطلاق الايمان على

راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو.

١٢- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن فضيل بن عثمان، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: المؤمن بين مخافتين: ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبغ إلا خائفاً ولا يصلح إلا الخوف.

١٣- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي عليه السلام يقول: إنه ليس من عبد مؤمن إلا [و] في قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا.

(باب)

(حسن الظن بالله عز وجل)

١ - عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن داود بن كثير، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تبارك وتعالى: لا يتكلم العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها لنوابي

ما يمنع من الدخول في النار وهذا الايمان لا يكون الا مع الصفات المذكورة التي أولها الخوف من الله وأسبابه على كثرتها اما امور مكروهة لذاتها كمعاد الدنيا والاخرة كشدة الموت و عذاب القبر وهول المطلع والموقف بين يديه عز وجل وكشف السر والمناقشة في الحساب و العبور على السراط والدخول في النار وحرمان الجنة، والحجاب منه تعالى وخوف الحجاب أعلى رتبة وهو خوف المعارف وما قبله خوف العابدین والصالحين والزاهدين وأوامر مكروهة لانها تؤدي الى ما هو مكروه لذاته كتنقض الثوبة والموت قبلها والتقصير في الطاعة والافراط في القوة الشهوية والغضب وسوء الخاتمة والشقاوة في العلم الاذلي، والاعطاب على المتقين خوف الخاتمة والاعظم خوف السابقة لكون الخاتمة تبعاً لها.

قوله (فهو لا يصبغ الا خائفاً) أصبح دخل في الصباح وهذا تأكيد لما سبق من قوله المؤمن بين مخافتين، والمراد منه المادة استمرار الخوف دائماً.

قوله (ولا يصلح الا الخوف) أذهب تلافى ما فات ويتدارك ما هوات كما مر.

قوله (لا يتكلم العاملون لي على أعمالهم) أي لا يمشدوا في دخول الجنة ونيل درجاتها على محض تلك الاعمال وان كان صحيحة تامة الا ان كان في نفسها وواقعة مع

فإنهم لو اجتهدوا و اتعبوا أنفسهم - أعمارهم - في عبادتي كانوا مقسرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي و النعيم في جناتي و رفيع -

المبالغة في الاجتهاد لانها بالنسبة الى عظمة الحق وما يستحقه من العبادة ناقصة وقد نطقت السنة الاولياء بأنهم ما عبده حق عبادته فكيف غيرهم وبالنظر الى نعيم الجنات ورفع الدرجات وكرامة الرب وجوار القرب فامره غير قابل لافetzائها مع أن مقاسد الاعمال كثيرة لا تحصى منها التي آخر العمر الا نادراً والاعتكاف عليها موجب للعجب المهلك غالباً، وعلى هذا لا ينبغي للمعاملين أن يتكلموا على محض أعمالهم ولا يثقوا بمجرد أفعالهم، بل ينبغي لهم مع الاجتهاد فيها والاتباع بها تامة الاركان وتخليصها عن طربان المقاسد وشوائب النقصان أن يثقوا برحمة ربهم في دخول الجنان ويرجوا فضله في الكرامة والاحسان ويطمئثوا الى حسن الظن به في قبول العمل وجبر النقصان، فان رحمته عند ذلك تدركهم ورضوانه يبلغهم في دار السلامة، ومفرته تلبسهم لباس العفو والكرامة وبهذا التقرير ظهر أن طمع من ترك العمل لحسن الظن به مقطوع، وأن قول من قال في هذا الخبر دلالة على أن العمل ليس سبباً لدخول الجنة ممنوع كيف وقد قال جل شأنه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون، ومخلص القول أن الاحسان بالعمل مع عمل آخر وهو الثقة بفعل الله ورحمته في قبوله سبب لدخولها ولبل درجاتها كما قال و ان رحمة الله قريب من المحسنين، هذا وقد ذهب جماعة من العامة أن العمل ليس سبباً لدخول الجنة أصلاً واستدلوا على ذلك بما رواه مسلم عن النبي ص، أنه قال من دخل أحدكم منكم عمله الجنة وهذا بناء على أصلهم من أن الله تعالى يجوز أن يعذب المؤمن المطيع ويحبب الكافر، و أوردوا على أنفسهم أن ذلك منقوض بالاية المذكورة وأن العمل اذا لم يكن سبباً أصلاً فاما الغائبة فيه فأجابوا عن الاول بأن معنى الاية: ادخلوها بأعمالكم رحمة من الله لاستحقاقاً عليه، و قال المازدي معناها أن دخول الجنة بالعمل لكن بهدايته له وفضله فصح أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل. وأجاب أبو عبد الله الابن عن الثاني بأن القائلين بأن دخول الجنة انما هو بنعمة الله لا يثقون أن الاعمال بل يقولون انما هو في رفع الدرجات

أقول: يرد على الجواب الاول أن استفادة ذلك من الاية ممنوعة وعلى تقدير التسليم

لا يخلو من تناقض لان قولهم ادخلوها بأعمالكم يفيد أن الاعمال سبب للدخول في الجنة و قولهم لاستحقاقاً عليه يفيد أنها ليست سبباً له وعلى جواب المازدي أنه لا ينبغي كون الاعمال سبباً في الجنة وعلى جواب الابن أنه اذا جاز أن تكون الاعمال سبباً للملوان درجات

الدرجات العلى في جوارى ولكن برحمتي فليثقوا وفضلتي فليرجوا ، وإلى حسن الظن بي فليطمئثوا ، فإن رحمتي عند ذلك تدركهم ، و مني يبلغهم رضواني و مغفرتي ، تلبسهم غفوي فإني أنا الله الرحمن الرحيم و بذلك تسميت .

٢- ابن محبوب، عن جميل بن صالح، عن يزيد بن معاوية، عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب علي عليه السلام أن رسول الله ﷺ قال - وهو على منبره - والذي لا إله إلا هو ما أعطى مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له

لم لا يهود (١) أن يكون سبباً لدخول الجنة.

(والى حسن الظن بي فليطمئثوا) هذا هو المطلوب ولذا ذكره في هذا الباب وأما ذكره في باب الرضا بالقضاء فمن باب التسمية وينبغي أن يعلم أن الخوف يقتضى ترك المنهيات والرجاء يقتضى فعل الطاعات والمكلف بعد اتصافه بهما على السواء ينبغي أن لا يفتكل على أعماله فإن العابد كما مر وإن بالغ كان مقصراً بعد بل ينبغي أن يحسن ظنه بالله في قبول عمله و رفسح درجته ويعتمد على فضله وكرمه ولا يسوء ظنه به فإن حسن الظن ينبعث منه المحبة و هى أعلى مقامات السالكين و سوء الظن ينبعث منه النفرة و هى من أعظم خصال الشياطين ، و مما ذكرنا يندفع توهم أن حسن الظن يوجب ترجيح الرجاء على الخوف وهذا يناهى ما مر من اعتبار التصادى بينهما .

قوله (والذى لا اله الا هو ما أعطى مؤمن قط خيراً الدنيا والآخرة الا بحسن ظنه بالله) قال بعض الأفاضل متناه حسن ظنه بالمفران اذا ظنه حين يستغفر و بالقبول اذا ظنه حين يتوب وبالإجابة اذا ظنه حين يدعو وبالكفاية حين يستكفى لان هذه صفات لا تظهر الا اذا حسن ظنه بالله تعالى وكذلك تحسين الظن بقبول العمل عند فعله اياد . فينبى للمستغفر و القائم و الداعي والمعامل أن يأثروا بذلك موقنين بالإجابة بوعد الله الصادى فان الله تعالى وعد بقبول التوبة الصادقة والأعمال الصالحة ، وأما لو فعل هذه الأشياء وهو بظن أنها لا تقبل ولا تنفعه فذلك قنوط

(١) قوله وأن تكون الأعمال سبباً لعلو الدرجات ومبنى كلام المارح أن عمل الجوارح سبب لدخول الجنة ، ولكن سببها بالواسطة لانه سبب لعلو الدرجة ، و علو الدرجة سبب لدخول الجنة ، و على هذا فلا معنى لنفى سببية العمل لدخول الجنة أصلاً . نعم ان اراد قائله نفى السببية بالمباشرة كان له وجه لكن يأبى عنه ظاهر كلام القائلين بالناء أثر الأعمال . (ن)

وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين، والذي لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه و اغتيابه للمؤمنين. والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبده مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن، لأن الله كريم بيده الخيرات، يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه و رجاءه، فأحسنوا بالله الظن وادعوا إليه.

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: أحسنوا الظن بالله. فإن الله عز وجل يقول: أنا عند ظن عبدي المؤمن بي، إن خيراً فخيراً وإن شراً فشرّاً.

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المتقري، عن سفيان ابن عيينة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: حسن الظن بالله أن لا ترجو إلا الله ولا تخاف إلا ذنبك.

من رحمة الله تعالى والقنوط كبيرة مهلكة وأما ظن المنفرة مع الاسرار وظن الثواب مع ترك الاعمال فذلك جهل وغرور يجر الى مذهب المرجئة والظن هو ترجيح أحد الجانبين بسبب يقتضي الترجيح فإذا خلا عن سبب فالما هو غرور ونمى للمحال.

قوله (قال أحسنوا الظن بالله فإن الله عز وجل يقول أنا عند ظن عبدي المؤمن بي أن خيراً فخيراً وإن شراً فشرّاً) أقول قد هرقت مناء ومثله من كتب العامة ودعى مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله قال: يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي، قال القاسم يحتمل أنه تحذير للمعبد مما يقع في نفسه مثل قوله تعالى «فاحذروه» وقال الخطابي معناه أنا عند ظن عبدي بي في حسن عمله وسوء عمله لأن من حسن عمله حسن ظنه ومن ساء عمله ساء ظنه.

قوله (قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول حسن الظن بالله أن لا ترجوا إلا الله ولا تخاف إلا ذنبك) يعني حسن الظن أن ترجو الفوز بالسعادة الدنيوية من حول الله وقوته وتترقب النعماء الآخروية من فضله ورحمته لا من محض صلتك ومجرد سبيلك فإن العمل وإن كان في حد الكمال قاصر في جناب عزته، ناقص في جنب عظيمته، لا يوجب الوصول الى كمال قرب و نعمته، وأن تخاف من ذنبك فإنه يؤدبك الى مقام الوعيد لا من الله تعالى فإنه ليس بظلام للمعبد وفيه إشارة الى أن حسن الظن مركب من الرجاء والخوف وبه يشعر لظنه أفضأ فلو تخلف أحدهما عن الآخر

(باب الاعتراف بالتقصير)

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن سعد ابن أبي خلف ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال : قال لبعض ولده : يا بني عليك

كان ذلك خروجاً من التوسط بالافراط والتفريط المذمومين عقلاً ونقلاً وبشيراً إليه أيضاً قول أمير المؤمنين عليه السلام : والمبدأ إما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه وإن أحسن الناس ظناً بالله أشدّهم خوفاً لله ، و مراده عليه السلام : في قوله على قدر خوفه من ربه على قدر خوفه من عذاب ربه لأجل ذنبه فلا ينافي هذا الخبر ، وبالجملة المستفاد من هذين الخبرين أن حسن الظن والخوف متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، وهي معرفة الله سبحانه الآن كل واحد منهما يستند إلى سلف من المعرفة ونوع من الاعتبار يكون هو مبدؤه ، أما حسن الظن بمعنى الرجاء فإن العبد إذا عرف ربه ولاحظ غناه عن العالمين وعن طاعتهم بحيث لا يزيد ذلك في ملكه مثقال ذرة واعتبر جميع أسباب نعمه عليهم ظاهرة وباطنة جليلة وخفية مما هو ضروري لهم كالاتقوية والتنمية ونحوها مما لا يحصى وما لهم حاجة ما كالاظفار و نحوه ما هو غير ضروري ولكن زينة لهم كنفوس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وغيرهما و تفكر في صفات رحمته ولطفه وإحسانه وإنعامه وفي أن العناية الإلهية إذا لم ترض أن يفوتهم تلك النعماء والمزايا في الحاجة والزينة كيف ترضى بسياقهم إلى الهلاك الأبدي بعد معرفته و توحيدهم والافتقار إلى عبادته ، يحصل له بعد تلك الاعتبارات والملاحظات حسن الظن به والرجاء إلى رحمته وغفوه ، وأما الخوف فإنه إذا عرف الله تعالى ولاحظ صفات جلاله وعظمته وتعالى به و سطوته واستغناءه عن الخلق أجمعين وأنه لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع ولم يسأل له سائل وتفكر في سطوته وغضبه وعظم دزئه ومخالفته ومعصية في إخراج آدم من الجنة بسبب المخالفة السهلة مع كمال عزته ونحوه بين الملائكة وسجوده له وإخراج الشيطان من رحمته بسبب مخالفة أمر واحد من أوامره وتكبره على آدم وتفكره في الأمم الماضية وكيف أخذهم وأهلاكمهم بسبب المعصية لمعهم من أهلهم بالمسيحة ومنهم من أفرقهم ومنهم من خلد بهم الأرض ومنهم من مسخهم إلى غير ذلك من أنواع العقاب ، يحصل له بذلك الاعتبارات والملاحظات خوف وخشية واحترق و ذبول وذلة وانكسار . ثم إن الخوف لا يسمى خوفاً إلا بمدان يفيض أثره على الأعضاء الباطنة فيمنعها عن الرذائل كالكبر والحسد والحقد والبخل وسوء الخلق وغيرها ، وعلى الأعضاء الظاهرة فيكفها عن المعاصي كما أن الرجاء لا يسمى رجاء حتى يوجب ميل الباطن إلى الأخلاق الفاضلة وميل الظاهر إلى الأعمال الصالحة فالجمع بينهما يوجب استقامة الظاهر والباطن والصبر عند المعصية والطاعة .

بالجد لا تخرجن نفسك من حد التصير في عبادة الله عز وجل وطاعته، فإن الله لا يعبد حق عبادته.

٢- عدوة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن بعض العراقيين، عن محمد بن المشي الحضرمي، عن أبيه، عن عثمان بن زيد، عن جابر قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر لا أخرجك الله من النفس و[لا] التقصير.

٣- عنه، عن ابن فضال، عن الحسن بن الجهم قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: إن رجلاً في بني إسرائيل عبد الله أربعين سنة ثم قرب قرباناً فلم يقبل منه فقال لنفسه: ما أتيت إلا منك وما الذنب إلا لك، قال: فأوحى الله تبارك الله وتعالى

قوله (فإن الله لا يعبد حق عبادته) أي لا يعبد حق عبادته كما وكيفاً، كيف وقد اعترف خاتم الأنبياء وسيد الأوصياء بالتقصير، وفيه تنبيه على حقارة عبادة الخلق في جنب عظمته وإحسانه واستحقاقه لما هو أهله، ليدوم شكرهم وخدمهم في عباداتهم ولا يستكبروا شيئاً من طاعاتهم.

قوله (يا جابر لا أخرجك الله من النفس ولا التقصير) أي وفقك لأن تدد عبادتك ناقصة ونفسك مقصرة أولاً، تعد نفسك ناقصة مقصرة، فبالنقص تخرج من الكبر والتقصير من العجب وللكمل في العبادة مع ما فيها من الاعتراف بالحاجة والذل والعبودية لأن من عرف تقصير نفسه ونقصها كان في مقام الحاجة والذل والانكسار والعبودية أشرف منها.

قوله (ثم قرب قرباناً فلم يقبل منه) القربان اسم لما يقترب به إلى الله تعالى من ذبيحة وغيره. قبل قبوله عندهم كانت عبارة عن خروج النار وأحراره.

(فقال لنفسه ما أتيت إلا منك وما الذنب إلا لك) هذا الاعتراف من توابع العلم والحكمة لأن العالم الحكيم يعلم أن فيضه تعالى (١) عام لكل قابل وأن الأعمال الصالحة مقبولة قطعاً فإذا

(١) قوله ولأن العالم الحكيم يعلم أن فيضه مذهب الحكماء أن وجود الممكن عن مبدئه إما أن يتوقف على استعداد مادة لقبوله كوجود أشخاص الحيوان والنبات وحينئذ لا يوجد الأبعد حصول ذلك الاستعداد، ولا يتأخر عن الاستعداد البتة، فإذا صار البذر مستعداً لأن يوجد فيه الصورة النباتية وجد من غير بطء وريث لأن فيضه تعالى عام لا يتأخر عن قابلية المستفيض البتة، وإن لم يكن وجود الممكن متوقفاً على الاستعداد، بل كان وجوده ممكناً دائماً لم يتأخر وجوده إلا عن مشيئة الله تعالى لأن فيضه عام لكل قابل كنور الشمس فإنه يضيء

إليه ذمك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة.

وجد عمله غير مقبول علم أن ذلك لتقصير في عمله ونفس في نفسه ثم عدم تأثير عبادته مدة أربعين سنة في سقاء قلبه مع ما روى أن من عبد الله أربعين يوماً خالماً لوجه الله ينجح في قلبه ينجح بالحكمة أما هو لتفسد في عمله مثل الرياء والاحسد أو الفخر والعجب أو غيرها، ومنه يعلم أن العمل بدون تصفية القلب غير مقبول (١) كما قال جل شأنه إنما يقبل الله من المتقين فلا بد للعباد إذا أراد بلوغه حد الكمال من أن يظهر نفسه من الفساد ويؤثر ظاهره وباطنه عن الملائق ويوجه قلبه إلى الله ويتفكر في معاني الكلمات التي يناجيها بها وأسرار الآيات التي يتلوها ويترف بالمعجز والتقصير . فإنه إذا كان كذلك في جميع الاوقات أو في أكثرها بلغ قبول الحق وأدرك مسأله حتى تصير ارادته كإرادته لا يختلف عنها المراد . والله ولي التوفيق. (فاوحى الله تبارك وتعالى إليه) ظاهره بلوغ الوحي إليه و يحتمل نزوله إلى

كل شيء يمر في مقابلته ولا يتوقف إضاءته الأعلى المتأيلة، وعليه إذا عمل المؤمن عملاً مؤثراً في تهذيب نفسه وحصول ملكة سالحة في قلبه من غير مانع ومنسد كالعجب والرياء فلا معنى لعدم قبوله كما لا يحتمل عدم تأثير الماد في نمو النبات وعدم تأثير الغذاء في شبع الحيوان (ش)، (١) قوله «بدون تصفية القلب غير مقبول» ويدل عليه أيضاً قوله تعالى «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم» ويؤيد هذا الكلام ما ذكرناه سابقاً من أن العمل سبب بالمواسطة للسعادة الآخرة لا بالمباشرة، وإن السبب المباشر القريب هو الملكة السالحة الراسخة، وأما أمر بهذه الأعمال الظاهرة لتحصيل تلك الملكة، والفرص الأولى فيها تحصيل السعادة في الآخرة . و من زعم أن حكمة إزال الكتب وإرسال الرسل وإشريع الشرائع حفظ نظم هذا العالم وحسن سياسة المباد فهو بمنزل من الحق قاصر النظر على الماديات «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون». وقال تعالى «وما سويها قالهمها فجورها وتقورها قد افلح من ذكيتها وقد خاف من دسيتها» فبين أن فلاح نفس الإنسان بالتركيز واستئصال عليها بأن نفسه مجردة موجودة بأمر الله تعالى ويعرف الفجور والتقوى بالهامه تعالى وكل شيء كان له صفة من الصفات أباناً كانت فأنما جعلت فيه لغاية ينوخلها البتة بذلك العفة وليس إدراك الحسن والقبح واستبشاع المنكرات وتحسين المروفات بالهام خالقه عبثاً في وجود الإنسان، بل لابد من أن يكون لغاية هي تركية نفسه كما أن وجود رغبة أو رهبة في كل موجود إنما هو لأن مما يرغب فيه غايته ومكمل لوجوده كغربة الشجر إلى نور الشمس وجعل إدراك الفجور والتقوى في طبيعة النفس لأن فلاحها بتركيتها وذكرنا شيئاً يتعلق بذلك في المجلد الرابع ص ٢٨٥، (ش)

٤- أبو علي الأشعري، عن عيسى بن أيوب، عن علي بن مهزيار، عن الفضل ابن يونس، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال: أكثر من أن تقول: اللهم لا تجعلني من المعادين ولا تخرجني من التقصير، قال: قلت: أمّا المعادون فقد عرفت أن الرّجل يعار الدّين ثم يخرج منه، فمافضى لا تخرجني من التقصير؟ فقال: كل عمل تريد به الله عز وجل فكن فيه مقصراً عند نفسك، فإنّ الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصرون إلا من عصمه الله عز وجل.

(باب الطاعة والتقوى)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أخيه عمار عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لا تذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلا من أطاع الله عز وجل.

بنى قبله، قوله (فقال كل عمل تريد به) وجه (الله عز وجل) وهو عمل الدين والاخرة وأما عمل الدنيا فلا ينبغي أن تعد نفسك في ترك الجهد فيه مقصورة .
(فان الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصرون) اذ ليس أحد وان اشتد في طلب رضا الله تعالى حرمه وطال في العمل اجتهاده يبالغ حقيقة ما الله سبحانه أهله من الطاعة له وكمال الاخلاص ودوام الذكر و توجه القلب اليه وأداء حق شكر نعمه، اذ هو بكل نعمة يستحق الطاعة والشكر ونعمه غير محصورة كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فإذا توبلت الطاعة بالثمنة بئى أكثر ايمه غير مشكورة لا مقابل لها من الطاعة .
(الا من عصمه الله عز وجل) وهم الانبياء والاولياء لان عصمتهم و تورانية ذواتهم و صفاء صفاتهم وخلوس صفاتهم وعزيمة قلوبهم وكمال نفوسهم ودوام ذكرهم اخرجتهم عن حد التقصير، ومع ذلك اعترفوا به اظهاراً للمعجز والتمسك . وان جاء بما هو المطلوب من الانسان على نهاية ما يتصور من القدرة والامكان ، ويمكن أى يكون المراد بهم الملائكة المقربون الذين لا يدسون الله وهم بأمره يعملون لكن الاستثناء حينئذ منقطع الآن يراد بالناس العابد، والله أعلم.

قوله (لا تذهب بكم المذاهب) أى لا تذهبكم المذاهب الى سبيل الضلال وتضمن المحال فالبراء للتمدية واسناد الاذهاب اليها مجاز عقلى لان فاعله النفس الامارة والشيطان، ولمل المراد به الاعمال القبيحة والعقائد الكاسدة والاعمال الفاسدة التى من جعلتها أن تقبلوا ترحي الأصول الكافي - ١٤ -

٢- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن عاصم بن حميد عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع فقال: يا أيها الناس والله ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به وعامن شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتمكم عنه، ألا وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير

ما يريدون و تقولوا نحن مشيرون، ونحن نجب أهل البيت، و نرجو شفاعتهم، فإن ذلك لا ينفعكم كما أشار إليه بقوله:

(فوالله ما شيعتنا إلا من أطاع الله عز وجل) بالقلب و الجوارح مع محبتنا لظهور أن معنى التشيع هو المناصرة لهم قولاً و فعلاً ولا يتحقق هذا المفهوم إلا لمن أطاع الله كما أجمعوه.

قوله (ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به) المقرب من الجنة هو الآداب الكاملة والمبادئ الحقة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة والمقرب من النار أمثالها (الأوان الروح الأمين) جبرئيل (وع) (نفث في روعي) النفث الدفع، و نفث الله الشيء في القلب من باب ضرب ألقا، والروح بالضم العاطر والقلب.

(أنه لن تموت نفس) موئها مفارقة للبدن ورفع بعدها عن التصرف فيه بأمر الله تعالى (حتى تستكمل رزقها) أي تأخذ رزقها المقدر على وجه الكمال ضرورة أن بقاء تعلقها بالبدن متوقف على الرزق، فمن المحال أن يبقى التعلق وينقطع الرزق.

(فاتقوا الله) التقوى هي الاقتداء بالنبي وص، والمتقى من يجعل بينه وبين ما يخاف منه وقاية تقيه منه دو منه اتقوا النار ولو بشق تمرة، فأصل التقوى الخوف من الله بملاحظة جلال الله و عظمتة وبيع مخالفته و شدة عقوبته، ولما كانت التقوى هي الحاجزة عن تقحم الدنيا والوقول فيها، و طلبها من حيث لا يجوز أمر أوليها وعطف عليها ما هو من لوازمها قتال:

(و أجملوا في الطلب) من الجميل أو الاجمال قال في المصباح: أجمعت في الطلب رقت أي أحسنوا في الطلب ولا يكن كدكم فيه كدافاحشاً ولا مذهب اكتمابكم مذهباً باطلاً أو ارفقوا فيه واقتصدوا من رفق في السير اذا قصد.

(ولا يحمل أحدكم استبطاء شيء من الرزق أن يطلبه بغير حله) أي لا يبيت أحدكم ذلك على طلبه بطريق غير مشروع، فالمصدر المستند من أن يطلبه ممنوب بنزع الخافض.

حلّه فأنّه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته.

٣- أبو علي الأشعري، عن محمد بن سالم؛ وأحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، جميعاً عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال لي : يا جابر أيكثفي من اتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت ، فوالله ما شيعةنا إلا من اتقى الله و أطاعه وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع

(فأنه لا يدرك ما عند الله) عن الثواب الجزيل والاجر الجميل والرزق الحلال . (الا بطاعته) في الاوامر والنواهي ، فكما أن من سلك سبيل المعصية ضل عن سبيل الجنة واستحق العقاب و حرم عن الثواب . فكذلك من طلب الرزق من غير حله حرم مما عند تعالى من الرزق الحلال واستحق العقاب بكسب الحرام كما روى عن النبي ص من دان الله تعالى قسم الارزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسمها حراماً فمن اتقى الله و صبر أثناء رزقه من حله ، و من هنك حجاب الله عز وجل و اخذه من غير حله قس به من رزقه الحلال و حسب عليه يوم القيامة و اعلم أن الرزق عند المتقاة كل ما صح الانتفاع به بالثبدي وغيره و ليس الحرام عندهم رزقاً ، وهذا الحديث يدل عليه ، وعند الاشاعرة كل ما ينتفع به ذو حياة بالثبدي وغيره و أن كان حراماً و خص بعضهم بالاغذية والاشربة و للطرفين دلائل و مؤيدات تركناها تحريزاً من الاطغاب .

قوله (فوالله ما شيعةنا الا من اتقى الله و أطاعه) لعل المراد بالقوى الامثال بالزواج و بالطاعة الامثال بالاوامر و يحتمل أن يراد بالقوى تقوى القلوب وهي تخليتها عما يفسدهم و تحليتها بما يصلحهم ، و بالطاعة طاعة الطواجر بشرك المنهيات و فعل المأمورات (وما كانوا يعرفون يا جابر) في عهد الائمة المعاصين عليهم السلام . (الا بالتواضع والتخشع) المراد بالتواضع التذلل لله عند أوامره و نواهيه و تقلد البيودية بمعرفة عجزه بين يديه ، و كمال افتقاره اليه ، و لعباده المؤمنين تعظيمهم و اجلالهم و تكريمهم و اظهار حبهم و الميل الي مجالستهم و مواكبتهم و لين القول عندهم و حسن المعاشرة معهم و الابتداء بسلامهم و الرفق بقوى حاجاتهم و الاقدام الى قضاء حوائجهم و المبادرة الى خدمتهم و غير ذلك مما يدل على ضيق عندهم و عدم تكبره عليهم ، والمراد بالخشوع التذلل لله مع الخوف منه كما صرح به بعض المحققين ، ثم قال و بذلك فسرى قوله تعالى و الذينهم في صلواتهم خاشعون ، وقال صاحب المصباح : خضع لمرئيه خضوعاً ذل و استكان و الخضوع قريب من الخضوع الآن الخشوع أكثر ما يستعمل في الصوت و الخضوع في الاعناق ، أقول : ثم شاع وصف القلب والجوارح به كما روى عن النبي ص ، وأنه رأى رجلاً يمشي بملحيته في

والأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكف^(١) الألسن عن الناس إلا من خير، وكانوا أمناء عشائريهم في جميع الأشياء. قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحدا بهذه الصفة، فقال: يا جابر لا تذهبن بك

صلاته فقال: أمانه لرخشع قلبه لمخشمت جوارحه والمراد بخشوع القلب اشتغاله بذكر الله تعالى وتوجهه إليه، وأعراضه صباواه، وإذا حصل له هذه الفضيلة حمل الجوارح على ما هو المطلوب مع انكسار وتذلل وخوف على مخالفتها لفقلة أوسه أو لغرض من الأغراض النفسانية، واشتغال الجوارح بذلك عبارة عن خضوعها.

(والأمانة) وهي حالة نفسانية توجب سكون القلب وطمأنينته، وعدم ميله إلى المكر والحيلة، ومنه فلان مأمون الفائلة أي ليس له مكر يخفى، ولعل المراد بها حفظ الودعة والمهد مع الله تعالى أو مع الناس، ومن طرق العامة الأمانة غنى أي من شربها كثر معامل سوء فاستثنى، (وكثرة ذكر الله) باللسان والقلب خصوصاً في مقام الأوامر والنواهي والنوايب (والصوم والصلاة) على أركانها وشرائطها وفعلها كذلك دليل على كمال التسوء النظرية والعملية، والنواو للعطف على الكثرة. أو على ذكر الله.

(والبر بالوالدين) بتعظيمهما وإطاعتهما في كل ما جاز شرعاً وعقلاً والاحسان إليهما دفع الأذى عنهما، وأداء ديونهما وطلب الخير لهما حين وميتين.

(والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة) أي حفظ حالهم ورعاية أحوالهم وإيصال الخير إليهم وترك أذاهم وتحمل الأذى منهم وعبادة مريضهم وتشجيع جنائزهم وعدم التطلع إلى عوراتهم، والفقير والمسكين من ليس له مال ولا كسب يفي بقوت السنة له ولعِياله واختلقوا في أن أيهما أسوء حالاً فقال الأسمعي والشافعي وابن إدريس والشيخ الطوسي في المبسوط والخلاف: أن الفقير أسوء حالاً، وقال الفراء وابن السكيت وثلث أبو حنيفة، وابن الجنييد وسائر الشيخ الطوسي في النهاية: أن المسكين أسوء حالاً والمطرفين دلائل مذكورة في محلها.

(والغارمين والأيتام) بأداء ديونهم وتفقد أحوالهم ورعاية حقوقهم والرفق بهم والعطف على الفقراء أو على الجيران والآخر أنسب لنداءهم.

(وكانوا أمناء عشائريهم في جميع الأشياء) العشائر جمع العشيرة وهو المعاشرة، ولما كانت الأمانة عامة مطلوبة من جميع الجوارح والأشياء عاماً صادقاً على جميع أفعالها صار المقصود أنهم كانوا أمناءهم بجميع الأعضاء في جميع الأفعال.

المذاهب حسب الرجل أن يقول: أحب علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعلاً
فلو قال: إنني أحب رسول الله ﷺ ورسول الله خير من علي عليه السلام ثم لا يجمع سيرته
ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً، فاتقوا الله واملوا لما عند الله لبس بين الله و
بين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله عز وجل وأكرمهم عليه أتقاهم وأعملهم بطاعته
يا جابر! والله ما يتقرب إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة وما معنا برائة من النار
ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولياً ومن كان لله عاصياً فهو لنا

(حسب الرجل أن يقول أحب علياً) التركيب مثل حسبك درهم أي كلفك، وهو خبير
لفظاً واستفهام معنى للافتكار والتوبيخ أي لا يكتفي بذلك ولا ينجي من العقوبة بدون أن يكون
فعلاً مبالغة في الفعل ظاهراً وباطناً وتاباً له عليه السلام فولاوهملاً والمحببة والشفاعة وإن
كانا نافعين في دفع الخلود من النار، ولكنهما لا توجبان عدم الدخول فيها كما نقل عن علي وع
في حديثه أنه قال: والمؤمن الميسر على نفسه لا يدري معنى عند الموت ما يؤل إليه حاله بأبيه
الخبر مبهم مخوف لم يسو به الله بأعدائنا ويخرجه من النار بشفاعتنا فاعملوا وأطيعوا ولا
تنكروا (يعني على شفاعتنا) ولا تستصغروا عقوبة الله فإن من الميسرين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد
عذاب الله بثلاثمائة سنة.

(فاتقوا الله واملوا لما عند الله) قد عرفت أن المؤمن لا يخلو من خوف ورجاء وأن
الخوف يقتضي ترك المنهيات وهو التقوى وأن الرجاء يقتضي فعل الطاعات وإنما قدم
التقوى لأن تخليته النفس عن الرذائل أقدم من تحذيره بالفضائل.
(وأكرمهم عليه أتقاهم) كما قال عز وجل: وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، والمراد
بالكرامة القرب منه تعالى والاستحقاق لقبول فيضه الديني والآخرى مثل الجنة ودرجاتها
و ثمراتها و قلوبها الدانية وغير ذلك مما أعد الله لأوليائه الأبرار و ظاهر أن الكرامة
لا تحصل لأحد إلا بالتقوى وهي ضبط النفس عما يوجب البعد عنه تعالى من الرذائل
الفسانية والجسمانية.

(من كان لله عاصياً فهو لنا ولي) أي من كان مطيعاً لله لا لغيره من النفس والشيطان
فهو لنا ولي ذاتاً وفعلاً لا لغيرنا. والولي فعيل بمعنى فاعل أي ناصر ومحب، أو
بمعنى مفعول كما في قولهم: المؤمنون ولي الله.

(ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو) أي من حيث أنه عاصي فيرجع النفس والعداوة إلى
فعله: ولا إلى ذاته، ولذلك تدركه الشفاعة وتنجيه من الخلود في النار مع أعدائهم ذاتاً و
فعلاً يدل على ذلك ما روى عن أبي عبد الله ع، قال: إن الله خلق السادة والشفعاء قبل أن

عدوً ، وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع .

٤- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ؛ وعبد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، جميعاً عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن الحكم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيضربونه ، فيقال لهم : من أنتم ؟ فيقولون : نحن أهل الصبر ، فيقال لهم : على ما صبرتم ؟ فيقولون : كنا نصبر على طاعة الله ونصبر

بخلق خلقه فمن خلقه الله سعيداً لم يبنه أبداً وإن عمل شراً أبغض عمله ولم يبنه وإن كان شيئاً لم يحبه أبداً وإن عمل صالحاً أحب عمله و أبغض لما يعير اليه فإذا أحب الله شيئاً لم يبغضه أبداً وإذا أبغض شيئاً لم يحبه أبداً .

(وما تنال ولايتنا إلا بالعمل والورع) أي الاتيان بالطاعات والاجتناب عن المنهيات . قال بعض المحققين للورع أربع درجات الأولى : ورع الثائمين وهو ما يخرج به الانسان من الفسق وهو المصحح لقبول الشهادة ، الثانية ورع الصالحين وهو الاجتناب عن الشبهات خوفاً منها من الوقوع في المحرمات . الثالثة : ورع المتقين وهو ترك المحالل خوفاً من أن ينجر الى الحرام مثل ترك التحدث بأحوال الناس لمخافة أن ينجر الى الفبيية . الرابعة : ورع السالكين و هو الامراض عما سواه تعالى خوفاً من مرف ساعة من العمر فيما لا يفيد زيادة القرب منه تعالى وإن علم أنه لا ينجر الى الحرام .

قوله (إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس) المنق الرقبة ، والنون مضمومة للاتباع في لغة حجاز و ساكنة في لغة تميم ، والمراد بها الجماعة من الناس

(فيقولون كنا نصبر على طاعة الله) نصبر على معاصي الله) لا ريب في أن النفوس البشرية مائلة الى اللذات ، هاربة عن المشقات ، و أن المعاصي لذات حاضرة و الطاعات مشقات ظاهرة فالنفس تريد المعاصي و تهرب عن الطاعة . و لذلك ورد في بعض الأدعية واللهم لا تكني الى نفس طرفه حين فائك أن تكني الى نفسي أقرب الى الشر و أبعد من الخير ، فمن حاولها بحسن تقديره و خلك زمامها بلطف تديره حتى صرفها عن مرامها و استخرجها عن مقامها و حبسها في مرايض العبادة و مرابط الطاعات و صبر على مجاهدتها ملك غنيمة عظيمة هي رأس مال الصابرين و أفوات غلوب السالكين و الزاد في السير الى رب العالمين و أسباب الدخول في الجنة التي أعدت للمتقين ، و اليه أشار أمير المؤمنين ع ، و أن الله جبل الطاعة غنيمة الاكياس عند تفريط الفجرة ، و إنما جعل الطاعة غنيمة الاكياس وهم الذين لهم جودة القرايح لانهم بأخذونها بالمحاربة مع النفس الامارة كما يأخذ النائمون الغنيمة بالجهاد مع الكفار بل جهادهم أعظم من الكفار كما قال و من بعد رجوعه من

عن معاصي الله، فيقول الله عز وجل: صدقوا، أدخلوهم الجنة وهو قول الله عز وجل: «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب».

٥- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن فضيل بن عثمان، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: لا يقل عمل مع تقوى وكيف يقل ما يتقبل.

٦- حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن بعض أصحابه، عن أبان عن عمرو بن خالد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: يا معشر الشيعة، شيعة آل محمد، كونوا النمرقة الوسطى يرجع إليكم العالي ويلحق بكم الثاني، فقال لرجل من الأنصار

بعض الفزوات درجعتا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس، وإذا حصلت لهم تلك النعمة وتمكنت فيهم هذه المزية أمكن لهم الدخول في الجنة قبل فراغ الناس من الحساب لأن أولئك هم المتقون الذين صبروا في دار الدنيا وأدوا حسابهم فيها، وقد قال الله تعالى: «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» لأن الحساب إنما هو على من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وأما المتقون فلا حساب عليهم كما لا حساب على المشركين فإنهم يدخلون النار بغير حساب

قوله (لا يقل عمل مع تقوى) كل عمل بني على التقوى لا يتل لكونه عظيماً في ذاته وكثيراً يتم عند الله تعالى مع توفقه على كثير من الأعمال القلبية التي لا توجد إلا بالمجاهدات النفسانية، ولا يهدم ولا يلحق بآية العسران كما قال عز وجل: «ومن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في لاد جهنم» ثم أكد ذلك وأشار إلى أنه لا ينبغي أن يمد قليلاً بقوله:

(وكيف يقل ما يتقبل) لأن العمل مع التقوى مقبول قطعاً لقوله تعالى: «إنما يتقبل الله من المتقين».

قوله (كونوا النمرقة الوسطى) النمرقة وسادة وهي بضم النون والراء وبكسرهما و بغير هاء و جمعها نمارق، ولعل المراد كونوا بين الناس كالنمرقة الوسطى بين النمارق في الشرف والحسن لأن النمرقة الوسطى أشرف النمارق وأحسنها (١) والمقصود كونوا أمة

(١) قوله وأشرف النمارق وأحسنها لا يجب أن يكون الوسطى أشرف النمارق ولا حاجة إلى هذا أيضاً بل المراد كون النمرقة الوسطى مستندة للطرفين إذ يعتمد عليها الجالس من جانبيها بخلاف النمرقة الموضوعة في طرف فانها يعتمد عليها الجالس في أحد جانبيها، وليس في جانبها الآخر مكان يجلس أحده فيتركها عليها وبالجملة النمرقة الوسطى وسادة موضوعة

يقال له سعد: جعلت فداك ما العالى؟ قال قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا، فليس أولئك منا وليسنا منهم، قال: فما النالى؟ قال: المر تاذيريد الخير يبلغه الخير يوجر عليه. ثم أقبل علينا فقال: والله ما معنا من الله براءة ولا بيننا وبين الله قرابة ولا لنا على الله حجة ولا نتقرب إلى الله إلا بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا، ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه ولايتنا، ويحكم لاتفتروا، ويحكم لاتفتروا. ٧- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى،

وسطاً بين طرفي الافراط والتفريط، أو كونوا أهل النمرة الوسطى كما هو شأن أهل الشرف والمجد. اما على حذف المضاف وهو الأهل، أو على ارادتهم من النمرة مجازاً من باب تسمية الحال باسم المحل أو تسمية أحد المتجاورين باسم صاحبه ووجه التشبيه أو الغرض منه هو قوله يرجع اليكم العالى و يلحق بكم التالى. وقبل كونوا ذوى النمرة الوسطى بحذف المضاف، والنمرة العليا للرسول وعترته المسمومين عليهم السلام. والنمرة الدنيا لعبيد الدنيا وأبنائها فأمر دع بالوسطى، لأن من استقر عليها وتمسك بها أطمأن على الحق واستقر دينه على الهدى وأمن من الضلال والردى كما أن من اتكأ على النمرة الوسطى استقر عليها ووثق بالمراحة مطمئناً آمناً من التنبؤ

(قال قوم يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا) فسر التالى بأخص صفاته التى بها يمتاز عن غيره وهو أنه يقول بأن واحداً من الائمة الله أو يجرى عليه ما هو من أخص صفاته تعالى من غلا في الدين غلواً من باب قيد تصلب و تشدد حتى جاوز الحد.

(قال المرتاد يريد الخير) فسر التالى بأنه المرتاد أى الطالب، من ارتاد الرجل الشيء إذا طلبه والمطلوب أهم من الخير والشر فقوله يريد الخير تخصيص و بيان للمعنى المراد هنا (يبلغه الخير يوجر عليه) من الإيلاج والتبليغ وهو الإيصال، وقاعله معلوم بقريئة المقام أى من يوصله إلى الخير المطلوب له يوجر عليه لهدايته وإرشاده.

(و يحكم لاتفتروا ويحكم لاتفتروا) بالعين المعجمة في الموضعين من الافتراد بالولاء والشفاعة وقد ذكرنا سابقاً أن الشفاعة قد لا تنال أحداً إلا بعد تلبثه في جهنم زمناً طويلاً فلا ينبغي ترك العمل والاعتراض بها أو بالقاء فيهما من الفتور في العمل والشكرير للتأكيد أو بأحدهما في الاول وبالاخر في الآخر.

وفي مكان يمكن أن ينكس عليها جالس من طرف و جالس آخر من طرف آخر بخلاف السادة الموضوعة في الطرف اذ لا ينكس عليها الا من جانب واحد، وكذلك اتباع الائمة عليهم السلام يجب أن يرجع كل من الطرفين إليه ويعتمد في رأيه عليه. (ش)

عن مفضل بن عمر قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فذكرنا الأعمال فقلت أنا: ما أضعف عملي، فقال: مه، استغفر الله، ثم قال لي: إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلا تقوى، قلت: كيف يكون كثير بلا تقوى؟ قال: نعم مثل الرجل يطعم ملعامه ويرفق جيرانه ويوطئ رحله فإذا ارتفع له الباب من الحرام دخل فيه، فهذا العمل بلا تقوى، ويكون الآخر ليس عنده فإذا ارتفع له الباب من الحرام لم يدخل فيه.

٨- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن أبي داود المسترق، عن محسن الميمني عن يعقوب بن شعيب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ما نزل الله عز وجل عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه من غير مال وأعزته من غيره عشيرة و

قوله (قلت أنا ما أضعف عملي فقال مه استغفر الله) أمره بالاستغفار عن ذلك القول لأنه ظلم و جار حيث وضع الضعف في غير موضعه وفيه مدح للمنضل بأنه من أهل التقوى إلا أنه هو ناقله و جماعة من أصحاب الرجال جرحوه عدا الشيخ فانه في ارشاده ، عده من شيوخ أصحاب أبي عبد الله عليه السلام وخاسته و بطاقته وثقافته الفقهاء الصالحين فان قلت تضعيف العمل وتقليبه اعتراف بالتقصير وانه مطلوب من كل أحد فكيف أمره بالسكوت ونهاه عن ذلك وأمره بالاستغفار العشر بأنه خطيئة وقلت، الأقوال والأفعال يختلف حكمها باختلاف النيات والنسود و هو لم يقصد بذلك القول أن عمله ضعيف قليل بالنظر الى عظمة الحق و ما يستحقه من العبادة و انما قصد به ضعفه وقلته لذاته وبينهما فرق ظاهر، والاول هو الاعتراف بالتقصير دون الثاني .

(ثم قال لي ان قليل العمل مع التقوى خير من كثير العمل بلا تقوى) دل على أن العمل القليل مع التقوى كثير ، والعمل الكثير بلا تقوى قليل و به تبين خطأ المنضل حيث عده الكثير قليلا .

(قلت كيف يكون كثير بلا تقوى) كأنه ظن أن التقوى ما يقي من النار وهو يصدق على الأعمال الصالحة فحينئذ يستبعد تحقق كثير منها بلا تقوى، و حاصل الجواب أن التقوى فعل الطاعات و ترك المحرمات و هو الذي يقي من النار و حينئذ يتحقق كثير من الطاعات بدون التقوى عند فعل المحرمات.

(ويوطئ رحله) كناية عن كثرة الضيافة و قضاء حوائج المؤمنين بكثرة الواردين على منزله فذكره بعد الاطعام من باب ذكر العام بعد الخاص أو الاطعام مختص بالسائل و هذا بأهل الدعوة.

آئسه من غير بشر.

(باب الورع)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي المغيرة، عن زيد الشحام عن عمرو بن سعيد بن هلال النخعي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنني لألثاك إلا في السنين، فأخبرني بشيء آخذ به، فقال: أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد واعلم أنه لا يتبع اجتهاد لا ورع فيه.

قوله (و آئسه من غير بشر) أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله اللهم اكف آئس الانسين بأوليائك، ولا ريب في أن المتقى من أوليائه إذ ياطنه متوجه إليه و ظاهره عاكف على الامتثال بين يديه، ولما كانت أوليائه في الدنيا غريباً على أبناءها، منفردين عنهم في سلوك سبيله، ومبتغيين بمشاهدته أنوار كبريائه كان الله تعالى هو الانيس لهم وهم برحمته يألنون و بمناجاته يستنجون، و بقبض جوده يستفيضون و بالدفلة عنهم يشطبون و يستوحشون.

قوله (فقال أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد) الوقاية الحفظ يقال وقاء الله السوء بتيه وقاية أي حفظه، و اتقيت الله اتقاء أي حفظت نفسي من عذابه أو عن مخالفتيه والتقوى اسم منه والثناء مبدلة من الواو والاصل وقوى من وقيت لكنه أبدل ولزمت التاء في تساويف الكلمة، والورع الكف عن المحارم يقال ورع عن المحارم يرع بكسرتين ورعاً بفتحين ورعة مثل عدة فهو ورع أي كثير الورع ودرعته عن الأمر تورعاً كقوله فتورع، إذا عرفت هذا فنقول إذا نظر العبد في العظمة الإلهية و تفكر في الهيبة الربوبية حصل له خوف وخشية يوجب حفظ نفسه عن المخالفة وميلها إلى الطاعة و ترك المعصية و يسمى ذلك الخوف أو الحفظ أو العجل أو الجميع بالتقوى و هي تقوى القلوب المذكورة في الآيات والروايات وقد يسمى أتم ذلك و هو فعل الطاعات و ترك المنهيات بالتقوى أيضاً، والفرق بينها بالمعنى الأول و الورع وهو ترك ما ينبغي تركه ظاهر.

أما الفرق بينها بالمعنى الثاني وبينه فبأنه يمكن رفعه بتخصيص التقوى بفعل الطاعات أو بتعميم الترك في الورع بحيث يشمل ترك المباحات بل الأعم منها أو بأن ذكر الورع بعد التقوى من ذكر العام بمذلل الخاص أن كانت التقوى عبارة عن مجموع الفعل والترك أو بالعكس أن كان عبارة عن كل واحد منهما ثم نقول للورع خمسة أقسام ذكرها أرباب القلوب ولا بأس أن نغير اليها وإن ذكرناها آنفاً لأن ذكرها هنا لا يخلو من فائدة ما الأول ورع المادلين وهو ترك الفسوق، الثاني ورع الصالحين وهو ترك ما يحتمل التحريم ولكن

- ٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن حديد بن حكيم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: اتقوا الله وكونوا دينكم بالورع.
- ٣- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان بن يحيى، عن يزيد

رخس في تناوله بناء على الظاهر كطعام الملوك وعمالهم وعطايهم ، الثالث ورع المتقين وهو ترك ما ليس في حليته شبهة خوفاً من أن يؤدي إلى المحرم أو الشبهة ، الرابع ورع الصديقين وهو ترك ما ليس في حليته شبهة ولا يخاف من أن يؤدي إلى حرام أو شبهة لعدم تعلقه بالدين كالمباحات أو الاتصال بمن يكره اتصاله به كما نقل أن ذا النون المصري لحقه جوع وهو مسجون فأرسلت إليه امرأة سالحة بطعام على يدي السجن فأتى أن يأكله واعتذر بأنه وصل إليه يدي ظالم، بمعنى أن القوة التي أوصلت إليه الطعام لم تكن طيبة، ومن ذلك ما نقل أن بعض العرفاء كان لا يشرب الماء من الأنهار التي حفرتها الأمراء فالعاء وإن كان مباحاً في نفسه لكنها رأى أن النهر حفر بأجرة دفعت من مال حرام ، الخامس ورع المقربين وهو صرف القلب عن الاشتغال بما سواه تعالى، وينبغي أن يعلم أن الورع كما ذكره بعض أهل التحقيق فسد يشبه بالسواس كمن وجد ثوبين أحدهما لم تلحقه نجاسة والآخر لحقته وغسلت فيترك الصلاة بالمنسول لأنه مسته نجاسة وكن قبل أحديهما فيسلكها ويقول إن الخروج من عبدة التكليف يبين يتوقف على غسلها لأن من الجائز أن يكون بيده من مسه أو ينفى من قبل يده نجاسة لاسيما العوام ومن لا يتحفظ ولا يعرف أحكام الطهارة والنجاسة والظاهر أن أمثال هذه الأمور من الوسواس إذا كان المس معن لا يتحفظ ولا يعرف أحكام الطهارة والنجاسة فإن الظاهر أن الاجتناب منه من الورع، وقال بعض العامة كل هذا من باب الورع وإنما الوسوسة مثل ما يتفق لبعض الناس من كثرة الماء للوضوء واكتثار التذلل ونحو ذلك والمراد بالاجتهاد المبالغة في طلب الدين وأحكامه والعمل بها من الجهد بالفتح وهو طلب الشيء الموجب لوصوله إلى نهايته، يقال جهد في الأمر جهداً من باب نفع إذا طلبه حتى بلغ نهايته.

قوله (اتقوا الله وكونوا دينكم بالورع) أي اتقوا عذاب الله ومخالفته وكونوا دينكم عن الضياع والفساد بالورع وترك ما ينشئ الاجتناب عنه من المشتبهات وإن بعد احتمال الحرمة فيها قال أمير المؤمنين (ع) ، الورع جنة، أي جنة من النار ، إذ من ترك ما لا ذل الدنيا فإز بالمعنى ونجا من سهام النار، وقال بعض أهل المعرفة: رأيت في المنام كان القيامة قد قامت والخلق كلهم في الموقف فرأيت طيراً أبيض يأخذ واحداً واحداً من الموقف ويدخله الجنة فقلت ما هذا الطير الذي من الله تعالى على عباده، فتأدى مناد أن هذا الطير شيء يقال له الورع.

ابن خليفة، قال: وعظنا أبو عبد الله عليه السلام فأمر وزهد، ثم قال: عليكم بالورع، فإنه لا ينال ما عند الله إلا بالورع.

٤ - عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابن فضال،

قوله (فأمر وزهد، ثم قال عليكم بالورع فإنه لا ينال ما عند الله إلا بالورع) أي لا ينال ما عند الله من الأسرار الالهوتية والانوار الملكوتية واللوازم الغيبية والصور العينية والمشوبات الاخرية والذات الروحانية والدرجات العالية في الدار الباقية إلا بالورع فإن المنور يحاسب نفسه دائماً في حركاتها و سكناها و يتهمها في كل ما تأمر به فإذا خلص من مهلكاتها تنور قلبه (١) وانفتح له باب الملكوت وظهرت له لوازم الانوار ولاحت له لوازم الأسرار مرة بعد اخرى فيشاهد أموراً غيبية في صور مثالية (٢) وعند ذلك يرغب في العزلة والخلوة والذكر

(١) قوله وإذا خلص من مهلكاتها تنور قلبه، تكلم علماء هذا الشأن في الحالات التي يتبادل على الانسان من اول سلوكه الى أن يبلغ ما يمكن بلوغه اليه وقد يقدم بعض المقامات على بعض أحدهم ويؤخره آخرون لاختلاف الحالات الطارئة وظفيرة وثبة الحكماء في تدرج الانسان من العقل الهيولاني الى العقل بالفعل و العقل المستفاد قدم بعضهم العقل المستفاد والآخرين العقل بالفعل باهتمام وقد يكون عقل الانسان بالنسبة الى امور عقلا بالملكة وبالنسبة الى اخرى عقلا بالفعل او مستفاداً، ولا خلاف بين أهل السلوك في أن الورع والاجتناب عن المعاصم بل عن الالتفات الى حفظ النفس يوجب توجهه الى المواقف الممنوعة وانفتاح باب عالم الملكوت على قلبه وقد علم بالتجربة أن توجه النفس الى بعض شؤونها يصرفها عن غيرها و الذوات والشهوات بعض شؤون النفس و الاختلاس من عالم الملكوت أيضاً بعض شؤونها يمنع احديهما الاخرى، (ش)

(٢) قوله د في صور مثالية، أول ما يبدو للسالك في المنام فيرى رؤيا صادقة ويشاهد الدبيب في صورة مثالية كالعلم في صورة اللين والمال في صورة الفاذورات ثم يراها في البقطة اذا حصل له ملاك النوم من الاعراض عن عالم الحس ويقل ويكثر للناس بحسب اختلاف حالاتهم فقد لا يرى المنظر في الحاديثات المتطوع من عالم المجردات رؤيا اصلاً أو لا يرى رؤيا صادقة ويبدى من يرى في النوم كثيراً ويشاهد ما يتفق له بعد ذلك قبل وقوعه وهذا يدل على وجود عالم مجرد وموجودات كاملة في ذلك العالم يعلمون ما يأتي قبل وقوعه ويحصل له مرتبة من عين اليقين بعالم التجرد فاذن يتوجه الى ذلك العالم و يرغب في العزلة والخلوة على ما ذكره الشارح الى آخر ما ذكره (ش).

عن أبي جميلة ، عن ابن أبي يعفور ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه .

٥٥ عنه ، عن أبيه ، عن فضالة بن أيوب ، عن الحسن بن زياد الصيقل ، عن فضيل ابن يسار قال : قال أبو جعفر عليه السلام : إن أشد العباداة الورع .

٦- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن حنان بن سدير قال : قال أبو الصباح الكنائي لأبي عبد الله عليه السلام : ما نلقى من الناس فبك ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام : وما الذي تلقى من الناس في ؟ فقال : لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام فيقول : جعفري خبيث ، فقال : يعيركم الناس بي ؟ فقال له أبو الصباح : نعم فقال : ما أقل والله من يتبع جعفرأ منكم ، إنما أصحابي من اشتد ورعه ، وعمل لخالفه و رجا ثوابه ، فهو لاء أصحابي .

المواظبة على المهاراة النامة والجد في العبادة والمراقبة والاعراض عن المشاغل الدنيوية المحسية بالكلية فيحصل له الوجد والشكر والشوق والمحبة فيمحوره تارة بعد أخرى ويجعله قابضاً عن نفسه وحكذا حتى يتمكن ويتخلص من التلويح وينزل عليه السكينة ويصير ورود هذه الاحوال ملكة له واذا بلغ هذه المرتبة دخل في عالم الجبروت ولا يرى الا الهى الذى لا يموت وتم له نظامه ونال ما له عند الله كما لعوتامه .

قوله (لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه) أى لا ينفع الاجتهاد فى الاعمال المطلوبة و الافعال المرفوعة بالورع عن المحرمات والمشتبهات وغيرها فان احداث الهالك للكرامة لا ينفع مع الاتيان بالمانع منها .

قوله (ان أشد العبادة الورع) اذ فى كل عبادة جهاد مع النفس الامارة ولا ريب فى أن تفاوت العبادات فى الشدة والفضيلة باعتبار تفاوت الجهاد مع النفس فى الشدة والصف ولا فى أن الجهاد معها فى الورع عن المحرمات أشد فاذن الورع أشد العبادة .

قوله (إنما أصحابي من اشتد ورعه و عمل لخالفه و رجا ثوابه) فى ذكر الرجاء بعد العمل والورع تنبيه على أنهما سبب لرجاء الثواب والثواب لا للثواب و على أنه لا ينبغي لاحد أن يتشكل على عمله ، غاية ما فى الباب له أن يجعله وسيلة للرجاء وقد مر أن الرجاء بدونهما ضرور و حقيق وفيه دلالة على أنه د ع ، كره ما قاله أبو الصباح لما فيه من الخشونة و سوء الادب .

٧- حسان بن سدير، عن أبي سارة الغزالي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله عز وجل: ابن آدم اجتنب ما حرمت عليك، تكن من أورع الناس.

٨- علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعلي بن محمد، عن القاسم بن محمد، عن سليمان المنقري، عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الورع من الناس، فقال: الذي يتورع عن محارم الله عز وجل.

٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن النعمان، عن أبي أسامة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: عليك بتقوى الله والورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة وحسن الخلق وحسن الجوار وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير السنتكم وكونوا زينا ولا تكونوا شينا وعليكم بطول الركوع والسجود، فإن أحدكم إذا أطال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه وقال: يا ويله أطاع وعصيت وسجد وأبيت.

١٠- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن أبي زيد، عن أبيه

قوله (ابن آدم اجتنب ما حرمت عليك تكن من أورع الناس) الظاهر أن الموصول عام وحينئذ معنى التفضيل واضح.

قوله (وحسن الجوار) من حسن الجوار إيصال الخير إلى الجوار والتحمل لأضراره ودفع الضرر عنه وعدم التطلع إلى داره ونحو ذلك.

(وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير السنتكم) بمعنى بأعمالكم وأخلاقكم وورعكم فإن الناظر إليها يطلب المثابة لكم.

(فإن أحدكم إذا أطال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه فقال يا ويله) الهتف الصيحة والصراخ والويل الحزن والمشقة والهلاك من العذاب، وقد يراد به معنى التعجب وإضافته إلى ضمير الغائب دون ياء المتكلم كراهة أن يضيفه إلى نفسه ومعنى النداء فيه باحرته وبإهلاكه احضر فهذا وقتك وأوانك، فكانه نادى الويل أن يحضره لما عرض له من الأمر الفظيع وهو الندم على ترك السجود لادم، ولحق ما لحقه من اللعن والطرده وبهم من قوله: (أطاع وعصيت وسجد وأبيت) أن تأسفه أولا على تركه طاعة الرب مطلقاً واثبات ابن آدم بها وثانياً على تركه خصوص الأمر بأصل السجود واثبات ابن آدم به وإن كانت السجدة ثمان متفاريق.

قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عيسى بن عبد الله القمي فرحّب به و قرّب من مجلسه ، ثم قال : يا عيسى بن عبد الله ليس منّا - ولا كرامة - من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون وكان في ذلك المصر أحدٌ أورع منه .

١١- عنه ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن فضال ، عن علي بن عقبة ، عن أبي كهمس ، عن عمرو بن سعيد بن هلال قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام أو صني ، قال : أو صليك بتقوى الله و الورع و الاجتهاد و اعلم أنه لا يتفع اجتهاد لا ورع فيه .

١٢- عنه ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم ، عن سيف بن عميرة ، عن أبي الصباح الكناني ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : أعينونا بالورع ، فإنه من لقي الله عز و جل منكم بالورع كان له عند الله فرجاً ، وإن الله عز و جل يقول : من يطع الله و رسوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقاً فمنّا النبي و منّا الصديق و الشهداء و الصالحون .

١٣- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن ابن رثاب ، عن أبي عبد الله عليه السلام

قوله (فرحّب به) رحّب بالتشديد أي قال مرحباً أي أتيت أو ترلت مكاناً واسماً من

الرحب بالضم السعة و بالفتح الواسع وهذا يقال للتنظيم و التكريم .

(ليس منّا ولا كرامة) أي ليس منّا أهل البيت أو ليس من خلص شيعتنا و لعل المراد بالكرامة هي الكون في دار المقامة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين كما يظهر من الخبر الاتي أو دخول الجنة و الفوز بنعيمها بغير حساب .

(و كان في ذلك المصر أحدٌ أورع منه) قيل أراد بالاحد غير الشيعة من أهل الخلاف ، و التعميم محتمل ، فيحدث يلغ لكل أحد على تحصيلها بة الورع و الله ولى التوفيق .

قوله (أعينونا بالورع) الائمة عليهم السلام يتكفلون نجاة الشيعة بالشفاعة و كلما كان ذنوبهم أقل و درعهم أشد و أكمل كانت النتيجة و الشفاعة عليهم أسهل فلذلك قال ع ، أعينونا بالورع .

(كان له عند الله فرجاً) فرجاً في النسخ التي رأيناها بالجمع و النصب و الجامع محتمل و هو خبر كان واسمه ضمير يعود الى اللقاء أو الورع (من يطع الله و رسوله) لا يربى أن اطاعتهما لا تتحقق بدون الورع و بذلك يتم الاستشهاد .

قال : إنا لانعد الرجل مؤمناً حتى يكون بجميع أمرنا متبِعاً مريداً ،
ألا وإن من اتبع أمرنا وإرادته الورع، فتزيتوا به يرحمكم الله، وكيدوا أعداءنا
[به] ينعمكم الله .

١٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحجاج، عن العلاء، عن ابن أبي
يمفور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، نبروا منكم الورع
والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية.

١٥- الحسين بن محمد، عن علي بن محمد، بن سعيد، عن محمد بن مسلم، عن محمد بن
حمزة العلوي قال : أخبرني عبيد الله بن علي، عن أبي الحسن الأول عليه السلام :
قال: كثيراً ما كنت أسمع أبي يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدث المحدثات بورعه
في خدورهن^١ و ليس من أوليائنا من هو في قرية، فيها عشرة آلاف رجل فيهم [من]
خلق [١] الله أورع منه .

قوله (إنا لانعد الرجل مؤمناً حتى يكون بجميع أمرنا متبِعاً مريداً) قد ذكرنا آنفاً
أن المؤمن في عرف الأئمة عليهم السلام هو المؤمن الكامل وأن الكمال لمراتب متفاوتة و
الذي يظهر هنا أن المراد بالفرد الكامل وهو نادر جداً كما دل عليه ما روى عن أبي عبد الله
«ع» قال «المؤمنة أعز من المؤمن والمؤمن أعز من الكبريت الأحمر فمن رأى منكم الكبريت
الأحمر» (كيدوا أعداءنا به ينعمكم الله) الكيد المكر والاحتيال والمراد هنا الحرب وسميت
كيداً لاحتياال الناس فيها، والنعمش الرفع والاقامة يقال نعمة الله وأنعمه أي رفقه وأقامه كذا
في المصباح، وفيه رد على الجوهرى حيث قال يقال نعمه الله ينعمه ولا يقال أنعمه الله، و
المعنى حاربوا أعداءنا بالورع لتغلبوا عليهم برفعكم الله كما يرفع درجات المجاهدين و
تلك الغلبة أما بقطع السنة طعنهم بنسبة الخبر إلى هذه الفرقة الناجية، أو ليرجعوا
إليهم بمشاهدة حسن أفعالهم و يؤيد هذا ما مر من قوله «ع» و كونوا دعاة إلى أنفسكم بنبر
ألسنتكم والله اعلم.

قوله (فإن ذلك داعية) أي داعية للناس على الاقتداء بكم اذ مشاهدة الخير في الغير
يدعو الطالب القابل المستعد إلى الاقتداء به وهو مجرب، واللقاء للمبالغة كما في كافية لا
لأنثيت باعتبار المذكورات لأن ذلك إشارة إلى المذكور .

قوله (ليس من شيعتنا من لا تتحدث المحدثات بورعه في خدورهن) المراد بالضميمة

(باب العفة)

- ١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج.
- ٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن حنان بن سدير،

خلعهم الذين هم من أهل الكرامة المذكورة سابقاً، والخدر بالكسر السر والجمع خدور، و يطلق الخدر على البيت ان كان فيه امرأة والانثى، واخذت الجارية لزمت الخدر، واخذها أهلها بتمدى ولا يمدى وخدورها بالثقل أيضاً وبالتخفيف أى سروها وما نوها عن الامتناع والخروج لقضاء حوائجها وفيه أن شهره الصلاح بل اظهاره ليشتهر أمر مطلوب ولكن بشرط أن لا يكون الاظهار لقصد الرياء والسمة بل لغرض صحيح مثل الاقتداء به والتحفظ عن نسبة الفسق اليه ونحوهما.

قوله (ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج) لا يبعد أن يراد بالمطن ما يشمل الفم أيضاً و يؤيده ما روى من طرق العامة، وأكثر ما يدخل النار الاجوفان الفم والفرج، و العفة فى اللغة الامتناع يقال عف عن الشيء يعف من باب ضرب عفة بالكسر و عفاً بالفتح اذا امتنع عنه فهو عفيف، وفى العرف حالة فسادية تمتنع بها عن غلبة الشهوة، وتلك الحالة من الاخلاق الشريفة الحاصلة من الاعتدال فى القوة الشهوية التى هى مبدأ طلب الغذاء و شوق التذاد بالمواكل والمشارب والمناكح واعتدالها بأن تقتصر على هذه الامور على قانون الشرع والمقتل ولا يتجاوز عن حكمهما وذلك بأن يعف البطن والفم عن الاكل والشرب من الحرام والغيبة والنميمة والقذف والكذب وشهادة الزور والبهتان والفسق والبهتان وغير ذلك من مصادى اللسان و يعف الفرج عن الزنا وما يشبهه ويلحق به الرفث والنظر و التمس و جميع ما حرم من مقدماته وعند ذلك يكون الشرع محفوظاً والمقتل غالباً و تلك القوة مغلوطة مقهورة لامره ونهيه، واما اذا افترطت تلك القوة فى طلب اللذات البطنية والفرجية و خرجت عن حكمهما صار الشرع منرداً كامدروساً والعقل مغلوباً مقهوراً و سار الامر مأموراً والسلطان رعية كما فى الاكثرفان عقولهم صارت خادمة لشهواتهم، مشغولة بفنون التدبيرات والحيل لتحصيل اللذات المذكورة ولو كان من الحرام، و مما ذكر يظهر أن عفة البطن و الفرج هيادة أفضل المبادات لان كل ما ينصف به العبد و يوجب قرب الحق فهو عبادة و لها مراتب متفاوتة فى الفضل و أفضلها العفة بكسر القوة الشهوية و كسرهما مستلزم لكسر القوة الغشبية لان القوة الغشبية معينة للقوة الشهوية فى تحصيل مقتضاها برفع الموانع على وجه شرح الأصول الكافي - ١٥ -

- عن أبيه قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إن أفضل العبادة عفة البطن والفرج.
- ٣- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول: أفضل العبادة العفاف.
- ٤- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن النضر بن سويد عن يحيى بن عمران الحلبي، عن معلى أبي [بن خ] عثمان، عن أبي بصير قال: قال رجل لأبي جعفر عليه السلام: إني ضعيف العمل قليل الصيام ولكنني أرجو أن لا آكل إلا حلالاً قال: فقال له: أي الاجتهاد أفضل من عفة بطن وفرج.
- ٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أكثر ما تلج به أمتي النار الأجوفان البطن والفرج.
- ٦- وبإسناده قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث أخافهن علي أمتي من بعدي الضلالة بعد المعرفة، ومضلات الفن، وشهوة البطن والفرج.

التسلط و من البين أن العفة بكسر هاتين عبادة وأصل لسائر العبادات فهي أفضلها.
قوله (أن أفضل العبادة عفة البطن والفرج) وهي الامتناع عن المحرمات و
المعشبهات بل عن الاكثار أيضاً فإن البطنة توجب خمود النطنة و متابعة الشهوة في السفاد
تورث الفساد الامن عصمه الله . والحاصل أن عفتها كناية عن كسر القوة الشهوية بل النفسية
أيضاً لمعارفت و هو أفضل العبادات اذ به يستقيم الظاهر والباطن و بدونه يقع الفساد فيهما
وذلك لان شهوة البطن والفرج والقيام بمقتضاها لا يحصل الا بالشهوة بالمال والحرم في الدنيا
و جميع زخارفها و هذا لا يحصل الا بالجهل وحب الرئاسة وهما لا يحصلان الا بالمعصومة مع
الخلق وهي تورث الحسد و التمسب و العداوة و الحقد و الكبر و ترك الفضائل الظاهرة
و الباطنة و توجب جميع المعاصي و من ههنا علم أن عفة البطن والفرج أصل لجميع
المبادات و أفضلها.

قوله (و بإسناده قال قال رسول الله ورس) أي بإسناد السكوني أو علي بن إبراهيم
عن أبي عبد الله و ع : قال : قال : وقد وقع كل ما خافه ورس ، بعده من الامور الثلاثة لطغيان قوة
الشهوة والنفسية و متابعة الاهواء النفسانية في الامة الا من شذ . قيل : هذا الحديث ليس في
كتاب الشهيد الثاني .

- ٧ - أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن بعض أصحابه ، عن ميمون القداح قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج .
- ٨ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن الحكم : عن سيف بن عميرة عن منصور بن حازم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : ما من عبادة أفضل عند الله من عفة بطن وفرج .

(باب اجتناب المحارم)

- ١ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن داود ابن كثير الرقي ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : «وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتُ» قال : من علم أن الله عز وجل يراه و يسمع ما يقوله و يفعله من خير أو شر فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال ، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى .

- ٢ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي جعفر عليه السلام قال : كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث : عين سهرت في سبيل الله ، وعين فاضت من خشية الله ، وعين غصت عن محارم الله .

قوله (ولمن خاف مقام ربه جنات) قد مر تفسيره في باب الخوف .

(قال من علم أن الله عز وجل يراه و يسمع ما يقوله) هذا مقام المراقبة وهو يقتضى تجويد العمل و تحمسه لأن من عمل عملاً و علم أن عليه في عمله رقياً لا يدع شيئاً من وجوه الاجادة الاياتى به كما هو مشاهد فى أعمال الناس بعضهم لبعض ، و ينبغي أن يعلم أن للمعبود فى عبادته ثلاثة مقامات الاول أن يفعلها مستوفاء للأركان والشرائط وهذا هو الذى يسقط معه التكليف و هو مقام أكثر العابدين . الثانى أن يفعلها كذلك و قد علم أن المعبود جل شأنه يراه و يشاهده و هو مستحضر القلب بذلك وهذا مقام المراقبة ، الثالث أن يفعلها كذلك وقد استغرق فى بحر المكاشفة حتى كأنه يرى الله المعبود بالحق وهذا مقام المكاشفة و مقام خاص الخاص كما قال دس ، و جعلت فرد عينى فى الصلاة والمقام الاول أدنى المقامات بحيث لو لم يكن العابد من أهل هذا المقام لم يكن حابداً بل مسهزئاً أعاذنا الله من ذلك ، و الثالث أشرف المقامات وفقاً لله و إياكم لما يحبه و يرضاه .

قوله (عين سهرت فى سبيل الله) سبيل الله شامل لجميع الخيرات و منها طلب العلم وهو السبيل الأعظم .

٣- علي^{عليه السلام}، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عمن ذكره، عن أبي عبد الله^{عليه السلام} قال: فيما ناجى الله عز وجل به موسى^{عليه السلام} يا موسى ما تقرّب إلى المتقرّبون بمثل الورع عن محارمي، فإني أبيعهم جنّات عدن لا أشرك معهم أحداً.

٤- علي^{عليه السلام} [بن إبراهيم]، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله^{عليه السلام} قال: من أشد ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً.

(و عين فاضت من خشية الله) الخشية الخوف و الفرق بينهما بأن الخوف تألم النفس من العقاب المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات و التقصير في الطاعات، و الخشية خوف يحصل عند الشعور بنظمه الحق و هيئته و الحجب عنه اصطلاح لجديد حسن عند الاجتماع دون الانفراد.

(و عين قضت عن محارم الله) كناية عن ترك المنظر فيما لا يجوز.

قوله (ما تقرّب إلى المتقرّبون بمثل الورع عن محارمي) هذا أول الأقسام المذكورة و هو درج الدنول فليس التفضل بالنسبة إلى الأنعام التي بعده بل بالنسبة إلى فعل الطاعات فدل على أن الاجتناب عن المنهيات من المقامد والأعمال أفضل من الاتيان بالطاعات مع اشتراكها في تعظيم الرب اما لان التحلية أفضل من التحلية كما هو المشهور، أو لان مخالفتها أفهم من موافقتها أو لان المعصية أكثر من الطاعة.

(فإني أبيعهم جنّات عدن) أي آذن لهم في دخولها و أنزلهم فيها وهي مقام حال من مقامات الجنة أوعدها للورعين لا يدخلها غيرهم.

قوله (قال من أشد ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً) قال الله تعالى و اذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، وقال الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم، وقال و اذكر ربك في نفسك تضرعاً و خفية و دون الجهر من القول بالعدو و الأعداء، وأصل الذكر التذكر بالقلب و منه اذكروا بمعنى التي أنعمت عليكم، أي تذكروا. ثم يطلق على الذكر اللساني حقيقة، أو من باب تسمية الدال باسم المدلول ثم كثر استعماله فيه لظهوره حتى صار هو السابق إلى الفهم فنصّ دح، على إرادة الأول دون الثاني فقط دفعا لتخصيصه باللساني و إشارة إلى أكمل أفراد مع الإيماء إلى أن الذكر اللساني بدون الذكر القلبي ذكر بثنابيه. و قال بعض أرباب القلوب ذكر اللسان مع خلو القلب عنه لا يخلو من فائدة لانه يمنعه من التكلم باللغو و يجعل لسانه معتاداً بالخير، وقد يلقي الشيطان إليه أن حركة اللسان بدون توجه القلب حيث ينبغي تركه؛ فاللائق بحال الذاكر أن يحضر قلبه حينئذ رغماً

ثم قال: لأعني سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» وإن كان منه ولكن ذكر الله عند ما أحلّ وحرّم، فإن كان طاعة عمل بها وإن كان معصية تركها.

للعبطان ولولم يحضره فاللائق به أن لا يترك ذكر اللسان رغماً لأنه أيضاً وأن يجيبه بأن اللسان آلة للذكر كالقلب ولا يترك أحدهما يترك الآخر فإن لكل عضو عبادة، وأعلم أن الذكر القلب من أعظم علامات المحبة لأن من أحب أحداً ذكره دائماً أو غالباً، وأن أصل الذكر عند الطاعة والمهبة سبب لفعل الطاعة وترك المعصية وهما سببان لزيادة الذكر ورسوخه، وهكذا يتبادران إلى أن يستولي المذكور وهو الله سبحانه على القلب ويتجلى فيه، فالذاكر حينئذ يحبه حباً شديداً ويفعل عن جميع ما سواه حتى عن نفسه إذا الحب المفرط يمنع من مشاهدة غير المحبوب وهذا المقام يسمونه مقام الفناء في الله، والواصل إلى هذا المقام لا يرى في الوجود إلا هو، وهذا معنى وحدة الوجود لا بمعنى أنه تعالى متحد مع الكل لأنه محال (١) و زائدة بل بمعنى أن الموجود في نظر الغائي هو لا غيره لأنه تجاوز عن عالم الكثرة وجعله وراء ظهره وغفل عنه فأنهم

(١) قوله لا بمعنى أنه تعالى متحد مع الكل لأنه محال، بل لم يقل به أحد ولا يمكن أن يتفوه به عاقل، وأعلم أن علماءنا رضي الله عنهم قد يذكرون أحكاماً لا مورد لا تنفق في الواقع ولا يتحقق إلا نادراً لمزيد التوضيح والبيان كما يذكرون أحكام الخلق المشكل والمتنجم الذي يمتد الوهية الكواكب وتأثيرها في الحوادث بالوحياتها، مع أنهم يعلمون أنه لا يوجد بعد ظهور الإسلام في هذه الأمة منجم قائل بها وهكذا الغائلون بوحدة الوجود في الأمة وفي كل أمة لا يمتدنون اثبات الممكنات وحلول ذات الواجب فيها بل لا يثبتون معه تعالى غيره حتى يحل الواجب في غيره فمراجع وحدة الوجود إلى انكار الممكنات ونفي الكثرة لا إلى اثبات الكثرات والممكنات وحلول الواجب فيها ومعلوم أن انكار الممكنات ليس كفراً نعم إن لم يفرض للمعنى صحيح كان خرافياً نظير مذهب السوفسطائية وإن أول بمعنى صحيح فهو حق وليس كل رأي باطل خرافى كفراً وهذا البيت مشهور من العلاج:

بينى وبينك أنيبى بنادى
فادفع بلفك أنيبى من البين

وهذا سريع في أن اعتقادهم نفي شخصية الممكن عن نظره حتى لا يرى غيره تعالى لا نفي حقيقة الواجب بجعله مستهلكاً في الممكنات وبعبارة أخرى الظاهر عند غيرهم اثبات ممكن وواجب متباينين متفاضلين مستقل أحدهما عن الآخر وأما الاتحاد وهو أرجاع الاثنين إلى الواحد فلا يتم إلا بنفي أحدهما لامحالة فإن نفي أحدهم استقلال الواجب واثبت الممكن فهو كفر وإن نفي الممكن واثبت الواجب فهو ليس بكفر وهذا مراد الشارح (ش)

٥- ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: "و قد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً" قال: أما والله إن كانت أعمالهم أشد بياضاً من القباطي ولكن كانوا إذا عرض لهم الحرام لم يدعوه.

٦- علي، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من ترك معصية الله مخافة الله تبارك و تعالى أَرْضاه الله يوم القيامة.

(باب أداء الفرائض)

١- عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد، و علي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً، عن ابن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي قال: قال علي بن الحسين صلوات الله عليهما من عمل بما افترض الله عليه فهو خير الناس.

قوله (وقد منا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) أي عمدنا وقصدنا إلى ما عملوا من عمل كترى الضيف وصلة الرحم وإغاثة المظلوم وإغاثة الملهوف وغيرها فجعلناه هباءً منثوراً فلم يبق له أثر، والهباء غبار يرى في شراع الشمس الطالع من الكوة من الهبوب وهو الغبار و فيه دلالة على حبط الأعمال بالفسق سواء كان كفراً أم غيره، وخصه بعض المفسرين بالكفر وهو على تقدير الكفر ظاهر إذ لا عبرة بالفرع بعد فقد الأصل وهو الإيمان وأما على تقدير غيره فلعل المراد به حبط ما يساويه مع بقاء الزائد، وفي هذا المقام كلام طويل (١) مذكور في موضعه، وانقياطي جمع القبطية بالكسر وهي ثياب بيض رقائق تتخذ من كتان بمصر، وفي تشبيه أعمالهم بها تنبيه على أن رد أعمالهم ليس من أجل فسادها في نفسها بل لأجل ارتكابهم للحرام سواء كان حق الله تعالى أو حق الناس ولعل ذلك فيمن أخذ به عادة، والله أعلم.

قوله (من ترك معصية الله) المعصية تشمل ترك الواجبات و فعل المنهيات و لم يذكر ما أَرْضاه الله به لأن عقل البشر لا يصل إلى كنه حقيقته ورضوان من الله أكبر،

قوله (من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير الناس) الظاهر أن لفظ دعاء شامل

(١) قوله دو في هذا المقام كلام طويل، وهو الاختلاف المجهور في الاحباط بيننا و بين المعتزلة ومذهبنا عدم الاحباط و بأول كل ما يؤم منه خلافة على عدم كون العمل المحيط ثوابه صحيحاً في الأصل لأنه صحيح يستحق به الثواب ويرتفع بالفسق فان عدم إيصال الثواب المستحق إلى صاحب العمل ظلم وكلام الشارح مشبه والحق واضح، (ش)

٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن الحسين بن المختار، عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «اصبروا وصابروا ورابطوا» قال: اصبروا على الفرائض.

٣- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن عبد الرحمن بن أبي نجران، عن حماد بن عيسى، عن أبي السفاتج، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «اصبروا وصابروا ورابطوا» قال: اصبروا على الفرائض وصابروا على المصائب ورابطوا على الأئمة عليهم السلام.

وفي رواية ابن محبوب، عن أبي السفاتج [و زاد فيه] «فاتقوا الله ربكم فيما افترض عليكم».

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس».

٥- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن أبي جيلة، عن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الله تبارك وتعالى: «ما تحبب إلي عبدي بأحب مما افترضت عليه».

للأعمال القلبية والبدنية والمالية، والخيرية تتفاوت (١) بحسب تفاوت مراتب هذه الأعمال كما و كيفاً، والخير المطلق من وصل إلى مرتبة العليانها.

قوله (قال اصبروا على الفرائض) لم يرد قصر الصبر عليها بل ذكرها لأن الصبر عليها أعظم والظاهر أن ترك الحرام داخل فيها لأنه أيضاً فرض.

(و رابطوا على الأئمة عليهم السلام) بالنفس والمال والخدمة والانتساب لهم والانتظار لفرجهم. قوله (وفي رواية ابن محبوب عن أبي السفاتج وزاد فيه واتقوا الله ربكم فيما افترض عليكم) ليس في بعض النسخ قوله «وزاد فيه» ولعل المتن فيما افترض وهو الاتيان بالواجبات والاجتناب عن المنهيات تفسير للصبر.

قوله (قال الله تعالى ما أحبب إلي عبدي بأحب مما افترضت عليه) مثله ما روى عنه ومن.

(١) قوله «الخيرية تتفاوت» الخير يستعمل بمعنى التفضيل وهو المراد بقريئة المقام

وللتفاوت مراتبه والاولى أن يقال التفضيل بالنسبة إلى من يعمل بالمستحبات ويترك الفرائض فمن عكس وعمل بالفرائض وترك النوافل خير منه وهو نفس المجلس رحمه الله تعالى (ش).

(باب)

(استواء العمل والمداومة عليه)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا كان الرجل على عمل فليدوم عليه سنة، ثم يتحول عنه إن شاء إلى غيره و ذلك أن ليلة القدر يكون فيها في عامه ذلك ، ما شاء الله أن يكون .

٢- علي بن إبراهيم ، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال : أحب الأعمال إلى الله عز وجل ما دأب عليه

أنه ويقول الله عز وجل ما تقرب عبدي إلى يعني أحب إلى من أداء ما افترضت عليه و لمسل السبب فيه أنه تعالى عالم بالاسباب التي تقرب إلى محبته و كرامته من بدد عنه بنفسه و هواء و عادتته فجعل أكبرها فرائض لعظم حرمانه وأوعد بالنار من ذيعه وفرط فيه فيجب على العبد تخليصه والمبادرة إليه والمبالغة في أحكامه و تفرغ القلب عما يشغله عنه وجعل أصغرها نوافل وجعل قبول النوافل موقوفاً على أداء الفرائض و متمماتها ولزيادة التقرب بها و مانعاً من التمرس لزهرات الدنيا ومباحاتها بعد الفرائض فينبغي للعبد أن لا يتهاون بها بالاشتغال بالنوافل فيترك الأصل و يتمسك بالفرع فيفوته الفرع أيضاً ولا يقبل منه ، بل ينبغي أن يهتم بالفرائض ثم بالنوافل لتكامل فرائضه وتزدد محبته .

قوله (إذا كان الرجل على عمل فليدوم عليه سنة) لعل المراد بالعمل عمل المندوب كالإهداء وسائر المرغبات بقريظة جواز التحول وأما الفرائض فيجب دوامها على الوجه المقدر ولا يجوز تركها وفي الدوام منافع جليلة هي ارتفاع النفس في العبادة و اعتيادها عليها و ثبات القدم فيها وضبطها عن التقلب والاعتناء به ورجاء القبول وإن لم تكن ابتداء من أهله كما روى عن النبي ص : إن العبد ليقول اللهم اغفر لي وهو ممرض عنه، ثم يقول اللهم اغفر لي وهو ممرض عنه ، ثم يقول اللهم اغفر لي سبعانه للملائكة ألا ترون إلى عبدي سألتني المغفرة وأنا ممرض عنه ثم سألتني المغفرة وأنا ممرض عنه ، ثم سألتني المغفرة و علم عبدي أنه لا يضر الذنوب إلا أنا أشهدكم أنني قد غفرت له، و توقع مضاعفة الاجر بوقوعها في الاوقات الشريفة التي تكون في السنة مثل ليلة القدر وهي خير من ألف شهر و العبادة فيها كذلك، وفي قوله و ثم يتحول عنه إن شاء إلى غيره إشارة إلى أن له تركه مع بدلها لئلا يمتنع فلا ينبغي لانه تعطيل في العبودية ولا يخلق ذلك بحال العابد المعامل لله .

العبد وإن قل^٣.

٣- أبو علي الأشعري، عن عيسى بن أيوب، عن علي بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب، عن معاوية بن عمارة، عن نجبة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما من شيء أحب إلى الله عز وجل من عمل يداوم عليه وإن قل^٤.

٤- عنه، عن فضالة بن أيوب، عن معاوية بن عمارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما يقول: إني لأحب أن أداوم على العمل وإن قل^٥.

٥- عنه، عن فضالة بن أيوب، عن العلاء، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما يقول: إني لأحب أن أقدم على ربي وعلمي مسنوا.

قوله (أحب الأعمال إلى الله عز وجل ما داوم عليه العبد (١) وإن قل) و إنما كان أحب لأن يداوم القليل ندوم الطاعة والعبادة والعبودية وهو أحسن من العبادة في زمان وتركها يبدء بالكلية ولأنه يربو ثواب القليل مع المداومة على ثواب الكثير المنقطع كما يدل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام «و قليل يدوم عليه أرجا من كثير معلول» وقوله قليل يدوم عليه خير من كثير معلول، أي الذي يمل فيه فإن البركة فيه أكثر والثواب فيه أزيد والعبودية فيه أدام و تأثيره في تنوير القلب بتكراره أشد ، و احتمال كون رضا سبحانه فيه أعظم كما رواه الصدوق بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام «قال إن الله أخفى رضا في طاعة فلا تستقصروا شيئا من طاعته فربما وافق رضا وأنت لا تعلم».

قوله (إني لأحب أن أقدم على ربي وعلمي مسنوا) استوى الأعمال اعتدلت وتساوت ولم يفضل بعضها على بعض ولعل المراد به تساوى أفراد كل نوع منه في الكم والكيف بحيث لا يكون بعضها أضعف من بعض وما روى من أن من سادى يوما فهو متيقن ولعل المراد به البحث على الأكتاف في الخير نظر إلى اليوم السابق لأن الأعمال كالفسوق يجر بعضها إلى بعض أو المراد به التساوى في القرب والمنزلة لأن إضافة عمل إلى عمل قبله وأن تساويا لابد أن تكون موجبة لزيادة القرب والمنزلة والا فتكون في العمل خلل وفي الذنية نقص وهو غيب فاحش فلا ينافي المساواة بالمعنى المذكور.

(١) قوله وما داوم عليه العبد يدل على ما مر من أن تأثير العمل في الجزاء بتأثير في النفوس ويحسم مآثر فيها. (ش)

٦- عدةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن إسماعيل، عن جعفر بن بشير، عن عبد الكريم بن عمرو، عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إيتاك أن تفرض على نفسك فريضة فتفاد بها اثني عشر هلالاً.

(باب العبادة)

١- عدةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في التوراة مكتوب: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى ولا أكلك إلى طلبك وعلني أن أسد فاقنك، واملأ قلبك خوفاً مني وإن لا تفرغ لعبادتي أملأ قلبك شهلاً بالدنيا، ثم لا أسد فاقنك، وأكلك إلى طلبك.

٢- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن أبي جميلة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال الله تبارك وتعالى: يا عبادي الصديقين تنعموا بعبادتي في الدنيا فإني أنعم تنعمون بها في الآخرة.

٣- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عمرو بن جبيع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل الناس من عشق العبادة، فعانقها وأحبها بقلبه وبارها بجسده و تفرغ لها، فهو لا يزال على ما أصبح من الدنيا.

قوله (يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى) التفرغ للعبادة والجهد فيها وعدم تقلها على النفس لا يحصل إلا بترك القلب عن شهوات الدنيا، و قطع التعلق بعلايقها، و المنحصر عن المعاصي وكسر القوة الشهوية والغضبية، فإذا حصل ذلك حصل الشوق إلى الله والمحبة له واللذة بعبادته ومشاهدة الأسرار اللاهوتية والأنوار الربوبية ورسوخ القلب في المعارف عن الدنيا بحيث لا يوازن بواحدٍ منها الدنيا وما فيها وغنى القلب عبادة عن حصول هذه الأمور له ومن ثمة قبل سماعة المرء معرفة الرب ودوام ذكره وخلوص العبادة له فإن الثمرات عليها يوصله إلى مقام القرب والمحبة والاعراض عن غيره.

قوله (يا عبادي الصديقين تنعموا بعبادتي في الدنيا) الباء إمالة أو سببية لأن العبادة غذاء روحاني بها يربو الروح و تزداد قوته وسبب للرزق و سمته كما قال ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب.

قوله (أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها) عشق يعشق عشقا من باب تمسك والاسم

على عسر أم على يسر .

٤- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن شاذان بن الخليل قال : - و كنت من كتابه بإسناد له ، يرفعه إلى عيسى بن عبدالله قال : - قال عيسى بن عبدالله لأبي عبدالله (عليه السلام) : جعلت فداك ما العباد ؟ قال : حسن النية بالطاعة من الوجوه الثاني يطاع الله منها ، أما إنك يا عيسى لا تكون مؤمناً حتى تعرف الناسخ من المنسوخ ، قال : قلت جعلت فداك و ما معرفة الناسخ من المنسوخ ؟ قال : فقال : أليس تكون مع الإمام موطئاً نفسك على حسن النية في طاعته ، فيمضي ذلك الإمام و يأتي إمام

المنشق بالكسر وهو الإفراط في المحبة أي أحبها حباً مفرطاً من حيث أنها وسيلة إلى المحبوب الحقيقي و ذريعة للوصول إليه والقرب منه فحبها تابع لحبه و في قوله دأب على يسر ، دلالة على أن اليسر لا ينال في حبها و تفريخ القلب من غيرها لأجلها وإنما العناني له تعلق القلب به . قيل ذكرت الحكماء في كتبهم العظيمة أن المنشق ضرب من العال يدخلها المجنون و الأمراض السوداء و قرروا في كتبهم الأنسية أنه من أعظم الكمالات وأن السعادات وربما يظن أن بين الكلامين مخالفاً وهو من وأخى الطنون فإن المنعوم هو المنشق الجسماني الحيواني الشهواني والمنسوخ هو الروحاني الانساني النفساني والاول يزول ويفنى بمجرد الوصال والاتصال والثاني يبقى ويسمو أبداً لا يباد على كل حال .

قوله (قال حسن النية بالطاعة من الوجوه التي يطاع الله منها) لعل المراد بهذه الوجوه الأئمة عليهم السلام واحد بعد واحد لانهم الوجوه التي يطاع الله تعالى منها لارشادهم و هدايتهم و بالمطاعة الطاعة المطلقة بتعليمهم أو اطاعتهم والانتقاد لهم وبحسن النية تعلق القلب بها من صميمه بلا منازعة ولا مخاطرة كما قال جل شأنه و فلا وربك لا يؤمنون - الى قوله و سلموا تسليماً ، و يحتمل ان يراد بالوجوه وجوه المبادات وأنواعها وبحسن النية تخليصها عن شوائب النقص .

قوله (أما إنك يا عيسى لا تكون مؤمناً حتى تعرف الناسخ من المنسوخ قال قلت جعلت فداك و ما معرفة الناسخ من المنسوخ) دل على جواز الخطاب بالجهل و هو ما لم يتضح دلالة أو بالعام المراد به بعض أفراد أو بالمتحمل وقد بينا جوازه في اصول الفقه و قالت المتمتزة لا يجوز لانه تجهيل للمخاطب وهو قبيح من الحكيم ولا نسلم أنه تجهيل بل هو تقرير للحكم وتثبيت له في ذهن السامع حيث يطلبه والمفهوم بعد الطلب اعز من المناسق بلا طلب و باعث للثواب له لنفسه الامثال بعد البيان غاية لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة .

آخر فتوطن نفسك على حسن النية في طاعته: قال: قلت: نعم، قال: هذا معرفة الناسخ من المنسوخ.

٥ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن جميل، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: [إن] العبادة ثلاثة. قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً، فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلب الثواب، فتلك عبادة الأجراء، وقوم عبدوا الله عز وجل حباً له، فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة.

٦ - علي، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أقبح الفقر بعد الغنى وأقبح الخطيئة بعد المسكنة وأقبح من ذلك العابد لله ثم يدع عبادته.

٧ - الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن عاصم بن حميد، عن

قوله (قال إن العبادة ثلاثة) أي العبادة المترتب عليها الثواب والكرامة في الجملة ثلاثة أقسام و غيرها مثل عبادة المرائي ونحوها ليس بعبادة فليس بداخل في المقسم.

(قوم عبدوا الله) أي عبادة قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً من ناره حتى لو لم تكن النار لم يعبدوه فتلك عبادة العبيد إذا العابد فيها شبيه بالعبد في فعله خوفاً من السيد وتحزناً من عقوبته و عبادة قوم عبدوه طلباً لثوابه ونعيم الجنة فتلك عبادة الأجراء إذا حالهم في العبادة مثل حال الأجراء في المعاملة لو لم يكن الأجر لم يعملوا و عبادة قوم عبدوه لحبهم له و استغرائهم قلوبهم في ذكره واعتقادهم بأنه أهل للعبادة وغاية الخضوع له فتلك عبادة الأحرار الذين لا ينظرون إلا إليه ولا يعكفون إلا عليه و يغفل قلوبهم بالكلية عن الأغيار فضلاً عن الجنة والنار و هي أفضل العبادة لخلوصها من جميع الجهات. و في صيغة التفضيل دلالة على أن العبادة على الوجهين السابقين أيضاً عبادة صحيحة لها فضل في الجملة فيكون حجة على من قال يبطلان عبادة من قصد التحرز عن العقاب أو الفوز بالثواب.

قوله (ما أقبح الفقر بعد الغنى) أي وجود الفقر بعد الغنى و تميش الغنى بعيش الفقر.

(و أقبح الخطيئة بعد المسكنة) لضعف آلتها و قلة أسبابها.

(و أقبح من ذلك العابد لله ثم يدع عبادته) و كان السر فيه أن كل واحد منهم انتقل من المقام الأعلى إلى المقام الأدنى. ومن اليبين أن مقام الطاعة أرفع من مقام الغنى والمسكنة فترك الطاعة أقبح.

أبي حمزة ، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال : من عمل بما افترض الله عليه فهو من أعبد الناس.

((باب النية))

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطية، عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال : لا عمل إلا بنية.

قوله (من عمل بما افترض الله عليه فهو أعبد الناس) كان الموصول عام و حينئذ وجه التفضيل ظاهر.

قوله (لا عمل إلا بنية) قال المحقق الطوسي في بعض رسائله النية هي قصد الى الفعل وهي واسطة بين العلم والعمل اذ ما لم يعلم الشيء لم يمكن قصده وما لم يقصده لم يصدر منه ، ثم لما كان غرض المالك العامل هو الوصول الى مقصدين كامل على الاطلاق وهو الله تعالى لا بد من اشتغالها على قصد التقرب به وعرفها العلامة في القواعد بأنها ارادة ايجاد الفعل على الوجه المطلوب به شرعاً ، وأراد بالارادة ارادة الفاعل فخرجت ارادة الله تعالى لافعالنا و بالفعل ما يمم توطئ النفس على الترتك فدخلت الصوم والاحرام وأمثالهما ، وبالمأمور به ما يرجح فعله شرعاً فدخل المندوب وخرج المباح ، اذا عرفت هذا فنقول استدلال اصحابنا بمثل هذا الخبر بقوله تعالى وما امرنا الا لبعدوا الله مخلصين له الدين ، على أنه لا يدعى العبادات من النية حتى قال بعضهم النية بمنزلة الروح والعبادة بمثابة البدن وقال بعضهم النية بذرة والعبادة زرع والاخلاص ماء ، ومثل هذا الخبر رواه مسلم باسناد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : انما الاعمال بالنية وانما الامر ما نوى ، قال القرطبي ذكر الائمة أن هذا ثلث الايمان و قبل ربه و أن أصول الدين ثلاثة أحاديث أو أربعة هذا أحدها ، وقال المازري : قال الشافعي هو ثلث الاسلام وفيه سبعون باباً من الفقه وأجمع المسلمون على صحته ، وقالت الائمة ولكنه لم يتواتر ، و قال الابي تأمل فيه فان ابن الصلاح قال لم يواتر الاحاديثان حديث وانما الاعمال بالنيات و حديث ومن كذب على متعمداً و حكى الخطابي عن ائمتهم أنه ينبغي لمن سنّف كتاباً ان يبدأ بهذا الحديث ليبعث الطالبين على تصحيح النية ، ثم نقول النفي والاستثناء للحصر قد يكون مطلقاً وقد يكون باقتدار أمر خاص مثل ما زيد الا قابلاً فمان الحصر فيه بالنسبة الى المعتود مثلاً دون سائر الصفات والمضامين ذلك انه ان دلت قرينة على تخصيص الحصر باعتبار أمر معين فهو للحصر باعتبار ذلك الامر والا فهو للحصر المطلق و انظر الحصر في الحديث من أي النوعين هو وتعرف ذلك بعد أن نعرف أنه لا بد من تدبير محذوف يتم به المعنى و يحتمل

٢- عليٌّ، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله، وكل عامل يعمل على نيته.

أن يكون التقدير لأعمل على وجه الكمال الابالنية، ويحتمل أن يكون لأعمل على وجه الصحة الأيها، وهذا هو الأرجح لأن الصحة أكثر لزوماً للحقيقة من الكمال والحمل على الأكثر أولى ولأن نفي الصحة أقرب إلى نفي الحقيقة، وإذا تمزج حمل اللفظ على الحقيقة وجب حمله على أقرب المجازات كما بيناه في أصول الفقه، وعلى هذا ينهم منه اشتراط النية في الأعمال كما ذهب إليه الأصحاب. ثم الظاهر أن لفظ العمل يشمل عمل الجوارح والقلب وتخصيصه بالاول لأوجه له ولا بد من تخصيص عمل الجوارح باخراج ما لا يحتاج إلى النية كحمل الثوب و المبدن والظروف من النجاسات وتخصيص عمل القلب باخراج النية للالتسلسل وفيه دلالة على أن المعتبر في الفاظ الايمان والنكاح وغيرها من النفودات والایفاعات النية دون الالفاظ وحدها الا ما خرج بالدليل مثل ما ثبت من أن في الحلف تعتبر نية المدعي وفي الاقرار يحكم على الظاهر ولا يسمع دعوى عدم قصد.

قوله (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله) الحديث متفق عليه بين العامة والخاصة وله وجوه: الاول أن نية المؤمن اعتقاد الحق واطاعة الرب لوخلد في الدنيا وهي خير من عمله اذا تمرتها الخلود في الجنة بخلاف عمله فإنه لا يسوجب الخلود فيها ونية الكافر اعتقاد الباطل ومعصية الرب لوخلد فيها وهي شر من عمله اذا تمرتها الخلود في النار بخلاف عمله يدل على هذا الوجه حديث آخر هذا الباب. و اخافه السي المؤمن والكافر فإن الوصف مشعر بالمعية. الثاني أن المؤمن يتوى خيرات كثيرة خاوجة عن قدرته وهو يثاب بها بدون عمل فنيته بهذا الاعتبار خير من عمله لأن ثوابها أكثر من ثوابه كما يدل عليه الخبر الأني والكافر يتوى شرواً كثيرة لا يقدر على العمل بها فنيته شر من عمله ولا يثاب في ذلك ما روى من أن المبد اذا هم بشر لم يكتب عليه شيء حتى يعمل، لأن كون النية شرّاً لا ينافيه عدم كتب المنوى وعدم العقوبة به على سبيل التفضيل على أن أكثر العامة والمتكلمين والمحدثين ومنهم القاضي البيضاوي ذهبوا إلى أنه يؤاخذ بهم سيئة اذا بلغ مرتبة المزم والنصميم وتوطئ النفس على الفعل لكن سيئة المزم والتوطئ لأنها معصية لا سيئة المزم عليه لأنه لم يفعلها فان فعله كتبت سيئة ثالثة، الثالث أن النية روح العمل والعمل بمثابة البدن لها فخيرية العمل وشرهه تابعتان لخيرية النية وشرهه كما أن شرافة البدن وخبائثه تابعتان لشرافة الروح وخبائثه فبهذا الاعتبار نية المؤمن خير من عمله ونية الكافر شر من عمله، الرابع أن نية المؤمن و

٣- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنَّ العبد المؤمن الفقير ليقول : يا ربِّ ارزُقني حتّى أعمل كذا وكذا من البرِّ ووجوه الخير ، فإذا علم الله عزَّ وجلَّ ذلك منه بصدق نيّة كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله، إنَّ الله واسعٌ كريمٌ .

قصد أولاهو الله وثانياً العمل لانه يوصل اليه ونية الكافر وقصد غيره تعالى وعمله يوصل اليه وبهذا الاختيار صح ما ذكر، وهذا الوجهان استفدناهما من كلام المحقق العاظم في بعض رسائله وان لم يكن سريحا فيهما، الخامس أن خيراً ليس للتفصيل ومنه تبعيضية صفة له يعني أن نية المؤمن عمل خير من جملة أعماله ونية الكافر عمل شر من جملة أعماله وهو منقول عن السيد المرتضى وبه يتدلح التناقض بين هذا الحديث وبين ما روى عنه من ، أفضل الاعمال أحجزها، وأما الوجوه السابقة فيرد على ظاهرها أن العمل أشق من النية فيكون خيراً منها بحكم هذا المروي فكيف تكون النية خيراً منه والجواب أن العمل ليس أشق من النية بل الأمر بالعكس لأن النية ليست مجرد التلفظ بلفظ مخصوص وحصول معناه في القلب بل حصولها متوقف على تنزيله الظاهر والباطن عن الذاكل كلها وتوجه القلب الى العاقل بالكلية واعراضه عن جميع ما سواه وتطهير العمل من جميع ما يوجب نقصه وفساده ولا ريب في أن النية على هذا الوجه أشق من العمل كما يدل عليه ما روى من أمير المؤمنين عليه السلام : « أن نصفية العمل أشد من العمل وتخليص النية من الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد » الحديث طويل مذكور في كتاب الروضة أخذنا منه موضع الحاجة ، ثم أشار الى أن قبول العمل ورده وخبره وشره تابعة للنية بقوله وكل عامل يعمل على نيته إن خيراً فخير وإن شراً فشره ومن طرق العامة وإن الله لا ينظر الى صوركم وإنما ينظر الى قلوبكم يعني الى نياتكم من باب اطلاق المحل على الحال.

قوله (كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله) يمكن ان يجعل تفسيراً لما مر من ان نية المؤمن خير من عمله لأن المؤمن ينوي خيرات كثيرة لا يساعده القدرة أو الزمان على فعلها فيثاب بها فيكون الثواب على النية أكثر من الثواب على العمل فتكون النية خيراً منه وهذا الوجه ينسب الى ابن دريد اللخوي كما صرح به الشيخ في الأربعين، ولعل المراد أنه يكتب له أجره مضافاً كما يقتضيه لفظ المثل وأن أجر النية من حيث هي مثل أجر العمل من حيث هو ، لا أنه مثل أجره مع النية فلا يلزم زيادة الشيء على نفسه أو البناء العمل واثابة المؤمن بنيته أمر متفق عليه بين الأمة روى مسلم بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :

٤- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن أسباط، عن محمد بن إسحاق بن الحسين، عن عمرو، عن حسن بن أبان، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن حدِّ العبادة التي إذا فعلها فاعلمها كان مؤدياً؟ فقال: حسن النية بالطاعة.

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن أحمد بن يونس، عن أبي هاشم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنما خُلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، و إنما خُلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فباليات خُلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: «قل كل يعمل على شاكلته» قال: على نيته.

(باب)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن الأحول، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إن لكل

د من طلب الشهادة صادقاً أعطى ولولم تصبه» و بأسناد آخر عنه ومن قال د من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه» قال المازري وفيهما دلالة على أن من نوى شيئاً من أفعال البر ولم يفعله لم يزد كان بمنزلة من عمله، وعلى استحباب طلب الشهادة ونية الخير وقد صرح بذلك جماعة من علمائهم حتى قال الأبي لولم ينوّه كان حاله حال المنافق لا يعمل الخير ولا ينوّه، و قيل دمر رجل من بني إسرائيل سنة الفتح على جبل من الرمل فقال: لو كان حنطة لا نفقته على الفقراء فأوحى الله إلى رسول ذلك العمران يقول له إن الله قبل صدقتك وأعطاك أجر إنفاقه لو كان حنطة.

قوله (فقال حسن النية بالطاعة) لعل المراد به حسن النية بطاعة الإمام و الاقبال عليها من سبب القلب أو المراد به تركية نية العبادة عن جميع النقائص و تسقيتها عن غير وجه الله تعالى، وجعله حد العبادة لأن العبادة به عبادة فينبغي أن يشترط لقبولها.

قوله (قل كل يعمل على شاكلته قال على نيته) كان المراد نظراً إلى ظاهر الاستعداد أن كل أحد بمنزلة من يعمل على نيته فإن كانت نيته الطاعة أبداً فهو مطيع أبداً فيستحق الخلود في الجنة و إن كانت نيته المعصية أبداً فهو عاص أبداً فيستحق الخلود في النار.

قوله (ألا إن لكل عبادة شراً ثم تصير إلى فترة فمن سارت شراً عبادته إلى سنئته فند

عبادة شرئة ثم تصير إلى فترة ، فمن صارت شرئة عبادته إلى سنن فقد اهتدى ومن خالف سنن فقد ضلّ وكان عمله في تباب أما إنني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأضحك وأبكي فمن رغب عن منهاجي وسنني فليس مني ، وقال : كفى بالموت موعظة ، وكفى بالبعين غنى ، وكفى بالعبادة شغلاً .

٢- عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن الحجاج ، عن ثعلبة ، قال :

(اهتدى) الشرة وزان الشدة : الحدة والرغبة والنشاط في العمل والفترة بفتح الفاء الضم والكمل فيه وأصلها الانكسار ، يقال فتر عن العمل فترة وقتوراً إذا انكسر حده ، و لعل المراد أن للمهتدى في العبادة نشاطاً تاماً وإرادة حادة ورغبة كاملة تهتد النفس على الجهد فيها وتحمل مشاقها فإذا دام ذلك يمتري النفس فتور وضرب عن العبادة أم اللال الطبع و سأمته أو المنع من جهة الحق عز وجل يمتحن به العابد ليريه عجزه فلا يوجب بعمل نفسه بل يرى تمكنه من العمل بحسن توفيقه أو ليختبر ما عنده من الصدق فإن هو سكن ولم يتألم لذلك فلا يردّها عليه فإنه لا يعرف قدرها وإن هو توجع وتضرع وجزع لردّها اليه وزاده ثم بين حال الشرة بقوله ومن صارت شرته عبادته إلى سنن أي طريقته وهي طريقة العدل والاقتصاد ولم تتجاوز عنها فقد اهتدى لأن طريق الاقتصاد قلما يمتريه الفتور وأما المتجاوز عنه فإنه في معرض الفتور لسأمة النفس وملالها غالباً كما يظهر من الباب الآتي ، هذا الذي ذكرنا على سبيل الاحتمال والله أعلم بحقيقة الحال قال (كفى بالموت موعظة) الموعظة هي الراجعة عن الدنيا و الركون اليها والداعية إلى الآخرة وقرب الحق وأعظمها هو الموت إذا لاقى إذا تفكر فيه وفي غمراته وما يمتد منه من أحوال البرزخ والمقامة وأحوالها والحساب والمناب وما فعله بأهل الدنيا من قطع أيديهم عنها وإخراجهم منها طوعاً أو كرهاً هانت عنده الدنيا وما فيها واجتهد في المصاحبة وتحرز عن المصيبة (وكفى بالبعين غنى) الغنى ما يقنى عن غير الله تعالى و يرفع الحاجة اليه واليقين بالله وباليوم الآخر وبحصول ما وعد الله من الجزاء والازداف أقوى ما يقنى عن غير الله سبحانه لأنه نور موجب للوصول السالك إلى الحق واتصاله به اتصالاً ممتوياً بحيث لا يشاهد غيره فضلاً عن الاحتياج اليه (وكفى بالعبادة شغلاً) لأن كل شغل غير العبادة فهو لهو ولعب يوجب البعد عنه تعالى وتنقطع ثمرته بخلاف العبادة فإنها توجب قربه تعالى وتقوم ثمرته فيه ترغيب في العبادة وهي مرتبة عظيمة لا يعطيها الله تعالى إلا من يحبه ألا ترى أن الله تعالى حين أراد أن يلبس نبيه من حلة الشرف والكرامة نسب اليهودية اليه فقال « أنزل على عبدي الكتاب » .

قال أبو عبد الله عليه السلام : لكل شرعة و لكل شرعة فترة ، فطوبى لمن كانت فترته إلى خير .

(باب الاقتصاد في العبادة)

- ١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تتركوهما عبادة الله إلى عباد الله، فتكونوا كالركاب المنبت الذي لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى. محمد بن سنان، عن مقرون، عن محمد بن سؤفة، عن أبي جعفر عليه السلام مثله.
- ٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، و محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان،

(لكل أحد شرعة ولكل شرعة فترة فطوبى لمن كانت فترته إلى خير) لعل المراد أن الشرعة قد تنفسي إلى التجاوز عن حد الاقتصاد وتوجب الكلال والتفوق في الأعمال فطوبى لمن كانت فترته إلى الخير وهو القصد لا إلى الأعراض فالإقتصاد أمر مطلوب قد وقع البحث على التمسك به حيث مدح في الأول من انتهت شرعته إليه ، وفي هذا الحديث من رجوع عن شرعته عند التجاوز وقام عليه . وللمحدث احتمالات آخر ذكرناها في آخر كتاب العلم .

قوله (أن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق) اسم الدين يقع على جميع ما تمسك به خلقه من توحيده وطاعته والانقياد لحكمه وهو جملة الإسلام كما قال تعالى وإن الدين عند الله الإسلام، ووصفه بأنه متين أي قوى شديد من مثل الشيء - بالضم - متانة أشد وقوى فهو متين للتنبيه على أنه لا يقدر على تحمله إلا المؤمنون وذلك كما قال الله تعالى في وصف الصلاة ، و أنها لكبيرة الاعلى الخاشعين، وهم المؤمنون العارفون، والابدال السراةديد، يقال أوغل القوم وتوغلوا إذا أعمنوا في سيرهم، والمنبت الرجل الذي انقطع به في سفره وعطبت راحلته وهو مطاوع به بقاء من باب ضرب وقتل أي قطع يعنى سبوا فيه سباً سريعاً وأبلنوا الغاية القصوى منه بالرفق ولا تحملوا على أنفسكم من العمل ما لا تطيق فينقطع كالذي لا يقطع طريقه ويهلك راحلته. والمراد بالرفق الاقتصاد في العبادة وترك التعمق فيها لأن التعمق فيها يوجب غالباً كراهة النفس لها ويدهنها إياها والأعراض عنها وهو مذموم قطعاً ولقد أحسن في إيضاح المنصود بالاثبات بالتمثيل البديع لانه شبه النفس الناطقة في السير إلى الله بالمسافر، وشبه البدن وقواه بالمركوب لان النفس في سيرها تحتاج إليهما كما أن المسافر في سيره يحتاج إلى المركوب وكما أن المسافر إذا جد في السير جنداً وحمل على مركوبه أثقالاً كثيرة يهلك دابته قبل أن يقطع سبيله ويبلغ مقصده فيبقى متحيراً كذلك النفس إذا

جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تكرهوا إلى أنفسكم العبادة.

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن إسماعيل، عن حنان بن سدير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله عز وجل إذا أحب عبداً فعمل [عملاً] قليلاً جزاءه بالقليل الكثير ولم يتعاطمه أن يجزي بالقليل الكثير له.

٤- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن ابن فضال، عن الحسن بن الجهم عن منصور، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مر بي أبي وأنا بالطواف وأنا

جئت في طرق الأعمال وحملت على مركوبها أعمالاً كثيرة شاقة تمل الميدين وتكل قواه وذلك يضعفها ويهلكها فتبني متعبرة قبل الوصول إلى المطلوب فلا بد لها من ترك الإفراط والتفريط واختيار المتوسط كما أنه لا بد من ذلك لذلك المسافر. وبالجملته العبادة خلاف مقتضى الطبع فلا بد من أن يسلك فيها سبيل التدريج والمدارة ليكون له نشاط في الأعمال والأفعال وهذا في المرغبات وأما المفروضات فلا بد من أدائها وتعادها في محلها وإن كانت ثقيلة.

قوله (قال لا تكرهوا إلى أنفسكم العبادة) زجر بهذا الكلام المباليين في الجد والاجتهاد وتحمل مشاق العبادات فربما كرهت النفس العبادة وذعب أجراها وندبهم إلى أخف العبادات على النفوس وأسهلها ليعملها بحفة ونشاط وطواعية لا يسر وكراهية، فيكون ذلك أشفق لها في عبادة الله وأبلغ في حضور القلب مع الله واجتماع الهم بين يديه فيقبل الله عليه ويوصله إليه، وبالجملته أحاديث الباب ظاهرة في الأمر بالرفق في العبادة وترك طلب النهاية فيها إذ خير الأمور أوسطها، فلا يستحسن قيام جميع الليالي وصيام جميع الأيام فإن لنفسك عليك حقاً ولعينك عليك حقاً ولأن العمل إذا قل دام واجتمع فقليله لطول الزمان كثير وخف على النفس تبعده بخلاف ما إذا كثرت ولم تضبط عادة، فإنه قد يؤدي إلى الترك فيحرم من العبادة وهو مع ذلك مكره لها وهذا مذموم جداً، ألم تسمع أن أشرف العابدين وسيد المرسلين كان ينام وبأكل ويشرب وينكح ويصاحب الناس ويصوم ويفطر ومع ذلك كان قادراً على أكثر من ذلك، كل ذلك تعليم للإمة وترحم لهم وتمطع عليهم ولذلك لم يكلفهم الله الامدادون الطاقه بكثير، نعم من استيقن أنه لا يفتر بكثرة العبادة ولا يبعثها بطول مداومتها لا يبعد أن يكون ذلك راجعاً بالنظر إليه كما ورد الأمر بعبادات كثيرة المشاق مثل صيام الدهر وبعض الصلوات ونحوهما.

حدث وقد اجتهدت في العبادة، فرآني وأنا أتصاب عرقاً، فقال لي: يا جعفر يا بني إن الله إذا أحب عبداً أدخله الجنة ورضي عنه باليسير.

٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري و غيره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اجتهدت في العبادة وأنا شاب، فقال لي أبي: يا بني دون ما أراك تصنع، فإن الله عز وجل إذا أحب عبداً رضي عنه باليسير.

٦- حميد بن زياد، عن الخشاب، عن ابن بقاح، عن معاذ بن ثابت، عن عمرو بن جيع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة ربك [فإن] المنبت يعني المفرط لاظهر أبقي ولا أرضاً قطع، فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً و احذر حذر من يخوف أن يموت غداً.



(باب)

(من بلغه ثواب من الله على عمل)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من سمع شيئاً من الثواب على شيء فسنعه، كان له، وإن لم يكن على ما بلغه.

٢- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عن عمران الزعفراني

قوله (فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً واحذر حذر من يخوف أن يموت غداً) أي اعمل في الطاعات والخيرات برفق وتأن وأخذ حظ من جميع أنواعها كعمل من يرجو أن يكون أجلة ممتهداً إلى الهرم واحذر عن المنهيات كحذر من يخاف أن يموت غداً ولعل السر فيه أن العبادات أعمال وفيها نسب الأركان وشغل مما سواها فأمر فيها بالرفق والاقتصاد كيلا تكل بها الجوارح ولا تبغضها النفس ولا تنفوت بسببها حق من الحقوق فاما الحذر من المماسي والمنهيات فهو ترك الأطراح ليس فيه كثير كد ولا ملالة ولا شغل عن شيء فيترك ترك من يخاف أن يموت غداً على معصية الله تعالى و لهذا قال دع، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا، وقيل الفسق أن فعل الطاعات نفساً وفعل وترك المخالفات حتم وفرض.

قوله (من سمع شيئاً من الثواب على شيء فسنعه) الحديث حسن الطريق مضمونه مؤيد

عن محمد بن مروان قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : من بلغه ثواب من الله على

بالخير الذي بعده (١) وان كان ضعيفاً وبما رواء الصدوق في كتاب ثواب الاعمال من أبيه على بن بابويه عن علي بن موسى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن هشام بن صفوان عن أبي عبد الله عليه السلام قال ومن بلغه شيء من الثواب على شيء من الخير فعمله كان له أجر ذلك وان كان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يثقله كان المراد أن من سمع رواية صادقة بحسب ظنه دالة على الثواب المترتب على فعل شيء أو تركه ففهم ذلك الشيء وأنه يطلب لأجل ذلك الثواب كان له أجر ذلك الشيء وان لم يكن المسموع على ما بلغه. وقال الشيخ في الاربعين يحتمل أن يراد بسماع الثواب مطلق بلفظه اليه سواء كان على سبيل الرواية أو الفتوى أو المذاكرة أو نحو ذلك كما مرآه في شيء من كتب الحديث أو الفقه مثلاً ويؤيد هذا التعميم أنه ورد في حديث آخر عن العاذق عليه السلام ومن بلغه شيء من الثواب ، ويمكن أن يراد السماع من لفظ الراوي أو المفتي خاصة فإنه هو الشائع الغالب في الزمن السالف ، وأما الحمل على التحمل بأحد الوجوه الستة المشهورة فلا

(١) قوله ومضمونه مؤيد بالخبر الذي بعده وهو من فروع حسن الظن بالله المرغوب اليه فيما سبق من الاحاديث ومن الصفات التي تبقى مع النفس بعد مفارقة البدن وتنفع الانسان بنفسها مباشرة في الآخرة **لأن الصفات المقدمانية التي لا تنفع الا بالواسطة والعرض فان الملكات الحسنة على قسمين قسم منها كالعفة والشجاعة والسخاء يختص بهذه الحياء الدنيا ما دامت النفس في البدن و ممنوعة بالشهوات والافهام والصفات البدنية وفائدة هذه الملكات حفظ النفس عن غوائل الشهوات وأمثالها فلولا يمكن في الانسان شهوة لم يكن عفة ولو لم يكن خوف لم تحسن الشجاعة والسخاء وبعد فراق النفس عن البدن لم تكن فيه شهوة القبايح فلا معنى لوجود العفة ولم يتحقق فيه خوف الموت فلا معنى لتحسين صفة الشجاعة له ، وأما معرفة الله تعالى وصفاته الكمالية وحسن الظن به والاعتماد عليه والتلذذ بقربه فهي مما يغفل وجودها للنفس الانسانية بعد الموت وقد تكون الملكة غير الباقية مستلزمة لصفة يمكن ان تبقى مع النفس كنية فعل الخير فانها تستلزم حب الخير والصبر فانه يتضمن الرضا بحكم الله تعالى ، و لمثل تلك الصفات حكم في الآخرة و يثاب عليها وقد مر في سر خلود المؤمنين في النعيم و خلود الكفار في العذاب بقاء نية الخير أو الشر في قلوبهم فهم يمدبون بسبب النية كشجرة تشمر ثمراً ردياً لمبب طرى على أصله و بالجملة فحسن الظن بالله ملكة فاضلة اذ رست في النفس كمال ايمانها بالله ورجاء الثواب من عمل لا يحتمل كونه مبهوضاً تقرب اليه و ذكر لآله و لطفه و هو حسن عقلا يستحق به الثواب والطريق الذي ذكرناه في التمام في أدلة السنن أنسب وألحق بعلم الاخلاق والكلام مما ذكره العارح فإنه أنسب بالفقه (ش)**

يخلو من بعد وظاهر الاطلاق أن من صدق الناقل في شرط في ترتيب الثواب فللثواب صدقه و كذبه في نظر السامع وعمل بقوله فاز بالاجر نعم بشرط عدم ظن كذبه بقيام بعض القرائن والظاهر أن تصريح الراوي بترتيب الثواب غير شرط بل قوله ان العمل الفلاني مستحب أو مكروه كاف في ترتيب الثواب على فعله أو تركه انتهى، وأنت خير بأن هذا الحديث على الاحتمال الاول يدل على أنه يجوز العمل باخبار الاحاد المعتبر وعلى الاحتمال الذي ذكره الشيخ يدل عليه وعلى جواز العمل باخبار الضعيفة الدالة على استحباب فعل عمل أو تركه وهو الموافق لمذهب الاصحاب، ويورد عليهم اشكال وهو أن الاستحباب حكم شرعي وقد اتفقوا بأن الحكم الشرعي لا يثبت بالحديث الضعيف فكيف يصح قولهم باستحباب الاعمال التي ورد بها اخبار ضعيفة و حكمهم بترتيب الثواب عليها ولهم في التنصيص عند أقوال فقال الشيخ - رحمه الله - حكمهم باستحباب تلك الاعمال و ترتيب الثواب عليها ليس مستنداً في الحقيقة الى الاحاديث الضعيفة بل الى هذا الحديث الحسن المشتهر الممتنع بغيره من الاحاديث، ووجه عدم استنادهم الى هذا الحديث في وجوب ما تضمن الخبر الضعيف وجوبه كاستنادهم اليه في استحباب ما تضمن استحبابه، ظاهر فان هذا الخبر لم يتضمن الا ترتيب الثواب على العمل وهو يقتضي الامر بالعمل، وقيل اذا وجد حديث ضعيف في فضيلة عمل ولم يكن هذا العمل ما يحتمل الحرمة والكراهة فانه يجوز العمل به ويستحب لانه مأمون الخطر ومرجو النفع اذ هو دائر بين الاباحة والاستحباب فالاحتياط العمل لرجاء الثواب وأما اذا دار بين الاستحباب والحرمة فلا وجه لاستحباب العمل به و كذا اذا دار بينه وبين الكراهة الشديدة اذ في العمل به دغدغة الوقوع فيها وأما اذا كانت الكراهة أضعف من الاستحباب فالاحتياط العمل وكذا اذا تساوى، وقيل: معنى قولهم يجوز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال دون مسائل الحلال والحرام أنه اذا ورد حديث صحيح أو حسن في استحباب عمل وورد حديث ضعيف في أن ثوابه كذا وكذا جاز العمل بهذا الحديث الضعيف والحكم بترتيب الثواب على ذلك الفعل وليس هذا الحكم أحد الاحكام الخمسة التي لا تثبت بالاحاديث الضعيفة، وقيل: معنى قولهم الاحكام لا تثبت بالاحاديث الضعيفة أنها لا تستقل بآياتها لأنها لا تصير مقوية ومؤكدة لما ثبتت تلك الاحكام به ومعنى تجوزهم العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال انه اذا دل على استحباب عمل حديثان صحيح وضعيف مثلاً جاز للمكلف حال العمل ملاحظة دلالة الضعيف أيضاً عليه فيكون عاملاً به في الجملة و الشيخ (ره) رد هذه الاقوال الثلاثة أما أولها فبان خطر الحرمة في هذا الفعل الذي تضمن الحديث استحبابه

عمل فعمل ذلك العمل ، إلحاح ذلك الثواب ، اوتيه ، وإن لم يكن الحديث كما بلغه .

(باب الصبر)

١- عِدَّةٌ من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن الحسن بن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن ابن أبي يعفور ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الصبر رأس الايمان .

حاصل اذ لا يمتد شرعا بمافعله المكلف لرجاء الثواب ولا يصبر منشأ لاستحقاق الثواب الا اذا فعله بقصد القرية ولا حظ رجحان فعله شرعاً ، فان الاعمال بالثبات وفعله على هذا الوجه مردود بين كونه سنة ورد الحديث بها في الجملة و بين كونه تشريفاً وادخالاً لمائيس من الدين فيه ولا ريب ان ترك السنة اولى من الوقوع في البدعة فليس الفعل المذكور دائماً في وقت من الاوقات بين الاباحه والاستحباب ولا بين الكراهة والاستحباب بل هو دائماً دائر بين الحرمة والاستحباب فتاركه متيقن للسلامة وفاعله متعرض للندامة ، وأما ثابته فبأنه مخالف منطوق عبارات الثوم فانها صريحة في استحباب الاتيان بالفعل اذا ورد في استحبابه حديث ضيف لغير قابلة لهذا التأويل الضعيف ، وأما ثالثها فبأنه مع بعده وسماحه يقتضي عدم صحة التخصيص بقضائل الاعمال دون مسائل الحلال و الحرام فان العمل بالحديث الضعيف بهذا المعنى لانزاع بين أهل الاسلام في جوازه في جميع الاحكام .

قوله (الصبر رأس الايمان) في الخبر الاتي والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، وقبه تشبيه المعقول بالمحسوس للإيضاح والوجه ما أشار اليه بقوله «فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد كذلك اذا ذهب الصبر ذهب الايمان» وذلك لما ذكرنا سابقاً من أن الانسان مادام في هذه الشهوة كان مورداً للمصائب والافات ومحلًا للتوابع والمآلات ، و متوجهاً اليه الاذي من بني نوعه في المعاملات ومكلفاً بفعل الطاعات وترك المنهيات والمشتبهات و كل ذلك ثقل على النفس يشع في مذاقتها وهي تتنفر منه تقاراً وتبتاعد منه فراراً فلا بد من أن يكون فيه قوة ثابتة وملكة راسخة بها يقتدر على حبس النفس على هذه الامور الشاقة والوقوف معها بحسن الادب وعدم الاعتراض على المقدور باظهار الشكوى وعدم مؤاخذه من أذاء والانتقام منه وتلك القوة أو ما يترتب عليها أعني حبس النفس على تلك الامور و مقاومتها لهواها هي المسماة بالصبر و من اليقن أن الايمان الكامل بل نفس التصديق أيضاً يبنى ببقائه و يقنى ببقائه فلذلك هو من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، وفي طرف العامة والصبر نصف الايمان قال ابن الاثير اراد بالصبر الورع لان العبادة قسمان نك وورع فالنك ما أمرت به الشريعة والورع ما نهت عنه وانما ينتهي بالصبر فكان الصبر نصف الايمان ، أقول الايمان الكامل نصفه متعلق بالباطن ونصفه متعلق بالظاهر وقوام الظاهر بالصبر فالصبر نصف الايمان .

٢- أبو علي الأشعري ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن العلاء بن الفضيل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد ، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الإيمان .

٣- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، و علي بن محمد القاسمي ، جميعاً ، عن القاسم ابن محمد الإصبهاني ، عن سليمان بن داود المنقري ، عن حفص بن غياث قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا حفص إن من صبر صبر قليلاً و إن من جزع جزع قليلاً ، ثم قال : عليك بالصبر في جميع أمورك ، فإن الله عز وجل بعث محمد عليه السلام فأمره بالصبر والرفق ، فقال : و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً و ذرني والمكذبين أولي النعمة ، و قال تبارك وتعالى : « ادفع بالتي هي أحسن (السيئة) »

قوله (عن القاسم بن محمد الإصبهاني) قال عباس أصبهان سبعة بنفع الهمة وحكام البكرى بالكسر لا غير (أن من صبر صبر قليلاً و من جزع جزع قليلاً) نسب قليلاً إما على المصدوبة أو على الظرفية أي صبر صبراً قليلاً أو صبر زماناً قليلاً و هو زمان العمر أو زمان البلية فيه وفيه حث على الصبر لأنه يوجب مع قلته راحة طويلة .

(ثم قال عليك بالصبر في جميع أمورك) الجمع المضاف يفيد العموم خصوصاً مع لفظ الجميع فيدل على أن الإنسان في كل ما يسد عنه من الفعل والترك والمقد و كل ما يرد عليه من المعائب و النوائب من قبله تعالى أو من قبل غيره يحتاج إلى الصبر إذ لا يمكنه تحمل ذلك بدون جهاده مع النفس والشيطان و ثباته في مقام المجاهدة بالصبر وحسن النفس عليه قال أمير المؤمنين (ع) ، الصبر شجاعة .

(و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً) أمره بالصبر على تكذيبهم و بالهجر من ذواتهم أو عن محاسنهم ، وفيه ترغيب في حمل النفس على الصبر والمجاهدة لتخلص من عداوة الخلق والمغضب عليهم وشهوة الدنيا والاشتغال بغيره تعالى ، والهجر الجميل هو أن يجانبهم ويدارهم ولا يكاليهم ويكل أمرهم إلى الله كما قال ،

(و ذرني والمكذبين أولي النعمة) أي دعي و اياهم فاني اجازيهم في الدنيا و الآخرة و أولي النعمة سناد يد قرشي وغيرهم .

(و قال تبارك وتعالى ادفع بالتي هي أحسن) قال هز وجل « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن » قال بعض المفسرين صبر الله تعالى بهذه الآية رسوله (ص) على سفاقة الكفار وعلمه الأدب الجميل في باب الدعاء إلى الدين بل في مطلق أمور .

فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقبها إلا الذين صبروا وما يلقبها إلا ذو حظ عظيم ، فصبر رسول الله ﷺ حتى نالوه بالعظام ودموه بها ، فضاق صدره فأنزل الله عز وجل " ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين " ثم كذبوه ودموه ، فحزن لذلك ، فأنزل الله عز وجل " قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فأنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين

الظلمون ، ودلاء دائمة لنا كيد نفى الاستواء والمعنى لامتساواة بين الحسنة و السيئة أي بمعنى يكسان ليست يركب ويدي هرگز كالإيمان والكفر والحلم وال غضب والطاعة والمعصية والاطف والعنف والعفو والخذول لما كان هنا مظنة سؤال وهو أنه كيف يصنع بالخبير المودى قاله ادفع بالتي هي أحسن السيئة أي ادفع السيئة بالحسنة التي هي أحسن منها وهي العفو واسم التفضيل مجرد عن من مناه أو أصل الفعل مبني في المفضل عليه على سبيل الفرع أو المعنى ادفع السيئة بالحسنة التي هي أحسن من العفو والمكافاة و تلك الحسنة وهي الاحسان في مقابل الاساءة ومعنى التفضيل حيثئذ بحاله لان كل واحد من العفو والمكافاة أيضاً حسنة الا أن الاحسان أحسن منهما وهذا قريب مما ذكره صاحب الكشاف من أن دلاء غير مزيدة والمعنى أن الحسنة و السيئة متفاوتان في أنفسهما فخذ بالحسنة التي هي أحسن اذا اخترتك حسنتان فادفع بها السيئة ، مثاله رجل أساء إليك فالحسنة أن تغف عنه والتي هي أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته.

(فاذا الذي بينك و بينه عداوة كأنه ولي حميم) أي اذا فعلت ذلك صار عدوك مثل الولي الشفيق ، ثم مدح هذه الحسنة الكريمة و صاحب هذه السيرة الشريفة بقوله :

(وما يلقبها إلا الذين صبروا) أي لا يعمل بهذه السجية العظيمة و هي العفو عن الاساءة أو مقابلتها بالاحسان الاكل صبار على تجرع المكاره.

(وما يلقبها الا ذو حظ عظيم) من قوة جوهر النفس الناطقة بحيث لا تقاوم من الواردات الخارجة وقيل الحظ العظيم وقيل الثواب الجزيل.

(و لقد نعلم أنك يضيق صدرك) كناية عن الغم (بما يقولون) من الشرك والظن فيك وفي القرآن والاستهزاء بك وبه .

(فسبح بحمد ربك) أي فزده ربك عما يقولون مما لا يليق به مثلاً بحمده في توفيقك له أو فافزع الى الله فيما نأيك من الغم بالتسبيح والتحميد فانهما يكشفان الغم عنك.

(و كن من الساجدين) للشكر في توفيقك أو رفع غمك أو كن من المصلين فان في الصلاة قطع العلائق من الغير.

(قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون) قد للتحقيق و خبر أنه للشأن (فانهم لا

بآيات الله يجهدون. ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا و أؤذوا حتى أتاهم نصرنا، فألزم النبي ﷺ نفسه الصبر، فتعدوا فذكروا الله تبارك و تعالی و كذبوه ، فقال : قدصبرت في نفسي و أهلي و عرسي و لأصبر لي على ذكر إلهي ، فأنزل الله عز وجل " ولقد خلقنا السموات و الأرض و ما بينهما في ستة أيام و ما حسنا من لغوب ، فاصبر على ما يقولون " فصبر النبي ﷺ في جميع أحواله ثم بشر في عثرته بالائتمة و وصفوا بالصبر، فقال: جل ثناؤه: « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا و كانوا بآيتنا يوقنون، فعند ذلك قال ﷺ: الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، فشكر الله عز وجل ذلك له ، فأنزل الله عز وجل " و تمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا و دمرنا ما كان يصنع فرعون

يكذبونك) في الحقيقة. (ولكن الظالمين بآيات الله يجهدون) قبل يجهدون مكذبين بآيات الله في الحقيقة ، فالهاء لتضمين الجحود معنى التكذيب و وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أن ظلمهم بسبب الجحود. (ولقد كذبت رسل) نظام أو كثير ، (من قبلك فصبروا على ما كذبوا و أؤذوا) أي على تكذيبهم و إيذائهم ، فإما مصدرية و فيه تسلية له صر ، و ترغيب في الصبر كما قال و فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ، (حتى أتاهم نصرنا) بشارة بالنصر للصابرين كما قبل الصبر مفتاح الفرج (ولقد خلقنا السموات و الأرض و ما بينهما في ستة أيام) فيه أيضاً ترغيب للخلق بالصبر في جميع الأمور (و ما حسنا من لغوب) أي تعب و أعباء .

(فاصبر على ما يقولون) أي على ما تنوله اليهود من الكفر و التشبيه أو على ما يتنوله المشركون من إنكارهم البعث فان من خلق العالم بلا أحياء يتدر على حشر الخلائق و الانتقام منهم . (و جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) دل على أن الصبر لتجعل المذكور و إليه أشار أرسطو طاليس بقوله بالصبر على معض السياسة ينال شرف الرئاسة (فشكر الله عز وجل ذلك له) شكر الله تعالى لعباده عبادة عن قبول العمل و مقابلته بالاحسان و الانعام على الدنيا و الآخرة . (و تمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا) أي تمت عليهم و اتصلت بالانجاز عدته إياهم بالنصر و التمكين بسبب صبرهم على الشدائد و هي قوله و نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين و نسكن لهم في الأرض و نرى فرعون و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون .

(و دمرنا) أي أهلكنا دمره تدميراً ، و دمر عليه بمعنى (ما كان يصنع فرعون و قومه)

وقومه وما كان يعرشون، فقال ﷺ إنه بشرى و انتقام ، فأباح الله عز وجل له قتال المشركين فأنزل الله دأقنلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم و أقعدوا لهم كل مرصد، دو اقتلوهم حيث ثقتصوهم، فقتلهم الله على يدي رسول الله ﷺ وأحبائه و جعل له ثواب صبره مع ما ادخر له في الآخرة ، فمن صبر و احتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر [الله] له عينه في أعدائه ، مع ما يدخر له في الآخرة .

٤- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن علي بن الحكم ، عن أبي محمد عبدالله السراج ، رفعه إلى علي بن الحسين (عليه السلام) قال : الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، ولا إيمان لمن لا صبر له .

٥- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن ربعي بن عبدالله ، عن فضيل بن يسار ، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال : الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فإذا ذهب الرأس ذهب الجسد ، كذلك إذا ذهب الصبر ذهب الايمان .

٦- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن علي بن

قيل هو القصور والعمارات و يحتمل الاعم (و ما كانوا يعرشون) قيل هو ما كانوا يرسمون من البنيان كصرح هامان أو ما كانوا يعرشون من الجنات و يحتمل الاعم ، يقال عرش يعرش أى بنى بناء من خشب (و احصروهم) من الدخول في المسجد الحرام أو الاعم منه ومن السير في البلدان (واقعدوا لهم كل مرصد) أى كل ممر و طريق لئلا ينسلوا في البلاد نصبه على الظرف من سد رسداً و مرصداً أرقبه ، والمرصاد الطريق والمكان يوجد فيه العدو .

(و جعل له ثواب صبره مع ما ادخر له في الآخرة) أى جعل له ثواب صبره في الدنيا بنصره و قتل عدوه وفي الآخرة يعزى الزلفى والكرامة و رفع الدرجات ، و هذا معنى شكره للصابرين ، و من روى النصرة مع الصبر ، وقيل : للصبر عاقبة محموده الاثر .

(فمن صبر واحتسب) أى احتسب صبره على أذى الأعداء واعتمده فيما يدخره الله و ينأب عليه ونوى به وجهه تعالى لا غيره ، والاحتساب بالعمل الاعتداد به وارتقاب الاجر من الله تعالى (لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله له عينه في أعدائه) أى يجعل الله عينه قارة باردة في قتل أعدائه و خذلانهم ، و هذا كناية عن السرور لان دمة السرور باردة (مع ما يدخره في الآخرة) من الاجر الجميل والثواب الجزيل كما قيل ذلك لرسوله صلى الله عليه وسلم .

النعمان، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الحرَّ حرٌّ على جميع أحواله، وإن نائبة نائبة صبر لها، وإن تداكت المصائب لم تكسره، وإن أسروقهرو واستبدل باليسر عسراً كما كان يوسف الصديق الأمين صلوات الله عليه لم يضر حرَّيته أن استعبد وقهر وأسر ولم تضره ظلمة الحب ووحشته وما ناله أن من الله عليه فجعل الجهاد المعاني له عبداً بعد إذ كان [له]

قوله (قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام) يقول أن الحرَّ حرٌّ على جميع أحواله (الحر تقيض العبد والمراد به هنا من تجي عن رقي الشهوات النفسانية واللذات الجسمانية و عن سلاسل الزهرات البدنانية و توجهت نفسه القدسية الى مشاهدة الأنوار الإلهية والأسرار الربوبية وهم الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم الآية. وينحملون في نيران الصبر على فقدان المألوف والمرغوب ويسبرون على أذى القوم وعدم وجدان المطلوب، وحالاتهم متفاوتة و يعود حال أعلاهم الى أن لو صار البحر مذاً والأشجار أقلاماً وعاش الخلائق مخلدين يكتبون أشواقهم الى يوم التناد لا يستطيعون احصاء ما بهم من الأشواق المبرحة في قوادهم ومن ثم قيل: من صبر صبر الأحرار نال من غيب الجبار ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وقال الله سبحانه وأما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب. (ان نائبة نائبة) نابه أمر ينوبه نوبة أسايه والنائبة النازلة والجمع نواب (صبر لها) لتوجه قلبه اللطيف الى جمال الله تعالى و جلاله ولا يخطر غير الحق بباله فضلاً عن أن يكون مخالفاً لطبيعته ولو خطر وقتاً ما وذاق مرارته تحمل طلباً لرضاء.

(و ان تداكت) ذلك الدق و في التفاعل مبالغة في العدة والصولة (و استبدل باليسر يسراً) الظاهر أنه عطف على قهر ولا يتم الابتكاف لان ظاهره أن اليسر مدفوع و اليسر مأخوذ فلا يناسب الوصل و يمكن أن يكون عطفاً على قوله: و ان تداكت، فيكون غاية للصبر وإشارة الى ما يترتب عليه. وفي بعض النسخ وواستبدل باليسر عسراً وهو واضح (لم يضر حرَّيته أن استعبد وقهر وأسر) يعنى هذه الصفات الشاقة الكربة على النفوس البشرية لم تدفع حرَّيته أى توجه قلبه الى الله و صبره في الله على تحمل ثقلها. (ولم تضره ظلمة الحب و وحشته وما ناله أن من الله عليه) الظاهر أن قوله و ما ناله عطف على ظلمة الحب و لعل المراد به نوائب الزمان وجور الاخوان وأن قوله وان من الله عليه، يقتدر اللزم أى لان من الله عليه فيكون تمليلاً لقوله لم يضر في الموضعين وانما قلنا الظاهر ذلك لاحتمال أن يكون مبتدأ وخبراً، والمحملة عطف على لم يضر أو يكون قوله وما ناله عطفاً عليه وما بعده بياناً لما يتدبر من أو يكون الواو بمعنى مع و

مالكاً، فأرسله ورحمه به أمة، وكذلك الصبر يعقب خيراً، فاصبروا ووطنوا أنفسكم على الصبر توجروا.

٧- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن عبد الله ابن بكير، عن حمزة بن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الجنة مخوفة بالمكارة والصبر، فمن صبر على المكارة في الدنيا دخل الجنة، وجهنم مخوفة بالذنات والشهوات فمن أعطى نفسه لذاتها وشهواتها دخل النار.

٨- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن مرحوم، عن أبي سيار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا دخل المؤمن في قبره، كانت الصلاة عن يمينه

فاعمل قال حينئذ يوسف ع، والعاني من العتو وهو النجس والتكبر والتجاوز عن الحد والمراد بإرساله إرساله إلى الخلق نبياً ورحم الأمة به نجاتهم عن العقوبة الأبدية بإيمانهم به أو عن القحط والجوع لحفظه ما ذكره السفة القحط وادخاره لهم والله أعلم.

(وكذلك الصبر يعقب خيراً) أي كما أن صبر يوسف ع، أعقب خيراً عظيماً له كذلك صبر كل أحد يعقب خيراً له ومن ثم قيل اصبر تطفر وقيل

اني رأيت وللأيام تجربة للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في امر يطالبه فاستمع للصبر الاغاز بالظفر

(فاصبروا ووطنوا أنفسكم على الصبر توجروا) توطئ النفس على الصبر كناية عن لزومه فإن لزومه توجب الاجر الثام في الآخرة ودفع المكروهات وعتساب الخيرات في الدنيا.

قوله (قال الجنة مخوفة بالمكارة والصبر - الخ) الحديث متفق عليه بين الخاصة والعامة روى مسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ص، دخلت الجنة بالمكارة وخرجت النار بالشهوات وهذا من بدیع الكلام وجوامع ومن التمثيل الحسن وأحناف الشيء جوانبه والمقصود انه لا يوصل إلى الجنة الا بشحط المكارة والصبر عليها ولا يوصل إلى جهنم الا بنشيط الشهوات والمرور عليها والاطمئنان بها ويدخل في المكارة البعد في العبادة والصبر على مشاقها وكظم الغيظ والصبر على الشهوات ويدخل في الشهوات جميع المحرمات كالزنا وشرب الخمر والفجاءة وأما المباحات فلا يدخل فيها ولكن يكره الاكثار منها لانها قد تنسى القلب ونجر إلى الرغبة في الدنيا بل قد تنجر إلى المحرمات.

قوله (إذا دخل المؤمن في قبره كانت الصلاة عن يمينه - الخ) دل ظاهره على تجسم

والزكاة عن يساره والبرء مظل عليه و ينحني الصبر ناحية، فإذا دخل عليه الملكان اللذان يليان مسأله قال الصبر للصلاة والزكاة والبرء: دونكم صاحبكم، فإن عجزتم عنه فأنا دونه.

٩- علي^١ عن أبيه، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون، عن أبي عبد الله^{عليه السلام} قال دخل أمير المؤمنين صلوات الله عليه المسجد، فإذا هو برجل على باب المسجد، كئيب حزين، فقال له أمير المؤمنين^{عليه السلام}: مالك؟ قال: يا أمير المؤمنين أصبت بأبي [وأُمِّي] وأخِي وأخشي أن أكون قد وُجِلْتُ، فقال له أمير المؤمنين^{عليه السلام}: عليك بتقوى الله والصبر تقدم عليه غداً، والصبر في الأمور بمنزلة الرأس من الجسد

الاعمال و الاخلاق و الروايات الدالة عليه و على تجسم الاعتقادات أيضاً كثيرة فلا ينبغي انكاره و حمله على التمثيل (١) و لسان الحال وان أمكن .

(فان عجزتم عنه فأنا دونه) فالصبر كصاحبه ساير و كل شيء من الحسن حسن .

قوله (و أخشى أن أكون) قد وُجِلْتُ الخشية العوف والوجل النزع و خلاف

الصبر (عليك بتقوى الله والصبر) أمره بالصبر عند المصيبة والاجتناب عن الشكاية وغيرها مما يوجب نقص الايمان أو زواله وهما من أعظم الخصال ولذلك جمعهما الله تعالى في قوله و أن تصبروا و تتقوا فان ذلك من عزم الامور .

(١) قوله « فلا ينبغي انكاره و حمله على التمثيل » يعني انكار أصل ورود الخبر لان

الروايات الدالة عليه فوق حد الاحصاء و لعله منواتر معنى . و أما حمله على التمثيل و لسان

الحال فعجاز بعيد لا يذهب اليه بغير قرينة ولو بنينا على التأويل لهدم أكثر الأصول والعجب

ان المجلسي الثاني - رحمه الله - انكر تجسم الاعمال مطلقاً في بعض كتبه مثل حق اليقين ولكن والده

- رحمه الله - في شرح من لا يحضره الفقيه أثبت حقيقته ولا استبعاد في أن يكون لكل مهبة في كل عالم

سورة كالعلم في سورة اللين على ما ثبت في موضعه، فان قيل ألا تحمل قوله تعالى « ان الصلوة

تنهى عن الفحشاء والمنكر » على التمثيل لان الصلاة لا تتكلم الا بلسان الحال وقوله « ان من

الحجارة لما ينفجر منه الانهار » ان منها لما يشقق فيخرج منها الماء وان منها لما يعيط من

خشية الله » و قوله « يتفيرا خلالا عن اليمين والشمائل سجداً لله » كذلك تحملها على التمثيل

لان الحجارة لا تتأثر بالوعظ وظل الاشياء لا يسجد الا ان حالتهما تشبه السجدة والتأثر قلنا

بينهما فرق لان الايات بيان حال الاجسام في هذا العالم المحسوس واما تجسم الاعمال ففي عالم

آخر واختلاف الصور في العوالم المختلفة غير بعيد نم يتوقف ذلك على اثبات تجرد الخيال

وهي حافظة الحس المشترك للنفس وبثاتها بعد فساد البدن ولعلنا نبين ذلك ان شاء الله تعالى (ن)

فإذا فارق الرأس الجسد فسد الجسد وإذا فارق الصبر الأمور فسدت الأمور.
 ١٠. محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن سماعة
 ابن مهران، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال لي: ما حبسك عن الحج؟ قال قلت:
 جعلت فداك وقع علي دين كثير وذهب مالي، و ديني الذي قد لزمني هو أعظم من
 ذهب مالي، فلولا أن رجلاً من أصحابنا أخرجني ما قدرت أن أخرج، فقال لي:
 إن تصبر تغلب و إلا تصبر ينفذ الله مقاديره، راضياً كنت أم كارهاً.

١١. محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن سنان، عن أبي الجارود، عن
 الأصمعي قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: الصبر صبران: صبر عند المصيبة،

(تقدم عليه غداً) بعد الموت والقيامة (والصبر في الأمور بمنزلة الرأس من الجسد)
 المراد بالأمور الأمور المطلوبة شرعاً سواء كانت أفعالا أو نروكا أو عقايد أو أخلاقاً و لو
 فارقها الصبر لفسدت بفلبة الشيطان على العقل اذ لو لم يكن للعقل صبر في محاربه لا نهزم
 في أول صولته و اذا انهزم فسدت تلك الأمور كلها.

قوله (ان تصبر تغلب و ان لا تصبر ينفذ الله مقاديره راضياً كنت أم كارهاً) الاغتياب
 مطاوع غبط تقول غبطته ما قال اغبطه غبطاً و غبطة فاغبط هو كقولك منته فامتنع و الغبطة
 ان تمنى حال المدهبوط لكونها في غاية الحسن والكمال من غير أن تريد زوالها عنه وليس
 بحسد و حال الصابر في غاية الكمال كما نقل عن بعض الاكابر قال ويقول الله تعالى ولو أن
 ابن آدم قصدني في أول المصائب لرأي مني العجايب ولو انقطع الى في أول الذنائب
 لشاهد مني النرائب و لكنه انصرف الى أشكاله فرد في أشدائه، ثم الغبطة اما في الآخرة
 بجزيل الاجر أو في الدنيا بتبديل الضراء بالسراء و ذلك لان شدة المصائب وتداخل بعضها
 في بعض دليل على قرب الفرج كما قال أمير المؤمنين «ع» وأخيق ما يكون الحرج أقرب
 ما يكون الفرج، ثم ان الله تعالى ينفذ مقاديره على نحو ما أراد فان كنت راضياً صابراً
 كان لك أجر الراسي الشاكر، و ان كنت كارهاً ازدادت مصيبتك فان غوات الاجر مصيبة
 أخرى والكراهة الموجبة لحزن القلب و تألمه مصيبة عظيمة و من ثم قيل المصيبة للصابر
 واحدة و للجازع اثنتان. أقول بل له مصيبتان أربع الثلاثة المذكورة و شائعة الاعداء،
 و من ثم قيل الصبر عند المصيبة مصيبة على الشامت.

قوله (قال أمير المؤمنين «ع» الصبر صبران صبر عند المصيبة حسن جميل وأحسن
 من ذلك الصبر عند ما حرم الله عز وجل عليك) سواء كان فعل القلب كالعجب والتكبر و

حسن جميل ، وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرّم الله عز وجل عليك ، والذي ذكر ذكران : ذكر الله عز وجل عند المصيبة وأفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرّم عليك ، فيكون حاجزاً .

١٢- أبو علي الأشعري ، عن الحسن بن علي الكوفي ، عن العباس بن عامر ، عن العزمي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : سيأتي على الناس زمان لا ينال الملك فيه إلا بالقنل والتجبر ولا الفنى إلا بالنصب والبخل ولا المحبة إلا باستخراج الدين واتباع الهوى ، فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الفنى وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز آتاه الله ثواب خمسين صدقاً ممن صدق بي .

١٣- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبد الله ، عن إسماعيل بن مهران ، عن درست بن أبي منصور ، عن عيسى بن بشير ، عن أبي حمزة قال : قال أبو جعفر عليه السلام : لما حضرت أبي علي بن الحسين عليه السلام الوفاة ضممني إلى صدره وقال : يا بني أوصيك

غيرهما من الاخلاق الذميمة أو فعل الجوارح كالزنا والعيبه وأمثالهما والصبر باعتبار المتعلق أقسام متعددة متفاوتة ، منها الصبر على الفقر بأن يربط نفسه على رضا تعالى و يرضى به ولا يقول ما يخطئه ، ومنها الصبر على الفنى بأن يصبر على أداء الحقوق المالية و يترك البطر والفرح على انفاق الأرواح والأولاد والخدم من غير اقتار ولا اسراف ، و منها الصبر على ما يأتي به باختياره من فعل الطاعات و ترك المنهيات بأن يذكر الله تعالى عند كل أمر و نهى فيأتي بما فيه رضا . و منها الصبر على ما يرد عليه من غير اختياره أصلاً كالمصائب والنوائب الفارئة عليه من قبله تعالى بأن يحبس نفسه عليه من غير اضطراب ولا شكاية و منها الصبر على ما يرد عليه من غير اختياره وله اختيار في الاتيان بسئله مثل ضرب الغير و ظلمه عليه فإن الأولى أن يصبر أو يعفو عنه ولا يعامله به مثله كما قال تعالى مخاطباً للنبي

«س» و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجرًا جميلاً .

قوله (ولا الفنى الا بالنصب والبخل) كان ذكر النصب على سبيل التمثيل أو اريد به الاكتساب من غير حل فيحمل الطرق الغير المشروعة كلها و في ذكر البخل منه اشارة الى ان أكثر الفنى محفوف بالرد يلتنى الجلب بالنصب و نحوه والحفظ بالبخل .

(و صبر على الذل و هو يقدر على العز) ينال الملك بسبب القنل و التجبر فهو ناظر الى قوله لا ينال الملك .

بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة و بما ذكر أن أباه أوصاه به يا بني "إصبر على الحق وإن كان مرًا".

١٤- عنه عن أبيه [عن يونس بن عبد الرحمن] رفعه ، عن أبي جعفر عليه السلام

قال : الصبر صبران صبر على البلاء ، حسن جميل ، وأفضل الصبرين الورع عن المحارم .

١٥- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى قال : أخبرني يحيى بن سليم

الطائفي قال : أخبرني عمرو بن شمر اليماني ، يرفع الحديث إلى علي عليه السلام قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وآله : الصبر ثلاثة صبر عند المصيبة و صبر على الطاعة و صبر عن المعصية ،

فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين

الدَّرَجَةِ إلى الدَّرَجَةِ كما بين السماء إلى الأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله

له ستمائة درجة ما بين الدَّرَجَةِ إلى الدَّرَجَةِ كما بين تخوم الأرض إلى العرش ، ومن صبر عن

المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدَّرَجَةِ إلى الدَّرَجَةِ كما بين تخوم الأرض

إلى منتهى العرش .

قوله (اصبر على الحق وإن كان مرًا) وقد اشتهر أن الحق مر لكونه ممسا

بسنكرهه الطبع و يتقل عليه كالشيء المر ، و سر ذلك أن الحق وكل ما هو من أعمال الجنة

شاق على النفوس و مرة في مذاقها لما فيها من مخالفة أهوائها و كسر أغراضها و منع لذاتها

و من ثم روى أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفس ، و اشتهر تجرع مرارة الدنيا لحلاوة

الآخرة بخلاف أعمال النار فانها سهلة على النفوس غير شاق عليها لموافقة أهوائها و بلوغ

مراداتها ولذاتها من التمتع بأسباب الدنيا و استعمال الدعة والرفاهية .

قوله (الصبر صبران صبر على البلاء حسن جميل وأفضل الصبرين الورع عن المحارم)

كان الصبر على الطاعة داخل في الصبر على البلاء لأن الطاعات ابتلاء و يمكن إدراجها في

الورع عن المحارم لأن ترك الطاعة حرام في الجملة والمزاد بالصبر على البلاء ترك الشكاي

إلى الناس ورفض الجزع و ضرب اليد على الفخذ وأمثال ذلك .

قوله (كما بين السماء إلى الأرض) التشبيه لبيان المقدار في نفس الأمر أو لمجرد

إظهار الملو والرفعة (كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش) التخوم جمع النخم كالفلوس

جمع فلس وهو منتهى الأرض و في المصباح ، قال ابن الأعرابي : الواحد تخوم والجمع نخم

مثل رسول و رسل ، ولعل المراد بالعرش الفلك الأعظم ،

١٦- عنه، عن علي بن الحكم، عن يونس بن يعقوب قال: أمرني أبو عبد الله عليه السلام أن آتي المفضل وأعزيه بإسماعيل وقال: اقرأ المفضل السلام وقل له: إننا قد أصبنا بإسماعيل فصبرنا، فاصبر كما صبرنا، إننا أردنا أمراً أو أراد الله عز وجل أمراً، فسلمنا لأمر الله عز وجل.

١٧- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سيف بن عميرة، عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد.

١٨- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل أنعم على قوم، فلم يشكروا، فصارت عليهم وبالاً، وابتلى قوماً بالمصائب فصبروا، فصارت عليهم نعمة.

١٩- علي بن إبراهيم، عن أبيه، و محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبيان بن أبي مسافر، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا» قال: اصبروا على المصائب.

و في رواية ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صابروا على المصائب.

٢٠- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن محمد بن عيسى، عن

قوله (قال أمرني أبو عبد الله عليه السلام) أن آتي المفضل وأعزيه بإسماعيل) قيل الحاصل أن إسماعيل بن أبي عبد الله عليه السلام مات والمفضل كان يحبه كثيراً و يقر بأمانته بعد أبيه فأرسله يونس بن يعقوب إليه بأن يصبره ويعزيه على موته كما أنه «ع» صبر على موته فيندفع اعتقاده ويعتقد بأمانته ابنه موسى «ع».

قوله (من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد) البلاء مطلق و كأنه اراد به الفرد العظيم بقرينة عظمة الاجر مع احتمال حمله على الاخلاق.

قوله (يا أيها الذين آمنوا اصبروا و صابروا) قد مر تفسيره في باب أداء الفرائض حيث قال «اصبروا على الفرائض و صابروا على المصائب و رابطوا على الائمة عليهم السلام» والكل صحيح.

علي بن محمد بن أبي جيلة، عن جده أبي جيلة، عن بعض أصحابه قال: لولا أن الصبر خلق قبل البلاء لتفطر المؤمن كما تفطر البيضة على الصفا.

٢١- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن إسحاق بن عمار وعبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: إني جعلت الدنيا بين عبادي قرضاً، فمن أقرضني منها قرصاً أعطيت به بكل واحد عشرة إلى سبعمائة ضعف وما شئت من ذلك، ومن لم يقرضني منها قرصاً فأخذت منه شيئاً قسراً [فصبر] أعطيت ثلاث خصال لو أعطيت واحدة منهم ما لكنتي لرضاها مني. قال: ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام قول الله عز وجل: «الذين إذا أصابتهم مصيبة قانوا إن شاء الله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم (فهذه واحدة من ثلاث خصال) ورحمة (اثنتان) وأولئك هم المهتدون» ثلاث، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: هذا لمن أخذ الله منه شيئاً قسراً.

٢٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعلي بن محمد القاساني، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود، عن يحيى بن آدم، عن شريك، عن جابر بن يزيد، عن أبي -

قوله (لولا أن الصبر خلق قبل البلاء لتفطر المؤمن كما تفطر البيضة على الصفا) التفطر التثقق من النطر وهو الشق ومن لطف الله على المؤمن نزول البلاء عليه حين اتصافه بالصبر ليثاب بالنواب الجزيل والاجر الجليل ولونزل عليه وهو عار عن الصبر لا تكسر وفسد وفيه ايماء الى أن المؤمن هو الصابر وغير الصابر ليس بمؤمن لان الصبر رأس الايمان. فاذا ذهب الصبر ذهب الايمان ويتحقق الصبر بمنع النفس عن الجزع عند ورود المكروه . ومنع الباطن من الاضطراب ومنع اللسان من الشكاية ومنع الجوارح عن الحركات الغير المبنية ولو تحقق مع هذه الامور الثلاثة بالمكروه لكونه تحفة من الحبيب كان أفضل أفراداً و اكملها في الجزاء ويمكن جعل قوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبسر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا ان الله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون» على هذه المرتبة الشريفة لانه أقرب الى استرجاع انه ملك له تعالى ونشأ منه وانه يهلك ويموت اليه . فالظاهر أنه رضى بنصراته في نفسه أشد رضاه والتذاً أكمل التذاً وجعل الرحمة خصلة ثانية، وعطفها على الصلوات يدلان على أنها غير الصلوة مع أن المشهود أن صلواته تعالى عبارة عن الرحمة ويمكن حملها على نوعين من جنس الرحمة، والله أعلم.

جعفر عليه السلام قال: مروءة الصبر في حال الحاجة و الفاقة و التعفف و الفنى أكثر من مروءة الإعطاء.

٢٣- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شعبر، عن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: يرحمك الله ما الصبر الجميل؟ قال: ذلك صبر ليس فيه شكوى إلى الناس.

٢٤- حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن بعض أصحابه، عن أبيان، عن عبد الرحمن بن سيابة، عن أبي النعمان، عن أبي عبد الله أو أبي جعفر عليه السلام قال: من لا يعدد الصبر لنوائب الدهر يعجز.

قوله (مروءة الصبر في حال الحاجة و الفاقة و التعفف و الفنى أكثر من مروءة الإعطاء) المروءة كمال الرجولية و الفاقة الحاجة و التعفف ترك السؤال عن الناس، والمراد بالفنى الفنى عنهم، و في بعض النسخ و مرادة بدل مروءة في الموضعين، و نقل عن بعض الأفاضل أنه حك نقطة الفنى و هو المضبوط في جميع النسخ و جعله العناء بالمعنى المهمة، و إنما كانت مروءة الصبر أو مرادته في الحالات المذكورة أكثر و أزيد من مروءة الإعطاء أو مرادته لأنها على النفس أبقى و أيضاً فيها انتظار الفرج منه تعالى، و فيه وجوه من المبادئ الأولى عبودية الرب بالأعراض عن الدنيا و زهواتها، الثاني صدق التوحيد حيث يرى أنه لا يفرج ما به من ضرر الأهل، الثالث تعلق أمله به لا بغيره. فانزل كشف ضرر اله لا إلى غيره، الرابع عدم الشكاية منه إلى أحد، و بالمهمة أشرف الطاعات أن يوجه القلب عمومته إلى مولاه و لا يتعلق بأحد سواء لعلمه بأنه لا يقدر على العطاء و المنع و الضرر و النفع إلا هو.

قوله (ذلك صبر ليس فيه شكوى إلى الناس) ظاهره عموم الناس و هو الأولى و الأفضل، ويمكن أن يراد بهم أعداء الله تعالى لأن الشكاية إلى المؤمن جائز كما دل عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام : ومن شكى الحاجة إلى المؤمن فكانما شكاه إلى الله و من شكاه إلى كافر فكانما شكى الله، وذلك لأن المؤمن حزب الله فالشكاية إليه شكاية إلى الله و الكافر عدو الله فالشكاية إليه شكاية عن الله و الأول محمود والثاني مذموم عقلاً و نقلاً.

قوله (من لا يعدد الصبر لنوائب الدهر يعجز) لأن النامية ذاء بدني و مرض و روحاني دواؤها الصبر فمن لم يهيأ الصبر لها يعجز طبعه عن دفعها و عن حملها فيهلك بالجزع و الهم ومن ثم قيل إذا وقع الإنسان في البلية دواؤها الصبر فإن لم يصبر وجزع هلك.

٢٥- أبو علي الأشعري ، عن معلى بن محمد ، عن الوشاء ، عن بعض أصحابه ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنا صبرٌ وشيعتنا أصبر منا ، قلت : جعلت فداك كيف صار شيعتكم أصبر منكم ؟ قال : لأننا نصبر على ما نعلم وشيعتنا يصبرون على ما لا يعلمون .

(باب الشكر)

١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصائم المحتسب .

قوله (أبو علي الأشعري) الظاهر أنه أحمد بن إدريس القمي الثقة ، وفي بعض النسخ أبو عبد الله الأشعري وهو حسين بن محمد بن عمران بن أبي بكر الأشعري القمي الثقة .
قوله (إنا صبر وشيعتنا أصبر منا) صبر - بالضم والشديد - جمع صابر كطلب جميع طالب وفيه دلالة على أن الصبر على شيء لا يعلم الصابر حقيقة ما يصل إليه من تحمله أعظم من الصبر عليه مع العلم بحقيقته لا يرى أن صبر من أتى إلى الجب على ما لقيه من ظلمته ووحشته و غيرهما مع عدم علمه بما يؤول إليه حاله أعظم من صبر من أتى فيه مع علمه بسبب اخبار مخبر صادق كجبرئيل وع ، أو بديره بأنه سيجرج و يملك سلطنة العباد كيوسف الصديق وع ، وهذا مما لا ينبغي انكاره ولكن كون الثواب المترتب على ذلك الصبر أعظم محل تأمل .

قوله (الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصائم المحتسب) في المصباح طعمته أطعمه طمأ بفتح الطاء ويقع على كل ما يساغ حتى الماء وذوق الشيء ، وفي التنزيل دو من لم يطعمه فإنه مني . وعلى هذا فالطاعم يصدق على الأكل والشرب ، والاحتساب الاعتماد و فلان احتساب عمله إذا نوى به وجه الله لأن له حينئذ أن يعتد ، وفيه دلالة على أن الشكر على الأكل والشرب مثل الصوم في الأجر ، وقال المحقق الطوسي الشكر أشرف الأعمال وأفضلها ، وأعلم أن الشكر مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية وله أركان ثلاثة الأول معرفة المنعم و صفاته اللايقة به ومعرفة النعمة من حيث أنها نعمة ولاتتم تلك المعرفة إلا بان يعرف أن النعم كلها جليها وخفيها من الله تعالى و أنه المنعم الحقيقي و أن الأوساط كلها منفادون لحكمه مسخرون لامره . الثاني الحال التي هي ثمرة تلك المعرفة وهي الخضوع والتواضع والسرور بالنعم لامن حيث أنها موافقة لغرض النفس فان في ذلك متابعة لهواها و اقتصار همه في رضاها ، بل من حيث أنها هدية دالة على عناية المنعم بك وعلامة ذلك أن لا تفرح من الدنيا إلا بما يوجب القرب منه . الثالث العمل الذي هو ثمرة تلك الحال فان تلك الحال

والمعافي الشاكر له من الأجر كأجر المبتلى الصابر، والمعطي الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع.

٢- وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله ﷺ: ما فتح الله على عبد باب شكر فحزن عنه باب الزيادة.

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن جعفر بن محمد البغدادي، عن عبد الله بن إسحاق الجعفري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مكتوب في التوراة أشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكره، فأنه لازوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها

إذا حصلت في القلب حصل فيه نشاط للعمل الموجب للقرب منه، وهذا العمل يتعلق بالقلب و اللسان والجوارح أما عمل القلب فالقصد إلى تعظيمه وتحميده وتبجيله والتفكر في منامه وأفعاله وآثار لطفه والمزم على إيصال الخير والاحسان إلى كافة خلقه، وأما عمل اللسان فإظهار ذلك المنصور بالتحنيد والتعجيد والتسبيح والتلهيل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك، وأما عمل الجوارح فاستعمال نعمه الطاهرة والباطنة في طاعته وعبادته والثوقي من الاستماعة بها في معصيته ومخالفتها كاستعمال العين في مطالعة مصنوعاته ومشاهدة كتابه وعلاماته واستعمال الأذن في سماع براهينه وآياته وقس عليهما سائر الجوارح ومن ههنا ظهر أن الشكر من أشرف مدارج المالكين وأعلى مدارج العارفين ولا يبلغ إليها إلا من نزه الدنيا وراء ظهره وهم قليلون ولذلك قال الله سبحانه وقليل من عبادي الشكور.

(والمعافي الشاكر له - الخ) المعافي اسم المفعول من عافاه الله إذا سلمه من الاستقام والبلابا والمعافية اسم منه وهي أيضاً مصدر على فاعلة.

(والمعطي الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع) المعطي أيضاً اسم مفعول وضمير له، راجع إلى الإعطاء سواء كان من الله تعالى أو من غيره والقانع من القناعة وهي الرضا بما آتاه الله تعالى لا من الغنوع وهو السؤال قال في المصباح قنع يقنع قنوعاً سأل في التنزيل وواظموا القانع والمقرء والقانع السائل الذي يطلب ولا يسأل. وقنعته قنوعاً من باب تعب وقناعة رضيت به.

قوله (ما فتح الله على عبد باب شكر فحزن عنه باب الزيادة) مثله في نهج البلاغة وما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر و يخلق عليه باب الزيادة، ودل عليه أيضاً الآية الكريمة وولكن شكرتم لازيدنكم، وقال بعض الأكابر من شكر القليل استحق الجزيل.

قوله (اشكر من أنعم عليك) أما المقابلة بالمثل أو الثناء باللسان أو غير ذلك من أنواع التعظيم قال بعض الأكابر أن قصرت يدك عن المكافأة فليطلل لسانك بالشكر.

إذا كفرت، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير.

٤- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن محمد بن علي، عن علي بن أسباط، عن يعقوب بن سالم، عن رجل، عن [أبي جعفر أو] أبي عبدالله عليه السلام قال: المعافي الشاكر له من الأجر ما للمبتلى الصابر، والمعطي الشاكر له من الأجر كالمحروم القانع.

٥- عنه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن داود بن الحصين، عن فضل بن البقباق قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل: "وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ" قال: الذي أنعم عليك بما فضلك وأعطاك وأحسن إليك! ثم قال: فحدث بدينه وما أعطاه

(فانه لا زوال للنعماء إذا شكرت) بالإعطاء أو الاعتراف بها و معرفة قدرها أو المدح والثناء للنعم أو الإتيان بالأفعال والامتناع من الأعمال الموافقة لأوامره و نواهيها و من ثم قال صاحب بن عباد: الشكر قيد النعمة ومفتاح الزيادة.

(ولا بقاء لها إذا كفرت) بانتكارها أو استحقاقها أو بترك الأمور المذكورة، يدل على ذلك قوله تعالى: "وَلَوْ أَنَّ كُفِرْتُمْ أَنْ هَذَا مِنْ شِئْنِهِ" و زوال النعمة منه.

(الشكر زيادة في النعم) لأن الشكر مع كونه نعمة أخرى سبب لتواتر النعم على الشاكر، و من ثم قال أمير المؤمنين (ع)، وإذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر. (و أمان من الغير) أي من تبديل النعمة بالنقمة و تدميرها، وفي طرق العامة ومن يكفر بالله يلقي الغير، و هو بكسر الهمزة والميم المدحمة و فتح الباء اسم من غير الشيء مفتقر أي يلقي تدبير الحال و انتقالها عن الصلاح إلى الفساد و غير الدهر أحداثه المديدة و هذا لفظه خبر ومعناه نهى عن ارتكاب ما يزيل النعمة و يضادها من كفر أنها و مقابلتها بدائر المعاصي الموجبة لتبديل النعمة وانكسار الحال.

قوله (قال الذي أنعم عليك بما فضلك) الظاهر أنه تفسير للنعمة للإشارة بأن المراد بها جميع ما أنعم الله على عبده من الدين والعلم والمال وغيرها والتحدث بها و الثناء شكر والمظهر لها شاكر كما أنه تعالى شاكر باعتبار أنه يظهر ما أودعه العبد من العبادة والأعمال الصالحة على الصلابة وخلص خلقه. والتحدث بها مع كونه عبادة مطلوبة قد يورث اقتداء الغير به وإذاعة الشكر بين الخلق، وهذا إنما هو مع الأمن و أمان مع الخوف فالاعتصام على الشكر القلبي متعين.

(ثم قال فحدث بدينه وما أعطاه الله وما أنعم به عليه) الظاهر أن فاعل حدث رسول الله (ص)، يعني أنه حدث الناس بآثار الرسالة من الأحكام الدينية والأخلاق النفسية وغير ذلك مما

الله و ما أنعم به عليه .

٦- حميد بن زياد ، عن الحسن بن محمد بن سماعة ، عن وهيب بن حفص ، عن أبي بصير ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان رسول الله ﷺ عند عائشة ليلى ، فقالت : يا رسول الله لم تنعبد نفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً ، قال : و كان رسول الله ﷺ يقوم على أطراف أصابع رجله فأنزل الله سبحانه وتعالى قطعه . ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى .

٧- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن حسن بن جهم ، عن أبي اليقظان ، عن عبيد الله بن الوليد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يعطاه الله من نعم الدنيا والآخرة .

قوله (قال كان رسول الله ﷺ) عند عائشة ليلى فقالت يا رسول الله لم تنعبد نفسك (كان عائشة) توهمت أن ارتكاب الاثم إنما يكون لدفع المولى وطلب المغفرة من الذنوب فأجابها ﷺ بقوله يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً) يعني أن ارتكاب الاعمال الشاقة لا يتعين أن يكون لذلك بل قد يكون من باب الشكر في مقابلة النعمة الغير المحصورة والاعتراف بالاحسان واستحقاق التنظيم وإبرام العتيد وطلب المزيد وطلب الخيرات ورفع الدرجات واستحلال المبادات فإن ما يجد قائم الليل من اللذة في العبادة لا يوازنه بالدنيا وما فيها ، وقال بعض أهل المرقاة أنا في لذة لو علمها الملوك لجادلونا عليها بالسيف ، و كأنه وجه ما يحكى عن كثير من السلف من الجهد والاكتثار في العمل مع أن ظاهر كثير من الاخبار أن الراجح هو المتوسط .

قوله (وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) إشارة الى قوله تعالى وانا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، توجيهه على ما استفدناه من كلام أبي الحسن الرضا عليه السلام وكلام الشيخ في الاربعة أنه ﷺ كان أعظم ذنباً من كل أحد عند مشركي مكة باعتبار أنه كان يدعوهم الى الله واحدهم كانوا يهودون من دون الله ثلثمائة وستين سنة وكانوا يقولون ان مكنه الله من بيته وحكمه من حرمه بينا انه نبي حق فلما فتح الله له مكة دخلوا في دين الله أفواجاً وأذعنوا بقبوله وتركوا عبادة الاصنام فنزلت الآية ومنها ما انا فتحنا لك مكة ليفر لك الله ما تقدم من ذنبك قبل الهجرة وما تأخر بعدها الى أو ان الفتح بزعم مشركي مكة ، وهذا الجواب بالنظر الى الآية أحسن مما قيل من أن المراد ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء وما تأخر من ذنب أمك أو ما تقدم من ذنب أمك وما تأخر منه أيضاً لانه لا يصح تعليل الفتح بفران الذنب لا بتكليف بعد كان يقال لما كان الفتح منغماً لجهاد صريح بهذا الاعتبار جعله سبباً لفران الذنب المتقدم والمتأخر ، ولا يخفى بعده ، و أما الجواب

يقول : ثلاث لا يضر معهن شيء : الدعاء عند الكرب و الاستغفار عند الذنب و الشكر عند النعمة .

٨ - عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن يحيى بن المبارك ، عن عبد الله بن جبلة ، عن معاوية بن وهب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من أعطى الشكر أعطى الزيادة ، يقول الله عز وجل : «لئن شكرتم لأزيدنكم» .

٩ - أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان ، عن إسحاق بن عمار ، عن رجلين من أصحابنا ، سمعا ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه و حمد الله ظاهراً بلسانه فتم كلامه حتى يأمر له بالمزيد .

١٠ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن بعض أصحابنا ، عن محمد بن هشام ، عن ميسر ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : شكر النعمة اجتناب المحارم و تمام الشكر قول الرجل : الحمد لله رب العالمين .

١١ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن علي بن عيسى ، عن عمر بن يزيد قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : شكر كل نعمة وإن عظمت أن تحمد الله عز وجل عليها .

المذكور فاستقامة التعليل مما لا ريب فيه (له ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أى لتتعب ، والشقاء شائع بمعنى التعب والشدة والعسر .

قوله (ثلاث لا يضر معهن شيء الدعاء عند الكرب) لان الدعاء يدفع الكرب و يوجب زواله و الاستغفار يوجب محو الذنوب و السيئات و تبدلها بالحسنات . و الشكر على النعم يوجب عدم الاستدراج بها و عدم زوالها و تبدلها بالنعم بخلاف كفرانها و مقابلتها بالمعاصي فانه يوجب زوالها و النعمة تقع على ما يتمتع به في الدنيا و على العلم و العمل و الاخلاص و المجاهدات النفسانية و كسر القوة الشهوية و الفسادية و غيرها .

قوله (فعرفها بقلبه و حمد الله ظاهراً بلسانه) أى تصورها و صدق بأنها من الله و فيه اضمحاض الزيادة و فوريتها تقترب على الشكر القلبي و اللساني معاً .

قوله (قال شكر النعمة اجتناب المحارم و تمام الشكر الخ) دل على أن اجتناب المحارم شكر لنعمائه تعالى و أن الحمد لله رب العالمين فرد كامل من الشكر لانه شكره على جميع

١٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران عن سيف بن عميرة، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: هل للشكر حد؟ إذا فعله العبد كان شاكرًا؟ قال: نعم قلت: ما هو؟ قال: يحمد الله على كل نعمة عليه في أهل ومال وإن كان فيما أنعم عليه في ماله حق أداء، ومنه قوله جل وعز: "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين" و منه قوله تعالى: "رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين" و قوله: "رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً".

١٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن معمر بن خلاد قال: سمعت أبا الحسن صلوات الله عليه يقول: من حمد الله على النعمة فقد شكره و كان الحمد أفضل [من] تلك النعمة.

١٤- محمد بن يحيى، عن أحمد، عن علي بن الحكم، عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت، فقال: الحمد لله إلا أدنى شكرها.

١٥- أبو علي الأشعري، عن عيسى بن أيوب، عن علي بن مهزيار، عن القاسم بن

كمالاته الذاتية والفعلية مثل التربية والاحسان والانعام وغيرها.

قوله (يحمد الله على كل نعمة عليه في أهل و مال) يحتل الاجمال والتفصيل وقوله (في ماله) يدل عن قوله وفيما أنعم الله عليه وهو يدل على أن أداء الواجبات المالية شكر لنعمة المال (ومنه) أي من الشكر.

(قوله تعالى وسبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) أي مطيعين يقال أقرنت الشيء أقراناً أطلقته وقويت عليه ويقال هذا عند الاستواء على الدابة (و قوله رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) أي أدخلني في القبر أو في مكان أو أمر أو الأهم ادخالا مرضياً و أخرجني منه عند البعث أو الأهم منه و مما ذكر اخراجاً مقروناً بالكرامة. (و اجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) أي حجة تنصرتني على مخالفتي أو ملكاً ينصر الاسلام على الكفر. قوله (و كان الحمد أفضل من تلك النعمة) لعل المراد أن الحمد نعمة أفضل من تلك النعمة. فقيه تنبيه على أن العبد لا يقدر على شكر النعمة حق الشكر، أو المراد أن الحمد باعتبار أنه يوجب القرب منه تعالى و الوصول الى محل كرامته أفضل من تلك النعمة لنفسان أثرها بالنسبة الى أثر الحمد.

عنه، عن إسماعيل بن أبي الحسن، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه، فقد أدى شكرها.

١٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الرجل منكم ليشرب الشربة من الماء فيوجب الله له بها الجنة، ثم قال: إنه ليأخذ الإناء فيضعه على فيه فيسقي ثم يشرب فينحبه وهو يشتهي فيحمد الله، ثم يعود فيشرب، ثم ينحبه فيحمد الله، ثم يعود فيشرب، ثم ينحبه فيحمد الله، فيوجب الله عز وجل بها له الجنة.

١٧- ابن أبي عمير، عن الحسن بن عطية، عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني سألت الله عز وجل أن يرزقني مالا فرزقني وإني سألت الله أن يرزقني ولداً فرزقني ولداً، وسألته أن يرزقني داراً فرزقني، وقد خفت أن يكون ذلك استدراجاً، فقال: أما والله - مع الحمد فلا.

١٨- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن حماد بن عثمان قال خرج أبو عبد الله عليه السلام من المسجد، وقد ضاعت دابته، فقال: لئن ردها الله علي لأشكرن الله حق شكره، قال: فما لبث أن أتى بها، فقال: الحمد لله، فقال له قائل:

قوله (من أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه فقد أدى شكرها) المراد بمعرفتها معرفتها مضافة إلى المنعم ومن عرفها كذلك وإن كانت صغيرة وعرف قدرها فقد أدى شكرها، هذا شكر قلبي وهو فرد من الشكر، وقبل نظر العبد إلى من دونه لا إلى من فوفه شكر لما أنعم الله عليه وبالعكس كفران، وذلك لأن الإنسان إذا نظر إلى من دونه عرف قدر نعمته عليه وهذا شكر لها مع أنه يفضي إلى الشكر أيضاً وإذا نظر إلى من فوفه طلب اللحاق به فازدري ما نعمة عليه واحترها وهو كفران.

قوله (إنه ليأخذ الإناء فيضعه على فيه فيسقي) دل على أن الشرب ينهي أن يكون ثلاث مرات وأن يكون التسمية في أول مرة والحمد بعد كل مرة وبعض الروايات دل على أن التسمية في أول كل مرة.

قوله (وقد خفت أن يكون ذلك استدراجاً) في المصباح استدرجته أخذه قليلاً قليلاً وفي المصباح استدرجه خدعه، واستدراج الله تعالى العبد أنه كلما جدد خطيئته جدد له نعمة وأنساء الاستغفار أو أن يأخذ قليلاً قليلاً ولا يبالغه.

جعلت فداك أليس قلت: لأشكرن الله حق شكره ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ألم تسمعي قلت: الحمد لله ؟

١٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن المثنى الحنطاط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ إذا ورد عليه أمرٌ يسره قال: الحمد لله على هذه النعمة، وإذا ورد عليه أمرٌ يغمم به قال: الحمد لله على كلِّ حال.

٢٠- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيوب الخزاز، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: تقول ثلاث مرَّات إذا نظرت إلى المبتلى من غير أن تُسمعه: الحمد لله الذي عافاني ممَّا ابتلاك به، ولو شاء فعل، قال: من قال ذلك

قوله (كان رسول الله ﷺ) إذا ورد عليه أمر يسره قال الحمد لله على هذه النعمة و إذا ورد عليه أمر يغمم به قال الحمد لله على كلِّ حال) أى على حال الصحة والبلية و النعمة لأن كل ذلك مصلحة ينبنى الحمد عليها وفيه مع ذلك إشارة إلى أنه لكونه كاملاً في ذاته و صفاته مستحق للحمد أحسن أولم يحسن، وإلى أن نظر الخادم ينبنى أن يكون البلاء إلى منافع نفسه فينبى الشكر على البلاء كما ينبنى الشكر على النعماء لأن كل بلاء غير الكفر والمعصية خير للمبدى قال الغزالي في كل بلاء خمسة أنواع من الشكر الأول يمكن أن يكون دافعاً أشد منه كما أن موت دابته دافع لموت نفسه، فينبى الشكر على عدم ابتلائه بالأشد، الثاني البلاء أما كفارة للذنوب أو سبب لرفع الدرجة فينبى الشكر على إزالة تلك الذنوب ورفع الدرجة، الثالث أن البلاء مصيبة دينوية فينبى الشكر على أنه ليس مصيبة دينية، وقد نقل أن عيسى دعه مر على رجل أصم مجذوم مبروس مفلوج فسمع منه يشكر ربه ويقول الحمد لله الذى عافانى من بلاء ابتلى به أكثر الخلق، فقال دعه ما بقى من بلاء لم يصيبك، قال عافانى من بلاء هو أعظم البلاء وهو الكفر فسه دعه فشفاه الله من تلك الأمراض وحسن وجهه فصاحبه وهو يعبد معه، الرابع أن البلاء كان مكتوباً فى اللوح المحفوظ وكان فى طريقه لامحالة فينبى الشكر على أنه مضى ووقع خلف ظهره. الخامس أن بلاء الدنيا سبب لنواب الآخرة ووزوال حب الدنيا عن القلب فينبى الشكر عليها.

قوله (إذا نظرت إلى المبتلى من غير أن تسمعه) لئلا يكسر قلبه ولا يحزنه والظاهر من المبتلى المبتلى بالبلاء المعروف ويمكن حمل على الأعم منه فيشمل المبتلى بالمصيبة لأن

لم يصبه ذلك البلاء أبداً.

٢١- حميد بن زياد، عن الحسن بن محمد بن سماعة، عن غير واحد، عن أبان بن عثمان، عن حفص الكناسي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من عبد يرى مبتلى فيقول: والحمد لله الذي عدل عني ما ابتلاك به وفضلني عليك بالعافية، اللهم عافني مما ابتليته به إلا لم يبتل بذلك البلاء.

٢٢- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عثمان بن عيسى، عن خالد بن نجيع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا رأيت الرجل وقد ابتلى وأنعم الله عليك فقل: ألكم إنني لأسخر ولا أفخر ولكن أحمدك على عظيم نعمائك عليّ.

٢٣- عنه، عن أبيه، عن هارون بن الجهم، عن حفص بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا رأيتم أهل البلاء فاحمدوا الله ولا تسمعوهم، فإن ذلك يحزن لهم.

٢٤- عنه، عن عثمان بن عيسى، عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان في سفر يسير على ناقه له، إذ نزل فسجد خمس سجرات فلما أن ركب قالوا: يا رسول الله إنا رأيناك صنعت شيئاً لم تصنعه؟ فقال: نعم استقبلني جبرئيل عليه السلام فبشرني ببشارات من الله عز وجل، فسجدت لله شكراً لكل بشري سجدة.

٢٥- عنه، عن عثمان بن عيسى، عن يونس بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا ذكر أحدكم نعمة الله عز وجل فليضع خده على التراب، شكراً لله، فإن كان راكباً فلينزل فليضع خده على التراب وإن لم يكن يقدر على النزول للشهرة، فليضع خده على قربوسه وإن لم يقدر فليضع خده على كفه، ثم ليحمد الله على ما أنعم الله عليه.

٢٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن علي بن عطية، عن هشام ابن أحمر قال: كنت أسير مع أبي الحسن عليه السلام في بعض أطراف المدينة إذ ثنى رجله

المصيبة بلاء عظيم الآن قوله ومن غير أن تصممه لا بلائمه.

قوله (إذا رأيت الرجل وقد ابتلى) أي قد ابتلى بالفقر أو السقم أو غيرها اللهم اني لأسخر أي لأستهزئ به، سخر منه وبه كفرح هزى.

عن دابته ، فخر ساجداً ، فأطال وأطال ، ثم دفع رأسه وركب دابته ، فقلت : جعلت فداك قد أملت السجود ؟ فقال : إنني ذكرت نعمة أنعم الله بها علي ، فأحببت أن أشكر ربي .

٢٧. علي ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي عبد الله صاحب السابري فيما أعلم أو غيره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : فيما أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام يا موسى أشكرني حق شكري ، فقال : يا رب وكيف أشكرك حق شكري و ليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به علي ؟ قال : يا موسى الآن شكرتني حين علمت أن ذلك مني .

٢٨. ابن أبي عمير ، عن ابن دثاب ، عن إسماعيل بن الفضل قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرات : «اللهم ما أصبحت بي من نعمة أو غافية من دين أو دنيا فمك وحدك ، لا شريك لك ، لك الحمد ولك الشكر بها علي يا رب»

(يا موسى أشكرني حق شكري فقال يا رب) تقول أدبت حق فلان إذا قابلت أحسانه بأحسن مثله ، والمراد هنا طلب أداء شكر نعمته على وجه التفصيل وهو لا يمكن من وجوه الاول أن نعمه غير متناهية لا يمكن احصائها تفصيلاً فلا يمكن مقابلتها بالشكر ، الثاني أن كل ما تقاطع مستنداً الى جوارحنا وقدورنا من الافعال فهي في الحقيقة فيه نعمة وموهبة من الله تعالى وكذلك الطاعات وغيرهما نعمة منه فتقابل نعمته بنعمته ، الثالث أن الشكر أيضاً نعمة منه فمقابلة كل نعمته بالشكر يوجب العجز والتسلسل وهو غير مندور للعبد وقول موسى «ع» «يا رب كيف أشكرك حق شكري» الى آخره ، يحتمل الوجهين الآخرين وروى ان هذا الحاطر خطر له او دوحه أيضاً فقال يا رب كيف أشكرك وانما لا يستطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك فأوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني ، واما ما يقال في العرف من ان فلانا مؤد لحق الله فمبني على ان التكليف يسمى حقوقاً له و ذلك الاداء في الحقيقة من أعظم نعم الله تعالى على عبده قال الله عز وجل «ومن ان اسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هديكم للإيمان ان كنتم صادقين » .

قوله (اللهم ما أصبحت بي من نعمة) الاسباح الدخول في الصبح وقد يراد به الدخول في الاوقات مطلقاً وما الموسولة مبتدأ والمائد اليه مستقر في الظرف والظرف هو «بي» مستقر حال عن الموصول أي متلبساً بي و «من نعمة» بيان له و«ومك» خبر له والفاء لتضمن

حتى ترضى وبعد الرضا فانك إذا قلت ذلك كنت قد أدت شكر ما أنعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة .

٣٩- ابن أبي عمير، عن حفص بن البختري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان نوح عليه السلام يقول ذلك إذا أصبح، فسمي بذلك عبداً شكوراً ، و قال : قال رسول الله ﷺ : من صدق الله نجا .

٣٠- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن سفيان ابن عيينة، عن عمار الدهني قال : سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول : إن الله يحب كل قلب حزين ويحب كل عبد شكور، يقول الله تبارك و تعالى لعبد من عبده يوم القيامة : أشكرت فلاناً ؟ فيقول : بل شكرتك يا رب ، فيقول : لم تشكرني إذ لم تشكره ، ثم قال : أشكركم الله أشكركم للناس .

الموصول معنى الشرط بمعنى أن ما به من نعمة سبب للحكم بكونه منه تعالى . وفيه دلالة على أن الشكر الاجمالي يقوم مقام الشكر التفصيلي .

قوله (من صدق الله نجا) تصديقه في تكليفه عبادة عن الاقرار بها والاتباع بمقتضاها و في نعمائه عبادة عن معرفتها بالقلب ومقابلتها بالشكر والثناء .

قوله (أشكرت فلاناً فيقول بل شكرتك يا رب فيقول لم تشكرني اذ لم تشكره) لعل معناه أن الله تعالى لا يقبل شكر العبد على احسانه اليه اذا كان العبد لا يشكر احسان الناس اليه ويكفر معروفهم لاتصال أحد الامرين بالآخر ، والحاصل أن من لم يشكر الناس كان كمن لم يشكر الله وان شكره ، وقيل معناه ان من كان في طبعه وعادته كفران نعمة الناس وترك الشكر لهم كان من عادته كفران نعمة الله وترك الشكر له ولا ينافي هذا الخبر ما روي عن أمير المؤمنين ع ، قال : ولا يحمد حامداً الا ربه ، حيث قصر الحمد والثناء على الله لان المراد أنه مبدء كل نعمة يستحق بها الحمد وان كل حمد يرجع اليه في الحقيقة كما صرح به جماعة من المحققين وقد يجاب بأن الغير يتحمل المشقة بحمل رزق الله اليك فالنهي عن الحمد للغير الله على أصل الرزق لان الرزق هو الله والترغيب في الحمد له على تكليف من حمل الرزق وكلفة ايصاله باذن الله لمعطيه أجر مشقة الحمل والايصال ، وبالجمله هناك شكر ان شكر للرزق وهو الله وشكر للحمل وهو للغير ويؤيد ما روي في طرق العامة ولا يحمدين أحداً على رزق الله ، وقيل النهي مبني على الخواص من أهل اليقين الذين شاهدوه رازقاً وشغلوا عن رؤية الوسائط فنهاهم عن الاقبال عليها لانه تعالى يتولى جزاء الوسائط عنهم بنفسه والامر

(باب حسن الخلق)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن جميل ابن صالح، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : "إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً".

٢- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء، عن عبدالله بن سنان، عن رجل من أهل المدينة، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق.

بالشكر مختص بغيرهم معن لاحظ الاسباب والوسائط كالاكثر لان فيه قضاء حق السبب أيضاً والتعظيم أولى لان الوسيلة في الخير أيضاً عزيز كما حبه ومستحق للشكر مثله وقد شكر الله عبده مع كمال غناء عنه فقال نعم المبد أنه أواب، وقال دانه كان صديقاً نبياً.

قوله (ان أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) فان الايمان الكامل لا ينحصر في التحقق الشرقي الباطن بالمعارف الالهية والعلوم الربانية والفضائل النفسانية واشتغال الظواهر بالاعمال الحسنة المرصية، وذلك يتفاوت بحسب تفاوت الجذبات الربوبية فمن كان ذلك الشرقي والعلوم والاشتغال والفضائل فيه أتم كان إيمانه أكمل وظاهر أن جملة تلك الفضائل هي حسن الخلق وهو انما يحصل من الاعتدال بين الافراط والتفريط في القوة العقلية والشهوية والقوة الفضيلية ويعرف ذلك بمخالطة الناس بالجميل والتودد والصلة والصدق واللفظ والمجربة وحسن المعبة والعشرة والمراعاة والمواساة والرفق والحلم والصبر والاحتمال لهم والاشفاق عليهم، وبالجملة حسن الخلق تابع لاستقامة جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة وحالة نفسانية يتوقف حصولها على اشتباك الاخلاق النفسانية واشتباك بعضها ببعض، ومن ثم قبل هو حسن الصورة الباطنة التي هي صورة الناطقة كما أن حسن الخلق حسن الصورة الظاهرة وتناسب الاجزاء من الالف والعين والحاجب والقم وغيرها الا أن حسن هذه الصورة الظاهرة ليس بقدرتنا واختيارنا بخلاف حسن الصورة الباطنة لانه من فيض الحق وقد يكون مكشفاً ولهذا تكررت الاحاديث على البحث به وتحصيله في مواضع عديدة.

قوله (ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق) دل على أن الثواب والمقاب يتعلقان به كما يتعلقان بالاعمال الظاهرة بل قيل يتعلقان به أكثر من تعلقهما بهما وعلى أن الاخلاق توزن يوم القيامة، ولعل المراد انها توزن بعد تجسيمها في تلك النشأة وهو المشهور بين أهل الاسلام وعليه الروايات المتكثرة وقيل وزنها كناية عن التسوية والتعديل لان الاعراض لا يعقل وزنها، وقال الشيخ : المراد في هذه النشأة قد يتجسم في

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن أبي ولاد الحنّاط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أربع من كنّ فيه كمل إيمانه وإن كان من قرنه إلى قدمه ذنوباً لم ينقصه ذلك، [قال] وهو الصدق وأداء الأمانة والحياء وحسن الخلق.

٤- عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابن محبوب، عن عنبسة العابد قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما يقدم المؤمن على الله عز وجل بعمل بعد الفرائض أحبّ إلى الله تعالى من أن يسع الناس بخلقه.

٥- أبو علي الأشمري، عن محمد بن عبد الجبار، عن صفوان، عن ذريح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم.

٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أكثر ما تلج به أمتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق.

٧- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حسين الأحمسي وعبد الله ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الخلق الحسن يميّث الخطيئة كما يميّث

الآخر، و بسط الكلام في توجيهه في الأربعين.

قوله (أربع من كن فيه) أي خصال أربع فأربع خلق من موصوف وهو المصحح للاعتداء بها وجملته الشرط بعده خبره (وإن كان من قرنه إلى قدمه ذنوباً) مبالغة في كثرة ذنوبه أو كناية عن نجسها منها أو عن صدور ما من كل جارحة من جوارحها وحماتها على الصفاة المحتمل كحملها مطلقاً.

قوله (وهو الصدق وأداء الأمانة) هذه الأربعة أعني صدق اللسان أو جميع الأعضاء وأداء أمانة الخالق والخلق والحياء المانع مما يذم وحسن الخلق معهم مائة من ارتكاب الذنوب وما حبة لما سبق منها كبيرة كانت أو صغيرة واحتمال تخصيصها بالصغيرة بعيد.

قوله (من أن يسع الناس بخلقه) و إن كان الناس يستقون به، قيل لبعض الكرام قد أجرأ عليك خدمتك حتى أنهم ما يجيبون نداءك فقال: إن مثلت بين أن يفسدوا أو يفسد خلقي فوجدت فسادهم أهون على من فسادي.

قوله (أكثر ما تلج به أمتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق) لأن بالتقوى يستقيم الأمر مع الله وحسن الخلق يستقيم النظام مع الناس وهما من أعظم الأسباب للدخول في الجنة لأن صاحبهما طيب والجنة للطيبين.

قوله (إن الخلق الحسن يميّث الخطيئة كما يميّث الشمس الجليل) الميّث والموت

الشمس الجليل.

٨- عنه ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله

عليه السلام قال : البرُّ وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار .

الاذابة . مثل الشيء أميته و أموته - من بابي باع وقال - فأمات إذا ذقه و خلطته بالماء و أذقه و الجليد هو الماء الجامد من البرد ، و ذلك لأن الحسن الخلق لكونه مستلزماً لكثير من الفضائل الظاهرة و الباطنة يطهر الظاهر و الباطن من الأعمال القبيحة ، فانه يمنع اليد من الضرب و اللسان من الشتم و الفحش و القلب من الحقد و الحسد و الكبر و قس على ذلك (١) .

قوله (البر و حسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار) لانهما من أهظم

(١) قوله في ص ٢٨٧ و بحسب تفاوت الجذبات الربوبية ، الانسان لا يجد بالأدلة العقلية و البراهين العلمية أكثر من علم اجمالي بوجود الواجب تعالى و عرفان قبيح معارضة الاوهام الكثيرة بخلاف ما اذا وحده بالكشف و الشهود نظير ما يجد في نفسه من عشقه و شوقه و خوفه و رغبته و تقواه و فجوره و لذته و ألمه الى غير ذلك من ملكاته و حالاته بحيث لا يشك في هذه الحالات من نفسه و لا يعارضه معارض من أوهامه كذلك يمكن أن يجد في نفسه ارتباطه مع مبدء قادر قويم حكيم و تعلقه به و معرف في هذا التعلق صفاته تعالى و أسمائه و سائر ما يمكن له معرفته من المبدء عز وجل و به يتم إيمانه و يكمل و يصير بمنزلة من رأى بعينه و بكلمه في خلواته و يونس في حششته و لا يشك فيه كما لا يشك في جوعه و شبعه و لا يعارضه و همه و لا يمكن الاتصال بالمبدء الا برفض الرغبة الى الدنيا فيترتب عليه ترك الحسد و البخل و الحرس و السرقة و الكذب و الخيانة فان ارتكاب هذه و أمثالها ليس الا للدنيا و تحصيل المال أو العاج و ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه حتى يحب باحدهما الدنيا و بالاخر الله تعالى ، كما أن المستغرق في الدنيا يترك الله لا محالة و المستغرق في حبه تعالى يترك الدنيا اذا تعارضا . (ش)

قوله أيضاً في ص ٢٨٧ بل أقل تعلقها به أكثر ، هو الظاهر من أحاديث هذا الباب و المعجب ان الناس تركوا علم الاخلاق و العمل بما يقتضيه هذا العلم و اقتصروا على الأعمال الظاهرة و ظنوا انحصار السعادة الاخرية فيها و لا يهتمون بشركة النفوس من مهلكاتها عشر ما يهتمون بإزالة النجاسات من أنوائهم و هو من مضلات الفتن و قال الله تعالى و يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم و قال « ان ينال الله لعمري ما يناديهم و لكن يناله التقوى منكم » و قال تعالى و نفس ماسوية فإلهمها فجورها و تقوها قد أنفج من ذكبيها و قد خاب من دسيها ، و لكن اقربهم الى الفقه انما هو اقرب مسائله من المحسوسات و كونها أقرب الى الفهم و العمل ، و يظهر العدالة و الفسق بالأعمال الظاهرة دون الملكات ، و الحقوق المالية بحفظ بالثقة و يطلب باحكامه و لذلك ظفروا احتياجهم الى الفقه أشد من علم الاخلاق . (ش)

٩- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عبد الحميد قال : حدثني يحيى بن عمرو ، عن عبد الله بن سنان قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : أوحى الله تبارك و تعالي إلى بعض أنبيائه عليه السلام الخلق الحسن يميث الخطيئة ، كما تميث الشمس الجليد.

١٠- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن علي الوشاء عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : هلك رجل على عهد النبي صلى الله عليه وآله فأتى الحفارين فاذا بهم لم يحفروا شيئا و شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا : يا رسول الله ما يعمل حديدنا في الأرض، فكأنما نضرب به في الصفا، فقال : ولم إن كان صاحبكم لحسن الخلق، إيتوني بقدر من ماء، فأثوه به، فأدخل يده فيه ، ثم رشه على الأرض رشا ثم قال : احفروا، قال : حفر الحفاريون، فكأنما كان رملا ينهال عليهم.

١١- عنه ، عن محمد بن سنان، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الخلق منيحة يمنحها الله عز وجل خلقه، فمنه سجية ومنه نية، فأيستهما

أسباب العثرة والخلطة و التعاون و ذلك يوجب تعمير الديار و البلاد، وأما أنها يزيادات الأعمار فبالخاصية أو باعتبار (١) دعاء كل لكل أو باعتبار أنهما يوجبان رفع المدواة الموجبة للقتل والفساد.

قوله (ان كان صاحبكم لحسن الخلق) ان مخرقة بدليل اللام في خبر كان وليس للشرط ودايتوني، جزاء بل هو ابتداء كلام، فكأنما كان رملا ينهال عليهم أي يصب عليهم من هلت الدقيق في الجراب هبلا من باب ضرب سببه، وقال أبو زيد هلت من الثراب صبيبة بالرفع اليدين، و يقرب منه قول الأزهري هلت الثراب الرمل وغير ذلك اذا أرسلته فجري، و بعضهم يقول هلت الرمل حركت أسفله فسال من أعلاه.

قوله (ان الخلق منيحة يمنحها الله عز وجل خلقه) المنيحة والمنحة العطية والمنح

(١) قوله وبها الخاصية أو باعتبارها والظاهر أن طول العمر بسبب أن شراسة الطبع وسوء الخلق يوجبان هيجان الروح وقلق النفس واضطراب القلب وامراض الاعصاب والدماغ و ربما يوجب شدة الغضب فجاء أو سكنته. (ش)

أفضل؟ فقال: صاحب السجية، هو مجبول لا يستطيع غيره وصاحب النية يصبر على الطاعة تصبراً، فهو أفضلهما.

١٢. و عنه ، عن بكر بن صالح، عن الحسن بن علي ، عن عبد الله بن إبراهيم عن علي بن أبي علي اللهمي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله تبارك وتعالى يعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله، يفتدو عليه و يروح.

الاصطاد فمنه سجية ومنه نية، السجية الخلق والطبيعة والثبة المكتسبة بقرينة المقابلة يقال نويته أنويه أي قصدته ، والاسم النية مثقلة والتخفيف لئلا. وهذا صريح في أن الخلق منه طبعي عزيزي خلقه الله في هذه الفطرة و منه مكتسب بأن ينمرون عليه حتى يصير كالغريزة فبطل قول من قال أنه غريزة لا مدخل للاكتساب فيه (١) وصاحب النية تصبر على الطاعة تصبراً فهو أفضلهما يشير اليه قول أمير المؤمنين (ع) : و عود نفسك الصبر على المكروه فندم الخلق التصبر، وفيه إشارة الى الصبر المكتسب والترغيب فيه : و المراد بالتصبر مشقة يتكلف تحمل الصبر لكونه غير خلقي و هو محمود عند الخالق و مشكور لدى الخلائق و ليس المراد به اظهار الصبر مع عدم اتماقه به اذ لا يحصل له.

قوله (قال ان الله تبارك و تعالى يعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله) لا شتر اكهما في حفظ نظام الخلق و رعاية حقوق أهل الايمان وأصل الجهاد مع النفس والعدو.

(يفتدو عليه و يروح) حال عن المجاهد أي يفتدو المجاهد على سبيل الله أي يذهب فيه أول النهار أو مطلقاً و يروح و يرجع أو يذهب في آخره أو مطلقاً . و المنعود أن ثواب العبد في حسن خلقه مثل ثواب هذا المجاهد الساعي في الجهاد المستمر فيه، وفي الصباح غداً غدواً من باب فقد ذهب غدوة و من ما بين صلاة الصبح و طلوع الشمس ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والاضلاق أي وقت كان وراح يروح رواحاً أي رجع كما في قوله تعالى و غدوها شهر و رواحها شهر أي ذهابها شهر و رجوعها شهر وقد يتوهم بعض الناس أن الرواح لا يكون الا في آخر النهار و ليس كذلك بل الرواح والندو عند المغرب يستعملان في المسير أي وقت كان من ليل أو نهار قاله الأزهري وغيره، وعليه قوله (ع) ومن راح الى الجمعة في أول النهار فله كذا أي ذهب .

(١) قوله ولا مدخل للاكتساب فيه، والالزم الجبر والتكليف بما لا يطاق اذ امر بتحصيل

الحسن والفضائل و اوصد على التبايع، (ش)

١٣ - عنه ، عن عبدالله الحجاج ، عن أبي عثمان القابوسي ، ممن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله تبارك و تعالى أعار أعداءه أخلاقاً من أخلاق أوليائه ليعيش أوليائه مع أعدائه في دولاتهم .
وفي رواية أخرى : لولا ذلك لما تركوا ولبأ الله إلا قتلوه .

١٤ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن الحسين بن المختار ، عن العلاء بن كامل قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إذا خالطت الناس فإن استطعت أن لا تخالط أحداً من الناس إلا كانت يدك العليا عليه فافعل ، فإن العبد يكون فيه بعض التقصير من العبادة ويكون له حسن خلق ، فيبلغه الله - [بحسن] خلقه درجة الصائم القائم .
١٥ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن أبيه ، عن حماد بن

قوله (أن الله تبارك و تعالى أعار أعداءه أخلاقاً) أشار بالأعارة الى أن أخلاقهم (١) الحسنة لا تبقى بعد موتهم ولا تنفعهم فيما بعد . وإنما هي كالعامرية فيهم لمصالح المؤمنين و حفظهم من غايلتهم .

قوله (فإن استطعت أن لا تخالط أحداً من الناس إلا كانت يدك العليا عليه فافعل) كأنه يريد باليد العليا المنفعة أو المصلحة فإن اليد العليا منة و عطية واليد السفلى سائلة آخذة ، أو يريد بها اليد اليمنى فإن اليمنى أعلى من اليسرى في القوة ، وهي على التقديرين كناية عن حسن الخلق كما يشعر به التعليل .

(١) قوله وأشار بالأعارة الى أن أخلاقهم ، أما يبقى الملكات الحسنة مع النفوس بعد الموت إذا كانت راسخة فمن عمل حسناً أو أظهر فضيلة من الفضائل وقتاً و عرض منها في سائر أوقاته لم ينفعه شيء ، و اعلم أن الله تعالى هدى عقولنا الى أن سعادة الانسان في تحصيل الملكات الفاضلة لانه تعالى لم يجعل شوقاً في قلوب الانسان ولا رغبة في أوهام الحيوان ولا صفة من الصفات في شيء إلا لمصلحة فيها فعمل المحبة في قلوب الامهات لحفظ الاولاد ، والنفرة من العقوبات للنجس من الامراض و استحسان الماء والخمر لتعمير البلاد وازدياد الارزاق ، و الشهوة لبقاء النسل وكذلك ألهم الانسان استحسان الفضائل و تنبذ الرذائل فكل واحد يميز بعقله العملي بين الحسن والقبح وعلوم الغالب والقاتل والسارق والزاني و يمدح المحسن المسخي العقيب العادل وليس ذلك الخلق في الانسان عبثاً بل لابد أن يكون هذا يفيد فائدة كسائر غرائزه و ملكاته قال تعالى و نفس ماسوية فالصالح فاجورها و تنو بها أي اعطاها معرفة الحسن والقبح بعقله ولذلك مصلحة البتة وهي ما ذكره تعالى بقوله وقد أفليح من ذكبيها وقد خاب من دسيها . (ش)

عيسى، عن حريز بن عبد الله، عن بحر السقا قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا بحر حسن الخلق يسر، ثم قال : ألا أخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة ؟ قلت: بلى ، قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالس في المسجد إذ جاءت جارية لبعض الأنصار و هو قائم، فأخذت بطرف ثوبه، فقام لها النبي ﷺ فلم تقل شيئاً ولم يقل لها النبي ﷺ شيئاً حتى فعلت ذلك ثلاث مرات ، فقام لها النبي ﷺ في الرابعة وهي خلفه، فأخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت فقال لها الناس: فعل الله بك ما فعل جبت رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، لا تقولين له شيئاً ولا هو يقول لك شيئاً، ما كانت حاجتك إليه ؟ قالت: إن لنا مريضاً فأرسلني أهلي لأخذ هدبة من ثوبه، [أ] يستشفى بها ، فلما أردت أخذها رأيتني فقام فاستحييت منه أن أخذها و هو يراني و أكره أن أستأمره في أخذها، فأخذتها.

١٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حبيب الخثعمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : أفاضلكم أحسنكم أخلاقاً الموطؤون

قوله (حسن الخلق يسر) أي سبب الخير لأن الناس محبوبون بحب من يلاقهم بحسن الخلق ورعايته. (ألا أخبرك بحديث ما هو في يدي أحد من أهل المدينة) الجملة صفة الحديث وماء نافية.

قوله (فقام لها النبي ورسـ) حسن الخلق من صفات الأنبياء والأولياء والفضلاء و اكملهم في هذه الفضيلة هو نبينا رسـ، ولذلك وصفه الله تعالى بقوله «أنك لعلى خلق عظيم» فإن تذكره مع وصفه بالمعظم يدل على أنه في علو قدره بحيث لا تصل إليه عقول البشر ولا يحوم حوله طائر الفكر والنظر.

(فأخذت هدبة من ثوبه) هدبة الثوب مما يلي طرته و القطعة منه مثال غرفة و ضم الدال للتباعد لئلا.

قوله (الموطؤون أكتافاً) هذا مثل لمن لأن طيبه و حسن خلقه و حقيقته من الذولية والتمهيد والتذليل، و فراش و طيء أي مذل ناعم لا يؤذي جنب النائم . والاكشاف جمع الكشف بالتحريك و هو الجانب والتأحية ، أراد الذين جوانبهم و نواحيهم و طئة يتمكن منها من يصاحبهم ولا يتأذى بخلاف سيء الخلق والمنكبر.

(الذين يألفون و يؤلفون) أي يألفون بالناس و يحبونهم و يحشون معهم ، فسي

أَكْنَفًا الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُؤْلَفُونَ وَتَوَطَّأَ رَحَالَهُمْ.

١٧- عدةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : المؤمن مألوف ولاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف.

١٨- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنَّ حسن الخلق يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم.

(باب حسن البشر)

١- عدةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن الحسن بن الحسين قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال رسول الله عليه السلام : يا بني عبد المطلب إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه و حسن البشر.

ورواه عن القاسم بن يحيى، عن جدِّه الحسن بن راشد، عن أبي عبد الله عليه السلام إلا أنه قال : يا بني هاشم.

المصباح الفقه ألفاً من باب علم أنت بدأ حببته والاسم الالف بالضم والالف أيضاً اسم من الياض وهو الالتيام والاجتماع واسم الفاعل آلف مثل عالم والجمع الاف مثل كفار، وتوطأ رحالهم للزيارة أو الضيافة أو لقضاء الحاجة، ورحل الرجل منزله ومأواه وأثاث بيته وفيه ترغيب في حسن الخلق لانه موجب لذلك كما في قول أمير المؤمنين ع ، و أكرم الحسب حسن الخلق و إنما كان أكرم لانه أكثر فائدة وأوفر عائدة .

قوله (ولاخير فيمن لا يآلف ولا يؤلف) لان عدم الالف في أهل الدين يوجب أذاهم و تبدهم و تقاطعهم و تفرقهم فيه و تدابرهم و عداوتهم وكل ذلك يوجب زوال الخير عنهم كما هو المعلوم بين المتفاطمين.

قوله (يا بني عبد المطلب انكم لن تسعوا الناس بأموالكم) الوسع والسعة والبعده الطاقة أى لا يسع أموالكم لمطامعهم و رفع احتياجاتهم. فوسعوا أخلاقكم لمحببتهم كما أشار إليه بقوله (فالقوهم بطلاقة الوجه و حسن البشر) أى فالقوهم باستبصار الوجه و بعباشته و انبساطه و هو من لوازم التواضع و حسن الخلق .

٢- عنه، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاث من أتى الله بواحدة منهن أوجب الله له الجنة: الاتفاق من اقتار والبشر لجميع العالم والانصاف من نفسه.

٣- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل فقال: يا رسول الله أوصني فكان فيما أوصاه أن قال: ألق أخاك بوجه منبسط.

٤- عنه، عن ابن محبوب، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما حد حسن الخلق؟ قال: تلين جناحك و تطيب كلامك و تلقى أخاك ببشر حسن.

٥- عنه، عن أبيه، عن حماد، عن ربعي، عن فضيل قال: صنائع المعروف و حسن البشر يكسبان المحبة و يدخلان الجنة والبخل و عبوس الوجه يبعدان من الله و يدخلان النار.

مركز تحقيقات كميتر من مركز حسبي

قوله (الاتفاق من اقتار) الاقتار والتقدير التضييق في الرزق يقال اقتار الله رزقه و قتره شيئا و قلله و ذلك بأن ينقص من كفايته شيئا و يعطيه من هو أحوج منه أو من لا شيء له أو بأن ينفق مع شيئا فيكون ترغيبا في الاشارة كالاية، (والبشر لجميع العالم) البشر بالكرم طلاقة الوجه و بشاشته و هو مطلوب اما للمؤمنين فالعامة الايمان و لزومه و اما لغيرهم فالحفظ النفس و دفع الضرر عنها وعن المؤمنين كما قيل و دارهم ما دمت في دارهم، (والانصاف من نفسه) انصف الرجل انصافاً عاملاً بالعدل والتوسط والاسم النصفة بفتح نين لانك أمطيت من الحق ما تستحقه لنفسك فالمراد به التسوية بين نفسه وبين غيره و عدم رجحان نفسه عليه في شيء مأخوذ من النصف.

قوله (تلين جناحك) أي تواضع لخلق الله وقد أمر الله به سيد المرسلين فقال دو اخف جس جناحك للمؤمنين و فيه استمارة تمثيلية (و تطيب كلامك) و منه أن تسمى أخاك بأحسن أسماؤه ولا تغلف في نصحه.

قوله (يكسبان المحبة) أي محبته تعالى بمعنى افاضة الرحمة والاحسان أو محبة الخلق له و يؤيد الاول قوله دو يبعد أن من الله لان الظاهر أن يترتب على أحد المتدين تقيض ما يترتب على المتد الآخر.

٦- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: حسن البشر يذهب بالسخيمة.

(باب الصدق وأداء الأمانة)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن الحسين ابن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث وأداء الأمانة إلى البر والفاجر.

٢- عنه، عن عثمان بن عيسى، عن إسحاق بن عمار وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تقترؤا بضلاتهم ولا بصيامهم، فإن الرّجل ربّما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة.

٣- عدّةٌ من أصحابنا عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نجران، عن مثنى الحنّاط عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من صدق لسانه زكى عمله.

قوله (حسن البشر يذهب بالسخيمة) أى بالخبينة والموجدة والعند قال أمير المؤمنين وع، والبشاشة حيلة المودة، أراد أن طلاقة الوجه و حسن البشر تصطاد القلوب بها ولا حظ معاينة الطلاقة بالحبالة ومشاينة القلوب بالصيد.

قوله (أن الله عز وجل لم يبعث نبياً إلا بصدق الحديث) صدق الحديث دائماً تابع لمملكة استقامة اللسان التابعة لاستقامة القلب ومن ثم قيل: إذا استقام القلب استقام اللسان. واستقامة القلب تابعة لاستقامة الحقيقة الانسانية و تمام صورته المنيوبة و هذا مستلزم لفيضان النفس القدسية على تفاوت مراتبها وأعلى مراتبها للأنبياء والمرسلين وما دونه الخواص المؤمنين ومن هذا يحنق التناسب بينهما.

(وأداء الأمانة إلى البر والفاجر) كما قال تعالى و ان الله يأمركم أن تؤدوا أمانات إلى أهلها وقد ابتلى به جم غفير من السالكين وليس لاختبار الناس أعظم منه.

قوله (من صدق لسانه زكى عمله) لأن صدق اللسان تابع لطهارة القلب وهى مستلزمة لكافة عمله وطهارته ونوره وبركته والمدح عليه وأيضاً اللسان مورد لجميع الأفعال الظاهرة والباطنة ومناول لمدرجات جميعها فصحة وهى صدقه فى الحديث توجب صحة جميع الاعضاء وسدور أفعال الأصحاء منها فلذلك يزكو عمله على الإطلاق كما أن مرضه وهوالكذب يوجب مرض جميع الاعضاء وسدور أفعال المرضى منها، فلذلك لايزكو شيء من أعماله. وأيضاً علة

٤- محمد بن يحيى ، عن محمد بن الحسين ، عن موسى بن سعدان ، عن عبد الله بن القاسم ، عن عمرو بن أبي المقدم قال : قال لي أبو جعفر عليه السلام في أوّل دخلة دخلت عليه : تعلموا الصدق قبل الحديث .

٥- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن أبي كهمس قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : عبد الله بن أبي يعفور يقرئك السلام ، قال عليك وعليه السلام إذا أتيت عبد الله فاقراءه السلام وقل له : إن جعفر بن محمد يقول لك : انظر ما بلغ به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله فالزمه ، فإن علياً عليه السلام إنما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وآله بصدق الحديث وأداء الأمانة .

٦- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن أبي إسماعيل البصري ، عن الفضيل بن يسار قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : يا فضيل إن الصادق أوّل من يصدق الله عز وجل ، يعلم أنه صادق وتصدق نفسه تعلم أنه صادق .

٧- ابن أبي عمير ، عن منصور بن حازم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنما سمي إسماعيل صادق الوعد لأنه وعد رجلاً في مكان فأنظره في ذلك المكان سنة ، فسمّاه الله عز وجل صادق الوعد ، ثم [قال] إن الرجل أتاه بعد ذلك فقال له إسماعيل :

صدق و هي الخوف من الله والفرار من اللوم في وقتها وهو وقت أن يسأل عن أعماله الصالحة واضطراره إلى الجواب منها بيمينه على تركية الأعمال .

قوله (قال قال لي أبو جعفر دعه في أوّل دخلة دخلت عليه تعلموا الصدق قبل الحديث) الظاهر أن القبل متعلق بتعلموا وفيه ترغيب في التفكير في الكلام لشرف الصدق ، ثم التكلم بدو مثله قول أمير المؤمنين دعه ، ولسان العاقل وراء قلبه ، وقلب الاحق وراء لسانه ، يعني أن العاقل يعلم الصدق والكذب أولاً ويتفكر فيما يقول ثم يقول ما هو الحق والصدق والاحق ، يتكلم ويقول من غير تأمل و تفكر فيتكلم بالكذب والباطل كثيراً وإنما قلنا الظاهر لا احتمال أن يكون بدلا عن قوله وفي أوّل دخلة ، أو متعلقاً بقال ، يعني قال دعه ابتداء قبل التكلم بكلام آخر تعلموا الصدق ولكنه بعيد لفظاً ومعنى .

قوله (إن الصادق أول من يصدق الله) فالكذب أول من يكذبه الله ثم نفسه وفيه ترغيب في الصدق وتنفير عن الكذب لأن العاقل يتنفر عن تكذيب المخاطب ويستنكف منه كما قال موسى دعه ورب اني أخاف أن يكذبون فكيف إذا كان المخاطب هو الله عز وجل .

مازلت منتظراً لك.

٨- أبو علي الأشعري عن محمد بن سالم، عن أحمد بن النضر الخزائي، عن جده الربيع بن سعد قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام يا ربيع إن الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صدقاً.

٩- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الوشاء، عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن العبد ليصدق حتى يكتبه عند الله من الصادقين ويكذب حتى يكتبه عند الله من الكاذبين، فإذا صدق قال الله عز وجل صدق وبرز! وإذا كذب قال الله عز وجل: كذب وفجر.

١٠- عنه، عن ابن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كونوا دعاة للناس بالخير بغير السننكم، ليروامنكم الاجتهاد والصدق والورع.

١١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم قال: قال أبو الوليد حسن بن زياد الصيقل: قال أبو عبد الله عليه السلام: من صدق لسانه زكى عمله ومن أحسن نية زيد في رزقه، ومن حسن بره بأهل بيته مد له في عمره.

١٢- عنه، عن أبي طالب، رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا تنظروا إلى طول

قوته (إن الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً) الصديق قيل للمبالغة في الصدق وهو يطلق على فعل اللسان إذا طابق الواقع فلو قال ضرب زيد وهو لم يضرب أو قال وجهي وجهي للذي فطر السموات والأرض و كان وجه قلبه إلى غيره تعالى مثل الدنيا و غيرها فهو كاذب وعلى فعل القلب مثل النية وصدقها تجريد ما عن غير وجه الله تعالى وهو الإخلاص والزم على الخيرات منع عقد القلب عليها إن وجد ما لفلو كان بدون التقدير كاذباً وعلى التوافق بين الظاهر والباطن فلو كان لظاهره وقار فصدق به بأن يكون لباطنه أيضاً وقار وعلى كل مقام من مقامات الدين إذا حصلت حقيقته مثل الصوم والصلاة والحج والزهد والمعجبة و التوكل والخوف والرجاء والرضا والشوق وغيرها فإن هذه الأمور صادقة إذا حصلت حقيقتها للمصدق بها وكاذبة إذا لم تحصل. وعلى الوعد إذا وفى بها كما قال سبحانه و رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه و من بلغ في هذه الأمور وغيرها حد الكمال أو قريباً منه فهو صديق.

ركوع الرجل وسجوده ، فإن ذلك شيء اعتاده ، فلو تركه استوحش لذلك ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته .

(باب الحياء)

١- عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن ابن محبوب ، عن علي بن رئاب ، عن أبي عبيدة الحذاء ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة .

٢- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن ابن مسكان ، عن الحسن الصقل قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : الحياء والعفاف والحي - أعني عي اللسان - من الإيمان .

قوله (لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده) يريد بطولهما الحقيقة أو كثرة الصلاة وتخصيصهما بالذكر من بين الأعمال البدنية على سبيل التتميل أو للتنبيه على أنهما مع زيادة الفضيلة إذا لم يمتدافئهما أولى بعدم الاعتداد .

قوله (الحياء من الإيمان) الحياء وصف للنفس يوجب انقباضها عن القبح وانزجارها عن خلاف الآداب خوفاً من اللوم وإنما جعل كالبعض من الإيمان لمناسبة له في أنه يمنع من المعاصي كالإيمان أولان المراد بالإيمان الكامل المستبر فيه الأعمال والحياء لكونه داعياً إلى فعل المأمورات وترك المنهيات جزء منه ، وبعبارة أخرى الإيمان تصديق و إقرار وإشمار بالمأمور به وانتهاء عن المنهي عنه فإذا حصل الإتيان والالتزام بالحياء كان الحياء بعض الإيمان و جزءاً منه أو المراد أن الحياء من شيم أهل الإيمان ومكارم أخلاقه ومحاسنه التي ينبغي التخلق بها .

قوله (أعني عي اللسان لا عي القلب) العي بالكسر يطلق على معنيين أحدهما داء في اللسان وهو لكثرة ولهجة توجب المعجز عن البيان والإفصاح بمراد الإنسان ، وثانيهما داء في القلب يوجب المعجز عن إدراك الحق وإشمار العقول فأشار مع ، إلى أنه ليس المراد به المعنى الثاني الذي ينقض الإيمان به نقضاً فاحشاً بل المراد به المعنى الأول الذي يوجب نقصان الدنيا وزيادة الآخرة والإيمان والمعنى أن الحياء الذي يوجب مراقبته تعالى و مراعاة أوامره ونواهي وآدابه والعفاف عن كثير الدنيا أو عن المعاصي أو عن السؤال و عي اللسان وهو قصوره عن البيان أو حفظه عن التكثير فيه والتناول للأقوال الباطلة والمباحنة من الإيمان أي من قبله في المنع عن القبايح أو من أفراد أو من أجزائه أو من شيم أهله ومحاسنه التي ينبغي التخلق بها .

٣- الحسين بن محمد، عن محمد بن أحمد النهدى، عن مصعب بن يزيد، عن العوام ابن الزبير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من رقَّ وجهه رقَّ علمه.

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن يحيى أخي دارم، عن معاذ بن كثير، عن أحدهما عليهما السلام قال الحياء والايمان مقرونان في قرن فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه .

٥- عدةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد ، عن محمد بن عيسى، عن الحسن بن علي بن يقطين، عن الفضل بن كثير ، عن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا إيمان لمن لا حياء له.

٦- عدةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن بعض أصحابنا، رفعه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحياء حياءان : حياء عقل وحياء حمق، فحياء العقل هو العلم وحياء الحمق هو الجهل.

قوله (من رق وجهه رق علمه) لعل المراد أن من ضعف حيائه ضعف علمه لتوغلّه في التبايع وهو يوجب نقصان العلم أو المراد أن من ضعف وجهه من السؤال في العلم لحياء الحق السالط منه ضعف علمه و في هذا المعنى ما نقل من أنه قيل لبعض الحكماء : بم بلغت ما بلغت؟ قال بدم الاستحياء من السؤال في استكشاف الأمور وحل الاشكال.

قوله (الحياء و الايمان مقرونان في قرن) القرن بالتحريك الجبل الذي يشد الاصران به والمعنى أن الحياء و الايمان مجموعان في جبل واحد فإذا ذهب أحدهما ذهب الآخر وتبعه و نسب الإشارة الى أن بينهما تلازماً و الى أن الحياء ليس جزء من الايمان ولا فرداً منه فلا بد من القول به أو بحمل الايمان هنا على التصديق و القول بأنه لا يستقر لى القلب بدون الحياء.

قوله (لا إيمان لمن لا حياء له) لما عرفت من انهما مقرونان في جبل واحد إذا ذهب أحدهما تبعه الآخر، وإن اريد بالايمان الايمان الكامل وجعل الحياء جزءاً منه فالوجه ظاهر.

قوله (الحياء حياءان: الخ) قد ذكرنا في أول الكتاب أن اقتباس النفس عن فعل الخير حياء مجازاً كاستحياء المرأة عن تعلم مسائل الحبيص و أحكام غسل الجنابة مثلاً و ان تقسيم الحياء اليه و هو حياء الحمق و الى حياء العقل الموجب للاقتباس عن القبيح لا يدل على أنه حنيفة في كلا القسمين.

٧- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن بكر بن صالح، عن الحسن بن علي، عن عبد الله بن إبراهيم، عن علي بن أبي علي التميمي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: أربع من كن فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنوباً أبد لها الله حسنات: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر.

(باب العفو)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في خطبته: ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة؟ العفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك.

٢- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمد بن عبد الحميد، عن يونس بن يعقوب، عن غرقة بن دينار الرقي، عن أبي إسحاق السبيعي، رفعه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أدلكم على خير أخلاق الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك.

٣- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى بن عبيد، عن يونس بن عبد الرحمن، عن أبي عبد الله شيب التميمي، عن حمزان بن أعيان قال: قال: أبو عبد الله عليه السلام: ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جهل عليك.

قوله (العفو عمن ظلمك) من صفات الكرام العفو عن الظالم والمجاوز عن المسيء ومن صفات اللئام الانتقام وطلب الشفى والمماقية لدفع الفيض وهو آفة نفسانية تغير الجاهل والفاقر من أجل تأثر نفوسهم من كل ما يخالف هواها.

قوله (وتصل من قطعك) باليد واللسان ومراقبة أحواله في كل زمان والإحسان إلى من أساء إليك وهو الأجمل من الإحسان إلى من أحسن إليك.

(و إعطاء من حرمك) فإذا أحسنت إلى أحد ولم يقابل إحسانك بإحسان أولم يشكره أو أساء إليك لا ترغب عن الإحسان إليه وإلى غيره بسبب الكفران فإنه إذا لم يشكره فقد يشكره غيره ولو لم يشكره أحد فإن لا يجب المحسنين كما نطق به القرآن المبين وكفى به شرفاً وفضلاً.

٤- علي ، عن أبيه ، و محمد بن إسماعيل ، عن الفضل بن شاذان ، جميعاً عن ابن أبي عمير ، عن إبراهيم بن عبد الحميد ، عن أبي حمزة الثمالي ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : سمعته يقول : إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك و تعالى الأولين و الآخرين في صعيد واحد ، ثم ينادي مناد : أين أهل الفضل ؟ قال : فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون : و ما كان فضلكم ؟ فيقولون : كنا نصل من قطعنا و نعطي من حرمانا و نغفو عن ظلمنا ، قال : فقال لهم : صدقتم أدخلوا الجنة ، ٥- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن جهم بن الحكم المدائني ، عن إسماعيل بن أبي زياد السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله : عليكم بالعفو ، فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً ، فتعافوا بعزكم الله .

٦- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، عن أبي خالد القمط ، عن حمزان ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : الندامة على العفو أفضل وأيسر من الندامة على العقوبة .

قوله (فإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً في الدنيا) لأن من عصف بالعفو ساد و عظم في القلوب فيزيد عزه ، أو في الآخرة لأنه يوجب زيادة الأجر و رفع الدرجة .

قوله (الندامة على العفو أفضل و أيسر من الندامة على العقوبة) أما أنها أيسر فلأن الثقل الواقع إذا ندم عليه لا يمكن عدم إبقائه قطعاً بخلاف غير الواقع إذا ندم على عدم إبقائه فإنه يمكن إبقائه غالباً فالندارك في الأول منعت و في الثاني ممكن ، وقد تنبه بهذا بعض الملوك فقال ينبغي أن يكون عفو الملك أكثر من عقوبته لأنه أن عفى في مقام يقتضي العقوبة و أخطأ فندم عليه أمكنه أن يتدارك و يعاقب و إن عاقب في مقام يقتضي العفو و أخطأ فندم عليها لا يمكنه التدارك ، و أما أنها أفضل مع أن النفس في الندامة على العفو راجعة إلى هواها و مقتضاها في القوة الشهوية والغشبية و في الندامة على العقوبة راجعة إلى الله و إلى خلاف مقتضاها المطلوب شرعاً وعقلاً ، فأما لأنها تابعة للعفو الذي هو أفضل وتابع الأفضل أفضل ولا يناهيه أفضلية الندامة على العقوبة نظراً إلى ذاتها فليه ترغيب في العفو و تنفير عن العقوبة أو لأن العفو إذا ندم دل ذلك على كمال استحقاق العقوبة بخلاف المعاقب إذا ندم فإنه لا يدل ذلك على كمال استحقاق العفو للندامة على

٧- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن سعدان، عن معتب قال: كان أبو الحسن موسى عليه السلام في حائط له يصرم فنظرت إلى غلام له قد أخذ كارة من تمر فرمى بها وراء الحائط، فأتيته وأخذته وذهبت به إليه، فقلت: جعلت فداك إنني وجدت هذا وهذه الكارة، فقال للغلام: فلان! قال: لييك، قال: أتجموع؟ قال: لا يا سيدي، قال: فنعري؟ قال: لا يا سيدي، قال: فلاي شيء أخذت هذه؟ قال: اشتبهت ذلك، قال: اذهب فهي لك، وقال: خلّوا عنه.

٨- عنه، عن ابن فضال قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ما التفت ففتان قط إلا نصر أعظمهما عفواً.

٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتني باليهودية التي سميت الشاة للنبي صلى الله عليه وآله فقال لها: ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: قلت: إن كان نبياً لم يضره وإن كان ملكاً أرحمت الناس منه، قال: فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله عنها.

١٠- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن عمرو بن شعبر، عن

العفو زيادة فعل ورجحان وهذا الوجه في ضاية البعد، أو لأنها أيسر وهذا أقرب الوجوه. قوله (قد أخذ كارة) هي مقدار معلوم من الطعام وقدر ما يحمل على الظاهر.

قوله (اذهب فهي لك) دل على أن العفو عن السارق وإعطاء المسروق إياه أفضل وهذا من صفات الكرام.

قوله (أتني باليهودية التي سميت الشاة) العفو عنها في هذه الصنعة العظيمة المتهمة على النفوس دل على عظمة قدر العفو وعلو منزلته، ومثلهم وادمسلم من أنس، أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وآله بشاة مسمومة فأكل منها فجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ورسلاً لها عن ذلك فقالت أردت أن أقتلك فقال ما كان الله ليلطأك على ذلك أو قال علي، قالوا إلا تقتلها قال لا، وروى غير مسلم أنها لما اعترفت قالت إنما فعلت ذلك لأنك إن كنت نبياً لم يضرك وإن كنت كاذباً أرحمت الناس منك، قيل إنه تعالى عفا في ذلك الوقت ولكن بقي فيه أثر ما فقتله بعد حين. ولذلك قال العلماء إن الله سبحانه قد جمع له بذلك بين كرم

جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ثلاث لا يزيد الله بهن المرء المسلم إلا عزاً: الصفح
عن من ظلمه وإعطاء من حرمه والصلة لمن قطعه.

(باب كظم الغيظ)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم،
عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: ما أحب أن لي
بذلك نفسي حمر النعم، وما تجرعت جرعة أحب إلي من جرعة غيظ لا أكافي
بها صاحبها.

النبوة وفضل الشهادة ولا يتنافى ذلك قوله دس، ما كان الله ليسلطك على ذلك، لأن المعنى
ما كان الله ليسلطك على قتلتي الآن وقال، وفي كفاية الله له دس، أمر السم المهلك لغيره
معجزة، وقال محسن الدين اختلف الرواية هل قتلها ففي هذه أنه لم يقتلها، وفي رواية سلمة أنه
قتلها وفي رواية ابن عباس أنه دفنها إلى أولياءه بشر وقد كان أكل من الشاة فمات فقتلوها، و
قال ابن سحنون: أجمع المحدثون على أنه قتلها، وقال عباس، وجه الجمع أنه لم يقتلها
أولا حين أطلع على ما فعلت من السم فلما مات بشر دفنها إلى أولياءه فلم يقتلها فسي حين و
قتلها في آخر، وقال أبو عبد الله عليه السلام الابهى هذا الجمع يشكك بأن يقال كيف لم يقتلها أولا
وتدقق في العهد وأدت، وقال الداودي: إنما لم يقتلها لئلا ينقض من عذابها و
يبقى أجره موفراً.

قوله (الصفح عن ظلمه) أي العفو عن ذنوبه والاعراض عن عقوبته، وأصله
الاعراض بصفحة وجهه.

قوله (ما أحب أن لي بذل نفسي حمر النعم) ذل النفس بالكسر سهلتها وانقيادها و
هي ذلول، وبالنظم مذلتها وضعفها وهي ذليل، والنعم المال الراعي وهو جمع لا واحد له من
لفظه، وأكثر ما يقع على الإبل قال أبو عبيد: النعم الجمال فقط ويؤنث ويذكر وجمعه نعمان
مثل حمل وحملان وانعام أيضاً، وقيل النعم الإبل خاصة، والانعام ذوات الخف والظلف وهي
الإبل والبقر والغنم، وقيل تطلق الانعام على هذه الثلاثة فإذا انفردت الإبل فهي نعم وإن
انفردت البقر والغنم لم تسم نعماً، والمعنى أن ذل نفسي وانقيادها أو مذلتها بكظم الغيظ أو
مطلقاً أحب إلى من حمر النعم أملاكها أو تصدق بها والآخر أظهر لأن شأنه دفع ورفع من أن
يحب الدنيا وما فيها، وفيه حش بلخ على كظم الغيظ، وحمر النعم خيارها.

قوله (وما تجرعت جرعة أحب إلي من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها) الجرعة من

٢ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن محمد بن سنان ، وعلي بن النعمان ، عن عمار بن مروان ، عن زيد الشحام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها ، فإن عظيم الأجر لمن عظيم البلاء وما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم .

٣ - عنه ، عن علي بن النعمان ، ومحمد بن سنان ، عن عمار بن مروان ، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال : إصبر على أعداء النعم ، فإنك لن تكافي من عصا الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه .

٤ - عنه ، عن محمد بن سنان ، عن ثابت مولى آل حريز ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كظم الغيظ عن العدو في دولاتهم تقيّة حزم لمن أخذ به وتحرّز

الماء كاللقمة من الطعام وهو ما يجرع مرة واحدة والجمع جرع مثل فرقة وغرف ، وتجرع النص مستعار منه وأصله الشرب من عجلة ، وقيل الشرب قليلاً قليلاً وإضافة الجرعة إلى الغيظ من باب لجين الماء ، والغيظ صفة للنفس عند احتدادها موجبة لتحريكها نحو الانتقام ، والكلام تمثيل . لا يقال الغيظ امر جبلي لا اختيار للبعد في حصوله فكيف يكلف برغمه لأنقول هو مكلف بتصفية النفس على وجه لا يحركها أسباب الغيظ بسهولة وإن أثرت تلك الأسباب فيها وحصل الغيظ له فهو مكلف بتأديب الغيظ بحيث لا يندب على العقل والشرع وكلا الأمرين مقدور له .

قوله (ما أحب الله قوماً إلا ابتلاهم) من ذلك ابتلاؤهم بأذى الناس لهم وأمرهم بكظم الغيظ والصبر عليه ليزيد بذلك أجرهم .

قوله (إصبر على أعداء النعم) وهم الظلمة الذين يفترون الناس لأنهم أعداء نعم الله تعالى التي أفضلها وأشرفها الإيمان ومقتضاه من الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة فأنك (لن تكافي من عصا الله فيك) بالأذى والأضرار والظلمان .

(بأفضل من أن تطيع الله فيه) بكظم الغيظ والعفو عنه كما قال عز وجل والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، وفي سبحة أفضل دلالة على جواز المكافاة بشرط أن لا يتعدى كما دلت عليه الآية الكريمة ولكن العفو أفضل .

قوله (كظم الغيظ عن العدو في دولاتهم تقيّة حزم لمن أخذ به) الحزم ضبط الأمر و اتقائه والحذر من فوائده واختلاله وذلك برعاية شرائط نظامه ورفع موانع دوائمه ، ومن جملة ذلك كظم الغيظ عن العدو وعدم إرادة الانتقام منهم في حال ظهور دولتهم لأن مكافاتهم يوجب الضرر من البلاء وإيقاع النفس في الهلكة والمنايا .

من التعرض للبلاء في الدنيا ومعاندة الأعداء في دولاتهم ومماظنتهم في غير تقية ترك أمر الله ، فجاملوا الناس يسمن ذلك لكم عندهم ولا تعادوهم فتحميلوهم على رقابكم فتذلو .

٥- علي بن إبراهيم ، عن بعض أصحابه ، عن مالك بن حصين السكوني قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ما من عبد كظم غيظاً إلا زاد الله عز وجل عزاً في الدنيا والآخرة وقد قال الله عز وجل : ه والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ه وأثابه الله مكان غيظه ذلك .

٦- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن إسماعيل بن مهران ، عن سيف بن عميرة قال : حدثني من سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول : من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ، أملاً الله قلبه يوم القيامة رضاه .

(ومماظنتهم في غير تقية ترك أمر الله) أي مشاردتهم ومنازعتهم تقول ما ظفئت الرجل مماظة ومماظناً إذا شادته ونازعته .

(فجاملوا الناس يسمن ذلك لكم عندهم) المجاملة بكظم الغيظ وإظهار الوداد والبشاعة ونحو ذلك . والسمن كثرة اللحم والشحم سمن فلان يسمن من باب تمب وفي لغة من باب قرب إذاكثر لحمه وشحمه ، ولعل المراد به هنا الشرافة والعظمة وفي بعض النسخ ويسمن الله ذلك - إلى آخره ، ويسمن حينئذ من باب الافعال أو التفعيل أي يجعل الله ذلك عندهم شرفاً عظيماً تورث المحبة لكم (ولانما دعوهم فتحميلوهم على رقابكم فتذلو) لأن اظهار الصداقة واجراء أحكام الغيظ والغضب مع المعجز عن المقاومة والانتقام يورث ضرراً عظيماً ومذلة فاحشة وأما مع القدرة على الانتقام فالعنوا حسن لأنه من صفات الكرام .

قوله (أملاً الله قلبه يوم القيامة رضاه) كناية عن كثرة فضله وإحسانه به في ذلك اليوم فلا يرهقه قتل ولا ذلة (١) .

(١) قوله «فلا يرهقه قتل ولا ذلة» أرى ان ما ذكره الامام دفعه يفيد معنى أدق وأعلى مما فسر به الفارح وبيان ذلك ان ملكات النفس وعقائدها وقواها تنقسم إلى ما يبقى بعد الموت لعدم تعلقها بالبدن بوجه ، وإلى ما لا يبقى لتوقفها على الاعضاء الظاهرة فالاول كالايمان بالله العظيم وأصول الدين والمعارف اذ ليس حاملها انحواس والجوارح وكل ملكة التقوى أو النجور و أمثال ذلك ، وأما الثاني فكالمعلوم الجزئية من حيث هي جزئية والممانى المدركة بالواهمة وأمثالها فلا يبقى للنفس ما تدركه بهذا البصر من حيث هو مدرك بهذا البصر ولا المحبة والمدادوه .

٧. أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن غالب بن عثمان، عن عبد الله بن منذر، عن الوصافي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: من كظم غيظاً وهو يقدر على إعضائه حساً الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة.

٨. الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي النوشاء، عن عبد الكريم بن عمرو، عن أبي أسامة زيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا زيد اصبر على أعداء النعم، فأنك لن تكافي من عصا الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه، يا زيد إن الله اصطفى الإسلام واختاره، فأحسنوا صحبته بالسجاء وحسن الخلق.

٩. علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن حفص بن إسحاق السابري

قوله (حساً الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة) أي إيماناً بالله وأمناً من سخطه ويمكن أن يراد بالإيمان النور القاطن بالتجليات الربانية الذي لا يحتمله الاقلوب المقربين. (فاحسنوا صحبته بالسجاء وحسن الخلق) السجاء هو بذل المفتريات و صرفها في أهل الحاجة وحسن الخلق مع خلق الله من أعظم أسباب كظم الفيظ فهما مجازان أو كنايةتان عنه ولا يبعد أن يكون السجاء شاملاً لكظم الفيظ أيضاً لأنه من جملة أفراد بوجه.

والخوف الحاصلة بمدرؤية الولد والعدو كالأنثى إذا شاهدت أولادها عرضت لها حالة تهيئها على اللطف والثريفة والارضاع ولا يعرف الحيوان لها اسماً ولا ينقل مفهومها وإنما يحصل له مصداق المحبة فقط. وكذلك النمل إذا شاهدت ذنباً عرضت لها حالة تغضي الفرار والنفرة و نسيبها نحن معاشر البشر خوفاً ولا يتصور الحيوان له مفهوماً بل له المصداق وهو حالة بدنية متعلقة بالأعصاب والدماغ يتقدما كل موجود ليس له عصب ودماغ وكذلك يعرض للإنسان نظير هذه الحالات بقوته الموسومة بالواهمة هي مصاديق مفاهيم كالحمد والفيظ والذنب وهي أي مصاديقها متعلقة بالبدن وأعضائه وعصبه ودماغه ولكن للإنسان عقلاً يستطيع أن يمارس بهذه الحالة ويمنها عن التأثير والحيوان متهور بالجري على مقتضاها ولا يبدد منع فيه عن ذلك ولذلك كلف الإنسان ولم يكلف سائر الحيوانات والعقل مبدء غير جسماني قاهر على مقتضيات القوة الواهمة ولما كان مجرداً غير متعلق بالبدن بقي في البرزخ وعاد في الآخرة والميظ مقتضى الواهمة وكظمه مقتضى العقل وبيعت يوم القيامة مع العقل ولوازمه من الرضا والامن والايمان دون الفيظ. وإذا لم يكظم غيظه وجري على مقتضاه كالحيوان أوجب ذلك له معاصي كثيرة أعقبت في قلبه نفاقاً وقسوة وملكات ينادي بها في الآخرة ويتألم بها العقل المتهور في الدنيا بلوازم الجهل والهوى. (ش)

عن أبي حمزة ، عن علي بن الحسين عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من أحب السبيل إلى الله عز وجل جرعت جرعتان : جرعة غيظ تردّها بحلم و جرعة مصيبة تردّها بصبر .

١٠- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد ، عن ربعي ، عن حذيفة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال لي أبي : يا بني ما من شيء أقر لعين أبيك من جرعة غيظ عاقبتها صبر ، وما من شيء يسرّني أن لي بذل نفسي حمرا لنعم .

١١- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن معاوية بن وهب ، عن معاذ بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إصبروا على أعداء النعم فانك لن تكافي من صا الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه .

١٢- عنه ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن خلاد ، عن الثمالي ، عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال : قال : ما أحب أن لي بذل نفسي حمرا لنعم و ما تجرعت من جرعة أحب إلي من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها .

١٣- عنه من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد ، عن الوشاء ، عن مثنى الحنّاط ، عن أبي حمزة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ما من جرعة ينجرعها العبد أحب إلى الله عز وجل من جرعة غيظ ينجرعها عند تردّها في قلبه ، إمّا بصبر وإمّا بحلم .

(باب الحلم)

١- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر ،

قوله (من أحب السبيل إلى الله جرعتان) أشار حلّ شأنه إلى الجرعة الأولى بقوله د و الكاظمين اللفظ والمافين عن الناس ، وإلى الجرعة الثانية بقوله د و بشر الصابر بن الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا ان الله وانا اليه راجعون .

قوله (ما من جرعة يتجرعها العبد أحب إلى الله عز وجل من جرعة غيظ يتجرعها عند تردّها في قلبه إمّا بصبر وإمّا بحلم) المراد بتردّها في قلبه اقدام القلب تارة إلى تجرّعها لعافيه من الأجر الجزيل والثواب الجميل وإصلاح النفس و تارة إلى ترك تجرّعها وإمضاء لها فيه عن البهاعة والمرارة . والباء في بصبر للسببية وهو والحلم متقاربان إلا أن الصابر يصبر مع المشقة والحليم لا يرى في نفسه مشقة و من ثم قبل العادي لا يأمن من الصابر كما يأمن من المعلم .

عن محمد بن عبيد الله قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً، وإن الرجل كان إذا تعبد في بني إسرائيل لم يعد عابداً حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين.

٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن النعمان، عن ابن مسكان، عن أبي حمزة قال: المؤمن خلط عمله بالحلم، يجلس ليعلم، و ينطق ليفهم، لا يحدث أمانته الاصدقاء ولا يكتم شهادته الأعداء ولا يفعل شيئاً من الحق رياء ولا يتركه حياء، إن ذكرى خاف مما يقولون واستغفر الله مما لا يعلمون، لا يفر^(١) قول من جهله

قوله (لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً) الحلم الاناء والثابت في الامور وهو يحصل من الاعتدال في القوة النفسية ويمنع النفس من الانفعال من الواردات المكروهة المؤذية، ومن آثاره عدم جزع النفس عند الامور الهائلة و عدم طبعها في المؤاخذه وعدم صدور حركات غير منتظمة منها و عدم اظهار العزبة على الغير و عدم التهاون في حفظ ما يجب حفظه شرعاً و عقلاً وهو من علو الهمة، والبساطة نفسانية كانت أو بدنية لا عبرة بها ولا تكمل ولا يترتب عليها الاجر الكامل بدونه وقوله وان الرجل كان اذا تعبد في بني اسرائيل لم يعد عابداً حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين ، السكوت عما لا يعني باب من أبواب الحكمة وله مدخل عظيم في اكتساب الحلم و لذلك قال النبي « من دحملوا تسروا و اذا غضب أحدكم: فبسكت ثلاث مرات »، قوله (لا يحدث أمانته الاصدقاء) كتمان السر والامانة ووضعهما في صندوق الجنان وعدم فتحه بمقتاح اللسان و عدم اقتتالهما لا وثق الاخوان من صفات المؤمن العاقل الكامل في الايمان فانه يعلم بنور البسيرة أنه اذا لم يحفظ الامانة لم يأمن غيره الخيانة وان كان صديقاً له لان للصديق صديقاً ومن ثم قال أمير المؤمنين «ع» و حفظ ما في الوعاء بسد الوعاء ، ومعناه أن حفظ ما في الجنان اذا اريد أن لا يطلع غيره انما هو بحفظ اللسان فانه آلة تلف الانسان ، ومعناه الافشاء ببسده عن الخفاء.

قوله (ولا يتركه حياء) قد عرفت ان القبح من النفس عن الحق و تركه لرقعة الوجه يسمى حياء مجازاً (ان ذكرى خاف مما يقولون) اما لعدم وجوده فيه أو لعدم علمه بكونه مقبولا له تعالى او لا يمكن حصول العجب اولان الانسان و ان بالغ فهو في حد النفس او لان التركيبة تركبته تعالى لا تركبة البشر ولا تركوا أنفسهم ولكن الله يزكى من يشاء.

قوله (واستغفر الله مما لا يعلمون) قال أمير المؤمنين «ع» و اذا ذكرى أحد منهم خاف مما يقال فيه فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى و ربى أعلم منى بنفسى، اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون ، و اجعلنى أفضل مما يظنون ، و اغفر لى ما لا يعلمون .

ويخشى إحصاء ما قد عمله.

٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليهما السلام يقول: إنه ليحببني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه.

٤- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن الحكم، عن أبي جيلة، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل يحب الحبيء الحليم.

٥- عنه، عن علي بن حفص العوسي الكوفي، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أعز الله بجهل قط ولا أذل بحلم قط.

(لا يغير قول من جهله) فلا يزعجه قول الزور والافتراء والبهتان و الغيبة والنميمة ولا يضطربه ولا يحركه الى الانتقام والمكافاة بالمثل بل يتمسك بالمعبر والحلم كما هو شأن أرباب الايمان وأصحاب الايقان.

قوله (انه ليحببني الرجل ان يدركه حلمه عند غضبه) فيمتنع نفسه من التشفى و الانتقام والاقدام على العقوبة و يحملها على العفو مع القدرة على ذلك والعفو من صفات الله و صفات أوليائه و من شق عليه فلينفكر في أمر الخاطئ جل شأنه فانه يشرك به و يجعل له ولد و يستند له صفات لا تلحق به و هو منزّه عنها ثم هو يعافهم و يرزقهم ويمطهم و يقضى حوائجهم .

قوله (ما أعز الله بجهل قط ولا أذل بحلم قط) لان الجهل صفة توجب النذل في الدنيا والاخرة و منه السفه والاذى والمماثلة في العقوبة والحلم صفة توجب العزة فيهما أما في الاخرة فظاهر لانه من جلال الصفات الموجبة لرفع الدرجات، و أما في الدنيا فظاهر أيضاً لان الحليم عزيز عند الخلائق كلهم ولذلك قال أمير المؤمنين (ع) «الحلم عشرة» (١) يعني كما ان الرجل يتمتع بالعشرة يتمتع بالحلم و يتوقر لاجله .

(١) قوله «الحلم عشرة» يرى الجهلاء أن الحلم من الضعف والرجل القوي الشهور لا يتحمل إيذاء الناس وقبول الظلم أفحش من الظلم وربما يتمسك بقول الله تعالى ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقال تعالى «ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب» وقال تعالى «ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً» وأيضاً السكوت على الظلم والرضا به يوجب تجري الظالم فإذا علم ان الناس مأمورون بالسكوت زادوا في الظلم والجواب ان للحلم مقاماً وللمظلوم مقاماً آخر والقدر المسلم ان الانسان لا يجوز ان يتقاد لمواطنه المترتبة به

٦- عنه عن بعض أصحابه ، رفته قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : كفى بالحلم ناصراً ، وقال : إذا لم تكن حليماً فتنحلم .

٧- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن عبد الله الحبحال ، عن حفص

قوله (كفى بالحلم ناصراً) المراد أن الحلم ناصر كاف للحليم لأن الناس يحيونه ويميلون إليه ويعينونه في المكاره وقال (إذا لم تكن حليماً فتنحلم) (٢) أي إذا لم تكن حليماً في أصل الخلقة فاكسب الحلم لأن الحلم كسائر الاخلاق قد يكون خلقياً وقد يكون كسبياً والمراد فتنكف الحلم وأظهره فإن ذلك قد يجر إلى اكتساب الحلم والاتصاف به وبؤيده قول أمير المؤمنين (ع) « إن لم تكن حليماً فتنحلم فإنه قل من تشبه يقوم إلا أو شك أن يكون منهم » أراد (ع) أن الحلم أحسن وإن لم يكن فالتشبه بالحليم حسن .

وعلى شهرته وغضبه بحيث يسلب عنه الاختيار ويجرى على ما يقتضيه قوته الواهمة بل يجب أن يكون مالكاً لنفسه ولا يكون قصاصه وانقامه وقيامه على من اعتدى عليه الا يقتضى عقلة لا لارضاء عواطفه ومتابعة هواه و شهوانه فإنه بهذا يمتاز عن الحيوان وتربية الحلم هي من وظائف الانسان لا تربية الهوى فإن الحلم هو الذي يبنى له في الآخرة وهو مفتضى العقل والعقل يبنى بجميع ما يقتضيه . (ش)

(١) قوله « إذا لم يكن حليماً فتنحلم » استدلل جماعة من الفلاسفة بوجود الاختيار للإنسان على تجرد ذاتاً وبقائه بعد الموت قالوا كل حالة جسمانية لا بد أن تحصل جبراً أقصا ولا يستطيع احد أن يمنع عنها ويدفعها عن نفسه بل هي أثر حاصل بتأثير مؤثر خارجي أو داخلي في بعض الاعضاء ونحن مجبورون مقهورون في قبوله كالرؤية بالعين فإنها بتأثير النور في الجليدية ولا نستطيع أن لا نرى مع هذا التأثير أيضاً ونفس الابصار ونطبق الاجفان قهراً عند تحريك أحد اسبمها ويحصل المحبة والخوف عند حصول أسبابها لديناً قهراً ويضطرب القلب عند الحزن ويجرى الدمع وهرشنا المعطاش عند البرد وهكذا كل حالة تكون آلتها بعض أعضاء البدن فهي قهرية ولو كان النفس من عوارض البدن مطلقاً وكان جميع حالاتها وعوارضها ناشئة من مزاجات في البدن وتأثيرات خاصة لخصوص مواد وتراكيب في خلاياها وأذراتها لزم كسب جميعها قهرية ولا يكون للنفس اختيار في أي أمر من أمورها ولكن ليس كذلك فإن ممارسة الحلم مثلاً للنفس واختيار الانسان أن يكظم غضبه وقدرته على ذلك تدل على وجود مبدء مستقل له غير متوقف على آلية البدن ولا يجوز أن يفتر بما يتوقف على الآلة كالسمع والبصر وغيرهما من القوى الجسمانية فإن لنا حالات غير متوقفة على الآلات كأدراك الكلى والاختيار . (ش)

ابن أبي عائشة قال : بعث أبو عبد الله عليه السلام غلاماً له في حاجة فأبطأ ، فخرج أبو عبد الله عليه السلام على أثره لمّا أبطأ ، فوجده قائماً ، فجلس عند رأسه يروّحه حتى اقتبه ، فلمّا تنبّه قال له أبو عبد الله عليه السلام : يا فلان ! والله ما ذلك لك ، تمام الليل والنهار ، لك الليل ولنا منك النهار .

٨- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن علي بن النعمان ، عن عمرو بن شمر عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يحب المحيي الحليم العفيف المنعطف » .

٩- أبو علي الأشعري ، عن محمد بن علي بن محبوب ، عن أيوب بن نوح ، عن عباس بن عامر ، عن ربيع بن محمد المصلي ، عن أبي محمد ، عن عمران ، عن سعيد بن يسار ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما : قلت وقلت وأنت أهل لما قلت ، سيجزى بما قلت : ويقولان للحليم منهما : صبرت وحلمت سيفقر الله لك إن أتممت ذلك ، قال : فإن ردّ الحليم عليه ارتفع الملكان .

قوله (إن الله يحب المحيي الحليم العفيف المنعطف) يعني أن الله يحب من كان فيه حياة يمنة عن القبايح و خلاف الآداب و حلم يمنة من الاضطراب عن توارد المكروهات و إيذاء الخلق والاقدام على الانتقام و عفة في دينه و نفسه تبعثه على تحصيل الكفاف من المآكل والمعارب والمناكح والمساكن والملابس وغيرها على الوجه المشروع وتنفذ بمنه على الاكتفاء بحرفته وسنمته وحفظ فقره وعدم السؤال من غيره من بني نوعه كما روى عن النبي ﷺ أنه قال ومن طلب الدنيا استغفاً عن المسئلة و سبياً على عياله و تنفقاً على جاره لئلا تمالى يوم القيامة و وجهه كالقمر ليلة البدر .

يحتمل أن يراد بالمنعطف التأكبد والمبالغة في العفة وتحمل النفس على ذلك بنوع كلنة و تمرّة محبته تعالى آجلاهي الكرامة الأبدية و عاجلاهي إيمانه على تلك الفضائل و أعداده و توفيقه على زيادتها و دوامها كما روى عن النبي ﷺ ومن يستغفب يمنة الله الحديث .

قوله (قلت و قلت) بالثاقف فيهما و بعض النسخ بالتفاء في الثاني يقال قال الرجل في رأيه وفيل إذا لم يصب فيه و رجل فاهل الرأي . (فإن ردّ الحليم عليه ارتفع الملكان) الحليم قد لا يخلو عن عثرة و خفة في وقت ما يسوم الطبع لعدم صمته إلا أنه بهذا النادر لا يزول عنه اسم الحليم ولا يستلب عنه مدحة العلم .

(باب الصمت و حفظ اللسان)

- ١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال قال أبو الحسن الرضا عليه السلام : من علامات الفقه العلم والعلم والصمت ، إن الصمت باب من أبواب الحكمة ، إن الصمت يكسب المحبة إنه دليل على كل خير .
- ٢- عنه ، عن الحسن بن محبوب ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إنما شيعتنا الخرس .

قوله (من علامات الفقه العلم والعلم والصمت) الفقه العلم بالمنافع والمضار أو البسيرة في أمور الدين ، وكون الصمت أى السكوت عما لا معنى من علاماته ظاهر لانه دال عليه كدلالة الأثر على المؤثر ، وكذلك العلم أى الثبوت في الأمور . وأما العلم ففعل المراد به آثاره أى إثبات الحق و إبطال الباطل و ترويج الدين و حل المشكلات ، وهو بهذا الاعتبار من آثار الفقه و علاماته الدالة عليه . فلا يرد أن العلم هو الفقه ولا يصح أن يكون الشيء علامة لنفسه .

قوله (إن الصمت باب من أبواب الحكمة) لأن الحكمة و هى معرفة الأحكام و أحوال الموجودات و الانقياد لله و فعل الخيرات لا تحصل إلا بالتفكر و التفكير لا يحصل أو لا يتم إلا بالصمت من اللغو .

قوله (إن الصمت يكسب المحبة) أى محبة الله تعالى أو محبة الخلق وذلك لأن أكثر أسباب الكلام و أعظم مقامات المجاورة هو المجادلة والمنازعة والمخاصمة والجرح والفيبة و التهمة و الفتن و التكذيب و المضحكة و الكذب و المزاح الكثير و ما لا يبنى و كل ذلك يوجب البغض والمداوة و يبعد عن الخير فالصمت من ذلك يورث المحبة و يقرب من الخير (أنه دليل على كل خير) لأن السكوت عن الشر لكونه شراً دليل على الخير الذى هو خده و أيضاً السكوت عنه لامن سهو ولا غفلة بل عن سفا فكرة في غفلة الحق وآلاله وتواتر أهاده و نعمائه يوجب الارتقاء الى مقام المهدوية و تحقيق ولائه حتى يصير الغيب به كالمعاني و يبلغ المبدأ لاجله الى ذروة الاحسان و ينصف بالاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة ، و اليه أشار أمير المؤمنين بقوله : وإذا كان في الرجل خلة رابعة فانتظر أخواتها ، الخلة الرابعة و الرابعة الممجيبة من راعى الشيء أعجبنى حسنه ، يعنى إذا كان في الرجل خصلة معجبة حسنة فانتظر أمثالها من الخصال الحسنة فإن بعضها يجذب بعضاً ولا يبعد أن يكون الصمت من هذا القبيل .

٣- عنه، عن الحسن بن محبوب، عن أبي علي الجواني، قال : شهدت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول لمولى له [يقال له] سالم- ووضع يده على شفتيه- وقال : يا سالم احفظ لسانك تسلم، ولا تحمل الناس على رقابتنا.

٤- عنه، عن عثمان بن عيسى قال : حضرت أبا الحسن صلوات الله عليه وقال له رجل : أوصني، فقال له : احفظ لسانك تعز، ولا تعكّن الناس من قيادك فتذل رقبتك.

٥- عنه عن الهيثم بن أبي مسروق، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ لرجل أثناء : ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة ؟ قال : بلى يا رسول الله، قال : أنل ممّا أنالك الله، قال : فإن كنت أخرج ممّن أنيله ؟

قوله (انما شبعنا الخرس) لعلمهم بمفاسد اللسان فيجتنبونها عنها و أيضاً لا يتكلمون في امور الدين الا ما سمعوه من أهل بيته بخلاف العامة فانهم يتكلمون فيها بالقياس والاستحسان والرجوه المقلية فلم يطلوا واسعة .

قوله (يا سالم احفظ لسانك تسلم) أي تسلم من آفات الدنيا والاخرة و معاصي اللسان و ذل النفس فان من ارخى عنان اللسان جرى في ميدان الطغيان و يتكلم كثير أربابا لابنائه و ما يضره و يضر غيره و يذله و يذل على سفيه .

قوله (و قال له رجل اوصني) الا بصاء طلب شيء من غيره ليعمله على خيب منه فقال (احفظ لسانك تعز) اذ بالصمت تكون الهيبة والعزة لان من رآه يخجل اليه أن له شأناً فيهييب منه ويمرزه بخلاف ارخاء اللسان فانه يهين القائل و يبدى مساوي الجاهل وبصره في أعين الناس ويذهب بمرزه وبهائه . والقياد ككتاب حبل تقاديه الدابة و هو كناية عن النسلط و الاضرار والاذلال . قوله (انل مما أنالك الله) أي اصل المحتاجين ما أعطاك الله (فاصنع للاخرى) الاخرى الجاهل من الخرق بالضم وهو الجهل بمعنى اشر عليه بما يفهمه وفيه حث على ارشاد كل من لم يعلم امر من مصالح الدين والدنيا (فاصمت لسانك الامن خير) الظاهر ان المراد بالخبر ما يورث ثواباً في الاخرة، أو نفعاً في الدنيا (بلا مضرة أحد) فيكون المباح مما ينهى السكوت عنه ويكون الامر لمطلق الطلب الشامل للوجوب والرخاءان، و بالجملة ينظر من يريد الكلام فان لم يضره ا تكلم وان رآه أو شك فيه سكوت و اختلف في المباح هل يكتبام لا نقل عن ابن عباس انه لا يكتب اذ لا يجازي عليه والحق انه يكتب لقوله تعالى وما ينظمن قول الاية

قال: فانصر المظلوم، قال: وإن كنت أضعف ممن أنصره؟ قال: فاصنع للآخرى
يعني أشر عليه، قال: فإن كنت أخرج ممن أصنع له؟ قال: فاصمت لسانك إلا من خير،
أما يسرك أن تكون فبك خصلة من هذه الخصال تجررك إلى الجنة.

٦- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن جعفر بن محمد الأشعري، عن ابن
القديح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لقمان لابنه: يا بني إن كنت زعمت أن
الكلام من فضة، فإن السكوت من ذهب.

٧- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن الحلبي، رفعه قال:
قال رسول الله ﷺ: أمسك لسانك، فإنها صدقة تصدق بها على نفسك، ثم قال:
ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه.

وكل صغير وكبير مستطره و لدلالة بعض الروايات عليه أيضاً وعدم المجازات لا يدل على
عدم الكتابة اذ لعل الكتابة لغرض آخر مثل التفسير والتأليف في توضيح المعنى فيما لا ينبغي
ولا يضر مع القدرة على فعل ما يوجب الثواب بدلالة (أما يسرك أن تكون فبك خصلة من هذه
الخصال تجررك إلى الجنة) دل على أن خصلة واحدة إذا استحكمت في مؤمن توجب الدخول
في الجنة ويمكن أن يراد أن الخصلة الواحدة تجر إلى أسباب الدخول في الجنة وهي
الاعمال الآخر فإن الخير بهمه ينفي إلى بعض كما مر.

قوله (يا بني إن كنت زعمت أن الكلام من فضة فإن السكوت من ذهب) دل على أن
السكوت أفضل من النطق وهو كذلك لأن مفاسد النطق كثيرة لا يمكن التحرز عنها إلا بالسكوت
و فيه ترغيب في السكوت وإن زعم أن كلامه حسن، و من ثم قال بعض الأكابر من نطق
فاحسن قادر على أن يصمت فيحسن و ليس من صمت فاحسن قادر على أن ينطق فيحسن و
هو أيضاً يدل على أن السكوت أفضل من النطق.

قوله (أمسك لسانك فإنها صدقة) الضمير راجع إلى الإمساك والتأنيث باعتبار الخبر
و تشبيه الإمساك بالصدقة باعتبار أنه ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة و يدفع عنه البلياء و
يوجب قربه من الحق كالصدقة (ثم قال ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن من لسانه) أشار
بذلك إلى أن الإيمان لا يتم إلا باستقامة اللسان على الحق و خزنه عن الباطل مثل الغيبة و
النميمة والفتن والغتم والكذب والزور و نحوها من الأمور المضرة و ذلك لأن الإيمان
عبادة عن التصديق بالله و رسوله والاعتقاد بحقيقة ما وردت به الشريعة من الأمور و
المنهيات و غيرها وهو يستلزم استقامة اللسان وهي إقراره بالعهدتين ولوازمها وإمساكه
عما لا ينبغي. و من البين أن الصلوة لا يستقيم بدون استقامة اللسان، وقد أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٨- علي بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن عبيد الله بن علي الحلبي، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: "وَأَلِّمُوا إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ، قَالَ يَمْنِي كَفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ."

٩- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن الحلبي، رفعه قال: قال رسول الله ﷺ: "نَجَاءُ الْمُؤْمِنِ [فِي] حِفْظِ لِسَانِهِ."

١٠- يونس، عن مثنى، عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان أبوذر رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: يَا مَبْنِيَّ الْعِلْمُ إِنَّ هَذَا اللِّسَانَ مِفْتَاحُ خَيْرٍ وَمِفْتَاحُ شَرٍّ، فَاخْتَمِ عَلَى لِسَانِكَ كَمَا تَخْتَمُ عَلَى ذَهَبِكَ وَوَرَقِكَ.

بقوله « لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » و أيضاً كل ما يتناوله اللسان من الأباطيل والأكاذيب تدخل مفهوماتها في القلب وهو ينفذ في دخول حقيقة الإيمان فيه فلا يعرف حقيقته.

قوله (الم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم قال يعني كفوا ألسنتكم) ظاهره أن المراد بالأيدي الألسنة للتشابه بينهما في القوة أو في كونهما آلة مجادلة و بهتمل أن يكون كف الأيدي مجازاً مرسل في كف الألسنة لأن كف الأيدي سبب لكف الأيدي من الضرب والقتل ونحوهما قوله (نَجَاءُ الْمُؤْمِنِ حِفْظُ لِسَانِهِ) أي نجاته في الدنيا والآخرة لأن في كثرة الكلام و إفشاء ما ينبغي إخفاؤه وبال الدنيا وتكال الآخرة.

قوله (يا مبنّي العلم أن هذا اللسان مفتاح خير و مفتاح شر) فيه ترغيب في التكم بالخير و تنفير عن التكلم بالشر ولا يتحقق ذلك إلا بالتأمل والتفكير أولاً فيما يقول كما هو شأن المؤمن العارف فإنه يتأمل و يتفكر فيما يريد النطق به فإن رآه خيراً أبداه وإن رآه شراً وأداه به إلى الجاهل فإنه يتكلم بما جرى على لسانه لا يدرى ما ذله وما ذاعليه ثم حث على كثرة ما ينبغي كنما به بقوله (فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك) الورق بكسر الراء والاستكان للتخفيف النقرة المشروقة ومنهم من يقول النقرة معضوبة كالكاف أو غير معضوبة، وقال الفارابي الورق المال من الدراهم و يجمع على أوراق، وروى مثل ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام قال والكلام في وثاقتك ما لم تتكلم به فإذا تكلمت به صرت في وثاقه فاخزن لسانك كما تحزن ذهبك وورقك فرب كلمة سلبت نعمة و قال بعض الأكابر لا تتكلم بلسانك ما تكسر به ألسنانك.

١١- حميد بن زياد، عن الخشاب، عن ابن يقناح، عن معاذ بن ثابت، عن عمرو بن جبيع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان المسيح عليه السلام يقول: لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله، فإن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم و لكن لا يعلمون.

١٢- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن أبي نجران، عن أبي جميلة عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من يوم إلا وكل عضو من أعضاء الجسد يكفر اللسان يقول: نشدك الله أن تعذب بك.

١٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن إبراهيم بن مهزم الأسدي، عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: إن لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح فيقول: كيف أصبحت؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا و يناشدونه ويقولون: إنما نثاب و نعاقبك.

قوله (إن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم و لكن لا يعلمون) تساوة القلب شدته وسلايته بحيث يتأين عن قبول الحق كالجعر العلب يمر عليه الماء ولا يتغذيه. وفيه دلالة على أن كثرة الكلام في الأمور المباحة يوجب تساوة القلب، وأما الكلام في الأمور الباطلة فقليله كالنكير في النهي منه وإيجاب التساوة.

قوله (ما من يوم إلا وكل عضو من أعضاء الجسد يكفر اللسان) أي يذل ويخضع له والنعير هو أن ينحن، الإنسان و مطلقاً رأسه قريباً من الركوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه، ثم قال من باب الاستئناف يقول (نشدك الله أن تعذب بك) نشد من باب نسر أي سألتك بالله وأحلفك به كان هذا القول بلسان المقال ويحتمل أن يكون بلسان الحال.

قوله (إن لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه) أشرقت عليه أطلعت عليه (فيقول كيف أصبحت فيقولون بخير إن تركتنا)

زبان گفت با سرکه جوئی خوشی بگفتا خوشم گرتو دم در کشی
(ويقولون الله الله فينا) أي أحذر الله أو أثق الله أو خف الله في حقنا وأمرنا، و يناشدونه أي يخلفونه بالله، والمناشدة قسم دادن و يقولون (إنما نثاب و نعاقبك) الحصر أما حقيقى ادعائى أو اضافى بالنسبة الى بواقى الجوارح فكان كل جارحة تخص هذا باللسان بالنسبة الى جوارح آخر فلا يبردان كل جارحة تثاب و نعاقب بمثلها أيضاً.

١٤ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعنه بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن قيس أبي إسماعيل، عن ذكر أنه لا بأس به من أصحابنا - رفعه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني، فقال: احفظ لسانك، قال: يا رسول الله أوصني قال: احفظ لسانك، قال: يا رسول الله أوصني، قال: احفظ لسانك، ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد السنهم.

١٥ - أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن روه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من لم يحسب كلامه من عمله كثرت خطاياؤه وحضر عذابه.

١٦ - علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام

قوله (قال جاء رجل إلى النبي ﷺ) كان الرجل كان معاذين جميل لتصريح العامة به في روايتهم مثل هذا الحديث (و هل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنهم) الحصاد بالغنم والكسر قطع الزرع وانحصائد جمع الحصيد وهي ما يحصد من الزرع شبه اللسان وما يقطع به من الافوال الباطلة بعد المنجل وما يقطع به من النبات.

قوله (من لم يحسب كلامه من عمله كثرت خطاياؤه وحضر عذابه) لعل ذلك لان اللسان له تصرف في كل موجود وموعوم ومدوم وله يد في المفليات والخياليات والمسموعات والمشمومات والمبصرات والمذوقات والملموسات، فمن حسب أن الكلام ليس من عمله المنسوب إليه الثواب والعقاب لم يبال بالكلام في أباطيل هذه الامور وأكاذيبها، فيجتمع عليه من كل وجه خطيئة فتكثر خطاياؤه، وأما غير اللسان فخطاياؤه قليلة فان خطيئة السمع ليست الا المسموعات وخطيئة البصر ليست الا المبصرات وقس عليهما سائر الجوارح و يقرب منه قول أمير المؤمنين (ع) « من كثر كلامه كثرت خطاياؤه، ومن كثرت خطاياؤه قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار» وهذا من باب القياس المنفصل النتائج ينتج من كثرة كلامه دخل النار، وروى في هذا المعنى من طرق العامة أيضاً « من كثر كلامه كثرت سقطه، ومن كثرت سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به» ولعل المراد بحضور العذاب حضور أسبابه أو حضور نفسه لان حضور أسباب الشيء دليل على حضور ذلك الشيء، وقد صرح بعض أصحابنا بأن عذاب المستحق له واقع بالفعل وان جهنم لمحيطه وأنه داخل فيها ولكن الحجاب مانع من رؤيتها الحكمة تقتضيه.

قال: قال رسول الله ﷺ: يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئاً من الجوارح فيقول: أي رب عذبني بعذاب لم تعذب به شيئاً، فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها، فسفك بها الدماء الحرام وانتهب بها المال الحرام وانتهك بها الفرج الحرام، وعزتي [و جلالتي] لأعذب بك بعذاب لا أعذب به شيئاً من جوارحك.

١٧- و بهذا الإسناد قال: قال رسول الله ﷺ: إن كان في شيء شؤم ففي اللسان.

١٨- عدة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، والحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، جميعاً، عن الوشاء قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: كان الرجل من بني إسرائيل إذا أراد العبادة صمت قبل ذلك عشرين.

١٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن بكر بن صالح، عن الغفاري، عن جعفر بن إبراهيم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله ﷺ: من رأى موضع كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

قوله (فيقول أي رب عذبني بعذاب لم تعذب به شيئاً) من الجوارح أي فيقول اللسان ذلك ولعل الإضافة في قوله (من جوارحك) للمجاورة والملازمة أو للإشارة إلى أن سائر الجوارح تابعة له وهو رئيسها (فيقال له خرجت منك كلمة) سواء كانت تلك الكلمة من باب الفتح أو غيرها. **قوله** (إن كان في شيء شؤم ففي اللسان) الشؤم الشر وشيء مضموم أي خير مبارك، وفيه تنبيه على كثرة شومه لأن له تعلقاً بكل خير وشر فيمدان شره أوسع من ميدان شر جميع الجوارح، فمن أطلق عنانه في ميدانه أودعه في مهاوى الهلاك، ولا شؤم أعظم من ذلك **قوله** (سمعت قبل ذلك عشرين) أي سمعت عملاً ينبغي في تلك المدة لمصير الصمت ملكة له ثم كان يشتغل بالمعبدة والاجتهاد فيها لتقع المعبدة خالية من المفسد وفيه تنبيه على أن الصمت أصل عظيم في المعبدة و خلوصها وبقائها ومعرفة أحكامها و سيرورتها مرقاة للمعابد في الشريقات إلى المقامات العالية.

قوله (من رأى موضع كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه) أي بهمه أو يقصده من عنيته به أي أهتمت واشتغلت به أو بمن عنيته فلا تأني قصده، وفيه تنبيه على أن المتكلم ينبغي أن يعد كلامه من عمله ويشتد في صحته وفساده وشره ونفعه، فإن رآه صحيحاً لا يشرب عليه شيء من المفسد آجلاً وعاجلاً تكلم به وإن رأى خلاف ذلك أمسك عنه.

٢٠. أبو علي الأشعري، عن الحسن بن علي الكوفي، عن عثمان بن عيسى، عن سعيد بن يسار، عن منصور بن يونس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في حكمة آل داود علي العاقل أن يكون عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانته.

قوله (علي العاقل أن يكون عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً للسانته) على العاقل أن يعرف حال أهل زمانه من الخير والشر والملاح والفساد والحق والباطل ويميز بينهم ليسأله من المصحة والعشرة ويبدو له محل الفرق والمزلة ويتمكن من اجراء السياسة المدنية على القوانين النبوية، ويحب الله ويبغض في الله ويراعى الحزم والثبوت في موضعها وأن يتقبل على شأنه فيصلح حاله ظاهراً وباطناً بالسياسة البدنية لئلا يتمكن من الخروج في المعارج الروحانية وأن يحفظ لسانه عن اللغو والمزخرفات الشيطانية قال أمير المؤمنين عليه السلام، واذنتم العقل نقص الكلام (١) وذلك لان تفكره في الله يمنعه من الاشتغال بما لا يمتيه.

(١) وقوله عليه السلام، واذنتم العقل نقص الكلام، ان الانسان قوة تسمى بالمنخيلة او المتصرفه او المتفكره او المتذكّرة باعتبارات مختلفة وهي عند الحكماء قوة جسمانية ينون ان النفس يحتاج في استعمالها الى آلة جسمانية هي الروح المعصوب في التجويف الاوسط من تجاويف الدماغ وعملها التركيب والتفصيل في مخزونات الذهن أي في القوة الحافظة ومن يستعمل القوة المنخيلة كثيراً الشعراء اذ يفتحصون عن كل شئ وما يناسبه ويغايهه ويتبعون صفاته ومحاسنه ومقايحه وعما يؤثر في نفوس السامعين من الشوق والنفرة وأمثال ذلك وهذا البحث البالغ عن مكنونات الخواطر لقوة من قوى الانسان يختلف فيها أفراد البشر ضعفاً و شدة . ويستعملها أيضاً المخترعون والمهندسون بجميع الاشكال وتفرقتها ويستعملها العلماء والحكماء عند الاستدلال والتفكر في تهية المتدمات وتركيبها واستنباط المجهولات من المعلومات يتقحم ما في حافظتهم ليجدوا ما ينفع في مقصودهم ويستعملها الناس جسيماً لتذكر ما غاب من ذهنهم بتتبع ما ارتكز في خاطرهم حتى يتذكروا ما لم ينسوه وقد يتسلسل بسببها مكنوناتهم باختيارهم أو بنهر اختيارهم خدمة لقوتهم المسماة بالواهمة وقد اشرنا الى الواهمة. وعلى كل حال المنخيلة قوة جسمانية اذ يمرض بكثرة أعمالها الكلال والاعياء بل العجز وهذه من صفات الاجسام بخلاف العقل فانه لا يكل بتكثر المفعولات ولا يعجز عن حملها والعقل اذ انهم وكل منع بظاهريته جميع القوى عن الاسترسال فيما لا يفيد و أجبرها على خدمته فلا مجال للمنخيلة العقل الا في التفكير الصحيح ولذلك قد تسمى متفكرة ولا يبقى لها فرصة لتركيب الفضول والهذو خدمة الواهمة في ما لا يمتيه ونعلم أن التكلم غير ممكن الا بأعمال المنخيلة من تركيب المفاهيم

شرح الاصول الكافي - ٢٠ -

٢١- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن علي بن الحسن بن رباط، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً مادام ساكناً، فإذا تكلم كتب محسناً أو مسيئاً.

(باب المداراة)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاث من لم يكن فيه لم يتم له عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله وخلق يدارى به الناس وحلم يرد به جهل الجاهل.

٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن الحسين ابن الحسن قال: سمعت جعفرأ عليه السلام يقول: جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال

قوله (لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً مادام ساكناً) لأن سكوت المؤمن عملاً يعنى احسان عظيم على نفسه بل على غيره.

قوله (ثلاث من لم يكن فيه لم يتم له عمل) العمل التام هو العمل الخالص الصير المشوب بشيء يوجب فساد أو نقصان وهذه الثلاث أدلها ورع يحجزه عن معاصي الله إذ من لم يكن له ورع يصدر منه المعاصي كثيراً فلا يكون عمله تاماً بل مختلطاً وثانيها خلق يدارى به الناس أى يلاطفهم و يلاينهم و يحسن صحبتهم و يحتمل منهم كيلاً يتفردوا عنه، ومن لم يكن له هذا الخلق لم يتم له عمل اذ كثيراً ما يصدر منها المكاشفة والخشونة والصناقفة والمجادلة والمفاولة وهذه الامور توجب فساد عمله أو نقصانه، وثالثها حلم يرد به جهل الجاهل أى ملكة لا تتفعل بها النفس عما صدر من الجاهل من السفاهة والايذاء والاستخفاف والاضرار بل ترد بها جميع ذلك بالمعفو عنه قال بعض الحكماء : موشعان لا اعتذر من العي فيها اذا خاطبت جاهلاً و اذا سألت حاجة و من لم يكن له حلم يصدر منه مثل ما صدر من الجاهل فلا يكون عمله تاماً أيضاً.

به والمعاني واحضار مكنونات الخواطر مما لا يفيد فائدة أو يفيد ولو صرف النظر عن هذه التقسية واليهيب فالكلام بنفسه دليل على العقل وأن صاحبه مدرك للكلية لأن الالفاظ غالباً كلمات ولغتك سمى ادراك الكلمات لفظاً ولا يتكلم الحيوان اذ لا يدرك الكلى بل انما يتأثر حاسته من الموجودات الخارجية فقط ومن الله تعالى على الانسان بتعليم البيان فمقصود الامام دعاء نفس الكلام في الفضول و ما لا يبنى ولا ينسحق أو يضرب، وخلق الكلام ليكون معيناً للعقل لايمنه عن وغائفه. (ش)

يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك دار خلقتي .

٣- عنه ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن محبوب ، عن هشام بن سالم ، عن حبيب السجستاني ، عن أبي جعفر عليه السلام قال في التوراة مكتوب - فيما نأجي الله عز وجل به موسى بن عمران عليه السلام : يا موسى اكنتم مكنوم سري في سريرتك و أظهر في علانيتك المدارة عنى لعدوتي و عدوك من خلقتي ولا تسب لي عندهم باظهار مكنوم سري ، فنشرك عدوك و عدوتي في سبي .

٤- أبو علي الأشعري ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع ، عن حمزة بن بزيع ، عن عبد الله بن سنان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أمرني ربي بمدارة الناس كما أمرني بأداء الفرائض .

قوله (دار خلقتي) و ان كانوا كفارا كما دل عليه قوله تعالى و قولاً له قولاً لنا ، و من جملة المدارة والملاطفة استجلاب طبائعهم الى الحق و تأنيبهم به بالحكمة والموعظة الحسنة قليلاً قليلاً على سبيل اللطف لادفئة لثلاث شئز عنه قلوبهم ولا يفتنر عنه طبائعهم و لو لم يمكن تأنيبهم به اما لذهوضه بالنسبة الى أفهامهم أو لقوة اعتقادهم الباطل يدهى أن يحملهم عليه بالحيل و التدبير و المقدمات الخطائية حتى يرجعوا من الجهل المركب الى الجهل البسيط ثم يداويه .

قوله (اكنتم مكنوم سري في سريرتك) لعل المراد بالسريرة القلب والسر واحد الاسرار و هو ما يكنم ، و اسرار الحديث اخفاءه و الاضافة من باب جرد قطيعة للمبالغة ثم أشار الى بعض فوائد الكتمان و ضرر نقبضه للترغيب فيه بقوله :

(ولا تسب لي عندهم باظهار مكنوم سري فنشرك عدوك و عدوتي في سبي) قال الله تعالى و لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ، وفيه ترغيب في المدارة مع الاصداء والملاطفة والملاينة معهم سواء كانت العداوة في الدين أو الدنيا مثل الحق والحمد وغيرهما لان المدارة من جملة التدبيرات في دفع العداوة ، و من ثم قيل قمع الشر بالخير وبالشر شر و نهى عن المكاشفة بالنسب والمخاصمة والمجادلة معهم فان ذلك كثيرا ما يفضي الى المعاملة بالمثل و سبهم ﷻ تعالى أي لاوليائه كما دل عليه بعض الروايات و ضياع الاموال و هلاك النفوس الى غير ذلك من المفاسد الكلية والجزئية فينبذ به نظام العالم و صلاح بني آدم خصوصاً صلاح اولياء الله تعالى . هذا بحسب الظاهر ، وأما بحسب الباطن فينبى أن يتفكر فيما يدفع به عداوته و كيدته بقدر الامكان على ما تقتضيه الحكمة بحيث لا يكون مهيجاً للشرو العداوة ، وفيه دلالة على ان السبب للفعل كالفاعل له .

٥- علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: خالطوا الأبرار سرّاً وخالطوا الفجار جهاراً ولا تميلوا عليهم فيظلموكم، فإنه سيأتي عليكم زمان لا ينجو فيه من ذوي الدين إلا من ظنوا أنه أبله وصبر نفسه على أن يقال [له]: إنه أبله لا عقل له.

٦- علي بن إبراهيم، عن بعض أصحابه، ذكره، عن محمد بن سنان، عن حذيفة بن منصور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن قوماً من الناس قلت مداراتهم للناس فأنفوا (١) من قریش و أيم الله ما كان بأحسابهم بأس وإن قوماً من غير قریش حسنت مداراتهم

قوله (مداراة الناس نصف الإيمان والرفق بهم نصف العيش) لعل الوجه أن الإيمان عبارة عن توجه القلب إلى الله تعالى وترك التعرض لما عداه فإذا تحقق الأول تحقق نصف الإيمان وإذا تحقق الثاني بالمداراة تحقق نصفه الآخر أدلوا المداراة لاقتل القلب بوجود معادلتهم و مناقشتهم و أيضاً الإيمان هو العفة والعمل، والعمل يتم بالمداراة والعيش يتحقق بوجود أساياه ورفع موانعه ورفع الموانع يتحقق بالرفق ولين الجانب ورفض العنف أدلوا بالرفق لتحقيق موانع العيش من وجوه متكررة وقد نظامه فالرفق نفسه.

قوله (لا ينجو من ذوي الدين إلا من ظنوا أنه أبله) لكون رسومه وعاداته خلاف رسومهم وعاداتهم من العنف والخشونة والمكر والفساد لزجر نفسه بالأداب الشرعية والأخلاق العقلية فظنوا أنه أبله لا عقل له ولا يفهم شيئاً ومن عقله ودينه أيضاً أنه صبر نفسه أن يقال له أبله لا عقل له ولا يزعجه هذا القول من شيمته ولا يخرج به عن سجيته، وصبر أمام مجرد أو مزبد بالتثقل، قال في المصباح صبرت صبرا من باب ضرب حبست النفس عن الجزع وصبرت زبداً يستعمل لازماً و متديباً وصبرته بالتثقل حملته على الصبر بوعده الأجر و قلت له اصبر به .

قوله (أن قوماً من الناس قلت مداراتهم للناس فأنفوا (١) من قریش) أي أخرجوا وطرحوا منهم و لعل المراد بالناس قریش وبحتمل الأعم ثم أشار مؤكداً بالقسم إلى أن ذلك الاتعام باعتبار فوات حسب أنفسهم ومآثرها إلا باعتبار فوات حسب آبائهم ومآثر أسلافهم بقوله (و أيم الله ما كان بأحسابهم بأس) الحسب ينتهين ما بعده من مآثره ومآثر آبائه والمراد به هنا مآثر الأباء وفيه تنبيه على أن المعتبر في شرف كل رجل إنما هو مآثر نفسه. ومن ثم قال الحكماء من فاته مآثر نفسه لم ينتفع بمآثر أبيه، وأيم اسم استعمل في القسم والتزم رفعه كما التزم رفع لعمرو الله و همزته عند البصريين وصل واشتقاقه من اليمين وهو البركة وعند

فألحقوا بالبيت الرقيع ، قال : ثم قال : من كف يده عن الناس فإنما يكف عنهم
يداً واحدة ويكفون عنه أيدي كثيرة .

(باب الفرق)

١- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن ذكره ، عن

الكوفيين قطع لانه جمع بمن عندهم وقد يستمر منه فيقال و ايم الله بحذف النون وفيها لغات
كثيرة وتفتح من ثها وتكسر ثم اخذ مرثانياً فقل م الله بضم الميم وكسرها وقيل ايم الله اسم
برأسه موضوع للنفس . ولما ذكر حال هؤلاء اشار الى حال من اتصف بالمداراة بقوله (وان قوماً
من قريش حسنت مداراتهم فالحقوا بالبيت الرقيع) وهو بيت الشرف والمجد والطاعة والتقوى
ومن قوله (وسلمان منا أهل البيت) ومما حال ان يريد به بيت النسب لانه منزله عن الكذب ، و
قوله اتبعوني تكونوا بيوتاً أي تعرفوا وذلك لان البيت في عرف اللغة يبربه عن الشرف و
المجد كما يقال البيت في بني فلان أي الشرف والمجد فيهم ، والي جميع ما ذكر اشار أمير
المؤمنين (ع) بقوله (رب بمبدأ قرب من قريب وقريب أبعد من بعيد) ثم قال (من كف يده عن
الناس فإنما يكف عنهم يد واحدة ويكفون عنه أيدي كثيرة) هذا مثل ما قال أمير المؤمنين (ع)
ومن يقبض يده عن عشرته فإنما يقبض منه عنهم يد واحدة ويقبض منهم عنه أيدي كثيرة . ومن تلقى
حاشيته (يعني حاشيته) يستدم من قومه المودة قال السيد رضي الدين عنه وما أحسن هذا المعنى
الذي اراده (ع) بقوله ، ويقبض يده عن عشرته الى تمام الكلام . فان المصالح خير من عشرته انما يمسك
نفع يد واحدة فاذا احتاج الى نصرتهم واضطر الى مرافقتهم ومعاذتهم قعدوا عن نصره و ثاقبوا عن
صوته واستفاته فبمع ترافدا ايدي الكثيرة وتفاض الاقدام الجمعة . وقال بعض الافاضل تقريره
ان الانسان لما كان انتفاعه بالايدي الكثيرة أتم وأولى بمصالح حاله من النفع الحاصل له ببعض
يده عن النفع بها وجب عليه أن يستجلب بمديده بالنفع مدا ايدي الكثيرة الى نفعه و الا لكان
بسبب طلبه لنفع ما من امساك يده الواحدة عنهم المستلزم لامساك أيديهم الكثيرة عنه مضيقاً
على نفسه منافع عظيمة فيكون بحسب قصده لنفع ما مضيقاً لما هو أعظم فيكون منافقاً لنفسه ،
وذلك جهل وسفه ، وقوله (ومن تلقى من تمام تأديب الاغنياء بما يمود اليهم نفع من التواضع و
ولين الجانب للخلق فاستدرجهم الى التواضع بذكر ثمرته اللازمة عنه التي هي مطلوبة لكل
عاقلة وهي استدامة مودة الناس المستلزمة لنفعهم ولعدم مضرتهم المستلزمين لمصالح المتواضع
فيما يقصده و بمثل ذلك أدب الله تعالى نبيه (ص) حيث قال : و اخفض جناحك لمن اتبعك من
المؤمنين ، و ظاهر أن غاية المذكورة و ثمرته المطلوبة لا تحصل عند جناوة الخلق والشكبر
كما اشار اليه تعالى بقوله « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

يُحَدِّثُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَفْلاً، وَقَفْلُ الْإِيمَانِ الرِّفْقُ.

٢ - وَ بِإِسْنَادِهِ قَالَ : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام : مَنْ قَسَمَ لَهُ الرِّفْقُ قَسَمَ لَهُ الْإِيمَانُ .
٣ - عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ يَحْيَى الْأَزْدِيِّ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ بَشِيرٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَفِيقٌ يَحِبُّ الرِّفْقَ فَمَنْ رَفَقَهُ بَعَادَهُ تَسْلِيلُهُ أَضْغَانَهُمْ وَمُضَادَّتُهُمْ لِهَوَاهِمَ وَقُلُوبِهِمْ ، وَ مَنْ رَفَقَهُ بِهِمْ أَشْهَدُ

قَوْلُهُ (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفِيقٌ يَحِبُّ الرِّفْقَ) أَيُّ حَافِظاً لِمَا نَعْمَانِ وَرُودِ أَمْرِ فَاكِدٍ عَلَيْهِ وَخُرُوجِ أَمْرِ مَالِحٍ عَنْهُ مِنْ بَابِ الْإِسْتِمَارَةِ وَتَشْبِيهِهِ الْمَعْقُولَ بِالْمَحْسُوسِ لِقَصْدِ الْإِبْطَاحِ .
(وَ قَفْلُ الْإِيمَانِ الرِّفْقُ) وَهُوَ لَيْنُ الْجَانِبِ وَالرَّأْفَةُ وَتَرْكُ الْعَنْفِ وَالْجَفَاءِ فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ عَلَى الْخَلْقِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ سِوَاهِ سِدْرٍ مِنْهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ خِلَافَ الْأَدَابِ أَوَّلُ مَا يَسْدُرُ وَفِيهِ تَشْبِيهُ الْإِيمَانِ بِالْجَوْهَرِ وَالْقَلْبِ بِخَزَائِنِهِ وَالرِّفْقِ بِالْفَنَلِ لِأَنَّهُ يَحْفَظُهُ عَنْ ذَوَالِهِ مِنْهُ وَخُرُوجِهِ عَنْهُ وَطَرَبَانِ مَفَاسِدِهِ عَلَيْهِ .

قَوْلُهُ (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفِيقٌ يَحِبُّ الرِّفْقَ) (١) ثَبَتَ اخْتِلَافُ الرِّفْقِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ طَرِيقِ الْعَامَّةِ أَيْضاً رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، أَنَّهُ قَالَ : اللَّهُ رَفِيقٌ يَحِبُّ الرِّفْقَ ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطَى عَلَى الْعَنْفِ ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ : الرِّفْقُ هُوَ الْكِبَرُ الرَّفْقُ وَالرِّفْقُ يَحْيَى بِمَعْنَى التَّسْهِيلِ وَهُوَ وَضْعُ الْعَنْفِ وَالتَّشْدِيدِ وَبِمَعْنَى الْإِرْفَاقِ وَهُوَ اعْطَاءُ مَا يَرْتَفِقُ بِهِ وَبِمَعْنَى التَّأْنِي وَبِعَدَمِ الْعَجَلَةِ وَصَحَّتْ نِسْبَةُ هَذِهِ الْمَعَانِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِأَنَّهُ الْمُسَهِّلُ وَالْمُعْطِي وَغَيْرُ الْمُسْجِلِ عَلَى عَفْوِ بَقَاةِ الْعَصَاةِ .
أَقُولُ لِلرِّفْقِ مَعْنَى آخَرٌ يَصِحُّ لَهُ تَعَالَى أَيْضاً وَهُوَ احْتِكَامُ الْعَمَلِ ، قَالَ فِي الْمَصْبَاحِ رَفَقَتْ الْعَمَلُ مِنْ بَابِ فَعَّلَ أَفْعَلَ وَبِمَعْنَى يَحِبُّ الرِّفْقَ أَنَّهُ بِأَمْرِ بِهِ وَيَعْضُ عَلَيْهِ وَيُرِيدُ صُدُورَهُ مِنْهُمْ وَيُشِيبُهُمْ لَهُ وَلَمَّا أَشَارَ أَجْمَعاً إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى رَفِيقٌ أَشَارَ إِلَى بَعْضِ جِزْمَاتِ رَفَقِهِ .

(فَقَالَ فَمَنْ رَفَقَهُ بَعَادَهُ تَسْلِيلُهُ أَضْغَانَهُمْ) الْمَلُ وَالنَّسْلِيلُ اخْرَاجَ الشَّيْءَ بِرَفْقٍ تَقْوَلُ

(١) قَوْلُهُ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفِيقٌ يَحِبُّ الرِّفْقَ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَلَكَ حَسَنَ الْإِخْلَاقِ وَفَضَاءَ الْمَلَائِكَةِ وَجُودَ مِثْلِهَا أَوْ مَا يَنْبَسِجُهَا فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلًا اللَّهُ كَرِيمٌ يَحِبُّ الْكِرَامَ فَالْكَرَمُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْقَاضِلَةِ وَحَلِيمٌ يَحِبُّ الْحِلْمَ ، وَالْجُودُ حَسَنٌ لِأَنَّ اللَّهَ جَوَادٌ ، وَالسَّخَاءُ حَسَنٌ وَإِنْ لَمْ يَوْسُقْهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالسَّخَاءِ لَكِنْ وَصِفَ بِمَا يَنْبَسِجُهَا وَالْعِجَاقَةُ حَسَنَةٌ وَلَا يُقَالُ لَهُ تَعَالَى عِجَاقٌ لَكِنْ يَشْمَلُ بَعْدَهُمُ الْخُوفُ وَهَذَا مَعْنَى مَا قِيلَ تَخَلَّقُوا بِإِخْلَاقِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِالْجَمَلَةِ هُوَ الْمَوْجُودُ الْكَامِلُ الْجَامِعُ لِجَمِيعِ الْكَمَالَاتِ الْمُنَزَّاهِ مِنْ جَمِيعِ النِّقَاطِ ، وَتَحْصِيلُ كُلِّ كَمَالٍ تَشْبِيهًُ بِالْخَالِقِ تَعَالَى وَمَا يَسْلُبُ عَنْهُ كَالْجَسَمِيَّةِ وَالْمَحْصُوبِيَّةِ وَالْمَكَانِ وَالزَّمَانِ وَالْفَرَكِيبِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِ النِّقْصِ وَيَجِبُ التَّرْفَعُ عَنْهَا عَلَى الْإِنْسَانِ بِقَدْرِ اسْتَطَاعَتِهِ وَهُوَ مَعْنَى التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ وَجَمْلُهُ غَايَةُ الْعِبَادَاتِ . (ش)

يدعهم على الأمر يريد إزالتهم عنه دفقاً بهم لكيلا يلقي عليهم عري الايمان و
مناقضته جملة واحدة فيضعفوا فإذا أراد ذلك نسخ الأمر بالآخر فصار منسوخاً.

سللت السيف إذا أخرجه من غمده، والظن الحقد والمداوة والبغضاء، تقول ضمن صدره
ضمناً من باب تعب أي حقد، والاسم الضن والجمع الاضنان مثل حمل وأحمال، ولعل المراد
بتسليطها إخراجها بالرفق والتدريج عن قلوبهم و توفيقهم على دفعها باستعمال أسبابه و عدم
تكليفهم بدفعة فان دفعها دفعة سبب عليهم.

(و مضادتهم لهواهم و قلوبهم) (١) بين الالهواء النفسانية والاخلاقي الرذيلة مثل الطمع و
الحرس والاسف على قنات الدنيا والغضب والغيظ والفرد وغيرها و بين القلوب العاقلة
المقتضية للاخلاق الفاضلة مضادة تريد كل واحدة الغلبة على الاخرى و الله سبحانه لرفقه
بهم أمرهم برفقها و إخراجها على سبيل التدريج لادفعة لئلا يسبب ذلك عليهم.

(و من رفته بهم انه يدعهم على الأمر يريد إزالتهم عنه دفقاً بهم لكيلا يلقي عليهم
عري الايمان و مناقضته جملة واحدة فيضعفوا فإذا أراد ذلك نسخ أمر بالآخر فصار منسوخاً)
عروة الكوز اذنه والجمع عري مثل مدية و مدي و عروة الايمان أحكامه وآثاره و خواصه
على التشبيه بالعروة التي يتمسك بها ويستوثق فان العبد بأحكام الايمان يحمله كما أن شارب
الماء يحمل الكوز بهروته. ولعل المراد انه تعالى يعلم ان صلاح العباد في أمرين و انه
لو كلفهم بهما دفقة وفي زمان واحد ثقل ذلك عليهم وضعفوا عن تحمليهما فمن رفته بهم أن
بأمرهم بأحدهما و يدعهم عليه حيناً، ثم اذا أراد إزالتهم عنه نسخ الأمر الاول بالأمر
الاخر ليفوزوا بالمصلحتين و هذا وجه آخر للنسخ غير ما هو المعروف من اختساص
كل أمر بوقت دون آخر والله اعلم.

(١) قوله و مضادتهم لهواهم و قلوبهم، الهوى هو القوة الواهمة وما يتفرع عليها
كالشهوة والغضب والطيش، والقلب القوة العاقلة وما ينشعب منها كالعلم والرفق والثبت و
التؤدة ولم يجعل الواهمة في الانسان الا لمصلحته ولو لم يكن الشهوة و حب المنافع لم يطلب
الانسان الطعام والنكاح ولم يتحمل مشقة المكاسب وفسد العالم و خربت البلاد و زال العمران
ولو لم يكن الغضب و التنفر عن المخار لم يدفع أحد عن عرضه وماله ونفسه وفسد العالم أيضاً
ولو لم يكن القتل و اسرسل الناس في طلب شهواتهم و اتبعوا هواطفتهم مطلقاً لم يفرتب المرض
المقصود من خلقه الانسان بل كانوا كسائر الحيوانات ونوعاً من أنواعها فخلق الله بهم وجعل
فيهم الهوى والغلب و سلط القلب أي العقل والقوة الناطقة على الهوى أي الوهم ليعمل به
بالرفق والمدارة ولم يفرع العقل ولا الوهم عنهم حتى يتهرم هم على الخير والشر دفقاً بهم. (ش)

٤- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن معاوية بن وهب عن معاذ بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: الرِّفْقُ يُعْمِدُ والخِرْقُ شوم.

٥- عنه، عن ابن محبوب، عن عمر بن شهر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل رقيق يحب الرِّفْقَ ويعطي على الرِّفْقِ ما لا يعطي على العنف.

٦- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن ذرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن الرِّفْقَ لم يوضع على شيء إلا أزاله

قوله (الرِّفْقُ يَمُنُّ والخِرْقُ شوم) (١) اليمين البركة يقال يمين الرجل على قومه و اقومه بالبناء للمفعول فهو يمينون و يمينه الله يمينه يميناً من باب قتل اذا جعله مباركاً والخِرْقُ بالضم والسكون، اسم ضد الرِّفْقِ يقال خرق خرقاً اذا عمل شيئاً فلم يرفق فيه فهو أخرق و الانثى خرقاء مثل أحمر و حمراء وقد يفسر الخرق بالجهول لانه ينشأ منه والشوم ضد اليمين ورجل مشوم أي شريد غير مبارك، وانما كان الرِّفْقُ يميناً لانه منشأ لصحة النظام وسبب للخيرات وكل ذلك مبارك والخرق مكس ذلك فهو غير مبارك.

قوله (و يعطي على الرِّفْقِ ما لا يعطي على العنف) أي يعطي على الرِّفْقِ في الدنيا من الثناء الجميل وفي الآخرة من الثواب الجزيل (٢) ما لا يعطي على العنف الجايز فاذا كان أمر يسوغ الشرع أن يوصل اليه بالرِّفْقِ والعنف فسلوك طريق الرِّفْقِ أولى لما يحصل من الثناء على صاحبه وفي ذلك من منافعه التي لا تحصى.

قوله (أن الرِّفْقَ لم يوضع على شيء إلا أزاله ولا نزح من شيء إلا أزاله) زانه من باب

(١) «والخرق شوم، الخرق أيضاً طيش و غضب و تسرع الى الشر وهي من لوازم القوة الواهمة و ادراك مصاديق المعاني الجزئية وهي جسمانية بدليل أن غير العاقل يسترسل فيما يقتضيه هذه الحالات قهراً جبراً وقلنا أن الجسمانيات تنزب على أسبابها قهراً و لو كان العقل أيضاً جسمانياً كان تنزب مقتضاه أيضاً قهراً» (ش)

(٢) قوله وفي الآخرة من الثواب الجزيل، أصل الرِّفْقِ ملكة تبقى مع بقاء النفس وهكذا كل ملكة لا يتوقف على آلة جسمانية مثلاً ملكة الكتابة والمنطق باليد واللسان لا تبقى عند زوال اليد واللسان وأما ملكة الايمان واليقين من صفات النفس لا باعثبار بقاءها فتبقى معها لعدم توقفها على الآلات البدنية وسيجيء ان شاء الله اثبات بقاء النفس المجردة بملكاتها في موضع البقي. (ش)

ولا نزع من شيء إلا شانه.

٧- علي بن أبيه عن عبدالله بن المغيرة ، عن عمرو بن أبي المقدام ، رفعه إلى النبي ﷺ قال : إن في الرقيق الزيادة والبركة و من يحرم الرقيق يحرم الخير.

٨- عنه ، عن عبدالله بن المغيرة ، عن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما زوي الرقيق عن أهل بيت إلا زوي عنهم الخير.

٩- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن إبراهيم بن محمد الثقفي ، عن علي بن المعلّى ، عن إسماعيل بن يسار ، عن أحمد بن زياد بن أرقم الكوفي ، عن رجل ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : أيما أهل بيت أعطوا حظهم من الرقيق فقد وسع الله عليهم في الرزق ، والرقيق في تقدير المعيشة خير من السعة في المال ، و الرقيق لا يعجز عنه شيء و التبذير لا يبقى معه شيء ، إن الله عز وجل رقيق يحب الرقيق.

١٠- علي بن إبراهيم رفعه ، عن صالح بن عقبة ، عن هشام بن أحمر ، عن أبي -

سار وزينه بمعنى الاسم الزينة والزين نقض الشين وشانه من باب باع شيئاً ما به ، و هذا الحديث رواه مسلم بعبارة عنه وهو متفق عليه بين الأمة.

قوله (أن في الرقيق الزيادة والبركة) أي زيادة الرزق والبركة فيه أو زيادة الخير لكونه ذريعة إلى منافع الدنيا والآخرة ومستلزماً للخصال المرغوبة والكمالات السنية بخلاف الحر فإنه مع كونه نفساً في ذاته وتاباً للجهالات جالب للضرور ومانع من الخيرات.

قوله أيما أهل بيت أعطوا حظهم من الرقيق أي رفق بعضهم ببعض أو رفقهم بخلق الله (ففسد وسع الله عليهم في الرزق) لأن الرقيق أشد جاذب له وسبب لرفقه تعالى بهم في إيصاله وتسهيل طرقه ، وفيه ترغيب في اكتساب الرقيق كما أن قوله (والرقيق في تقدير المعيشة) أي التوسط بين التقتير والتبذير (خير من السعة في المال) بلا تقدير المعيشة ترغيب في اختيار التوسط في المعيشة وهي مكسب الإنسان الذي يعيش به وأشار إلى وجه ذلك بقوله (والرقيق لا يعجز عنه شيء) أي الرقيق في تقدير المعيشة لا يضعف ولا ينقص عنه شيء من المال لأن القليل من المال يكشف مع التقدير والتقدير الضروري قد ضمنه المال الحكيم ولا بد من حصوله (والتبذير لا يبقى معه شيء) من المال كما هو المشاهد المجرب ، ثم حث على الرقيق مطلقاً أو على الرقيق في تقدير المعيشة بقوله (إن الله عز وجل رقيق يحب الرقيق) لأنه أقوى سبب لبقاء نظام الكل والجزء المطلوب عقلاً و شرفاً .

الحسن عليه السلام قال : قال لي - و جرى بيني وبين رجل من القوم كلامٌ فقال لي - :
ارفق بهم فإن كفر أحدهم في غضبه ولاخير فيمن كان كفره في غضبه.

١١- عدةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علي بن حستان، عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: الرُّفْق نصف العيش.

١٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله يحب الرُّفْقَ ويعين عليه، فإذا ركبتم الدوابَّ العجف فأنزلوها منازلها، فإن كانت الأرض مجدبة فأنجوها عنها وإن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها.

١٣- عدةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن عثمان بن عيسى، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: "لو كان الرُّفْقُ خلقاً يرى ما كان ممّا خلق الله شيء أحسن منه.

١٤- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن ثعلبة بن -

قوله (فإن كفر أحدهم في غضبه) الغضب كثيراً ما يفسى إلى الكفر بمعنى الارتداد و الجحود وأما الكفر بمعنى ترك المأور به فهو لازم له قطعاً .

قوله (الرفق نصف العيش) العيش الطيب يحصل بالكفاف والرفق الموجب للشود و التآلف فالرفق نصف العيش خصوصاً مع الخدمة والعبيد والاهل، ومن الرفق بهم أن يصفح عن ذلاتهم وأن يكلفهم دون طاقتهم وأن يعلمهم ويلبسهم ما يطعمه ويلبسه .

قوله (فإذا ركبتم الدواب العجف) الفرس الاعجف الضعيف المهزول والاشي المعجفاء وتجمع على عجف كصماء على صم وعلى عجاف بالكسر على غير قياس لان أفضل فعلاء لا يجمع على فعال، وانما اخس العجف بالذكر لان رعاية حالها أهم والا فالحكم وهو قوله (فأنزلوها منازلها) أي منازلها اللائقة بحالها من حيث الماء والكلاء غير مخصص بالجريالة في غير المهزولة أيضاً (فإن كانت الأرض مجدبة فأنجوها عنها) أجذب الأرض وجدها مجدبة لا مشب فيها ولا كلاء من الجذب وهو التمحط ونجا ينجو بالجيم اذا أسرع في السير ونجا من الامر اذا خلس واتجاه غيره . وفي طرق العامة عنه . اذا سافرت في الجذب فاستنجوا أي أسرعوا في السير لتخلصوا منه . وفي رواية اخرى لهم فأنجوا كما في ما نحن فيه (وان كانت مخصبة فأنزلوها منازلها) الخصب بالكسر النماء والبركة خلاف الجذب وهو اسم من أخصب المكان بالالف فهو مخصب وأخصب الله الموضع اذا أنبت فيه العشب والكلاء .

ميمون، عمن حدثته، عن أحدهما عليه السلام قال: إن الله رفيق يحب الرفق ومن رفقته بكم تسليلاً أضفانكم ومضادة قلوبكم وإنه يريد تحويل العبد عن الأمر فيتركه عليه حتى يحول به بالناسخ كراهية تناقل الحق عليه.

١٥- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما اصطحب اثنان إلا كان أعظمهما أجراً وأحبهما إلى الله عز وجل أرفقهما بصاحبه.

١٦- أبو علي الأشعري، عن محمد بن حسان، عن الحسن بن الحسين، عن الفضيل ابن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس.

(باب التواضع)

١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أرسل النجاشي إلى جعفر بن أبي طالب وأصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت له جالس على الثراب وعليه خلقان الثياب قال عليه السلام: فقال جعفر فاشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلمّا رأى ما بنا وتغيّر وجوهنا قال: الحمد

قوله (و من رفقته تسليلاً أضفانكم و مضادة قلوبكم) لعل المراد بمضادة القلوب ما يضاد الحكمة و الاخلاق الفاضلة. و بالرفق في تسليطها الامر بازائها تدريجاً بالحكمة العملية و الاداب الشرعية لادفعة فان ازالها دفعة حبب و الله سبحانه لرفقه بعباده لم يكلفهم بها. قوله (و انه يريد تحويل العبد عن الامر فيتركه عليه حتى يحول به بالناسخ كراهية تناقل الحق عليه) لعل الكراهية علة لتحويله بالناسخ و الحق الامر المنسوخ و وجه التناقل ان النفس ينقل عليها الامر المكرر و تنشط بالامر الجديد، او علة لتحويله بالناسخ دون جمعه مع ان في كلا الامرين صلاح العبد الا ان الرفق يقتضى النسخ لثلاث يتناقل الحق عليه. والله اعلم.

قوله (من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس) لان رفقته بهم يوجب ميل القلوب اليه و التألف و التودد بينهم وله مدخل عظيم لنيل المقصود منهم.

قوله (قال ارسل النجاشي) النجاشي ملك الحبشة مخفف عند الاكثر (و عليه الخلقان الثوب) خلق الثوب بالضم اذا يلى وهو خلق بفنحتين و الجمع خلقان وفي بعض النسخ «الثياب» و الاضافة من باب جرد فطيفة (فاشفقنا منه) أى خفنا يقال اشفق منه اذا خاف و اشفق عليه اذا

الله الذي نصر محمدًا وأقرَّ عبده ، ألا أبتشركم ؟ فقلت : بلى أيها الملك ، فقال : إنه جاءني الساعة من نحو أرضكم عين من عيوني هناك فأخبرني أن الله عز وجل قد نصر نبيَّه محمدًا ﷺ وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان النقا بواد يقال له بدر كثير الاراك لكأنني أنظر إليه حيث كنت أرى لسيدي هناك وهو رجل من بني ضمرة فقال له جعفر : أيها الملك فمالي أراك جالساً على التراب وعلى هذه الخلقان ؟ فقال له : يا جعفر إنما نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام أن من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عند ما يحدث لهم من نعمة فلما أحدث الله عز وجل لي نعمة بمحمد ﷺ أحدثت الله هذا التواضع فلما بلغ النبي ﷺ قال لأصحابه : إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة فنصدقوا يرحمكم الله ، وإن التواضع يزيد صاحبه رفعة ، فتواضعوا يرفعكم الله ، وإن العفو يزيد صاحبه عزاً ، فاعفوا يعزكم الله .

عطف عليه (عين من عيوني) العين الديدبان ، والجاسوس (النقا بواد يقال له بدر كثير الاراك) بدر موضع بين مكة والمدينة وهو الى المدينة أقرب ، ويقال هو منها على ثمانية وعشرين فرسخاً ، وعن الشعبي انه اسم برهناك قال وسببت بدر لأن الماء كان لرجل من جهينة اسمه بدر . و الاراك شجر يستاك بقمبانه ، الواحدة الاراكة ويقال هي شجرة طويلة ناعمة كثيرة الورد والأغصان خواردة المود ولها ثمر في عناقيد يسمى البرير يملأه العنقود الكلب (لكاني أنظر إليه حيث كنت أرى لسيدي هناك) أي لكاني حاضر هناك أنظر إليه و حيث تميل لكاني أنظر إليه (أن من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعاً عند ما يحدث لهم من نعمة) كما ينبت التواضع وهو اظهار الخضوع والخضوع والذل والافتقار عند ملاحظة عظمت وجهاله كذلك ينبت التواضع له عند التشرف بنعمة من نعمة الدنوية والاخرية جسمانية كانت أرواحانية والاول أفضل من الثاني لانه تعالى استحق الاول بالذات والثاني بالتبعية . (إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة) أي كثرة أموال وأهوان في الدنيا وكثرة الاجر في الآخرة . ومن ثم قيل الصدقة لمن نعيم الجنان وأجر خدم الخلد من ولدان (وإن التواضع يزيد صاحبه رفعة) أي التواضع لله وللمؤمنين يوجب رفع قدوس صاحبه في الدنيا لميل القلوب الى محبته وتعظيمه وتوقيره وشغل اللسان بحسن ذكره و ثنائه وتشهيره في الآخرة بملأ المرتبة والاجر الجليل وسمو المنزلة والثواب الجزيل (وإن العفو يزيد صاحبه عزاً) لأن من عرف بالعلم ساد و

٢. علي بن إبراهيم. عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إن في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه.

٣ - ابن أبي عمير، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أفطر رسول الله صلى الله عليه وآله عشية خميس في مسجد قبا، فقال: هل من شراب؟ فأتاه أوس بن خولي الأنصاري بعس مخبض بعسل فلمسا وضعه على فيه فحماه، ثم قال: شرابان يكتفي بأحدهما من صاحبه، لا أشربه ولا أحرمه، ولكن أتواضع لله، فإن من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله ومن اقتصد في معيشته رزقه الله ومن بذر حرمه الله ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله.

٤ - الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن داود الحممار، عن أبي عبد الله عليه السلام، مثله. وقال: من أكثر ذكر الله أظله الله في جنته.

ظلم و عز في الدنيا والآخرة. وقد روى نظيره من طرق العامة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.

قوله (فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه) دخل في التواضع للامتثال بأوامره ونواحيه وآدابه وأخلاقه والخشوع له عند ملاحظة عظامته وإظهار ذل النفس والعجز عند مشاهدته، ولعل المراد برفعهما ووضعهما الدعاء بالرفع والوضع أو اعلام سائر الملائكة بأن فلاناً رفيع القدر وفلاناً ضيع القدر، أو رفع روح المتواضع ووضع روح المتكبر عند الموت.

قوله (بعس مخبض بعسل) أي مزوج بعسل والعس بالضم القدح الكبير والجمع عس ككتاب، والمخبض قميل بمعنى مفعول من مخضت اللبن مخطاً من باب قتل وفي لغة من بأي ضرب ونفع إذا استخرجت زبد. بوضع الماء فيه وتحريكه (لا أشربه ولا أحرمه) دل على أن الاكتفاء بطعام واحد أولى من تناول الأطعمة الكثيرة المزوجة وغيرها (ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله) لأن ذكر الموت يوجب ترك الدنيا والمسيل إلى الآخرة والقيام به طائفة الطاعات وتطهير الظاهر والباطن عن الأعمال والاخلاق الرذيلة وكل ذلك يثمر محبته تعالى.

قوله (من أكثر ذكر الله أظله الله في جنته) أي من أكثر ذكر الله باللسان والجنان

٥ - عدته من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن ابن فضال ، عن
 العلامة زرين ، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يذكر أنه أتى رسول الله
 ﷺ ملك فقال : إن الله عز وجل " يخيرك أن تكون عبداً رسولاً متواضعاً أو ملكاً
 رسولاً " قال : فنظر إلى جبرئيل وأوماً بيده أن تواضع . فقال : عبداً متواضعاً رسولاً
 فقال الرسول : مع أنه لا ينقصك معان عندك شيئاً ، قال ومعها ما تبع خزائن الأرض .
 ٦ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله
 عليه السلام قال : من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس وأن تسلم على من تلقى و
 أن تترك المرء وإن كنت محققاً وأن لا تحب أن تحمد على التقوى .

عند الطاعة والمعصية والبلية أدخله الله في جنته وأظله بأشجارها أو أوقع عليه ظل رحمة في
 جنته أو أدخله في كنفه وحمايته فإن الظل قد يكتفى به عن الكنف والحماية كما يقال فلان
 في ظل فلان أو قبل الله عليه حتى كأنه ألقى ظله عليه على سبيل التمثيل والظل يطلق على الإقبال
 كما يقال أظلك شهر رمضان .

قوله (قال ومعها ما تبع خزائن الأرض) ضمير قال راجع إلى أبي جعفر (ع) ، وضمير
 معه إلى الملك الرسول ، و المفتاح الذي يفتح به المدخل والفتح مثله و جمع الاول
 مفاتيح ، و جمع الثاني مفاتيح بغير ياء ، ويمكن حمل مفاتيح خزائن الأرض على الحقيقة و
 على استعارة لطيفة وذلك أن المعجز وعدم التمكين والقدرة على استيلاء أهل الأرض بخزائنها
 لما كان مانعاً من ذلك شبهه بفتح المسامح من الدخول في الدار بتناول ما فيها والقدرة والفتح
 لما كان مانعاً لذلك المانع شبهه بالمفتاح .

قوله (من التواضع أن ترضى بالمجلس دون المجلس) و أن اقتضى شرفك صدره كما
 روى ذلك في وصف النبي (ص) (وأن تسلم على من تلقى) أي على كل من تلقى وإن لم يكن من
 معارفك إلا ما استثنى مثل الكتابي والشابة إلا أن تأمن من نفسك أن يدخل فيها شيء ومع ذلك
 فتترك السلام عليها راجع لما يأتي في باب التسليم على النساء (وأن تترك المرء وإن كنت
 محققاً) أي وإن تترك المجادلة والمنازعة مع الخلق والظمن في قولهم ولو كانت في الدرس و
 المسائل العلمية وإن كنت محققاً إلا أن تبريد الهداية والارشاد مع لين القول فإنه أقوى في
 التأثير ، وفي الصباح مديته ماريه معارفه و مرء جادته و يقال مديته أيضا إذا طمنت في
 قوله تزييماً للقول وتصبراً للقابل ولا يكون المرء إلا اعتراضاً بخلاف الجدل فإنه يكون
 ابتداء واعتراضاً (وأن لا تحب أن تحمد على التقوى) لأن حب ذلك من آثار المعجب والادلال والاعتقاد
 بخروج النفس عن حد التقدير ، وكل ذلك مذموم مهلك وقد ذكر أمير المؤمنين (ع) في وصف المتقين

٧- علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن علي بن يقطين، عن عمته رواء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن يأموسى تدري لم اصطفيك بكلامي دون خلقي؟ قال: يا رب! ولم ذلك؟ قال: فأوحى الله تبارك وتعالى إليه يأموسى إنسى قلبت عبادةً ظهر ألبطن، فلم أجدهم أحداً أذل لى نفساً منك، يا موسى إنك إذا صليت وضعت خدك على الشراب - أو قال: على الأرض . .

٨- علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مر علي بن الحسين صلوات الله عليهما على المجذمين وهوراكب حماره وهم يتفقدون فدعوه إلى الغداء، فقال: أما إننى لولا أننى صائم لفعلت، فلمّا صار إلى منزله أمر بطعام فصنع، وأمر أن يتنوّقوا فيه، ثم دعاهم فتفقدوا وعنده

المتواضعين أنهم لا يرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير لهم لأنفسهم منهمون ومن أعمالهم مشفقون، إذا ذكرى أحد منهم خاف مما يقال له فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى ودى أعلم منى بنفسى اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون اغفر لى ما لا يعلمون، قوله (انى قلبت عبادةً ظهر ألبطن) فى المصباح قلبته قلباً من باب ضرب حوله عن وجهه و قلبت الرداء حوله و جعلت أعلاه أسفله و قلبت الشيء للابتجاع قلباً أيضاً تصفحته فرأيت داخله و باطنه و قلبت الامر ظهر البطن اخبرته .

قوله (مر على بن الحسين عليهما السلام على المجنمين) وفى بعض النسخ والمجذومين، يقال رجل أجذم ومجذوم ومجنم إذا تهاقت أطرافه بالمجنون وهو داء يحدث من غلبة السوداء فيفسد مزاج الاعضاء وربما انتهى الى ان يأكلها ويأكل ما يوضع فيها والغرض من هذا الحديث هو اظهار تواضع دع الله تعالى كما يفهم من قوله (وهو راكب حمارة) أو للمخلق المجذومين فكيف غيرهم كما يفهم من قوله فى الآخر (وتفدى معهم) والثنوق نيك و دركيسن دركارى و يكو ساخن، أو يقال شيء انيق أى حسن معجب والظاهر انه دع أكمل معهم فى اناء واحد و فيه دلالة على جوارحه مساحبة المجذوم و معاشرته ومواكلته و يؤيده ما مر رواء المصنف فى كتاب الروضة عن أبي عبد الله دع، قال دان امرأياً انى رسول الله دع، فقال يا رسول الله انى اصيب الشاء والبقرة والناقة بالثمن اليسير وبها جرب فاكره شراءها مخافة ان يعدى ذلك الجرب ابلى و غنى، فقال له رسول الله دع، يا أعرابى فمن أهدى الاول ثم قال رسول الله دع، لا عدوى ولا طيرة - الحديث ، يعنى لا تجاوز العلة صاحبها الى غيره

تفدئ معهم.

٩. عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن عثمان بن عيسى ،

ومثل هذه الرواية بعينها موجود من طرق العامة أيضاً وهو لا ينافي الرواية المشهورة عندنا و عندهم وهي: فر من المجذوم فرارك من الأسد، فقل للجميع بينهما أن حديث الفرار ليس للوجوب بل للجواز أو الندب احتياطاً خوفاً ما يقع في النفس من أمر المدو و السراية و حديث الأكل والمجالسة للدلالة على الجواز سيما إذا لم يوجس في النفس خوف المدو. ومما يؤيد ذلك ما روى من طرق العامة عن جابر أنه (ح) أكل مع المجذوم فقال: آكل ثقة بالله و توكلأعليه و من طرقتهم أيضاً إن امرأة سألت بعض أزواجه و عن الفرار من المجذوم فقال: كلا والله وقد قال رسول الله: « لا عدوى »، وقد كان لنا مولى أصابه ذلك فكان يأكل في صحافي و يشرب من قداحي و ينام على فراشي . و قال بعض العامة حديث الأكل ناسخ لحديث الفرار، ورده بعضهم بأن الأصل عدم النسخ على أن الحكم بالنسخ يتوقف على العلم بنسخ حديث الأكل و هو غير معلوم وقال بعضهم للجميع ان حديث الفرار على تفدير وجوبه إنما كان لخوف أن يقع في العلة بشبهة الله فيعتقدان العدوى حقاً. أقول: بقي احتمال آخر لم يذكره أحد و هو تخصيص حديث لا عدوى بحديث الفرار مع حمل الفرار على الوجوب و أكل المصوم منه لا يدل على جواز ذلك لغيره لئله بأن الله تعالى يحفظه عن تعدى العلة إليه، ثم لو قيل بوجوب الفرار فمنعه من المسجد والاختلاط بالناس والدخول على الحمامات غير بعيد ، و قال عباس : إذا كثر المجذومون فقال الأكثر يؤمرون أن ينفردوا في موضع (١) عن الناس ولا يمتنعون من التنصيف في حوائجهم، و قيل لا يلزمهم الانفراد و لم يختلف في القليل أنهم لا يمتنعون ولا يمتنعون من سلوة الجمعة مع الناس

(١) قوله « يؤمرون أن ينفردوا في موضع » هذا طريقة يسلكها أهل هذا الزمان و الجذام مرض لم يهتد الأطباء بمد إلى علاجه و ينسبه أطباء عصرنا إلى جرثومة يسمونها « دهانسن » و لها قرابة مع جرثومة السل أعادنا الله منها و من غيرها ولما أثبت التجربة سراية كثير من الأمراض ووردت أحاديث تدل على السراية تكلفوا لتأويل ما ورد في نفسها مثل قوله « لا عدوى » بأن ليس المراد من العدوى السراية مطلقاً بل نحو منها كان يمتنعه الناس في الجاهلية، أو أنها العلة القائمة لايجاد المرض بحيث لو تجشبت المرضي كان مصوناً و لو لا فاهم ابتلى حتماً و كان هذا سبباً لأعمال المرضي و ترك تمريرهم و رعايتهم و عبادتهم و أمان اعتقد السراية بشبهة الله وتأثيرها في الجملة أن أراد الله فلا محذور فيه ولا يوجب ترك المرضي و أعمالهم، لان احتمال التشرد بنجاء الواقع في المهلكة لا يحمل النفوس الخيرة على أن يدموا المرضي بل يخطرون بأنفسهم لنجاتهم وإحالتهم، (ش)

عن هارون بن خازجة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن من المتواضع أن يجلس الرجل دون شرفه .

١٠- عنه ، عن ابن فضال ومحسن بن أحمد ، عن يونس بن يعقوب قال : نظر أبو عبد الله عليه السلام إلى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً وهو يحمله ، فلما رآه الرجل استحي منه ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : اشترى لعيالك وحملته إليهم أما والله لولا أهل المدينة لأحببت أن أشترى لعيالي الشيء ثم أحمله إليهم .

١١- عنه ، عن أبيه ، عن عبد الله بن القاسم ، عن عمرو بن أبي المقدام ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : فما أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام يا داود كما أن أقرب الناس من الله المتواضعون كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون .

١٢- عنه ، عن أبيه ، عن علي بن الحكم رقه ، إلى أبي بصير قال : دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام في السنة التي قبض فيها أبو عبد الله عليه السلام فقلت : جعلت فداك مالك ذبحت كبشاً ونحر فلان بدنة ؟ فقال : يا أبا محمد إن نوحاً عليه السلام كان في السفينة

و ينعون من غيرها ، ولو تضرر أهل قرية من جذعاء يشاركونهم في الماء فإن فددوا على أن يستنبطوا ماء لأنفسهم ففعلوا والاستنبط لهم الآخرون أو يقيمون من ينفى إهم والافهم أحق بنصيبهم .
قوله (أما والله لولا أهل المدينة لأحببت) دل على أن من التواضع قيام الرجل بنفسه على حوائج أهله والعيال و أن أمكن بغيره وأنه إذا لامه أهل المدينة بذلك كان الأولى تركه والمحاولة على غيره مع الامكان .

قوله (كما أن أقرب الناس من الله المتواضعون) أي المتواضعون لله ولرسوله ولأولي الأمر وللمؤمنين الصالحين وللمن لا يعلم فسقه الموجب لإهانة الدين مع قصد وجهه تعالى فلو تواضع أحد لفرس أو شتار به هذه الفضيلة أولاً من دنوى كان يتواضع أبناء الدنيا لدنياهم و أن لم يكونوا ظالمين فهو من المرائين ، ومن ثم قال بعض الأكابر من التواضع أن يرى الرجل نفسه أدنى ممن دناؤه أقل ليظهر أن الدنيا لا تقدر لها عنده وأرفع ممن دناؤه أكثر ليظهر أن لا تقدر له عنده بسبب كثرة الدنيا والمراد بقوله أرفع ترك التواضع دون التكبر لأن التكبر مذموم مطلقاً ثم الفرق بين المتواضع والمتكبر ظاهراً لأن المتواضع في مقام الذل والخشوع و العبودية والتكبر في مقام العلو والعز والعبادة ومن البين أن قرب أحد المتقابلين بشيء يستلزم بعد الآخر عنه .

و كان فيها ما شاء الله و كانت السفينة مأمورة فطافت بالبيت و هو طواف النساء و خلى سبيلها نوح عليه السلام ، فأوحى الله عز وجل إلى الجبال أني واضع سفينة نوح عبيدي على جبل منكن ، فنطاولت و شمنت و تواضع الجودي ، و هو جبل عندكم فضربت

قوله (طافت بالبيت وهو طواف النساء) ذكر أولاً طواف البيت وذكر آخره الجزء الأخير منه للدلالة على أنها أتت بجميع الأفعال حتى الجزء الأخير (فتطاولت و شمنت) النطاول عليه كردن بر يكديگر بدرازی ، والشموخ بالتدكردن و تكبر كردن و فعله من باب منع و الجبل الشامخ المرتفع ، ومنه قيل شمع بأنه اذا تكبر و تنفخ و ذلك لظن كل واحد من تلك الجبال نظراً إلى عظمة حجمه وزيادة عرضه وطول مقداره أنه ذلك الجبل الموهود.

(و تواضع الجودي) نظراً إلى ستر حجمه وقلة عرضه وقصر مقداره وقطع الطمع من أن يكون هو ذلك الجبل الموهود مع وجود الجبال الشامخات. قيل هو جبل صغير كان في نجف أمير المؤمنين ع ، وقال صاحب القاموس هو جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح ع ، وفيه دلالة على أن للجبال نفوساً (١) والعمل على نحو من التخييل ونوع من التمثيل ، أو على أنه

(١) قوله «على أن للجبال نفوساً» الذي عدى الناس إلى وجود النفوس ودهامهم إلى القول به في النبات والحيوان مشاهدة أمور فيها لا يمكن أن ينسب إلى الطبيعة أي الصورة النوعية التي وجدوا مثلها في الجمادات لعدم كونها على نهج واحد فالشجر ينمو وينفرع من أصله الأغصان والأوراق وفي كل واحد عروق كثيرة دقيقة وغليظة وله خشب وجلد وأزهار وثمار وبالجملته له آلات مختلفة منتشرة لأعلى نهج واحد لأفعال ووظائف مختلفة متجهة إلى مقصد واحد هو مصلحة الجملة والجمادات يترتب عليها آثار على نهج واحد ولوضوح جمادى جماد لم يتوجها إلى مقصد واحد في آثارهما ولم يعمل كل لمصلحة الآخر كما نرى في أعضاء النبات وآلاتها ، بل يعمل كل لمصلحة أفراد آخر كالات التناسل في الزهر والبذر لحفظ النوع قالوا فيوجد في النبات شيء هو مبدء لأمور لا يوجد مثلها في الجماد وسموه نفساً وكذلك الحيوان والإنسان ، وأما الأفلاك فأرادوا فيها حركة مستديرة وإن لم يروا فيها ما في النبات والحيوان من الآلات المختلفة فأنبتوها لها أيضاً نفوساً إذ لا يمكن نسبة حركة مستديرة إلى طبيعة جمادية مثل من يرى ربح يدور بنفسه من غير أن يرى له مبدءاً من ماء وهواء وغيرهما ينسب دورانه قهراً إلى جن أو ملك أي إلى موجود حي غائب له إرادة ، وأما الجبال فلم يروا فيها ما يستدل به على وجود النفس إذا رآوها كسائر الجمادات. ولكن عدم الآثار والتواحد لا يدل على عدم النفس. وإنما الدلالة في الوجود فقط ، مثلاً وجود الدخان دليل وجود النار أما عدم الدخان فلا يدل

السفينة بجؤ جؤها الجبل . قال : فقال نوح عليه السلام عند ذلك : يا هاري اتقن ، وهو بالسريانية [يا] رب أصلح ، قال : فظننت أن أبا الحسن عليه السلام عرف من نفسه .
 ١٣ - عنه ، عن عدة من أصحابه ، عن علي بن أسباط ، عن الحسن بن الجهم ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قال : التواضع أن تعطى الناس ما تحب أن تُعطاه .

وفي حديث آخر قال : قلت : ما حدُّ التواضع الذي إذا فعله العبد كان منواضعاً ؟ فقال : التواضع درجات منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم . لا

تعالى أوجد فيها نقوساً مدركة حين الخطاب بعيد على أن الثاني لا ينال القول بوجوه النفوس لها والله اعلم . (نصريت السفينة بجؤ جؤها الجبل) واللام في الجبل للهدى إشارة إلى الجبل الذي هو الجودي . والجؤ جؤ كهدهد الصدر (قال فظننت أن أبا الحسن وعرض بنفسه) التمرير توجيه كلام إلى جانب وإرادة جانب آخر تقول عرضته وبه إذا قلت قولاً وأنت تمنيه فكأنك أشرت به إلى جانب وتريد جانباً آخر لم تذكره فالتعريض خلاف التصريح وهو وعه أشار إلى تواضع الجودي ، وما بلغه من تواضعه وأراد به تواضع نفسه المقدسة باحتقارها في ذبح الشاة فإن في ذبحها من أظهار المعجز والافتقار ما ليس في ذبح البدينة .

قوله (قال التواضع أن تعطى الناس ما تحب أن تعطاه) أي تحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وتجعل نفسك ميزاناً بينك وبين غيرك فتريد لغيرك كل ما تريد لنفسك من الخيرات الدنيوية والآخرية ولا تريد لغيرك كل ما لا تريد لنفسك من القبائح والشرو وذلك من أعظم أفراد التواضع وذل النفس وسرها عن هواها .

قوله (فقال التواضع درجات) التواضع لله و للمخلوق درجات باعتبار كمال النفس ونقصها وتوسطها فمنها أن يعرف المرء قدر نفسه بالنسبة إلى ربه وخلقه ورازقه ومدبره

على عدم الفاعل ، وعدم مشاهدة آثار النفس في الجبال لا يدل على عدم وجود موجود حتى مدبر للجبال فظير تدبير نفس الشجر للشجر ، نعم يمكن أن يضاق في إطلاق اسم النفس عليه ولكنه أمر اصطلاحى أولئى يمكن أن يتخلص عنه بيان يسمى شيئاً آخر حتى لا يكون غلطاً لنوعاً و العدد اثبات وجود مدبر قاهر حتى مرید لتدبير كل شيء ، واصطلاح الحكماء على أن يسموا مثله عقلاً ولعل الملائكة الموكلين بالجبال والرياح والأمطار والرعد والبرق وغيرهما على ما أشير إليه فسي قوله تعالى وو المدبرات أمراً هذه الموجودات الحية العاقلة المدبرة السماء بالعقول والله اعلم بالحقيقة والغرض دفع الاستبعاد عن كلام الشارح وإثباته النفس للجبال . (ش)

يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه، إن رأى سيئة درأها بالحسنة، كظم الغيظ عاف عن الناس، والله يحب المحسنين.

(باب)

(الحب في الله والبغض في الله)

١- عدثة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عيسى، و أحمد بن محمد بن خالد، و علي بن إبراهيم، عن أبيه، و سهل بن زياد جميعاً، عن ابن محبوب، عن علي بن رقاب، عن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أحب الله و أبغض الله و أعطى الله فهو ممن كمل إيمانه.

٢- ابن محبوب، عن مالك بن عطية، عن سعيد الأعرج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله وتعطي في الله وتمنع في الله.

فترقيمها في مقام طاعته و يعدها عن مقام معصيته و يذكر في جميع الحالات بقلب سليم ذليل نقي منقاد، راضياً بجميع ما فعله فيه من البلاء والآلاء و بالنسبة إلى الخلق بجمالها ميزاناً بينه و بينهم فلا يحب أن يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتى إليه فإن رأى سيئة منهم بالنسبة إليه دفعها بالحسنة وهي المنو أو الاحسان و بالنسبة إلى الرب بالموعظة البالغة والامر بالمعروف و النهي عن المنكر على الوجه المقرر.

قولته (من أحب الله و أبغض الله و أعطى الله فهو ممن كمل إيمانه) حيث على محبة الاخيار و بغض الشرار واعطاء المستحق من المال المكتسب من طريق الحلال، والاخبار منهم من تقدرت أنفسهم بالطهارة الأصلية والنزاهة الخلقية عن الملكات الردية وهم الانبياء والاوصياء عليهم السلام ومنهم من يظهر نفوسهم عنها بالعلم بفتحها والوعيدات الالهية وهم الثابتون لهم بالعلم والعمل ومحبة هؤلاء من توابع العلم والمعرفة ومحبة تعالى وكمال الايمان والمحبة من أولياء الله و من ادعى المحبة بدون علم ومعرفة فهو جاهل مفرور يكذبه ما روى مما اتفق الله وليا جاهلاً و ينبغي لمن أبغض في الله أن يحثب عن النبية كما صرح به الشهيد الثاني رحمه الله حيث قال ان البغض في الله قد يؤدي إلى النبية وهو حرام وذلك بأن يبغض على منكر قاربه انسان فيظهر بغضه ويذكر اسمه على غير وجه النهي و كان الواجب أن يظهر بغضه عليه على ذلك الوجه و هذا مما يقع فيه الخواص أيضاً فانهم يظنون أن البغض اذا كان الله كان حسناً كيف كان، وليس كذلك.

٣- ابن محبوب، عن أبي جعفر محمد بن النعمان الأحول صاحب الطاق، عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ود المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الايمان، ألا ومن أحب في الله وأبغض في الله وأعطى في الله و منع في الله فهو من أصفاء الله.

٤- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول:

قوله (قال من اوثق عرى الايمان) المروءة عروة الكون ونحوه والمراد بها هنا الاحكام والاخلاق والاداب اللازمة للايمان على سبيل المكنية والتخييلية أي كل عروة يمسك بهامتها رجاء نجاه من مهلكة أو ظفر بمنفعة ونعمة ومنزلة فأودتها الحب في الله والابغضاء في الله والاعطاء في الله والمنع في الله لأن من تمسك بها تكامل ايمانه واستقام لسانه واستقر جفانه وبه يتحقق النودد والتألف بين المؤمنين ويتم ويكمل نظام الدنيا والدين، وأما الحب لاجل المنفعة والاحسان فهو وإن كان في غاية الفتنة لئلا يعلقه بالاخبار والاشرار و لكونه سريع الزوال وسقوط رتبته عن الحب في الله بهذا الاعتبار لكنه مستحسن عقلاً ومطلوب شرعاً لأن له مدخلاً أيضاً في تحقق التألف والتباعد.

قوله (ود المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الايمان) ودته اوده من باب تعب ودأ بفتح الواو وضمها أحبيته والاسم المودة. فسرت الشعبة بالشعبة بالجملة وأصلها الطائفة والقطعة من الشيء وفي المصباح انشعبت أغصان الشجرة تفرعت عن أصلها وتفرقت ويقال هذه المسئلة كثيرة الشعب أي التفاريع، والشعبة من الشجرة الفصن المتفرع منها والجمع الشعب مثل غرف والشعبة من الشيء الطائفة منه والشعب بالكسر الطريق وقيل الطريق في الجبل. وفي الفائق الشعبة من الشيء ما تشعب منه أي تفرع كفصن الشجرة وشعب الجبل ما تفرق من رؤسها وعندى شعبة من كذا أي طائفة منه. إذا عرفت هذا فنقول للايمان شعب كثيرة كالصلاة والزكاة والصوم والمعاتد العقلية إلى غير ذلك من الاعمال والاخلاق والاداب الشرعية ومن أعظم ذلك ود المؤمن للمؤمن لحسن صورته الظاهرة بالاعمال الشرعية وصورته الباطنة بالاخلاق المرصية وكلما كانت تلك الصور أحسن وأنتم واجب أن يكون المودة أكمل وأعظم ولذلك وجب أن يكون المحبة للرسول وأئمة الدين والاصياء الراشدين سلوكات الله عليهم أجمعين في غاية الكمال ومن لوازم محبتهم متابعة أقوالهم وأعمالهم وعقائدهم وقوانينهم بقدر الامكان ثم بهذا ذلك المحبة لآخوان الدين وخلص المؤمنين والعلماء والمعلمين ومن آثارهم رعاية حالهم

إن المتحابين في الله يوم القيامة على منابر من نور ، قد أضاء نور وجوههم ، ونور أجسادهم و نور منابرهم كل شيء حتى يعرفوا به ، فيقال : هؤلاء المتحابون في الله .

٥ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد ، عن حريز ، عن فضيل بن يسار قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحب والبغض ، أمن الإيمان هو ؟ فقال : وهل الإيمان إلا الحب والبغض ؟ ثم تلا هذه الآية « حبب إليكم الإيمان »

وتفقد أحوالهم و إصلاح بالهم وقضاء حوائجهم والاهتمام بأحوالهم ومن أدى المحبة وليست له هذه الآثار فهو محدود من المنافين والأشرار .

قوله (على منابر من نور) النور الضوء وهو خلاف الظلمة والظاهر أن المراد بالمنابر معناها المعروف (١) و يحتمل أن يراد بها الدرجات العالية لأنها كالمنابر بالنسبة إلى الدرجات السافلة وأن المراد بالنور الحقيقة إذا النجاس من الأعمال الصالحة وهي على تفاوت مراتبها نور يوم القيامة ، وقوله (حتى يعرفوا) غاية لكونهم على منابر وأضاء نور وجوههم .
قوله (قال سألت أبا عبد الله عليه السلام) عن الحب والبغض أمن الإيمان هو ؟ أي من حب على وجه ، وبغض عدوه ، أو من حب المؤمنين وبغض عدوهم ، أو من حب الخير والطاعة و بغض الشر والمعصية . والمحرر في قوله (وهل الإيمان إلا الحب والبغض) للمبالغة لأن الإيمان بالشئ لا يتحقق بدون حب ذلك الشئ وبغض ضده ولعل المراد بالإيمان في الآية على الاحتمال الأول على وجه ، أو الإيمان به . وبالكفر والفسوق والعصيان الثلاثة الداميون للخلافة ، أو المراد بالكفر النكار والجحود ظاهراً وباطناً وبالفسوق النكار باطناً فقط وبالعصيان ترك متابعة السنة وعدم الامتثال بالأوامر والنواهي مع احتمال أن يراد بالإيمان الإيمان

(١) قوله بالمنابر معناها المعروف أن قبل كيف يتعقل تشكيل النور في شكل مدرج وكيف يمكن أن يحس جسم على نور ولا يسقط قلنا هذا سؤال يرجع إلى عالم آخر وهو عالم القيامة ولا يقاس أحكام ذلك العالم على عالمنا هذا ولا يجب أن يثبت جميع أحكام الدنيا على الآخرة ففعل النور في ذلك العالم بتشكيل كما أن العمل يتجسم والفة يتصور ويحصر الناس على صورياتهم ولعل أجسام الآخرة لا يسقط و يتمكن على النور لأنها ليست ثقلة ، وإنما يفضل الناس بقياس عالم على عالم وإثبات أحكام الدنيا على جميع العوالم ولو بنيينا على ذلك لزم والتماذ بالله النكار أكثر الروايات والأخبار الواردة في تفاصيل المعاد فأنها لا تنطبق على أجسام عالمنا هذا ولا يقدم عليه مسلم و أما تأويل المعبر بالدرجات المعنوية فلا ينافي ذلك . (ش)

و زينه في قلوبكم و كرم إليكم الكفر والفسوق والعصيان وأولئك هم الراسخون.
 ٦ - عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن أبي عبدالله ، عن محمد بن عيسى ، عن
 أبي الحسن علي بن يحيى - فيما أعلم - عن عمرو بن مدرك الطائي ، عن أبي عبدالله عليه السلام
 قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : أي عرى الايمان أوثق ؟ فقالوا : الله و
 رسوله أعلم ، و قال بعضهم : الصلاة ، و قال بعضهم : الزكاة و قال بعضهم : الصيام . و
 قال بعضهم : الحج والعمرة ، و قال بعضهم : الجهاد ، فقال رسول الله ﷺ : لكل
 ما قلتم فضل وليس به ولكن أوثق عرى الايمان الحب في الله و البغض في الله و

بالله و برسوله و حجه عليهم السلام.

قوله (فقال رسول الله ص) لكل ما قلتم فضل وليس به ولكن أوثق عرى الايمان الحب
 في الله) الاعمال الظاهرة بمنزلة الصورة والاعمال القلبية بمنزلة الروح ونظر المحابة تعلق
 بحسن الصورة وكمالها ونظر الذنب ص) تعلق بحسن الروح وكماله ولاشك في أن الحب في
 الله والبغض في الله والتولي لأولياء الله والتبري من أعداء الله من صفات القلب (١) و أصل
 الايمان وأوثق عراء ومنشاء جميع الخيرات والكمالات وبه يتحقق المروج (٢) الى مقام

(١) قوله من صفات القلب، القلب في اصطلاح كثير من علماء الاخلاق هو النفس
 الناطقة و صفات انسان و ملكاته بداهو انسان تنقسم الى ما هي له باعتبار أعضائه وجوارحه
 الجسمانية و ليست هي من الكمالات للنفس الناطقة التي توجب سعادتها في الآخرة وبعبارة
 أخرى ليست من صفات القلب، والى ما هي لها مع قطع النظر عن هذه الآلات وهي التي تبني
 وتوجب سعادتها وبهم علماء الاخلاق ان ينظروا في ذلك ويميزوا بينهما بعلامات حتى لا يصرخوا
 صرهم في تربية صفات وتكميل ملكات لانفيد في الآخرة شيئاً وهذه العلامات اما شرعية و
 هي ماورد من أهل بيت العصمة عليهم السلام في المنجيات والمهلكات و أما عقلية اهتدى الناس
 اليها بعقلهم المعلى على ما هو مذهبنا من اثبات الحسن والقبح العنليين ويتطابق الشرع و
 العقل في ذلك، (ش)

(٢) قوله به يتحقق المروج، الايمان أصله اعتقاد و تصديق و لكن لا يمكن انفكاك
 التصديق بالحقائق والاعتقاد بها عن بهجة للنفس واستحسان لها ولعل معنى الحب و البغض
 على ما يشاهد الى ذهن العامة حالة جسمانية مادية توجب ضربان القلب وشحوب اللون و
 اختلاط الذهن و أمثال ذلك و لذلك التزموا بكون اطلاقهما على الله مجازاً كقوله تعالى
 وان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله و لكن المراد هنا مطلق البهجة الذي لا يتوقف على هذه

توالي أولياء الله والبري من أعداء الله.

٧- عنه ، عن محمد بن علي ، عن عمر بن حبيطة الأحمسي ، عن أبي الجازود ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : المتحابون في الله يوم القيامة على أرض زهر جدة خضراء ، في ظل عرشه عن يمينه . و كلنا يديه يمين . وجوهمهم أشد بياضاً وأضوء من الشمس الطالعة ، يغبطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبي مرسل ، يقول الناس : من هؤلاء؟ فيقال : هؤلاء المتحابون في الله .

٨- عنه ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن هشام بن سالم ، عن أبي حمزة

القرب لأن الموسوف به لا يترك شيئاً من الخير غالباً للابقع فيما يفر منه ويبدنه ، وبالجملة الأعمال القلبية هي المصححة للأعمال الظاهرة (١) والأعمال الظاهرة أمارات ظنية على كمال فاعليها ومن ثم ورد في الروايات أن الثواب والعقاب على قدر المقول لا على الأعمال الظاهرة فلا ينبغي الغلو في تعظيم من حسنت أعماله الظاهرة إذ لعمل الله تعالى يعلم من قلبه وصفاً مدعوماً لا تصح معه تلك الأعمال ولا في تحقير من صلب فيه بعض تلك الأعمال إذ لعمل الله تعالى يعلم من قلبه وصفاً محموداً يفر له بسببه .

قوله (في ظل عرشه عن يمينه و كلنا يديه يمين) ظاهره أن له عرشاً جسمانياً و إن أشرف طرفيه يمين والآخر يسار يستقر في الأول أفضل الخلائق وفي الآخر أدونهم فضلاً و كلا الطرفين يمين مبارك يأمن من استقرار فيها ولا بعد فيه كما أن له بيتاً وإضافة للتشريف والتنظيم ويحتمل أن يراد به الرحمة ولها أفراد متقاربة فاقواها يمين وأدونها يسار وكلاهما مبارك ينجو من أهوال القيامة ومثل هذا الحديث رواه العامة عن النبي صلى الله عليه وآله وقال عياض ظاهره أنه سبحانه يظلمهم حقيقة من حر الشمس ووجع الموقف و أنفاس الخلائق وهو تأويل أكثرهم قال بعضهم هو كناية عن كنهم و جعلهم في كنفة و ستره ، ومنه قولهم الساطن ظل الله وقولهم

التبصيرات الجسمية فإنها نواقص لا تناسب أجسام الآخرة ولا يطرى عليها شيء منها ، و أما أصل البهجة وهي الحب الحقيقي فنبه للمؤمن مع اعتقاده الحق . (ش)

(١) قوله وهي المصححة للأعمال الظاهرة ، ولكن من الأسف أن كثيراً من الناس تركوا الأهم واشتغلوا بالهمم واعتمدوا على الامارات الظنية وتركوا الحقائق اليقينية مثل من يمتنى في طلب العلم بتحصيل ورقة تدل على مقامه في العلم لأجل العلم نفسه ربما تكون في يده من العلم نصيب وربما لا يكون في يد العالم ورقة تصدى علمه ، وكذلك الأعمال الظاهرة أمارات ظنية على كمال نفساني ربما تتخلف ، والعلم المتعلق بالاخلاق أشرف العلوم العملية . (ش)

الثمالي ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : إذا جمع الله عز وجل الأولين و الآخرين قام مناد فنادى يسمع الناس فيقول : أين المتحابون في الله ، قال : فيقوم عنق من الناس فيقال لهم : اذهبوا إلى الجنة بغير حساب ، قال : فتلقاهم الملائكة فيقولون : إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنة بغير حساب ، قال : فيقولون : فأين ضرب أنتم من الناس ؟ فيقولون : نحن المتحابون في الله ، قال : فيقولون : و أي شيء كانت أعمالكم ؟ قالوا : كنا نحُبُّ في الله و نبغض في الله قال : فيقولون : نعم أجر العاملين .

٩- عنه ، عن علي بن حسان ، عمن ذكره ، عن داود بن فرقد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ثلاث من علامات المؤمن : علمه بالله و من يحبُّ و من يبغض .

١٠- علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم و حفص بن البختري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الرجل ليحبسكم وما يعرف ما أنتم

فلان في ظل فلان أي في كنفه وعزته ، و يمكن أن يكون الظل هنا كناية عن التلذذ والراحة من قولهم عيش ظليل (يبطئهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبي مرسل) الفبطة حسن الحال وهي اسم من فبطته غبطاً من باب ضرب اذا تمنيت مثل ما ناله من غير أن تريد زواله عنه لما أعجبك منه و عظم عندك وهذا جائز فإنه ليس بحسد فاذا تمنيت زواله فهو الحسد و غبط الرسول ذلك لا يوجب أن يكون منزله دون منزلهم فإن ذا المنزل الشريف قد يمجبه منزل آخر دون منزله في الشرافة .

قوله (قام مناد فنادى يسمع الناس فيقول أين المتحابون في الله قال فيقوم عنق من الناس) العنق الجماعة والظاهر أن المنادى غيره تعالى ويفهم من طريق العامة أن المنادى هو الله سبحانه روى مسلم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : إن الله جل وعلا يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وقوله بحالاي أي بسبب تنظيم حقي وطاعتني و طلب رضاي لا لفرض آخر دنوي وهذا النداء تداء تلوينه واكرام .

قوله (ثلاث من علامات المؤمن علمه بالله و من يحب و من يبغض) أي علمه بمن ينبغي أن يحبه و من ينبغي أن يبغضه فإن المؤمن يكمل إيمانه بهذه العلوم و يهتدى إلى خيره وشره و نفعه وضره .

عليه فيدخله الله الجنة بحبكم وإن أنزل ليغضكم وما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله ببغضكم النار.

١١- عدة، من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن ابن العرزمي، عن أبيه عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر

قوله (أن الرجل يحبكم و ما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله الجنة بحبكم) دل على أن الشبهة بدخل الجنة وكذا من أحبه وإن لم تكن من أهل المعرفة لكن بشرط أن لا يكون من أهل الانكار (١) على الظاهر، وأما دخول غير العارف المبغض في النار قطعاً بسبب البغض فلا ينافي دخوله فيها بسبب عدم المعرفة أيضاً لأنه قد يكون للدخول فيها أسباب متعددة على أن عدم المعرفة المقرون بعدم الانكار لا يوجب الدخول فيها كما في المستضعف لأنه في الشبهة.

(١) قوله ولكن بشرط أن لا يكون من أهل الانكار، قال المحقق الطوسي (ره) في التجريد محاربوا على كفره و مخالفوه فسقة ، و قال العلامة - رحمه الله - في شرحه المحارب لعلى كافر لقول النبي «ص» ويا على حريك حربي، ولا شك في كفر من حارب النبي «ص» ، وأما مخالفوه في الإمامة فقد اختلف قول علمائنا فمنهم من حكم بكفرهم و ذهب آخرون إلى أنهم فسقة وهو الأقوى ثم اختلف هؤلاء على أقوال ثلاثة أحدها أنهم مغلطون في النار لعدم استحقاقهم الجنة. الثاني قال بعضهم أنهم يخرجون من النار إلى الجنة. الثالث ، ارتضاء ابن نوبخت و جماعة من علمائنا أنهم يخرجون من النار لعدم الكفر الموجب للمخلود ولا يدخلون الجنة لعدم الإيمان المقتضى لاستحقاق الثواب انتهى.

و هنا سؤالان : الأول أن قول النبي «ص» ويا على حريك حربي ، رواية ربما يكون محاربه «ع» غير عالم بصحتها فكيف يحكم بكفر من أنكر رواية لا يعلم صحتها، والجواب أن محاربي علي «ع» كانوا معاصرين له «ع» وكانوا ممن أدركوا النبي «ص» ورأوا عاقبته به و محبته له و اعتماده عليه ولم يكن عداوتهم لعلي «ع» إلا لعدم إيمانهم بنبوته باطناً ولا يحتمل في حقهم الجهل بمقام علي عند رسول الله «ص». الثاني أن المستضعف الجاهل الذي لم يكن متصراً كيف يحكم بنفسه ، والجواب أن مقصود المحقق - رحمه الله - بيان الاعتقاد الذي يوجب التسق من حيث هو اعتقاد و معذورية القاصر الجاهل أمر آخر كما أن قول الله تعالى والزاني والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، لبيان اقتضاء هذا العمل ولا ينافي معذورية الزاني جهلاً بالموضوع والمستضعف أن فرض وجوده بهيئت ينفذ العقلاء في مثله مجرمينهم إذا جهلوا فالله تعالى أولى بأن ينفذه. (ش)

إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله و يبغض أهل معصيته ففياك خير والله يحبك وإن كان يبغض أهل طاعة الله و يحب أهل معصيته فليس فياك خير والله يبغضك ، والمرء مع من أحب .

١٢- عنه عن أبي علي الواسطي، عن الحسين بن أبان، عمن ذكره ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو أن رجلاً أحب رجلاً لله لا ثابته الله على حبه إياه وإن كان المحبوب في علم الله من أهل النار، ولو أن رجلاً أبغض رجلاً لله لا ثابته الله على بغضه إياه وإن كان المبغض في علم الله من أهل الجنة.

١٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن النضر ابن سويد، عن يحيى الحلبي، عن بشير الكناسي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قد يكون حب في الله ورسوله وحب في الدنيا فما كان في الله ورسوله فتوايه على الله وما كان

قوله (والله يحبك) قيل أصل المحبة الميل وهو على الله سبحانه محال فمحبة للميل رحمة وهداية إلى بساط قربه ورضاء عنه، وإرادته إيصال الخير إليه، وفعله له فعل المحب و بغضه سلب رحمته عنه وطرده عن مقام قربه وذكوله إلى نفسه ونظير قوله والمرء مع من أحب، موجود من طرق العامة أيضاً روى مسلم أن أعرابياً قال لرسول الله ص، متى الساعة؟ فقال ما أعددت لها قال حب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت، وفيه أيضاً فضل حب الله وحب رسوله و حب الصالحين وأن محبتهم معهم ولا يلزم من كونه معهم أن يكون مثاهم في الدرجات واستحقاق الكرامات يظهر ذلك من قولنا لميل زهد أدخل أنت مع سيدك في هذا المجلس فإن لزيد مكاناً فيه ولميلده مكاناً آخر والظاهر أن مجرد المحبة يقتضي ذلك وإن لم يقرن مع العمل، يدل على ذلك حديث شاب كان يحب رسول الله ص، كثيراً فلما فقد النبي ص، أياماً سأل عنه فقال بعض الحاضرين أنه مات وطعنه بأية كان مراهما يتبع أديار النساء فرحمه ص، وقال والله لقد كان يحبني حباً لو كان نخاساً غفر الله له (١) .

قوله (لو أن رجلاً أحب رجلاً لله لا ثابته الله) وذلك لأن حبه وبغضه إياه راجعان إلى حب طاعة الله وبغض معصيته وهما من جملة الأعمال القلبية الصالحة المقترنة بالثواب الجزيل.

(١) قوله لو كان نخاساً غفر الله له ، النخاس بايع المبيد والامام ليس نفس عمله حراماً ولا التمتع بالجوارى إن كن ملكاً له ولكن كثيراً منهم كانوا دالين يبيعون امام غيرهم و يشترون بها من غير وجه محلل. (ش)

في الدنيا فليس بشيء.

١٤ - عده من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن المسلمين يلتقيان، فأفضلهما أشدهما حباً لصاحبه.

١٥ - عنه : عن أحمد بن محمد بن أبي نصر وابن فضال، عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما التقى مؤمنان قط إلا كان أحدهما أشدهما حباً لأخيه.

١٦ - الحسين بن محمد، عن محمد بن عمران السبيعي، عن عبد الله بن جبلة، عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كل من لم يحب على الدين ولم ينفذ على الدين فلادين له.

(باب ذم الدنيا والزهد فيها)

١ - محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسن بن محبوب، عن الهيثم ابن واقد الحريري، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في

قوله (قد يكون حب في الله ورسوله وحب في الدنيا الخ) والاول كحب الاخيار والعلماء والعباد والزهاد والصلحاء لاجل ارشادهم وهدايتهم وعبادتهم وصالحهم وزهادتهم فانه لمحض التقرب من الله وطلب رضاه والثاني كحب رجل لنيل الاحسان والمجاة والمال منه فانه لاغراض دنيوية دائمة مثل الدنيا فليس بشيء يعتد به.

قوله (ان المسلمين يلتقيان فأفضلهما أشدهما حباً لصاحبه) أي أفضلهما تواباً وقربة و منزلة عند الله تعالى أشدهما حباً لصاحبه أي الله لا في الدنيا فسانه ليس بشيء يعتد به كما مر.

قوله (فلادين له) أي على وجه الكمال، أو على نفي الحقيقة ان كان مستغنياً والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من المحبة على الدين.

قوله (من زهد في الدنيا) زهد في الشيء ومن الشيء زهداً وزهادة اذا رغب عنه ولم يردده ومن لم يرب بين زهديه وعنه فقد أخطأ كذا في المغرب، وقال صاحب المدة ان النبي صلى الله عليه وآله سأل جبرئيل دعه من تفسير الزهد فقال جبرئيل دعه، الزاهد يحب من يحب خالقه ويبتغي من يبتغي خالقه ويتهرب من حلال الدنيا ولا يلتفت إلى حرامها فان حلالها حساب وحرامها عتاب ويرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه ويتهرب من الكلام فيما لا يمتنيه كما يتهرب من الحرام

ويشخرج من كثرة الاكل كما ينخرج من المينة التي قد اشتد تنفها ويخرج من حطام الدنيا و زينتها كما يشجب النار أن يغشاها وأن يقصر أمله وكان بين عينيه أجله. وروى عن أمير المؤمنين وع: أن الزهد قصر الامل وثقبة القلب وأن لا يفرح بالثناء ولا ينثم بالذم ولا يأكل طعماً ولا يشرب شراباً ولا يلبس ثوباً حتى يعلم أن أصله طيب وأن لا يلزم الكلام فيما لا يعنيه وأن لا يحسد على الدنيا وإن يحب العلم والعلماء وأن لا يطلب الرفعة والشرف، وقال بعض العلماء أصل الزهد اربة أشياء الحلم في الغضب، والجود في الغلة، والورع في الخلوة، وسدق القول عند من يخاف منه أو يرجو. وقال بعض الأكابر إن الزهد ثلاثة أحرف زاي وهاء ودال فالزاي ترك الزينة، والهاء ترك الهواه، والدال ترك الدنيا وينبغي أن يعلم أن الزهد في الدنيا والصبر والشكر والتوبة والخوف والرجاء والمحبة والتوكل والرضا وغيرها من الفضائل النفسانية والخصائل الروحانية صفات للنفس وحالات لها حصولها تابع لحصول الحكمة أعلى العلم بالدين ثم إن حصول هذه الأمور ورسوخها سبب لبقاء الحكمة واستقرارها وثباتها وزيادتها كما قال وع: ومن زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه من الاثبات بالثناء المثلثة أو بالنسب فمن أعظم مكارم الصالحين وأجل صفات العارفين الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله كما أن من اشبع صفات المناققين وأقبح سمات المنافقين الرغبة في الدنيا والاعراض عما عند الله وعن أحوال الآخرة. والاصل في الاول العلم بأن الدنيا ولذاتها أمتعة بالحلة زائلة، والاصل في الثاني الجهل بذاتها وفنائها وبثبات الآخرة وبثباتها، قال الله تعالى في وصف الفريقين و فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما لوتى قارون أنه لندو حظاً

عظيم وقال الذين اتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها الا الصابرون ، فانظر كيف نسب الرغبة في الدنيا الى الجهال والزهد الى العلماء وذم الاولين غاية الذم وأثنى الاخرين نهاية الثناء، وقال لنبيه وص: ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لتفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى، وقال في وصف الكفار والذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة و يفهم منه وصف المؤمنين وهؤلاء هم يستحبون الحياة الآخرة على الحياة الدنيا وقال في وصف المؤمنين فمن يرده أن يهديه بشرح صدره للإسلام، وقد سئل رسول الله ص: عن معنى هذا الشرح فقال إن النور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح ، فقيل يا رسول الله هل لذلك علامة ؟ قال نعم (١) التجاني عن دار الفرو والآنانية

(١) قوله هل لذلك علامة قال نعم ، أهل الدنيا لا يهتمون الا بها وهم غافلون عن الآخرة و جميع أفعالهم و حركاتهم و علومهم و همهم و كل شيء منهم معروفة الى الدنيا فيعتنون بسلامة بدنهم و لذات أجسامهم أكثر من الاعتناء بأخلاقهم وملكاتهم و يختارون

الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد وهو (التجافي عن دار الضرر وشرط الاسلام وعلامة نور القلب والشرح الصدر.

ثم الكلام هنا في نفس الزهد وفيما يرغب عنه وفيما يرغب فيه أما الاول فدرجاته ثلاثة: الدرجة السفلى أن يزهد في الدنيا و يتركها وهو لعمشقة ونفسه اليها مائلة ولكن بجاهدتها و يمنعها عن التوجه اليها وهذا شبيه بالمتزهد بل ربما بعض أهل التحقيق به، والدرجة الوسطى أن يتركها طوعاً بالامشقة لاستحقاقه اياها بالامضافة الى ما طمع فيه كمن يترك درهماً لدرهم كثيرة فانه لا يحق عليه ذلك وان احتاج الى انتظار ما ولكن يرى هذا زهداً ويظن أنه ترك شيئاً له قدر لاجل ما هو أعظم منه والدرجة العليا أن يتركها طوعاً ويزهد في زهده ولا يظن أنه ترك شيئاً لعلمه بان الدنيا لا شيء كمن ترك قدرة لاجل جوهر ثمين فانه لا يرى أن ذلك معاوضة ولا يرى أنه ترك شيئاً، فان الدنيا بالقياس الى الآخرة أخس من قدرة بالقياس الى جوهر ثمين وهذا هو الزهد الحقيقي وسببه كمال المعرفة بخساسة الدنيا وكمال الآخرة، و أما الثاني

من العلوم ما يستفاد منها في الحياة الدنيا كما يتعلق بالطب والزراعة والتجارة والصنائع الدينية لآلذمة والاخلاق والاعتقادات في المبدء والامداد والسعيد عندهم من تهيأ له وسائل العيش لامن تخلق بالاخلاق الفاضلة ومن حصل على جاه غريب وشهرة فائقة أشرف عندهم من العامل المستريح من الناس المأموين من أذاه والرجل الخير من سهل للناس وسائل عيشهم الديني كمخترعي الصنائع وعلامة أهل الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتجافي عن دار الضرر والتباعد عما يهتم أهل الدنيا به ولما كان الحسن من النعم التي أعطاه الله الانسان لمصلحة دنياه وهو متعلق بحوارحه البدنية كان أهم عند هؤلاء من العقل مع أن الحواس كلها وما يتعلق بها من دار الضرر، أما الحواس الظاهرة فمعلوم أنها قوى في جسم تتفرق و تتلاشى وأما الحواس الباطنة فمنها الحسن المشترك وهو تابع للحواس الخمس الظاهرة، وأما الواهمة فهي قوة تحصل بها للحيوان مصاديق معان غير محسوسة بالحواس الظاهرة فيجب أولاده ويفتقر من مدوه، ومثل ذلك من حالات تعرض في بدن الحيوان الذي لمعصب وماغ، و أما الحافظة فاعتياد حاصل للإعصاب بكثرة الممارسة كاعتياد اللسان قراءة قصيدة، أو آية حفظها إذا شرع فيها جرى على لسانه الى آخرها و كاعتياد الكتابة لانها ملكة في اعصاب اليد تحصل بالتمرين فيكتب الخط الحسن بأنواعه وكذلك تحصل مثل هذا الاعتياد في الدماغ فيجده صورة سبقت له مرة أو مرات وهو معنى التذكر، والمتخيلة كذلك جسمانية اذ يمرض لها بكثرة استعمالها لها الكلال وليس عروس الكلال الا للجسم ولما يبقى العقل لعدم تملئه بجسم وهو متجاف عن دار الضرر مع كل ما يتفرع عليه، (ش)

قلبه و أنطق بهالسانه وبصرة عيوب الدنيا داءها ودواءها وأخرجه من الدنيا سالماً

فدرجاته أيضاً ثلاثة الدرجة السفلى أن يترك المحرمات الشرعية والأعمال القبيحة والدرجة الوسطى أن يترك مع ذلك الرذائل النفسانية مثل الشهوة والغضب والكبر وحب الرئاسة و أمثاليها ، والدرجة العليا أن يترك جميع ما سوى الله جل شأنه وهو في هذه الدرجة يزهد في نفسه أيضاً ولا تترى في الوجود الا هو وهو معنى الوحدة. وأما الثالث فدرجاته أيضاً ثلاثة الدرجة السفلى أن يكون الغرض من زهده هو النجاة من النار ومن سائر الآلام كغذاب القبر ومناقضة الحساب وخطرات العراط و بواقى الأحوال المتعلقة بالقيامة ، والدرجة الوسطى أن يكون الغرض مع ذلك الرغبة في ثواب الله ونعيم الجنة واللذات الموعودة مثل الحور والمقصود غيرها ، والدرجة العليا أن لا تكون له رغبة الا وجه الله ولقاء ولا يلتفت الى سواء وهذا زهد المحبين ورغبة العاشقين (١) وإذا ضربت الثلاثة الاولى في الثلاثة الوسطى ثم الحاصل في الثلاثة الاخيرة حصل سبعة وعشرون نوعاً متفاوت المراتب والدرجات ويندرج تحت كل نوع أشخاص وجزئيات غير محصورة والله ولي التوفيق، وقد أشاد دح الى بعض آثار الزهد ولوازمه بقوله (اثبت الله الحكمة في قلبه) حتى يصير قلبه نوراً الهيئاً وضوءاً ربانياً ينقلع عن التعلقات الدنسية لمشاهدة جمال اسرار الغيبة اللاهوتية.

(و أنطق بهالسانه) حتى يقول الحق ويرشد اليه ويصمت عن الباطل ويخوف عليه.
(و بصره عيوب الدنيا داءها ودواءها) أما عيوبها فهي أنها دار بالبلاء محفوفة وبالنذر معروفة وبالفناء موصوفة لا تدوم أحوالها ولا يسلم من الآفات نزالها أحوالها مختلفة وأوضاعها مبتدلة ونمها منسجمة، العيش فيها مذموم والأمان فيها ممدوم والطالب لها ممدوم و أهلها أغراض مستهدفة ثم يهيم بسهامها وتفنيهم بحمامها، وأما داءها فهو الغفلة عن الحضرة الربوبية

(١) قوله ولا يلتفت الى سواء وهذا زهد المحبين ربما يخرج في اذهان سافلة الناس أن المحروم من لذة الأكل والنكاح محروم من السعادة ويلزم من ذلك أن تكون الملائكة المقربون والأرواح المقدسة القدسية أنقص من الحيوان في اللذات والسعادات بل ربما يتوهم بعض المتفلسفين ان علم هؤلاء المقربين أنقص من علوم الحيوانات المعجم في الكيفية لان المحسوسات انما تدرك بالآلات مادية مركبة من هذه العناصر الاربعة وليس لهم حواس بهذه الصفة فلا يدركون النور والالوان و جمال الطبيعة وزينتها و الاصوات و غير ذلك وفاق عليهم الحيوان والانسان بهذه المزية ولو كان صحيحاً لكان الواجب تعالى ايضاً مثلهم في ذلك و كيف يتوهم عاقل أن من خلق طبقات العين و شكل الجماليدية و لون العنقية و ركب عليها الاشجار والحواجب لا يكون عالماً بالنور وخواصه وهكذا سائر الاعضاء. والصحيح أن ادراكه

إلى دار السلام.

والاستحقاق للمغربة الدنيوية والاخرية، وأما دواؤها فهو تنزيه النفس عن الميل إلى زهراتها والرضا في قنيتها والعمرة بأحوال الماضين والانعاض بأوضاع السابقين حيث كانوا أطول أعماراً وأمر دياراً وأبعد آثاراً وأشد قوة وأكثر أعواناً فقد صارت أصواتهم هامدة ورباحهم راكدة وأجسادهم بالية وديارهم خالية وآثارهم هافية فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق المبهدة المصخور والاحجار المسندة والقبور اللاسقة اللالطة والعجب أن المؤمن يعلم أن الأمراض الروحانية ليست بأهون من الأمراض الجسدية وهو يسعى في دفع هذه الأمراض بقدر الامكان ويفعل عن دفع الاولى ويضعها في زاوية النسيان ، و من الله التوفيق والتكوان (وأخرجه من الدنيا سالماً) (١) من الافات في الدين والنواقص في اليقين (إلى دار السلام) وهي الجنة التي أعدت للمتقين.

بها الاشياء لا يتوقف على وجود جسم و مادة تتأثر بل هي مائة عن الادراك ذاتاً ولكن الله تعالى لما قدر ترقى الوجود من أسفل مراتبه و هو العادة الى أعلى درجاته و هو العقل فلم يكن بد من أن يمر في طريقه على مادة يأخذ طرفاً من الادراك فصار حيواناً وانساناً وهو منزل بين عدم الادراك المادى والادراك الكامل العقل فيترقى تدريجاً في الادراك و يضعف في المادية فيصير ادراكاً صرفاً يجتمع فيه جميع السعادات اذ ما من كمال ولذة وبهجة الا وسببها الادراك ولا يعقل أن يكون الزاهد المعرّض عن الدنيا السافلة المقبل بكلية الى أشرف الموجودات وأزها وأكملها وادرك عين الكمال أدون في السعادة والبهجة من المنعمك في الشهوات خصوصاً مع مشاهدة أمارات الخلود والبقاء والامن من الموت الذي هو أشد المخاوف على الأحياء والانسان اذا ارتقى الى مقام التحقيق بالعقل ليس كمن كان في بيت له شيا بيك من الحواس يطلع منها على الاشياء ثم حبس وسد عليه تلك الشيا بيك و منع من ادراك الموجودات بل بمنزلة من يخرق حواجب المكان والزمان و يحضر عند كل شيء وفق لادراكه والاتصال به وبالجمله يوجد للنفس الناطقة بدلاً عن الحواس المادية ما يدرك به الاشياء أكمل مما كانت تدركه كما يفتح للنائم عين ينظر بها بعد سلب العين الظاهرة وليس هذا ممتمناً في قدرته تعالى و ليس ادراك الانسان بعد الموت منحصراً في مطالعة خيالاته المحفوظة في ذهنه ، (ش)

(١) قوله « وأخرجه من الدنيا سالماً » يدل الحديث بسياقه على أن السلامة عند

الخروج من الدنيا انما هي بسبب بصيرة الرجل على عيوب الدنيا وثبات الحكمة في عقله وان العقل لا يكمل الا بالزهد والحكمة لا تثبت الا بالعقل و ليس خلق العقل لعمران الدنيا و الا لم يكن يكمل بالزهد ، بل كان يكمل بالحرس كما يكمل العزبة والمكره ، وبهنا هنا

٢- علي بن ابراهيم، عن أبيه، و علي بن محمد القاساني، جميعاً، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المتقري، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : جعل الخير كله في بيت و جعل مفتاحه الزهد في الدنيا ثم قال : قال رسول الله ﷺ : لا يجد الرجل حلاوة الايمان في قلبه حتى لا يبالي من أكل الدنيا

قوله (جعل الخير كله في بيت و جعل مفتاحه الزهد في الدنيا) وبحكم المقابلة جعل الشر كله في بيت و جعل مفتاحه الرغبة في الدنيا وهذا التمثيل لقصد الايضاح والتحقق دون المبالغة لان كل ما ينبغي أن يتصف به الانسان من العقائد والاخلاق والاداب والاعمال التي بينها الصادقون ورغبوا فيها فهو الخير والمندرج في ترك الدنيا ورفض الميل اليها والتعلق بها وكل ما ينبغي أن يتفزه عنها فهو الشر والمندرج في حب الدنيا والرغبة فيها يحكم بذلك سريح العقل بعد التأمل فيما يصدر عن الانسان فان كل ما يصدر عنه فالعرض منه اما حب الدنيا كالجهل والحرس والحسد والكبر وترك الزكاة لجمع المال و ترك الصلاة لحب الراحة و أمثال ذلك أو حب الله وحب الآخرة ورفض الدنيا كاستداد الامور المذكورة ومن قبل القلب بقدر تعلقه بالدنيا ينقطع تعلقه بالله وباليوم الآخر ويبعد تعلقه بالخير.

(ثم قال قال رسول الله ﷺ : لا يجد الرجل حلاوة الايمان حتى لا يبالي من أكل الدنيا) شبه الايمان بحلو في مهل الطبع و اثبت له الحلاوة من باب المكنية والتخييلية أو شبهة أثراً
 * بيان شيئين الاول أن العقل أو القلب والنفس الناطقة - وكل ما شئت نفسه - موجود جوهري مستقل عن البدن بنفسه و ليس من اجزاء هذا الدنيا و اعراضها بل هو من عالم آخر ومن رايح الملائكة المدبرة والمقولات القدسية العلامة بجمع الاشياء والمطلعة على الغيوب التي ترتبط نفوس الانسان معها في الرؤيا الصادقة على ما سبق، والثاني أن الموجود الجوهري باق بقاء علته ولا يقني أبداً الا أن يفتى علته وليس كالأعراض والتركيبات التي تنفى مع بقاء علتها الفاعلة بتلاشي اجزائها وتفكك عناصرها. قال المحقق الطوسي في التجريد: والسمع دل عليه يعني على الدم. و قال العلامة رحمه الله. في شرحه يدل على وقوع الدم السمع وهو قوله تعالى «هو الاول والاخر» وقوله تعالى «كل شيء هالك الا وجهه» وقال تعالى «كل من عليها فان» وقد وقع الاجماع على الفناء وانما الخلاف في كينيته على ما سبأني، وقال المحقق الطوسي رحمه الله. ويتأول في المكنية بالنفريق كما في قصة ابراهيم وع، وقال العلامة المحققون على امتناع احادة المهدوم وسيأتي البرهان على وجوب المعاد وههنا قد بين ان الله تعالى بعدم العالم وذلك ظاهر المناقضة ثم قال عليه الرحمة: تأول المصنف معنى الاعدام بتفريق اجزائه والامتناع *
 شرح الاصول الكافي - ٢٢-

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان حتى تزهد في الدنيا.

٣- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن أبي أيوب الخزاز، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا.

٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، وعلي بن محمد، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المتقري، عن علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه أن رجلاً سأل علي بن الحسين عليه السلام، عن الزهد فقال : عشرة أشياء، فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى

من آثار الإيمان وهو محبة الرب وقربه بالحلاوة في اللذة واستمرار له لفظ الحلاوة والمراد أن الرجل لا يجد محبة الرب وقربه حتى لا يبالى من أكل الدنيا أي لا يهتم به ولا يكثر له ولا يعبأ ولا يرى له قدراً وهذه الخصلة لا تحصل إلا بتزكية النفس عن محبة الدنيا والزهد فيها وقطع التعلق عنها بالكلية.

قوله (أن من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا) لظهور أن الاشتغال بالدنيا وسرف الفكر في طرق تهويلها ووجه ضبطها ورفع مرآتها مانع عنهم من تنزع القلب للأمور الدينية وتفكره فيها وطلب أمر الآخرة ولذلك روي أن الدنيا والآخرة ضرتان إذا لبيل بأحدهما يضرب بالآخر فترك الدنيا معين تام على طلب الدين.

قوله (أن رجلاً سأل علي بن الحسين عليهما السلام عن الزهد فقال عشرة أشياء فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع) قال دج في باب الرضا بالقضاء أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع كما في اللوائح وقد مر شرحه بقدر الوسخ (١) في ذلك الباب فلا نعيده ثم أشار إلى أن أكمل في ذلك فإن المكلف بعد تفريق أجزاءه يصدق عليه أنه هالك بمعنى أنه غير منفع به أو يقال أنه هالك بالنظر إلى ذاته اذهو ممكن وكل ممكن بالنظر إلى ذاته لا يجب له الوجود اذ لا وجود الا للواجب بذاته أو بغيره فهو هالك انتهى، ونقل هو عن الكرامية وهم طائفة من المسلمين والجاحظ وهو من رؤساء المعتزلة القول باستحالة عدم العالم بعد وجوده فلا تغلب بذاتها ولا بالفاعل لأن شأنه الإيجاد لا الأعدام وهذا لا يثبت معطو بهم لأنهم اعترفوا بإمكان الوجود للعالم ذاتاً و الامكان لا يمتنع مع استحالة عدمه وبالجملة فالأعدام عند العلامة وغيره من المحققين إنما هو بمعنى التفريق في المركبات ولا ينفق في البسائط الجوهرية والنفس الناطقة تبقى بعد ثبوت تجردها وعدم توقف وجودها على تركيب العناصر في البدن. (ش)

(١) قوله وقد مر شرحه بقدر الوسخ في الصفحة ١٩٥ من هذا المجلد وهو من

درجة الورع أدنى درجة اليقين؛ وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا. ألا وإن الزهد في آية من كتاب الله عز وجل "ولكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم".

٥- وهذا الإسناد، عن المنقري، عن سفيان بن عيينة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول: كل قلب فيه شك أو شرك فهو ساقط، وإنما أرادوا بالزهد

أفراد الزهد ما ذكره الله تعالى بقوله: الاوان الزهد في آية من كتاب الله عز وجل ولكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم، فيه تنفير عن تمتع الدنيا والرضا بحصولها وعن الهيم بغوانها ودلالة على أن الزهد ليس فقد هابل عدم تعلق القلب بها بحيث لا يفرح بحصولها، ولا يحزن بغوانها، وبعبارة أخرى بتركها ويقتم بوجودها لعلها بانها من أعظم أسباب المغلة، ونقل السيد رضي الدين عن أمير المؤمنين (ع)، أنه قال «الزهد بين كلمتين قال الله تعالى ولكيلا تأسوا (أي تحزنوا) على ما فاتكم (من غرض الدنيا) ولا تفرحوا بما آتاكم» ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بما آتى فقد أخذ الزهد بطريقه، وقبل الزهد تحويل القلب من الأسباب إلى رب الأسباب ومن أنصف بهذين الوصفين فقد حول قلبه إذا لميلان فرح الفرح والمحبة. ومن كلامه (ع)،

لئن ساء في دهر غرمت بصيرة
فكل بلاء لا يدوم يسير
وان سرني لم أتهج بسرور
فكل سرور لا يدوم حقير

و من رأى بعين اليقين هذا المعنى فقد جذب اليه اهدابه وغدرفت أن للزهد شعباً كثيرة فمراده «ع» أن هذين الوصفين يصيران المتصف بها منعفاً باوصاف آخر. قوله (كل قلب فيه شك أو شرك فهو ساقط) كان المراد أن كل قلب متعلق بالدنيا وإن فاتته فيه شك في أمر الآخرة إذ اليقين يقتضي رفض الدنيا أو شرك بالله لمتابعة الهوى، والترديد على سبيل منع الخلو فهو ساقط عن درجة المحبة والسعادة والزهد وبين ذلك بقوله (وإنما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة) يعني أن الغرض من الزهد في الدنيا ورفضها تخليص القلب وتطهيره عن حب الدنيا وعن ميله اليها وجعله متوجهاً إلى أمر الآخرة وما

يقام في هذا الكتاب. قوله «أو شرك فهو ساقط» والمراد بالشرك الرياء، وسفيان بن عيينة من أئمة أهل السنة والجماعة وكان فيهم من يتظاهر بالزهد للتقرب إلى الخلفاء والوجاهة عند العامة، ونبه الامام (ع) سفيان على ما عند ذويه ليعلمهم ويبرهم هيو بهم، ومراد الشارع من الأمر بالزهد فراغ القلب عن الدنيا، و طلب الوجاهة والتقرب إلى السلاطين لا يدع في القلب فراغاً حتى يفكر في أمور الآخرة. وأما الشك في الآخرة فامرأ أعظمهم من ذلك. (ش)

في الدنيا لنفرغ قلوبهم للآخرة.

٦ - علي ، عن أبيه ، عن ابن محبوب ، عن العلاء بن رزين ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن علامة الرغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا ، أما إن زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينقصه مما قسم الله عز وجل له فيها وإن زهد ، وإن حرص الحريص على عاجل زهرة [الحياة]

ينفع فيها خالصاً له بدوام الذكر والطاعة فمن لم ينحني فيه هذا الغرض وإن فاته الدنيا فهو ليس بزاهد فيها وتارك لها بل هو من أهلها فيه شك في أمر الآخرة أو شرك . وأعلم أن تفرغ القلب لأمر الآخرة يبخر السعادة والذكر فيه والطاعة في جميع الجوارح وهي تزيد وتنمو حتى يسير القلب نوراً الهيا يشاهد جلال الله وعظمته وأسراره الغيبية التي قلما يقدر على تحصيلها ثم يشرف بمقام الانس ثم بمقام المحبة ثم بمقام الرضا ثم بمقام الفناء في الله وهو هذا المقام لا يرى في الوجود الا هو وإلى هذه المراتب أشار جل شأنه بقوله « ومن يرد ثواب الآخرة نرد له في حسنة » بخلاف القلب المملوث بشهوات الدنيا فإن الذكر والطاعة لو تحققا لا يؤثران فيه بل يفسدان كالبنذر في أرض السبخة والطعام في السدة المقتلية بالاخلط الفاسد ولذلك ترى كثيراً من الذاكرين والماعبين لا يجدون من السعادة إلا أسماً ولا يعلمون من المعرفة إلا رسماً وهم عن قرب الحق محرومون وعن ساحة أسرارهم مطرودون .

قوله (علامة الرغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا) لكل حق علامة دالة عليه وعلامة من رغب في ثواب الآخرة الذي أعظمه قرب الحق زهده في زهرة الدنيا لأنها ينافيها ومن رغب في شيء يترك ما ينافيها بالضرورة ويطلب ما يحقق حصوله فمن ادعى الرغبة في ثواب الآخرة وهو رغب في الدنيا فهو كاذب وإنما أقحم لغفلاً العاجل لان زهرة الدنيا المتعلقة بالأجل والآخرة كقدر ما يحتاج إليه الإنسان في تحصيل ما ينفع في الآخرة لا ينافي الرغبة في ثوابها بل معين لحصوله والمراد بزهرة الدنيا متاعها تشبهها بزهرة النبات لحسنها في أعين الناس ، ثم حث على الزهد وترك الحرص والاجتهاد والرغبة في الدنيا على وجه المبالغة للتنبيه والتأكيد بالتكرير وفيه بقوله (أما إن زهد الزاهد في هذه الدنيا) الإشارة للتحقير (لا ينقصه مما قسم الله عز وجل له فيها وإن زهد) كيف وقد قال الله تعالى « ومن يثق بالله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب » ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، فالزهد باعث لوصول القسم والرزق لا مانع له (وإن حرص الحريص على عاجل زهرة الدنيا لا يزيده فيها وإن حرص) لأن قسمه من الدنيا ما يحتاج إليه في بقاءه والزائد عليه على تقدير حصوله بالحرص ليس قسمه بل لغيره والحاصل أن وصول القسم و

الدنيا لا يزيد فيه فيها و إن حرص ، فالمغبون من حرم حفظه من الآخرة .

٧- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن يحيى الخثعمي ، عن طلحة بن زيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا إلا أن يكون فيها جائعاً خائفاً .

عدم وصوله منوط بالتقدير والمشيئة فما قدر فمأله بآتيه و إن زهد و ماله يقدر قسماً له لا يأتيه و إن حرص ، ولا ينافي هذا قوله تعالى و من يرد ثواب الدنيا تؤته منها و ماله في الآخرة من نصيب ، اذ دلالة فيه على أن جميع ما أتاه قسم و رزق (فالمغبون من حرم حفظه من الآخرة) هذا كالتبعية للمسبق و تعريف المبتداء باللام دل على انحصار النين فيه لما عرفت من أن قسم كل أحد يأتيه زهد أو حرص فلاغب فيه ، والمسالين في فقد النصيب في الآخرة يترك العمل له .

قوله (ما أعجب رسول الله ﷺ) شيء من الدنيا إلا أن يكون جائعاً خائفاً) خوفه كان فوق خوف الخائفين وجوعه مشهور و في كتب الأحاديث مذكور وقد روي أنه لم يشبع من خبز الحنطة ثلاثة أيام متوالية ولا من اللحم قط و انه اعظم أهل الدنيا كسفاً وأخسهم بطناً و انه إذا اشتد جوعه كان يرتبط بحجر أو على بطنه و يسميه المشبع و أنه كان يأكل علس الأرض و يجلس جلسة العبد ، و يخصف بيده نعله و يرفع يده ثوبه و يركب الحمار العاري و يردف خلفه و انه رأى سقراً نسبته بعض أزواجه على باب داره فقال لها غيبه عنى فإنه يذكرني الدنيا و يخافها فأعرض عن الدنيا بقلبه وأمات ذكرها من نفسه وأحب أن تغيب زينها من عينه وما ذلك إلا لخصه الدنيا و متاعها في نظره فليكن لك أسوة حسنة به « و اعلم أن في الجوع فوائد منها صفاء القلب (١) و تنويره . وكثرة الأكل تقلله و تميته ، ومنها رقة

(١) قوله و ان في الجوع فوائد منها صفاء القلب ، اعلم أن النفس الانسانية مع تعلقها بالبدن و اتحادها مع القوى لها مقام شامخ بنفسه غير منعلق وكما ازداد جهة تعلقها شدة ازداد جهة تجردها ضمناً وكما نقص جهة تعلقها قوى جهة تجردها ، وهذا أمانة كونها شيئاً مستقلاً بنفسه مجرداً عن البدن ولا يمكن أن يعترف أحد بأن في الجوع صفاء القلب إلا إذا عترف بأن القلب أي النفس الناطقة غير البدن والا كان كمال البدن بالصبغ و كمال النفس كذلك وقد مر في الصفحة ٣١١ استدلال بعضهم على تجرد النفس بوجود الاختيار لها وأنها لو كانت مادية كان جميع أفعالها هورية اجبارية كضربان القلب والنفس ، وقال بعض العلماء أن الإدراك من خواص الوجود المجرد لان المادة و الجسم ليس من شأنهما الإدراك و ليس انطباع صورة في جسم ممتنعاً لان يحس به والا لكان كل جسم مدركاً للموارد الحالة فيه .

١٨- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن القاسم بن يحيى، عن

القلب والالتذاذ بذكر الرب ومناجاته والبطنة تعلقه و تمنع استقرار الذكر فيه ، ومنها العجز والانكسار والشبع بوجوب المثرة والافتخار، ومنها قرب الحق والشبع بوجوب البعد عنه قال الصادق وع ، ان البطن ليطلى من أكله أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل اذا خف بطنه ، و أبيض ما يكون العبد الى الله عز وجل اذا امتلاء بطنه ، ومنها تذكر الجائعين و تذكر جوع يوم القيامة فيزداد سعيه له و كثرة الاكل توجب النفلة ، ومنها التسلط على كسر النفس و كثرة الاكل توجب تسلط النفس ، ومنها قلة النوم والاقتدار على العبادة و الاكول في غفلة النوم و تضيق العمر ، ومنها كثرة الحفظ و قلة النسيان و الاكول على عكس ذلك ، و منها صحة البسطن والاكل الكثير بوجوب أمراضاً شديدة ، ومنها قلة الاحتياج الى الاموال و أسباب الدنيا و صرف العمر في جمعها و حفظها ، ومنها الاقتدار على الصدقة والايتار لعدم الحاجة الى الزائد .

بها فالادراك من عالم آخر غير عالم الماديات الا ان بعض الادراكات يحتاج فيها الى آلة كالسمع والبصر وبعضها لا يحتاج كالتمثل والالة ليست بمدركة قطعاً وانما المدرك من استعمال تلك الالة ولا يندم مستعمل الالة بفقدان الالة وان حيز مما كان يقبله بواسطة الالة ، كما ان الاعمى لا يقل وجوده بفقد البصر ولا الاصم بفقد السمع ولا المنمى عليه بفقد الحواس كلها فقد بر من الاعماء قبيح و يدرك انه هو الذي كان قبل الاعماء مع علومه ومكانه وليس موجوداً جديداً وما يدرك بالالات كل مرة محسوس جديد غير ما ادرك أولاً ، و أيضاً يتبدل الجسم و أجزائه ولا يبنى بعد نحو سبع سنين مما كان شيء مع أن علمه بذاته وبغير ذاته هو الذي كان ولو كان النفس عين البدن أو معلولاً له لم يبق له بعد سبع سنين شيء من معلوماته السابقة فثبت أن الاعضاء آلات ولا يتغير مستعمل الالة بتبدل الالة .

وقالوا لو كانت العلوم الكثيرة العاصلة للإنسان خصوصاً للعلماء والحكماء في الفنون المختلفة حالات وعوارض طارئة على دماغهم لنشوشت الصور وتداخلت وامتزجت و ارتفع الامتياز بينها كما أن الاصوات المختلفة لو تواردت على السمع لم يشايز واذا تحركت الاشياء المختلفة سريعاً متايل البصر لم يميز البصر بينها مع أن الصور العقلية متميزة جداً مع اجتماعها دفعة وجميع علوم ابن سينا المكتوبة في تماثيله لو كانت حالات عارضة على دماغه وهي مجتمعة لم يكن عالماً بشيء فثبت ان العلوم كلها عند النفس و الدماغ آلة تنطبع فيها الصور الجزئية شيئاً بعد شيء تحو صورة وتجدد صورة ، وقالوا ان النفس لا ادراك الصور الكلية لا يحتاج الى آلة أيضاً لانها زمان الشبهوخة لا يصف ادراكه لها كما يصف حواسه الالوية وأيضاً لا بكل بادراكه

جده الحسن بن راشد، عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: خرج النبي ﷺ وهو محزون فأناء ملك ومعه مفاتيح خزائن الأرض، فقال: يا محمد هذه مفاتيح خزائن الأرض يقول لك ربك: إفتح وخذ منها ما شئت من غير أن تنقص شيئاً عندي، فقال رسول الله ﷺ: الدنيا دار من لادارته ولها يجمع من لا عقل له، فقال الملك: والذي بعثك بالحق نبياً لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء الرابعة، حين أعطيت المفاتيح.

٩- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن دراج، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: مر رسول الله ﷺ بجدي أسك ملقى على مزبلة ميتاً، فقال

قوله (خرج النبي ﷺ وهو محزون) لعل حزنه كان لتعسف المسلمين وقوة المشركين والاهتمام بتجهيز أسباب الجهاد.

قوله (الدنيا دار من لادار له) أي في الآخرة لأن من له دار في الآخرة وهي الجنة لا يسكن قلبه إلى الدنيا ولا يتخذها داراً ووضع إقامة لنفسه ويحتمل أن يكون المراد أن الدنيا دار من ليست له حقيقة الدار أصلاً في الآخرة وهو ظاهر ظهور أن بناها على العمل لها وترك الدنيا، ولأن الدنيا لظهور أن الدنيا ليست دار إقامة فهي ليست بدار حقيقة، ثم تبع الدنيا والجمع لها بقوله (ولها يجمع من لا عقل له) لأن العاقل يعلم بنور بصيرته أن الدنيا و ما فيها منصرمة مؤذية أهلها مضرّة بأمر الآخرة فلا يسكن إليها ولا يشغل بالجمع لها بل يفر منها إلى الله وأما الجاهل فليخمد عقله يغفل عن أمر الآخرة ولا يعلم إلا ظاهراً من الحياة الدنيا وليس له هم إلا الجمع لها، فانظر أيها الأخ في الله إلى علو همة رسول الله ﷺ وكيف ترك الدنيا ورفضها وهي في يده من غير تمب ولا ضرر في شيء من أمر آخرته وماله عند الله من المفاتيح المالية لظهور عيوبها وكثرة منابحها ومساوئها وليكن لك أسوة حسنة بنبيك الأظهر بل أنت أولى بتركها وأجدر لأنك لا تغفل عن الثعب في تحصيلها من الحرمان في عدم حصولها ومن الضرر في أمر الآخرة والدنيا.

قوله (مر رسول الله ﷺ بجدي أسك ملقى على مزبلة ميتاً) الأسك مقطوع الأذنين أو صغيرهما مطلقاً أو مبع لصوقهما بالرأس وقلة اشرافهما والمزبلة بفتح الباء والغيم لغة موضع يلقي فيه الزبل بالكسر وهو السرقين ثم استفهم عن قيمته (فقال لأصحابه كم يساوي هذا) و

في الكلبيات ولا يعجز عن إدراك ضعيف بعد قوة كما يعجز البصر عن إدراك النور الضعيف أثر القوى لكلاله، وأيضاً المثل يدرك ذاته والحس لا يحس ذاته لأن الآلة لا تؤثر في نفسها و المتعالي ليس بآلة ويجب أن شاء الله لهذا التمهيد. (ش)

لأصحابه : كم يساوي هذا ؟ فقالوا : لعله لو كان حياً لم يساو درهماً، فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذا الجدي على أهله.

الفرض من هذا السؤال تقريرهم على أنه خبيث لا قيمة له فهم أقرروا بذلك (فقالوا لعله لو كان حياً لم يساو درهماً) فهو على هذه الحالة الكريمة غير مرغوب لأحد فلا قيمة له، والفرض من هذا التقرير تنفيرهم من الدنيا بتشبيهها به وتفضيلها عليه في الهون والخير لأنه لا ينفع ولا يضر بخلاف الدنيا فإنها تضر كثيراً (فقال النبي ص) والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذا الجدي على أهله) نظيره قول أمير المؤمنين (ع) والله لدنياكم هذه أهون في عيني من هراق خنزير في يد مجذوم، والمراد بضم العين وتخفيف الراء المنظم وأيضاً نظيره ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن رسول الله (ص) مر بالسوق فمر بجدي أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال أيكم يحب أن هذا له بدرهم، فقالوا ما نحب أنه لنا شيء وما نمنع به قال تحبون أنه لكم، قالوا والله لو كان حياً كان عبياً فيه لانه أسك فكيف وهو ميت فقال فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم، وروى أن الدنيا يوم القيامة تقول (١) يا رب اجعلني لأدنى أوليائك نصيباً اليوم فيقول الله جل جلاله اسكني يا لاشيء اني لم ارضك لهم في الدنيا كيف أَرْضَاكَ لهم اليوم.

(١) قوله وان الدنيا يوم القيامة تقول، لا يخفى أن هذا الخبر لا يوافق ما في أذهان بعض الناس من أن الفرق بين الدنيا والآخرة بتقديم الأولى زماناً وتأخر الآخرة كذلك والآخرة عندهم هي الدنيا بعينها لكن في زمان متأخر نظير تأخر أمة إبراهيم عن أمة نوح عليهما السلام وكما لا يمكن أن يطلب رجل من عهد إبراهيم (ع) أن يجعله الله تعالى في زمان نوح (ع) كذلك لا يمكن أن يطلب أحد من الله بعدمضي الدنيا وانقضائها أن يجعله من أهل الدنيا والحق أن الفرق بين العالمين ليس بالتأخر والتقدم الزمانيين فقط بل بينهما فرق في أمور كثيرة كما يظهر لمن تتبع الآيات الكريمة والروايات الكثيرة وليس هنا موضع ذكرها ولذلك لم يجب الله تعالى السائلين من وقت الساعة وزمانها ولم يقررهم على جهلهم والمعنى أن الدنيا طلبت من الله تعالى أن يجعل السالحين من أهل الدنيا لا الدنيا المتقدمة زماناً بل الدنيا الجامعة لهذه الصفات المختصة بها من الخير والكون والفساد وأمثالها ولو في زمان متأخر بالنسبة إلى الدنيا السابقة لا بالنسبة إلى الآخرة إذ ليس بعد الآخرة شيء وقد سبق في الصفحة ٣١٨ من هذا الجزء قول الشارح قدس سره بعض أصحابنا بأن عذاب المستحق له واقع بالفعل وإن جهنم لمحيطه به وأنه داخل فيها ولكن الحجاب مانع من رؤيتها لحكمة تقتضيه انتهى، وهذا يدل على عدم تأخر العذاب عن الدنيا تأخراً زمانياً. (ش)

١٠- علي بن إبراهيم ، عن علي بن محمد القاسمي ، عن ذكره ، عن عبد الله بن القاسم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا أراد الله بعبد خيراً زهده في الدنيا وفضله في الدين و بصره عيوبها و من أوتيهن فقد أوتي خير الدنيا والآخرة ، و قال : لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا و هو ضد لما طلب أعداء الحق ، قلت : جعلت فداك ممّا ذا ؟ قال : من الرغبة فيها ، و قال : إلا من صبر كريم ، فإنما هي أيام قلائل ، إلا إنه حرام عليكم أن تجردوا طعم الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا ، قال : و سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إذا تخلى المؤمن من الدنيا سما و وجد حلاوة حب الله و كان عند أهل الدنيا كأنه قد خولط و إنما خالط القوم حلاوة حب الله ، فلم يشغلوا بغيره ، قال : و سمعته يقول : إن

قوله (لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا) للحق أبواب لا يمكن الوصول اليه إلا بالدخول فيها منها الطاعات و ترك المنهيات على أنواعها ومنها الأخلاق الفاضلة ومنها ترك الأخلاق الباطلة و الزهد في الدنيا أعظم هذه الأبواب لأنه مفتاح لجميعها ثم أشار الى ضده على وجه يفيد أن الزهد يوجب محبة الحق و أنه عبارة عن تطهير القلب من الرغبة في الدنيا و ميله اليها لاعت ترك الدنيا مع تعلق القلب بها قتال (وهو ضد لما طلب أعداء الحق) و قول السائل (ماذا) سؤال عما طلب أعداء الحق وقوله « د » (من الرغبة فيها) بيان للموصول يعني أن ما طلبه أعداء الحق هو الرغبة في الدنيا والميل اليها و هي من أعظم البعد عن الحق والبغض له والمعاندة معه ، والظاهر أن قوله (الأمن صبار كريم) أي خير شريف النفس استثناء من الرغبة فيها أي إلا أن يكون الرغبة فيها من صبار كريم يطلبها من طرق الحلال و يصبر عن الحرام ، وإخراج الحقوق المالية وإعانة الفقراء و ذوى الحاجات فإن الرغبة في هذه الدنيا من المالحات ثم حث على الزهد والصبر عليه و نفي عن الدنيا بقوله (فإنما هي) أي الدنيا (أيام قلائل) وهي أيام العمر والعصر ينقض حقيقاً و ينتهي سروراً الى الآخرة والصبر على المشاق المتقضية سهل على النفوس العاقلة سيما إذا كان مستلزمًا للراحة الدائمة ثم أشار الى بعض آثار الزهد و أشرف مقاماته بقوله (إذا تخلى المؤمن من الدنيا) أي إذا تخلى المؤمن عن الدنيا بأن قطع تعلقه بها و أخرج حبه عن قلبه و ارتفع من حضوض النفس الى أوج الكمال ومن مقام الكثرة الى ساحة القدس والجلال (ووجد) في قلبه (حلاوة حب الله) وكان عند أهل الدنيا الراغبين فيها (كأنه قد خولط) واختل عقله ، (وإنما خالط القوم) ودخل في قلوبهم (حلاوة حب الله) فلم يشغلوا بغيره .

القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتى يسمو .

وفيها إشارة إلى أعلى درجات الزاهد وهو أن يفرغ قلبه من غير الله تعالى حتى الخوف من النار والطمع في الجنة لسكره بحلاوة المحبة والقرب منه فلا يرى لغيره وجوداً فضلاً عن أن يشغل به وهو مقام الفناء في الله و انما قلنا هذا أعلى درجات الزاهد لان أدنى درجاته أن يترك الدنيا ويصير على الترك مع الميل اليها . وأوسطها أن يترك الميل اليها أبعثاً وهو بعد في مقام الكثرة و اذا دام عليه وسار ذلك ملكه وطهر ظاهره وباطنه عن جميع المتابع لان كلها ناشية من حب الدنيا يرتقى من هذا المقام إلى مقام التوحيد المطلق وعالم القدس فيتجلى فيه أنوار الحق و أسرار و يشاهد بنور البصيرة جماله و كماله و عظمته و قدرته فيستغرق في بحر محبته و يغفل عن نفسه فضلاً عن غيره بذوق حلالة حبه و يصير حينئذ أطواره و أوضاعه و أقواله و أفعاله و حركاته و سكناته غير أطوار أهل الدنيا و أوضاعهم و أقوالهم و أفعالهم و حركاتهم و سكناتهم فيظنون أنه خولطواختل هذه حيث لم يجدوا عقله كمثلهم و فعله كمثلهم ولذلك نسب كفرة قریش الجنون إلى النبي المبارك وص . و يقرب منه قوله (ان القلب اذا صفا ضاقت به الأرض حتى يسمو) القلب من عالم القدس النوراني (١) و عالم الاعلى الروحاني و سكونه إلى هذا العالم الجسماني واستقراره في عالم البدن الانساني انما هو بقدر تعلقه به وغفوله عن ذلك العالم الاسلي فاذا صفا عن الصبغات النفسانية والذائل الشيطانية والقيودات الدنيوية والتعلقات البشرية والطبيعية واتصف بالكمالات الروحانية الصفات الشريفة الربانية تذكر مكانه الاسلي وقطع يده عن الاسباب و تعلق برب الارباب فيكشف عنه الحجاب لضاقت به الأرض فيضطرب و يستوحش منها ولا يستقر حتى يسمو و يرتفع من هذا العالم إلى العالم الاعلى ويتعرف بقرب المولى ، وان شئت زيادة توضيح فنقول لما كانت الأرض أعظم أجزاء الانسان وكانت فناء الظاهرة والباطنة مائلة اليها بالطبع لكمال النسبة بينهما كانت الدواعي إلى زهراتها حاضرة والبواعث إلى لذاتها ظاهرة فربما يشغل بها و يكتسب الاخلاق والاعمال الفاسدة لتحصيل المقاصد حتى تصير النفس تابعة لها راضية بآثرها مشغوفة بعملها منكدة بالشهوات منغمسة في اللذات فتحب الاستقرار في الأرض و تركن اليها ، وأما اذا تمت تلك القوى عن مقتضاها و سرفتها عن هواها و روضتها بمقامع الشريعة و ادبها بأداب الطريقة حتى غلبت عليها وصفت عن كدوراتها وظهرت عن خباياها و تخلصت من قيوداتها و تحلت بالاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة والاداب الرفيعة والاطوار المرضية ضاقت بها الأرض حتى تسمو إلى عالم النور والروحانية فتشاهد عالم الاعلى بالبيان و تنظر إلى الحق بين المرقان و يزداد لها نور الايمان و الايقان فتعاني جملة الدنيا و الاستقرار في الأرض فيبدنها في هذه الدنيا وهي في عالم الاعلى . وفيه ترغيب للمقلد في

١١- علي [عن أبيه]، عن علي بن محمد القاساني، عن القاسم بن محمد، عن سليمان بن داود المنقري، عن عبد الرزاق بن همام، عن معمر بن راشد، عن الزهري، عن محمد بن مسلم بن شهاب قال: سئل علي بن الحسين عليه السلام أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل؟ فقال: ما من عمل بعد معرفة الله جل وعزّ ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله أفضل من بغض الدنيا وإنّ لذلك شعباً كثيرة وللمعاصي شعباً، فأول ما عصي الله به الكبر وهي معصية إبليس حين أبي واستكبر وكان من الكافرين، والحرس وهي معصية آدم وحواء حين قال الله عز وجل لهما: كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، فأخذوا ما لا حاجة بهما إليه فدخل ذلك علي ذريتهما إلى يوم القيامة وذلك أنّ أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه، ثمّ الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرئاسة وحب الراحة وحب الكلام وحب

ترك الدنيا وتحريك لهم إلى ترك الطباع ورسوم العادات وزجر لنفوسهم عن النفل والجنهات لتصرف بذلك عن الرذائل الناسوتية وتتعل بالحق وتجاهد الاسرار اللاهوتية وهو غاية مقصد الانسان و نهاية مطلب أهل العرفان.

قوله (و ان لذلك شعباً كثيرة و للمعاصي شعباً) شعب الزهد اضداد شعب المعصية اعنى التواضع و هو ضد الكبر والفنوع و هو ضد الحرس والرضا بما آناه الله و هو ضد الحسد والمذكورات من باب التمثيل والا فجنود العقل كلها شعب الزهد و جنود الجهل كلها شعب المعصية (والحرس و هي معصية آدم) قال الله تعالى و عصي آدم ربه فغوى قال من نزه الانبياء عن الذنوب ان النهي من تناول الشجرة نهى تنزيهه لا تحريمه فيكون تناول ترك أولى و أفضل. وأورد عليهم بأن اطلاق اسم العاصي على آدم بهذا الاعتبار يوجب أن يوسف الانبياء عليهم السلام بانهم عصاء اذ لا يكاد انفكاكهم عن ارتكاب مثل هذا المعنى. واجيب بان اسم العاصي على آدم بهذا المعنى مجاز والمجاز لا يقاس عليه ولا يعتمد من موضعه و على تقدير جواز القياس عليه بطلان الثاني ممنوع اذ لا محذور في اطلاق اسم العاصي عليهم بهذا الاعتبار (فدخل ذلك) أي الحرس و أخذ ما لا حاجة به (وذلك أن أكثر ما يطلب ابن آدم) انما قال أكثر لان قدر الكفاف لا بد منه و تحصيله عبادة لاحتياج قوام البدن و فعل الطاعات عليه (فتشعب من ذلك) أي من ذلك المذكور وهو الكبر والحرس والحسد و تخصيص

العلو* و الثروة ، فصرن سبع خصال ، فاجتمعن كلهن* في حب* الدنيا ، فقال
الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك : حب* الدنيا رأس كل خطيئة ، والدنيا دنيا إن
دنيا بلاغ ودنيا ملعونة .

١٢ - علي* بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن ابن بكير ،
عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إن في طلب الدنيا إضراراً
بالآخرة و في طلب الآخرة إضراراً بالدنيا ، فأضررنا بالدنيا فأشهاأولى بالإضرار .

الإشارة بالحسد بعد بحسب المعنى وإن كان قريباً بحسب اللفظ (فصرن سبع خصال) أى فصارت
شبه المصامى المذكورة سبع خصال وهى حب النساء الى آخره (فاجتمعن) أى سبع خصال ،
أوهى مع المصامى المذكورة وهى الكبر والحرم والحسد (كلهن فى حب الدنيا) والظرفية
باعتبار الأكثر والأفحب الدنيا ليس فى حب الدنيا (فقال الأنبياء والعلماء) المراد بهم الأوصياء
أو الأعم (بعد معرفة ذلك) وهو أن المصامى والخصال الذميمة كلها فى حب الدنيا (حب الدنيا رأس
كل خطيئة) هذا الكلام على سبيل الحقيقة دون المجاز والمبالغة لأن كل خطيئة تابعة لحب الدنيا
منبهة منها لأن الدنيا طريق الهوى وسبيل المنى الى الشهوات الحاضرة والخيالية واللذات العاجلة
الاعتبارية التى منها الكبر والحرم والحسد و حب النساء وغيرها من الخصال المذكورة
و غير المذكورة من ممتلكات الهوى والمنى رسماً وعادة ، وهذه الأمور لا تتحصل الا باستعمال
القوة الشهوية الجسدية والقوة النفسية الدافعة للموانع منها و يتولد منهما مقاسد كثيرة غير
محصورة و من ههنا علم أن كل خطيئة تنبثق من حب الدنيا و تنفאות باعتبار النفاوت فى
حبها فمن ترك حبها صار خالماً لمولاه و من أحبها صار عبداً لدنياه ثم أشار الى أن الدنيا
مطلقاً ليست بضمومة بقوله (والدنيا دنيا إن دنيا بلاغ) و هو قدر المكفاف من طريق الحلال و
هذا القدر لا بد لكل أحد حتى الأنبياء والأوصياء الذين غاية حميم ترك الدنيا والتوجه
الى المولى وهو المصين للبقاء والعبادة (ودنيا ملعونة) وهى الزائدة عن قدر الحاجة
أو الحاصل من طريق الحرام أو الداعية للنفس الى الطغيان و القلب الى المعيان و أهلها
الى الغيظان و تعلق المن بها باعتبار تعلقه بأهلها أو باعتبار أنها بعيدة عن الخير .

قوله (إن فى طلب الدنيا إضراراً بالآخرة) لأن توجه الظاهر والباطن اليها وسرف
الفكر فيها وفى كيفية تحصيلها وحفظها وإرسال القوة الشهوية والنفسية الى التلجب والدفع
ينافى طلب الآخرة والتوجه اليها و يفهم منه أن المنعوم من الدنيا ما يضر بأمر الآخرة ، و
أما ما لا يضره كقدر الحاجة فى البقاء والتمتع فليس بمنعوم بل معدوح .

١٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبي أيوب الخزّاز، عن أبي عبيدة الجذّاء قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: حدثني بما أتتفع به فقال: يا أبا عبيدة أكثر ذكر الموت، فإنه لم يكتر إنسان ذكر الموت إلا زهد في الدنيا.

١٤- عنه، عن علي بن الحكم، عن الحكم بن أيمن، عن داود الأزاري قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ملك ينادي كل يوم: ابن آدم! لد الموت، واجمع للنقاء، وابن للخراب.

١٥- عنه، عن علي بن الحكم، عن عمر بن أبان، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال علي بن الحسين صلوات الله عليهم: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة

قوله (أكثر ذكر الموت فإنه لم يكتر إنسان ذكر الموت إلا زهد في الدنيا) لأن كثرة ذكر الموت وما يلحق الإنسان بعده مع قلب حاضر من أشد الجواذب عن الدنيا إلى الله، وفيه تنفير من محبة الدنيا للاشتغال بالعمل للأخيرة وإنما قلنا مع قلب حاضر لأن أكثر أهل الدنيا يذكرون الموت ويمشون خلف الجنائز و يشاهدون مسكن الموتى ولا تنأثر قلوبهم لاشتغالها بأمور الدنيا وتكدرها بفكر زهراتها حتى سارت مظلمة لا يستر فيها الحق و حقيقة الموت وما بعده وهكذا حال جميع العبادات فإنها مالم تقترن بحضور القلب لا يحصل منها الأثر المتصور وهو قرب الحق ومشاهدة جلاله والوصول إلى حقيقة كمال الإنسان.

قوله (قال أبو جعفر د ع ، ملك ينادي كل يوم ابن آدم لد الموت و اجمع للنقاء وابن للخراب) في نهج البلاغة قال أمير المؤمنين د ع ان الله ملكاً ينادي في كل يوم لدوا للموت واجموا للنقاء وابنوا للخراب، قال شارحه ليست اللام فيها للفرض وإنما هي للعاقبة نحو قوله تعالى وفالنقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً.

قوله (قال علي بن الحسين عليهما السلام : ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة) رحل عن النبك وارتحل شخص وسار والمراد بأديار الدنيا تقضيها وانصرامها ففيه إشارة إلى تقضى الأحوال الدنيوية الحاضرة بالنسبة إلى كل أحد من صحة وشباب وجاء ومال وكل ما هو سبب لمصالح حاله في الدنيا فإن كل ذلك أجزاء الدنيا لدنوها من الإنسان ولما كانت هذه الأمور دائماً في التغير والتقضى المفتضى لفارقة الإنسان لها و بعدها عنه حسن إطلاق اسم الادبار على تقضيها و بعدها، و تشبيهها بالحيوان في الادبار مكتبة و اثبات الارتحال لها تعجيلية، و نسبة الادبار إليها ترشيح، و أشار إلى أن الآخرة على عكس ذلك بقوله (و أن الآخرة قد

وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة و لكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا [ألا] وكونوا من الزاهدين في الدنيا المرغبين في الآخرة . ألا إن الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً والتراب فراشاً والماء طيباً و قرصوا من الدنيا تقرضاً ، ألا ومن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات و

ارتحلت مقبلة) الآخرة عبارة عن دار جامعة لاحوال يعود اليها الناس بعد الموت من طاعة ومصيبة و سعادة و شقاوة و غيرها ولما كان تقضى العمر شيئاً فشيئاً باعثاً للوصول الى تلك الدار والورود على ما فيها من خير أو شر كان كل أحد متوجهاً اليها و اهتبر توجيهها اليه أيضاً فشيئاً بحروان حامل لاثاث تلك الاحوال مقبلاً اليه فمن قريب يتلاقى فيمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره والى مضمون الفقرتين أشار أمير المؤمنين رحمه بقوله كل ماض فكان لم وكل آت فكان لله أى كان لم يكن وكان قد اتى حذف الفعلان لظهورهما (ولكل واحدة منهما بنون) استعمار لفظ البنين للخلق بالنسبة الى الدنيا والآخرة ولفظ الاب لهما ووجه الاستعارة ان الابن لما كان من شأنه الميل الى الاب بحسب الطبع أو بحسب توقع النفع ومن شأن أبيه ايسال المتوقع وكان الخلق منهم من يميل الى الدنيا لتوقع النفع وهي يوصله اليه ومنهم من يميل الى الآخرة لذلك شبه الخلق بالابن والدنيا والآخرة بالاب واستعمار لفظ الابن لهم ولفظ الاب لهما لتلك المماثلة المذكورة ولما كان غرضه حث الخلق على الآخرة والميل اليها والاعراض عن الدنيا قال (فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا) لان منافع الدنيا خيالية باطلة و سبب قاتلة و منافع الآخرة حقائق دائمة و فوائد باقية أبداً فينبغى أن تكونوا والهيين اليها و راضين فيها و عاملين لها و أشار الى أن المقصود ليس مجرد رفض الدنيا و ترك العمل لها بل هو مع ازالة حبيبها عن القلب بقوله :

(وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة) لان الزهد هو رفض الدنيا ظاهراً و باطناً ولا يتحقق الرغبة في الآخرة الا به فأشار الى بعض آثار الزهد و علاماته بقوله (ألا ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطاً و اقتراب فراشاً والماء طيباً و قرصوا من الدنيا تقرضاً) البساط فعال بمعنى مفعول كالكتاب بمعنى المكتوب و الفراش بمعنى المزروش والطيب اللذيذ أو العطر والتقرض بمعنى التقطيع و ازالة الاتصال من قرض الثوب اذا قطعته بالمتراض . أو بمعنى التجاوز من قرض الوادى اذا جزته أو بمعنى المعدول من قرض المكان اذا عدلت عنه ، وبعض أحوال الزاهد ما أشار اليه أمير المؤمنين رحمه في وصف عيسى علي نبينا و عليه الصلوة والسلام بقوله فقل قد كان يتوسد الحجر و يلبس الخشن ، و

من أشفق من النار رجع عن المحرمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب،
ألا إن الله عبداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلفين و كمن رأى أهل النار
في النار معذبين ، شروهم مأمونة و قلوبهم محزونة ، أنفسهم غفيرة ، حوائجهم
خفيفة ، صبروا أياماً قليلة فصاروا بهتبي راحة طويلة ، أما الليل فصافقون أقدامهم

كان ادم الجوع، و سراحه بالليل القصر، و ظلاله في الشتاء مشارق الارض، و فاكهته و
ريحانه ما تنبت الارض لليهاثم ، و لم تكن له زوجة تفتنه ، ولا ولد يحزنه ، ولا مال
يلفنه ، ولا طمع يذله ، دابته رجلاه ، و خادمه يداؤه ، فوله و كان ادمه الجوع ، و وجهه قيام بدنه بالجوع
كقيامه بالادام ، و قوله و ظلاله . الى آخره ، و وجهه استناده عن البرد بها كاستناده بالظلال (ألا و
من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات) أى نسيها و منع نفسه منها (و من أشفق من النار
رجع عن المحرمات) جمع الحرمة كالرفقات جمع الرفقة ، و ذلك لان الاشتياق الى الشيء
يستلزم التوسل بسببه و الاشتياق من الشيء يستلزم التحرر من سببه (ومن زهد في الدنيا
هانت عليه المصائب) لان المصائب الدنيوية كلها راجعة الى فوات الدنيا و من زهد
فيها سهل فواتها عنده ولا يحزن به .

(ألا إن الله عبداً كمن رأى أهل الجنة في الجنة مخلفين و كمن رأى أهل النار في
النار معذبين) اشار به الى أن العارف و ان كان في الدنيا بجسده فهو في مشاهدة عين
بصيرته لاحوال الجنة و سعادتها و أحوال النار و شقاوتها كالذين شاهدوا الجنة بعين جسمهم
و تنموا فيها و كالذين شاهدوا النار و عذبوا فيها كما مر في حديث حارثة و هى مرتبة عين
اليقين و بحسب هذه المرتبة كانت شدة شوقهم الى الجنة و شدة خوفهم من النار .

و أشار الى بعض أحوال هؤلاء بقوله (شروهم مأمونة) لان علمهم بفتح عاقبة
الشر يمنعهم عن التسدد له و التوجه اليه و لان مبدأ الشر محبة الدنيا و هم بمنزل عنها .

(و قلوبهم محزونة) من احتمال تقصيرهم فيما مضى أو فيما يأتى و عدم علمهم بما فيه
امورهم و بما يفعل بهم في الدنيا و الآخرة ، و خوفهم من ألم الفراق و العقبات المستقبلية و لا
يسكن حزنهم و لا تظلمن قلوبهم حتى يخرجوا من الدنيا .

(أنفسهم خفيفة) لاعتدال قوتهم الشهوية و وقوعها على الوسط بين رذيلتي الحمود و
الفجور فلا يمجزون عن الحق ولا يميلون الى الفجور (حوائجهم خفيفة) لانفسارهم في الدنيا
على التقدير الضروري منها (صبروا أياماً قليلة فصاروا بهتبي راحة طويلة) اريد بأيام قليلة
مدة صبرهم و هم صبروا فيها على المكاره و الشدائد و ترك الدنيا و احتمال أذى الخلق و
القيام بالنكاليف ، و في ذكر قلة مدة الصبر و استعجابه للمراحة الطويلة ترغيب في الصبر لان

تجري دموعهم على خدودهم وهم يجأرون إلى ربهم ، يسعون في فكاك رقابهم . وأما الشهاد فحلماة ، علماء ، بررة ، أتقياء ، كأنهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى - و ما بالقوم من مرض - أم خولطوا فقد خالط القوم أمر عظيم ، من ذكر النار وما فيها .

تحمل مشقة كثيرة في مدة قليلة لنفحة جزيلة راحة طويلة أبدية سهل وتلك الراحة هي السعادة في الجنة كما قال جل وعز و جزاهم بما صبروا جنة وحريراً .

(أما الليل فصاقون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يجأرون إلى ربهم يسعون في فكاك رقابهم) جأر كمنع رفع صوته بالدعاء وتضرع واستغاث ، وفيه إشارة إلى كمالهم في القوة العملية بارتكاب المبادات والتضرع والاستغاثة إلى الله والخوف منه والقرع بما عنده من الكرامة والمنو عن التقصير ، وذكر الليل لأن العبادة فيه أشق وأقرب إلى القرية والقلب فيه أفرح . (و أما النهار فحلماة علماء بررة أتقياء كأنهم القداح قد براهم الخوف من العبادة) أما النهار عطف على أما الليل وكلاهما يجوز فيه الرفع على الابتداء والنصب على الظرفية . والنحلم فضيلة تحت ملكة الشجاعة وهي الوسط بين ذيلتي المهابة والانراط في الغضب . والعلم إشارة إلى كمالهم في القوة النظرية بالعلم النظري والشرعي وهو معرفة الصانع وصفاته وأحكامه الشرعية . والبر بالفتح والبار بالمدى أو التقي وهو خلاف الفاجر و جمع الاول أبرار وجمع الثاني بررة مثل كافر وكفرة وفاسق وفسقة والسني أنهم خائفون من الله تعالى وتاركون جميع القبائح البدنية والنفسانية ، وأشار إلى ثمره خوفهم بقوله : وكانهم القداح وهي بالكسر جمع القدح بالكسر والتسكين وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله وأشار إلى وجه الشبه بقوله قد براهم الخوف من العبادة و براهم بفتح الباء وتعفيف الرأ مثل هداهم من البري وهو ترائيد تير ، يعني قد براهم الخوف كبرى القداح في التحافة والدقة وإنما يفعل الخوف ذلك لاشتغال النفس المدبرة للبدن بسبب الخوف عن النظر في سلاح البدن ووقوف القوة الشهوية والفاذية من أداء بدل ما يتحمل .

(ينظر إليهم الناظر) من أهل الدنيا الذي طوره غير طوره (فيقول مرضى) أي هم مرضى نظراً إلى تحافة أجسامهم (وما بالقوم من مرض أم خولطوا) أي اختلت عقولهم نظراً إلى تكلمهم بكلام خارج عن دركه (فقد خالط القوم أمر عظيم) وهو الخوف من ذكر النار وما فيها وفيه إشارة إلى ما يعرض لبعض البارفين عند ذكر النار وما فيها واتصال نفسه بالعلماء الأعلى ، واشتغالهم عن تدبير البدن وطيح حركاته وسكناته على نحو حركات أهل الدنيا و سكناتهم من نهول جسمه وتدبير هيئته وتكلمه بكلام خارج عن طور كلامهم مستبشع عندهم فيلبسه

١٦- عنه، عن علي بن الحكم، عن أبي عبدالله المؤمن، عن جابر قال : دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقال: يا جابر والله إنني لمحزون وإنني لمشغول القلب، قلت: جعلت فداك وما شغلك؟ وما حزن قلبك؟ فقال: يا جابر إنني من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه، يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون الدنيا هل هي إلا طعام أكلته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها؟ يا جابر إن المؤمنين لم يطمئثوا إلى الدنيا ببقائهم فيها، ولم يأمنوا قدومهم الآخرة، يا جابر الآخرة

الناظر منهم تارة إلى المرض الجسماني وتارة إلى المرض الروحاني وهو اختلاط العقل واختلاله بالجنون فقال دح، أما المرض فمختلف، وأما المخالطة فنصحيقة لكن لا بالجنون وفساد العقل كما توهموا، بل بالخوف والذكر والاتصال، وهي دواء للنفس يشفيها من جميع الامراض المهلكة.

قوله (انه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه) لعل المراد بالخالص الايمان الحقيقي واليقين بالله وإضافة الصافي اليه اما بيانية أو لامية بأن يراد بالصافي التقرب منه تعالى وحبه لقاءه ولقاء الآخرة، هذا وجه لشغل قلبه الشريف عما سواه، وأما وجه حزنه فلمله أن الانسان وإن طوى مقامات السير ووصل إلى الحق وقرب منه لكنه مدام في هذه الدار لا يخلو من بعد في الجملة، وإنما يحصل القرب التام والوصول الكامل بعد المفارقة منها فالعارف في هذه الدار دائماً في شغل عما ذكر وحزن لفقد هذا الكمال الذي لا يتأتى الا بالموت ولذلك قال علي دح، حين ضرب د فزت برب الكعبة، ثم أشار إلى ذم الدنيا وترك محبتها على وجه يضر بتحقيقها بقوله:

(يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون الدنيا هل هي الا طعام أكلته، أو ثوب لبسته، أو امرأة أصبتها) للتنبه على أن جل منافع الدنيا هذه الامور وهي منصرمة منقضية لا بقاء لها، والماعقل لا يجب ولا يركن إلى ما هو في مرض الفناء والزوال سريعاً، ثم أشار إلى أن المؤمنين السابقين لم يركنوا إلى الدنيا ولم يطمئثوا ببقائهم فيها خوفاً من أمر الآخرة و قدومهم اليها بقوله (يا جابر ان المؤمنين لم يطمئثوا إلى الدنيا ببقائهم فيها ولم يأمنوا قدومهم الآخرة) بل تركوا الدنيا وخافوا قدومهم الآخرة والمراد بالمؤمنين المؤمنون الكاملون وهم الكرماء والمتورعون في مكاسبهم الملازمون فيها للأعمال الجميلة الصالحة والأخلاق الفضيلة الكاملة وأداء الحقوق النفسية والبدنية بالالفور بذلك إلى أعلى مراتب

دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن أهل الدنيا أهل غفلة و كأن المؤمنين هم الفقهاء أهل فطنة وعبرة ، لم يصممهم عن ذكر الله جل اسمه حاسموا بآذانهم و لم يصممهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة بأعينهم ففازوا بثواب الآخرة ، كما فازوا بذلك العلم ، وأعلم يا جابر أن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة و أكثرهم لك معونة ، تذكر فيعينونك وإن نسيت ذكروك ، فوالون بأمر الله قوامون على أمر الله ، قطعوا

المحبة وأقصى مدارج اليقين ، ثم بالغ في الحث على الزهد في الدنيا بقوله :

(يا جابر الآخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن أهل الدنيا أهل غفلة)
للتنبية على أنه لا ينبغي إيتار الثاني على الباقي ولكن أهل الدنيا لما كانوا جاهلين بقبائح الدنيا غافلين عن أمر الآخرة واختاروا الزائل ترجيحاً للشاهد على الغائب و هو محل التنبه ولذلك قال أمير المؤمنين (ع) وصحبت لعمر دار الفناء و تارك دار البقاء ثم أشار إلى أن كمال الإيمان والزهد في الدنيا يشحنتان بالفقه والفكرة والعبرة بقوله :

(وكان المؤمنين هم الفقهاء أهل فطنة وعبرة لم يصممهم عن ذكر الله جل اسمه ما سمعوا بآذانهم) من اختيار بسطة أيدي السابقين والفاسين وكثرة أموالهم وشدة تعنتهم من الدنيا (ولم يصممهم عن ذكر الله ما رأوا) في أهل الدنيا

(من الزينة بأعينهم ففازوا) لترك الدنيا (بثواب الآخرة كما فازوا بذلك العلم) إذ يتفقههم يعرفون الخير والشر ويميزون بين الحق والباطل وبين الباقي والزائل و يفكرتهم يتفكرون في أحوال ما بعد الموت إلى أن يدخل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ، وفي أحوال ما يرد عليه الإنسان بعده من المقامات و سموية الفخلص منها و بالعبرة يعتبرون بأنفسهم في كيفية وصول الرزق إليهم حين كونهم أجنة في بطون أمهاتهم من غير اختيار ولا عمل لهم ، و بأحوال الماضين و ما كانوا فيه من نعيم الدنيا ولذاتها و المباحات بكثرة الأموال و الاعوان ، ثم المفارقة لذلك كله بالموت أو الأخذ ، وبقاء الحسرة والندامة والاهمال وعلاق الدنيا حبياً حائلة بينهم و بين الرحمة و حضرة جلال الله و ذلك يصممهم على الزهد في الدنيا والاقبال ظاهراً و باطناً إلى الله تعالى والسمى الآخرة رحم الله من تفقه وتفكر واعتبر فأبسر ، ثم أشار إلى جملة من حالات الزاهدين و صفات المثقين بقوله :

(يا جابر إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة) أي ثقلاً لأنهم لا يتحملون من الدنيا إلا القدر الضروري في التمشي و البقاء (و أكثرهم لك معونة) لأنهم مستعدون لأعانة المحتاجين في أمور الدنيا والدين سألوا أم لا كما أشار إليه بقوله (تذكر) أي حاجتك (فيعينونك) فيها (وان نسيت ذكروك) و أرشدوك إليها وإلى طريق قضائها ، ثم يمينونك مع

محببتهم بمحبة ربهم ووحشوا الدنيا لطاعة ملبكهم و نظروا إلى الله عز وجل و إلى محبته بقلوبهم و علموا أن ذلك هو المنظور إليه ، لعظيم شأنه . فانزل الدنيا كمنزل نزلته ثم ارتحلت عنه ، أو كمال وجدته في منامك فاستيقظت و ليس معك

الحاجة إلى الاعانة (قوالون بأمر الله) لان شأنهم ارشادهم و هدايتهم للمخلق إلى ما فيه صلاحهم و زجرهم عما فيه فسادهم (قوامون على أمر الله) يحفظونه من الزيادة والنقصان و يضمنون عنه تصرف أهل الجهل والظلمة فهو بضائيتهم ينظم و ينوم و يحمايتهم يستنهم و يدوم (قتلوا محبتهم بمحبة ربهم) أي قتلوا محبتهم عن جميع الاشياء و اختاروا محبة ربهم ، أو تركوا ما يحبونه و عملوا بما يحبه ربهم .

(و وحشوا الدنيا لطاعة ملبكهم) أي انقطعوا عن الدنيا و فروا منها ولم يستأسوا بها لان يطبقوا مالكهم فيما أراد منهم من ترك الدنيا أو الأعم منه ومن ترك جميع الشرور و فعل جميع الخيرات بقلب فارغ عن غيره (و نظروا إلى الله عز وجل وإلى محبته بقلوبهم) بتلويهم منقلب ينظروا وإنما أخرها مع أن النظر مستند إليها في الحقيقة أما للاهتمام بالمقدم أو لقصد المحصر أي نظروا ببصيرة قلوبهم إلى الله وإلى محبته لا إلى غيرهما والاخير أنسب بقوله (و علموا أن ذلك) أي ذلك المذكور و هو الله و محبته والاشارة للتنظيم .

(هو المنظور إليه لعظيم شأنه) أي هو الذي ينبغي أن ينظر إليه لا إلى غيره لضمة شأنه و حقارة ما سواه ، ثم خاطب جابر أو كل من يصلح للخطاب وزهده في الدنيا بتمثيل بليغ بقبح حال الدنيا و صاحبها فقال (فانزل الدنيا كمنزل نزلته) في سفره (ثم ارتحلت عنه ، أو كمال وجدته في منامك) مثل مال وجاء وامرأة جميلة (١) .

(فاستيقظت و ليس معك منه شيء) شبه الدنيا بذلك المنزل في قلة زمان الكون فيه و شبه متاعها بذلك الكمال (٢) في عدم الاعتناء به وعدم كونه كما لا في الحقيقة لسرعة زواله بنفسه أو بالموت الشبيه بالاستبفاظ فلا يكون معك منه شيء كما لا يكون مع المستيقظ من ذلك الكمال شيء . ويظهر منه سر قول أمير المؤمنين « ع » والناس ليام فاذا ماتوا اتبهاوا » و العاقل اللبيب اذا نظر إلى الدنيا بعين البصيرة و وجدها متصفة بالصفات المذكورة زال عنه حبها . قال الشاعر موافقاً لهذا التمثيل :

نزلنا ههنا ثم ارتحلنا كذا الدنيا نزول و ارتحال
أردنا أن نقيم بها ولكن مقام المرء في الدنيا محال

و قال بعض أكابر السبغة : والله لو كانت الدنيا بأجمعها تبنى علينا و يأتي رزقها رغداً ما كان من حق حر أن يذل لها فكيف وهي متاع يضمحل غداً ثم أشار إلى تمثيل آخر

(١) كمال حرف البحر دخلت على كلمة مال لامن كمال كما توهمه (ش) .

منه شيء، [إنما] ضربت لك هذا مثلاً، لأنها عند أهل اللب والعلم بالله كفى الظلال، يا جابر! فاحفظ ما استرعاك الله جل وعز من دينه وحكمته ولا تسألن عما لك عنده إلا ما له عند نفسك، فإن تكن الدنيا على غير ما وصفت لك فتحوّل

أبلغ وأظهر بقوله (إنما ضربت لك هذا مثلاً لأنها عند أهل اللب والعلم بالله كفى الظلال) في سرعة الزوال، أو في أنه ليس بشيء حقيق، أو في الاستقلال به قليلاً ثم الانحلال عنه، أو في أنه يرى ساكناً وهو يزول بالتدريج آناً فآناً والدنيا كذلك والظلال جميع الظل هو والقيء بمعنى واحد عند كثير من الناس، وقال ابن قتيبة وليس كذلك بل الظل يكون غدوة وعشية والقيء لا يكون إلا بعد الزوال فلا يقال لما قبل الزوال فيه وإنما سمي بعد الزوال فيثلاً لأنه ظل فادع جانب المغرب إلى جانب المشرق، والقيء الرجوع، وقال ابن السكيت الظل من الطلوع إلى الزوال والقيء من الزوال إلى الغروب، وقال نعلب الظل للشجرة وغيرها للنداء والقيء بالمشاء، وقال رؤبة بن المعجاج كلما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو ظل وفيه ومالم تكن عليه الشمس فهو ظل ومن هنا قيل الشمس تنسخ الظل والقيء ينسخ الشمس.

(يا جابر فاحفظ ما استرعاك الله عز وجل من دينه وحكمته) وهي العلم بالشرائع والمراد بحفظه حفظه عن الضياع والعمل به وتعليله لمن هو أهل له (ولا تسألن عما لك عنده) من الحقوق مثل الرزق وغيره لأنه لا يترك ما للمعبد عليه وما ورد من البحث على الدعاء لطلب الرزق فهو لكون الدعاء عبادة، أو للتوسعة، أو لغير ذلك مما يجيء تفصيله في كتاب الدعاء إن شاء الله تعالى.

(إلا ما له عند نفسك) من الطاعة والتسليم والزهد في الدنيا فانك تحتاج إلى السؤال عنه وطلب المدد والاعانة والتوفيق منه تعالى والاستثناء من الموصول وظاهره الانتطاع لأن الحقيقين متبايران لا يبعد أحدهما على الآخر ويمكن إرجاعه إلى الاتصال لأن ما له عند نفسك فهو لك في الحقيقة وثمرته راجعة إليك لأنه أجل من أن يحتاج إلى شيء و يعود إليه فوائده من العبادة والله أعلم.

(فإن تكن الدنيا على غير ما وصفت لك فتحوّل إلى دار المستعقب) هذا من الترهيب و حقيقته غير معلومة لنا، ولكن نقول على سبيل الاحتمال: لأرب في اتصاف الدنيا بالوصاف المذكورة والناس فيه ثلاثة أقسام لأن من اعتقد باتصافها بها وجب عليه الزهد فيها عملاً بمتننى علمه ومن اعتقد بعدم الاتصاف أولم يعتقد بالاتصاف ولا بعدمه فليتحول إليها ليعلم شدايدها وانقلابها على أهلها واتصافها بما ذكر بالتجربة والامتحان والشرط المذكور شامل للأخبرين والمستعقب بالكسر من يطلب الرضا بأزالة ما عرتب عليه و خوطب بالسخط،

إلى دار المستعذب ، فلمعري لرب حريص على أمر قدشقى به حين أتاه ولرب كاره لأمر قد سعد به حين أتاه ، و ذلك قول الله عز وجل : « وليمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين ».

١٧- عنه ، عن علي بن الحكم ، عن موسى بن بكر ، عن أبي إبراهيم عليه السلام قال : قال أبوذر رحمه الله جزي الله الدنيا عني مذمة بعد رغيفين من الشعير أتغذي بأحدهما و أتعشي بالآخر و بعد شملتي الصوف أتزر بأحديهما و أتردي بالأخرى.

١٨- و عنه ، عن علي بن الحكم ، عن المشي ، عن أبي بصير ، عن أبي-

و انما قال و فتحول الى دار المستعذب ، و لم يقل فتحول اليها للاشعار بأن كل أهل الدنيا والمائل اليها مستعذب يوم القيمة و نادم على ما كان عليه و طالب للمفو والرضا ولكن لا يفقه ذلك كما ورد « ما بعد الموت من مستعذب »

(فلمعري لرب حريص على أمر قدشقى به حين أتاه و لرب كاره لأمر قدسعد به حين أتاه) كما قال جل شأنه و عسى أن تكرهوا شيئاً و هو خير لكم و عسى أن تحبوا شيئاً و هو شر لكم ، اذ ما من شيء الا وله جهات متعددة فربما يدرك أحد حسن جهة فيطلبه و هو غافل عن فبح جهات آخر ، أو عن فبح عاقبة تلك الجهة وربما يدرك فبح جهة فيكرهه و هو غافل عن حسن جهات آخر ، أو عن حسن عاقبة تلك الجهة.

(و ذلك قول الله عز وجل و لمحص الله الذين آمنوا و يمحق الكافرين) أي كون مكروء الدنيا سعادة و مرغوبها شقاوة أو حصول السعادة بالمكروهات و حصول الشقاوة بالمرغوبات مضمون هذا القول الكريم ، فان تمحيص المؤمن انما يكون بمرود مكاره النفوس و ما ينقل عليها ليخرج من بوتقة الامتحان خالصاً صافياً سعيداً و ترك التمحيص في الحريص يوجب محقه و فساد و امتداد في النفي والظلمة فان التمحيص في المؤمن لطف و احسان و تركه في الحريص محق و خذلان.

قوله (قال أبوذر - رحمه الله - جزي الله الدنيا عني مذمة بعد رغيفين من الشعير) أشار الى أن غير ما ذكره من الدنيا عنده مذموم و أحال ذمه الى الله تعالى تباية عنه للدلالة على كمال ذمه لان كل فعل من الفاعل القوي قوي بالغ حد الكمال ، و أما ما ذكره فغير مذموم لان كل شخص يحتاج في بقائه الى الغذاء والملابس ليكون يدلا عما يتحلل و يحفظه من الحر والبرد و ما ذكره و ارتضاء لنفسه هو أقل المراتب متهما وبالجملة حيث به على ترك الدنيا الا الضرورة منها.

عبد الله عليه السلام قال : كان أبودر رضي الله عنه يقول في خطبته : يا مبتغي العلم كأن شيئاً من الدنيا لم يكن شيئاً إلا ما ينفع خيره ويضر شره إلا من رحم الله ، يا مبتغي العلم لا يشغلك أهل ولا مال عن نفسك ، أنت يوم تفارقهم كضيف بيت فيهم ثم غدوت عنهم إلى غيرهم ، والدنيا والآخرة كمنزل تحولت منه إلى غيره و ما بين الموت والبعث إلا كنومة نمتها ثم استيقظت منها ، يا مبتغي العلم قدّم لمقامك بين يدي الله عز وجل ، فانك مثاب بعملك كما تدبر تدان يا مبتغي العلم.

١٩- عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن القاسم بن يحيى عن جده الحسن بن راشد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : مالي و لدنيا

قوله (يا مبتغي العلم كان شيئاً من الدنيا لم يكن شيئاً) خاطب طالب العلم و علمه ما هو خيره و هو الزهد في الدنيا ودفعه فيه بقوله (إلا ما ينفع خيره ويضر شره إلا من رحم الله) الظاهر أن الأءحرف تنبيه ومانعة والضرب البارز راجع الى شيئاً والجملة بيان لما قبلها بمعنى أن شيئاً من الدنيا ليس شيئاً يعتد به ويركن إليه الماقل لانه إما خير أو شر و خيره لا ينفع لانه في معرض الفناء والزوال و شره يضر إلا من رحم الله و هو الذي عصمه من الشر وفيه زجر عن التعرض لشره منها واما قال من الدنيا ولم يقل في الدنيا لان في الدنيا شره يعتد به اذا كان متعلقاً بالآخرة فخير و يطلب وشره يترك ولما كان سبب القلة في الأكثر هو الاشتغال بالأهل والمال وصرف العمر في رعايتهما وحفظهما ليس عن ذلك بقوله (يا مبتغي العلم لا يشغلك أهل ولا مال عن نفسك) أي عن تحصيل ما ينفع في يوم لا ينفع مال ولا بنون كما قال جل شأنه وها أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم من ذكر الله و من يفعل ذلك فاوئلك هم الخاسرون ثم رغب في تركها وحكم بأنه سهل لقلة زمانها بقوله (أنت يوم تفارقهم كضيف بيت فيهم ثم غدوت عنهم إلى غيرهم) التشبيه بالضيف في قلة الإقامة وقرب الرحيل وفيه مع ما يليه تنبيه على سرعة الانتقال والنزول في الآخرة ومشاهدة أهوالها وكراماتها وتحريم على تحمل المشاق فيها وتحصيل زاد الآخرة.

(يا مبتغي العلم قدم لمقامك بين يدي الله عز وجل) أي قدم العمل والعمل متوقف على العلم ولذلك خاطب مبتغيه بذلك ، وفي قوله « كما تدبر تدان » تنبيه على وجوب حسن المعاملة مع الرب اذا كان حسن جزائه بقدر حسن المعاملة منه وقبحه بقدر قبحها . ويؤيد ما روي وكما تزدح تحسده لفظ الزرع مستعار لما يفعل الانسان من خير أو شر ، ولفظ الجسد لما يشعر ذلك الفعل من ثواب أو عقاب ، ووجه الاستعارتين ظاهر.

قوله (قال رسول الله صلى الله عليه وآله) مالي و لدنيا وما أنا و الدنيا) ومن طريق العامة روي

وما أنا والدنيا إسماعيلي ومثلها كمثال الرأكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال
تحتها ثم راح وتركها.

٢٠- علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يحيى بن عقبة الأزدي، عن أبي عبد الله
عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: مثل الحريص على الدنيا كمثال دودة القز،
كلما ازدادت على نفسها فتأكل أبعادها من الخروج حتى تموت غمماً، قال: وقال
أبو عبد الله عليه السلام: كان فيما وعظ به لقمان ابنه: يا بني إن الناس قد جمعوا قبلك
لأولادهم فلم يبق ما يجمعوا ولم يبق من جمعوا له، وإنما أنت عبد مستأجر قد
أمرت بعمل ووعدت عليه أجراً فأوف عملك واستوف أجره ولا تكن في هذه الدنيا

عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نام على حصير فقام وقد أثر في جسده فقالوا لو أمرتنا أن
نسط لك ونعمل فقال وما لي والدنيا وما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح
 وتركها، وهذا من التشبيه التمثيلي ووجه التشبيه سرعة الرحيل وقلة المكث وعدم الرضا
 به فقد أشار وع إلى أنه على مسيرة من نفسه ويقين من سرعة النزول في الآخرة و مشتاق
 إلى لقاء الله وحسن نوابه والكرامة الأبدية الممنوعة للزاهدين لا إلى الدنيا وزهراتها.
 والمآثف النحر والقبلولة النوم قبل الزوال.

قوله (مثل الحريص على الدنيا كمثال دودة القز) هذا تشبيه تمثيلي في غاية
الحسن واللفظ ووجه التشبيه هو أن الدودة تفعل فلا فيه هلاكها ونفع غيرها وهي لا تعلم و
كذلك الحريص على الدنيا.

قوله (كان فيما وعظ به لقمان ابنه يا بني ان الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم فلم يبق ما
جمعوا ولم يبق من جمعوا له) فيه تزهيد في صرف العمر في القاني للفتاني كما أن في قوله (و
انما أنت عبد مستأجر - إلى آخره) ترفيب في صرفه في الباقي للباقي والتشبيه بالمستأجر تمثيل
للمعقول بالمحسوس فكما أن الاجير لا يستحق الاجر بدون العمل كذلك أنت لا تستحق الثواب
بدون العمل له ، ويقرب منه ما روى عن أمير المؤمنين وع أنه قال والقاس في الدنيا عاملان
عامل للدنيا في الدنيا قد شغلته دنياه من آخرته. يخشى على من يخاف الفقر ويأمنه على
نفسه فيفنى عمره في منفعة غيره ، وعامل عمل في الدنيا لما بعدها فجاءه الذي له من الدنيا
بغير عمل فأحرز الحظوظ معاً وملك الدارين جميعاً، فأصبح وجبها عند الله لا يسأل الله حاجة
 شيئاً ثم أشار إلى أن الحرس في الدنيا مهلك بقوله :

(ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة) هذا أيضاً تشبيه تمثيلي وفيه تزهيد في تناول زهرات
الدنيا ومطوماتها الشهية وكثرة الأكل منها فان ذلك موجب لقوة النفس الامارة وطغيانها

بمنزلة شاة وقعت في زرع أخضر فأكلت حتى سميت فكان حنظلها عند سمنها ولكن
اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جرت عليها وتركتها ولم ترجع إليها آخر
الدهر، أخرجها ولا تعمرها . فانك لم تؤمر بعمارها، واعلم أنك سنسأل غدا إذا
وقفت بين يدي الله عز وجل عن أربع : شبابك فيما أبليت و عمرك فيما أفقيت و
مالك مما اكتسبته و فيما أنفقته ، فتأهب لذلك وأعد له جواباً ، ولا تأس على
ما فاتك من الدنيا ، فان قليل الدنيا لا يدوم بقاءه و كثيرها لا يؤمن بقاءه ، فخذ
حذرك ، و جدد في أمرك و اكشف الغطاء عن وجهك و تعرض لمعروف ربك و جدد

و سبب إهلاكها ثم أمر بعدم الركون الى الدنيا والاستمرار فيها للجمع والادخار بقوله :

(ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة على نهر) هذا أيضاً تمثيل ووجه ظاهر اذ كل
عاقل يعلم أن الدنيا محل المهور لا محل النزول كالقنطرة فانظر هل ترى فيها من السابطين
أحداً ، ثم أمر برفض كل ما لا يحتاج اليه بقوله :

(أخرجها ولا تعمرها فانك لم تؤمر بعمارها) لعل المراد بأخراجها ترك ما لا يحتاج
اليه من المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والمناكح والاقتصاد على التقدير الضروري
في كل منها ، اذ لا بد للمساكن من زاد للدنيا و زاد للآخرة فزاد الدنيا التقدير الضروري مما
ذكر وكلما كان أقل فهو أحسن وأفضل وزاد الآخرة العلم والعمل وتهذيب الظاهر والباطن
وهو كلما كان اتم وأكثر كان أحسن وأجدر ، وفي قوله :

(واعلم أنك سنسأل غداً) ترغيب في صرف قوة الشباب و العمر في طلب الدين و
العمل به واكتساب المال من طرق الحلال وانفاقه في الوجوه المشروعة وارشاد الى التأهب
والاستعداد للمجواب ومراقبة النفس ومحاسبتها في كل آن لتلايق في هاوية التفتان والخذلان .
(ولا تأس على ما فاتك من الدنيا - الى آخره) وفيه ترغيب في تطهير القلب عن حب
الدنيا أي لا تحزن على ما فاتك من قليل الدنيا وكثيرها .

(فان قليل الدنيا لا يدوم بقاءه) والمائل لا يتأسف بفوات قليل لا بقاء له (و كثيرها لا
يؤمن بقاءه) والمائل لا يتأسف أيضاً بفوات ما يوقفه في الضرر والبلية (فخذ حذرك) الحذر وتهيبه
كأنه ولعل المراد به تجهيز أمر الآخرة بتطهير الظاهر والباطن (وجد في أمرك) لعل
المراد به تحلية الظاهر والباطن بالأعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة .

(و اكشف الغطاء عن وجهك) أي عن وجه قلبك ، وغطاؤه ما يحجب به من مشاهدة المبيود و
ملاحظة المقصود و يمنعه من الوصول اليه والتقرب منه من مقاصد المعاصي و مقايح الاعمال
والاخلاق ، وكشفه رفعه الموجب لمشاهدة جلاله وكماله والاتصال به اتصالاً روحانياً .

التوبة في قلبك و اكمش في فراغك قبل أن يتقصد قصدك و يقضى قضاؤك و يحال بينك و بين ما تريد.

٣١- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن بعض أصحابه، عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: فيما ناجى الله عز وجل به موسى عليه السلام يا موسى لا تركن إلى الدنيا ركون الظالمين و ركون من اتخذها أباً و أمّاً يا موسى لو وكلتك إلى نفسك لتنتظر لها إذا لغلّب عليك حب الدنيا و زهرتها ، يا موسى نأفس في الخير أهلها و استبقهم إليه ، فإن الخير كاسمه و اترك من الدنيا ما بك الغنى عنه و لا تنتظر

(و تعرض لمعروف ربك) وهو ما أراد منك ، أو أجره في الآخرة ، أو ما ينفعه على أهل العرفان (و جدد التوبة في قلبك) إشارة إلى أن التوبة أمر فليبي وهي الندامة عما مضى و الدزم على عدم الاتيان بمثله ، و إلى رجحان تجديد التوبة بعد التوبة لأن السالك لا بد أن يكون في ندامة بعد ندامة دائماً (و اكمش في فراغك) أي عجل و أسرع ، أو تعمر و جدد في فراغك عما يوجب الفخر و الخذلان لما يوجب العز و الاحسان .

(قبل أن يتقصد قصدك) أي نحوك يقال قصدت قصده أي نحوه (و يقضى قضاؤك) أي موتك ، أو سوء خاتمتك .

(و يحال بينك و بين ما تريد) من التوبة والطاعات والاخلاق النافعة بعد الموت أو الرجعة إلى الدنيا و تمنبها بعمده لتحصيل ما ينفع في الآخرة عند مشاهدة كرامة الاولياء و شفاة الاشقياء ، أو تأخير الاجل عند الاحتضار فنقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب و فاسدك و أكن من الصالحين ، و العاقل ينبغي أن يتصور أنه طلب الرجعة فرجع و يسمى في طلب العبرات في كل زمان بقدر الامكان و يحفظ نفسه من النغلة والنسيان والله هو المستعان . قوله (يا موسى لا تركن إلى الدنيا ركون الظالمين) اريد بالظالمين أهل الدنيا مثل سلاطين الجور و اتباعهم و من يحذو حذوهم في الركون اليها .

(و ركون من اتخذها أباً و أمّاً) شبه الدنيا بالاب والام و أهلها بالأطفال في الركون اليها والانس بها (يا موسى لو وكلتك إلى نفسك لتنتظر لها) أراد بالنظر لها نظر ميل و ارادة و أما بالنظر اليها نظر تفكر و عبرة فهو يوجب الامراض عنها .

(يا موسى نأفس في الخير أهلها) نأفست في الشيء منافسة و نفاساً اذا رغبت فيه على وجه المبارات و التنافس (و اترك من الدنيا ما بك الغنى عنه) اماماً لا غنى عنه من الضروريات اللاتفة شرعاً و عقلاً فلا ينبغي تركه (ولا تقبطن أحداً برضى الناس عنه حتى تعلم أن الله اراض عنه) دل على عدم جواز البطلة في أمر الدنيا الغير الضروري و على جوازها في أمر الدين

عينك إلى كل مقتون بها و موكل إلى نفسه ، و اعلم أن كل فتنة بدؤها حب الدنيا ولا تقبض أحداً بكثرة المال فإن مع كثرة المال تكثر الذنوب فواجب الحقوق ولا تغبطن أحداً برضى الناس عنه ، حتى تعلم أن الله راض عنه ولا تغبطن مخلوقاً بطاعة الناس له ، فإن طاعة الناس له ، و اتباعهم إياه على غير الحق هلاك له و لمن اتبعه .

٢٢ . علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن عبدالله بن المغيرة ، عن غياث بن إبراهيم ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن في كتاب علي صلوات الله عليه : إنما مثل الدنيا كمثـل الحية ما أليـن مسـها و في جوفها السم الناقع ، يحذرـها الرـجل العاقل و يهوى إليها الصبي الجاهل .

٢٣ . علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن أبي جميلة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض أصحابه يعظه أو صيـلـه ونفسي بنفوي

والدبلة أن تمنى حال الملبوط من غير أن تريد زوالها عنه .

قوله (إنما مثل الدنيا كمثـل الحية ما أليـن مسـها و في جوفها السم الناقع) أي القاتل وهو من صبغ النعجب وفيه إشارة إلى وجه التشبيه وهو اما متعدد أو مركب من متعدد و على التقديرين في المشبه به حس وفي المشبه مقلى والفرق من هذا التشبيه اما بيان حال المشبه و صفته أو تبيينه في نظر السامع ليتفكر طبعه عنها وهما إنما يقتضيان أن يكون المشبه به اعرف واشهر في وجه التشبيه من المشبه ولا ينافي ذلك ان يكون الامر بالعكس في الاتمية فعلى هذا يمكن ان يكون تأمير سم الدنيا أقوى وأتم لأنه يؤثر في النفس الناطقة و يوجب الهلاك الأبدي ، وسم الدنيا كناية عن جميع زهراتها الفانية والالذاذبها ، وسمها عبارة عما يترتب عليه في المال (يحذرـها الرـجل العاقل) لعلمه بأن القرب منها و تناولها يوجب هلاكه فيكون اسمه و سروره بالحذر عنها والفرار منها والاتصال بالمولى .

(و يهوى إليها الصبي الجاهل) اطلق على طالب الدنيا لهذا الصبي على سبيل الاستعارة لعدم علمه بما يضره و ينفعه اذ ليس له بعيرة باطنية ليدرك بها بواطن الامور ، ولذلك نظره مقصور على ظواهرها وهمه مصروف الى النعسك بها و الركون اليها حتى لو منعه مسانع لمعارضه أشد الممارضة وقاتله أقبح المقاتلة فرما يحبسـه الحرس في سجن المهالك وهو مشغوف بذلك فيأتيه الموت وينسـد عليه وهو في الآخرة من الخاسرين .

من لا تحل معصيته ولا يرجي غيره ولا الغنى إلا به ، فان من اتقى الله عزه و قوي و
شبع و روي و رفع عقله عن أهل الدنيا ، فبدنه مع أهل الدنيا و قلبه و عقله معاين
الآخرة ، فأطفا بضوء قلبه ما أبصرت عيناه من حب الدنيا فقتل حرامها و جانب
شبهاتها وأخرى والله بالحلال الصافي إلا ما لا بد له [منه] من كسرة يشد بها صلبه و ثوب

قوله (كتب أمير المؤمنين ع ، الى بعض أصحابه يعظه أو صيكت ونفسى بتقوى الله) الوعظ
الامر بالمعصية و عليه قوله تعالى قل إنما أظنكم بواحدة أى آمركم و قبل الوعظ تذكير
مشتغل على زجر و تخويف و حمل على طاعة الله بلفظ يرق له القلب و الاسم الموصلة ، و الوصية
بالشيء الأمر به و عليه قوله تعالى و يوصيكم الله فى أولادكم ، أى يأمركم و قوله و من لا تحل
معصيته بدل أو وصف للجلالة (فان من اتقى) الظاهر أنه صلة لقوله و أو صيكت ، يعنى أمرتك
بالتقوى فان من اتقى الله و اجتنب عن معصيته و تنزه عما يغفل عنه (عز) بمرّة ربانية لأجل معصاه .
(و قوي) بقوة روحانية لاضعف فيها (و شبع) بحكمة الهية لاجهل معها .

(و روي) بزال أسرار غيبية و الطاف لاهوتية لاحتياج معها الى غيرها (و) لذلك (رفع
عقله عن أهل الدنيا) حيث أن عقولهم عكنت كالأبواب على مينة الدنيا و عقله سائر فى المسالك
الاعلى (فبدنه مع أهل الدنيا) لكونه من جنس أبدانهم فى الصورة الجسدانية .
(و قلبه و عقله معاين الآخرة) لتجرده عن العلائق الجسمانية . (فأطفا بضوء قلبه ما
أبصرت عيناه) من حب الدنيا ، الاطفاء اخماد النار حتى لا يبقى منها شيء و ضوء القلب عبارة
من سروره الملمية المايضة بين الحق و الباطل و الحسن و النجس ، و فى حد حجب الدنيا مبصراً
مباصحة ، و تشبيهه بالنار فى الاحراق و الاهلاك استعارة مكنية و نسبة الاطفاء اليه تخيلية .
(فقتل حرامها) القدر الوسخ و هو مصدر قتل الشيء فهو قتل من باب تمب اذا لم
يكن نظيفاً ، و قدرته من باب تمب أيضاً و استقدرته و تقدرته كرهته لوسخه فأقدرته بالالف
وجدته كذلك و كثيراً ما يطلق على النجس و هو المراد هنا .

(و جانب شبهاتها) و هى المشبهات بالحرام مع عدم العلم بأنها حرام كأموال
الظلمة الاخفين لأموال الناس ظلمة (و أخرى والله بالحلال الصافي) و هو الحلال الخالص
من الحرام قطعاً (إلا ما لا بد له) و هو أقل المعيشة الذى لا يمكن الوجود و البقاء و الطاعة
بدونه (من كسرة يشد بها) صلبه الكسرة بالكسرة القطعة من الشيء المكسور و منه الكسر
من الخبز المتخذ من دقيق الحنطة و الشعير أو غيرهما و الجمع كسر مثل سدة و سدر .

(و ثوب يوارى به عودته من أغلظ ما يجد و أخشنه) خص العود بالذكر لانها أهم
بالموارد و الا فلا بد من ثوب يوارى به سائر البدن عند الاحتياج اليه لحفظ الحر و

يواري به عورته من أغلظ ما يجد و أحسنه ولم يكن له فيما لا يد له منه ثقة ولا رجاء ،
فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الأشياء ، فجده واجتهده و أتعب بدنه حتى بدت الأضلاع
و غارت العينان فأبدل الله له من ذلك قوة في بدنه و شدة في عقله وما ذكر له في
الآخرة أكثر ، فأرفض الدنيا فإن حب الدنيا يعمى و يصم ويبكم و يذل الرقاب
فتدرك ما بقي من عمرك ولا تقل غداً [أ] و بعد غد ، فإنما هلك من كان قبلك
بأقامتهم على الأمانى والتسويف حتى أتاهم أمر الله بغتة وهم غافلون ، فسئلوا على

البرد (و لم يكن له فيما لا يد له منه ثقة ولا رجاء) نلى الثقة والاعتماد فيما لا يد منه عند
كونه حاصلًا و نلى الرجاء عند عدم كونه حاصلًا .

(فوقعت ثقته) عند الحصول (ورجاؤه) عند عدمه (على خالق الأشياء) هذا غاية
الزهد والتوكل حيث قطع تعلقه بالوسائط والأسباب وخص تعلقه برب الأرباب .

(فجده واجتهده) أى فجده فى السير اليه والميل له واجتهده فى تهذيب الظاهر والباطن
مما يمنع القرب منه (و انصب بدنه) بأنحاء العبادات والرياضات ،

(حتى بدت الأضلاع) لشدة حراله بكثرة التعب و قلة الغذاء (و غارت العينان)
لكثرة السهر و قلة النوم (فأبدل الله له من ذلك قوة فى بدنه) ينحمل بها الأضلاع
الشاقة مع ضعف البنية (و شدة فى عقله) يدرك بها الأسرار اللاهوتية و يتحمل الأنوار
الملكووتية (و ما ذكر له فى الآخرة) من الأجر الجميل والثواب الجزيل و المقامات
المالية والدرجات الرفيعة (أكثر) مما آتاه فى الدنيا (فأرفض الدنيا فإن حب الدنيا) وهو
ميل النفس اليها بحيث يفرح بحصولها و يحزن بفواتها .

(يعمى و يبكم و يذل الرقاب) المراد بالعمى عمى البصيرة فإن حب الدنيا حاجز
بينها وبين الحق و أساره ، مانع من أدراكها . و يحتمل عمى البصر فإن حبها مانع من
أدراك البصر تغلبها على أهلها و أدراك نواحيها الدالة على هوانها كما أنه مانع من سماع
نداء الدامى الى فراقها و آيات الحق على زوالها وفنائها و من التكلم بالأوامر و النواهي
وتقبيح المنكرات لان كل ذلك منأى لما ارتكبه من الميل الى الدنيا وحب الشهوات وهو
مع ذلك موجب لذل الرقاب اذ فى حبها وتحصيلها وضبطها و حفظها من أهل الجور مذلة
ظاهرة لاولى الألياب (فتدرك ما بقي من عمرك) و اسرفه فى عبادة ربك و تدرك ما فات و
انصرف عن حب الدنيا الى المقننات (ولا تقل غداً و بعد غد) فإنما هلك من كان قبلك بأقامتهم على
الامانى والتسويف (هذا قول أهل الامانى والامال و مناطه حب الدنيا فإن حبها يعمى على
سرف العمر فى تحصيلها و جمعها وضبطها و اسرف الفكر فى كيفية تحصيلها بما يأمل ويرجو منها وتدبير

أعوادهم إلى قبورهم المظلمة الضيقة وقد أسلمهم الأولاد والأهلون، فانقطع إلى الله بقلب متيب من رفض الدنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال، أعاننا الله وإياك على طاعته ووقفنا الله وإياك لمرضاته.

٢٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة وغيره، عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله.

٢٥- الحسين بن محمد، عن معلى بن محمد، عن الوشاء قال : سمعت الرضا عليه السلام يقول : قال : عيسى بن مريم صلوات الله عليه للحواريين : يا بني إسرائيل لا تأسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا يأسى أهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم إذا أصابوا دنياهم.



(باب)

١- الحسين بن محمد الأشعري عن معلى بن محمد، عن الحسن بن علي الوشاء، عن عاصم بن حميد، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله عز وجل

إزالة المانع منه وهو بذلك يفتل من أمر الآخرة ما ينفذ فيها، ولو خطر بباله يسوفه ويقول أفضله غداً وبعد غد وبعد تميم هذه المماراة و انقضاء هذه التجارة و احصاد هذه الزراعة، و هكذا بعد اشغاله المتولدة بعضها عقب بعض الى أن يأتيه الموت بنته وهو في خسران مبین فيه روح عن تسويف النوبة والعبادات والتقيا على الاماني وحب الشهوات فان كل ذلك مع قطع النظر عن كونه مانعاً بالفعل قد لا يتحصل له باتيان الموت بنته و خروج الامر من يده و وصوله الى الغد ليس باختياره على أن الرجوع من الذنوب في الغد ليس بأسهل من اليوم بل هو أصعب لان الحمصية باستمرارها تشتد و تقوى حتى تصير ملكة فاذالتهما حينئذ أشد و أصعب، فاذا عجز عن إزالة الاضيق فهو عن إزالة الاصعب أصعب.

(فانقطع الى الله بقلب متيب من رفض الدنيا) الظاهر أن فانقطع أمر معطوف على فافرض الدنيا، والاناة الرجوع الى الله تعالى و«من» تعليل لها و عزم عطف على قلب و هو عقد الضمير والانخزال الانقطاع.

قوله (مثل الدنيا كمثل ماء البحر) هذا التمثيل في غاية الحسن و الوجه هو ازدياد الحرس في الجمع والشرب المفضى الى الهلاك بالآخرة، و من البين أن طالب الدنيا

يقول : وعزتي وجلالي وعظمتي وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبدي هواي على هوى نفسه إلا كفتت عليه ضيعته وضمنت السماوات والأرض رزقه ، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر .

إذا توجه إلى أمر واحد منها يتولد منه أمور كثيرة وتشترك فيه اشغال غير محصورة ببعضها عتب بعض وصرف الأمر فيها والحرص في تحصيلها يوجب هلاكه .

قوله (وعزتي وجلالي وعظمتي وعلوي وارتفاع مكاني) العزة القوة والشدة والمظلة قيل وعزته عبارة عن كونه منزهاً عن سمات الامكان وذل النفسان ورجوع كل شيء إليه وخضوعه بين يديه والمظلة في سعة الاجسام كبر الطول والعرض والعمق وفي وصفه تعالى عبارة عن تجاوز قدره عن حدود العقول والادهام حتى لا يتصور الاحاطة بكنهه حقيقته وصفاته عند ذوي الافهام وعلوه علو عقلي على الاطلاق بمعنى أنه لارتبة فوق رتبته وذلك لان أعلى مراتب الكمال العقلي هو مرتبة الملكية ولما كانت ذاته المقدسة مبدأ كل موجود حسي وعقلي لاجرم كانت مرتبته أعلى المراتب الملكية مطلقاً وله العلم المطلق في الوجود العاري عن الاضافة الى شيء ، و من امكان أن يكون فوقه ما هو أعلى منه ، وهذا معنى قول أمير المؤمنين (ع) سبق في الملوك لا أعلى منه وارتفاع مكانه كناية عن عدم امكان الاشارة اليه بالعقول والحواس .

(لا يؤثر عبدي هواي على هوى نفسه) المراد بهوى النفس ميلها الى ما هو مقتضى طباعها من اللذات الحاضرة الدنيوية والخروج عن الحدود الشرعية وبهواء تعالى اعراضها عن هذا الميل ورجوعها الى ما يوجب القرب الى الحضرة الاحدية .

(الا كفتت عليه ضيعته وضمنت السماوات والأرض رزقه) يجوز في ضمنيت تشديد المهيمة وتخفيفها ، والسماوات منصوبة على الاول و مرفوعة على الثاني وضيفة الرجل ما يكون منه معاشه كالصناعة والتجارة والزراعة وغير ذلك ، ولعل المراد بها المعيشة ، ويؤيده ما روى من طرق العامة والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ، قال ابن الاثير أي يجمع عليه معيشته ويضمها اليه .

(وكنت له من وراء تجارة كل تاجر) الوراة ذمال ولامه حمزة عند سيبويه وأبي علي الفارسي ويا عند العامة وهو من ظروف المكان بمعنى قدام وخلف ، والتجارة مصدر بمعنى البيع والحراء للنفع وقد يراد بها ما يتاجر فيه من الامتعة ونحوها على تسمية المفعول باسم المصدر ، ولعل المراد أن كل تاجر في الدنيا لاخره يجد نفع تجارته فيها من الجنة ونعيمها و حورها وقصورها ، والله سبحانه بذاته المقدسة والتجليات الثلاثة وراء هذا هذا المبدأ الذي أثر هواه على هوى نفسه . وفيه دلالة على أن للزاهدين في الجنة نسمة روحانية أيضاً ، ويحتمل

٢- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن ابن سنان، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله عز وجل: وعزّيتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعلوّ ارتفاعي لا يؤثر عبد مؤمن هواي على هواه في شيء من أمر الدنيا إلا جعلت غناه في نفسه و همته في آخرته وضمت السماوات والأرض رزقه و كنت له من وراء تجارة كل تاجر.

(باب القناعة)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن عماد بن مروان، عن زيد الشحام، عن عمرو بن هلال قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إياك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك، فكفى بما قال الله عز وجل: لنبيّ عليه السلام: و لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم، و قال: و لا تمدّْ عَيْنِكَ إلى ما منعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا، فإن دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله صلى الله عليه وآله، قائماً كان قوته الشعر و حلّواه التمرو وقوده السعف إذا وجدته.

احتمالاً بعيداً أن يكون كنت له كلاماً عاماً دالاً على أنه تعالى هو الغاية لعمله ويكون ما بعده حالاً للفاعل كنت دالاً على أنه تعالى هو الرقيب على عمل كلّ هامل، والمراد بجعل غناه في نفسه و همته في آخرته كما في الخبر الآخر جملة غنياً في نفسه بإسبال رزقه إليه من غيره تعالى وجعل همته وهي الادادة والعزم القوي في أمر آخرته وعباً أعظم المراتب الانسانية اذ الانسان بذلك الفنى لا يشاهد الا ربه وبذلك الهمة يبلغ من حضيض النقص الى أوج الكمال ويخرج من مذلة البعد الى مقام الوصال.

قوله (ياك أن تطمح بصرك الى من هو فوقك) طمح بصره اليه كمنع ارتفع لينظر اليه، و أطمح بصره دفعه وهو تحذير من النظر الى الفوق فإنه يوجب ميل النفس الى الدنيا و ترك القناعة والصبر والشكر و عدم الرضا بقضاء الله و تقديره بخلاف النظر الى الادون و هذا بالنظر الى أهل الدنيا، و أما بالنظر الى أهل الآخرة فالامر بالمعكس ثم رغب في القناعة و عدم النظر الى أهل الدنيا وما في أيديهم من زهراتها بقوله:

(فان دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله صلى الله عليه وآله)، فانما كان قوته الشعر (أي غالباً) و حلّواه التمرو وقوده السعف إذا وجدته الوقت بالفتح الحطب والسعف بالتحريك أفصان النخل مادامت بالخوس وهو ورقة فان زال الخوس عنها قبل جريده، والضمير في

٢- الحسين بن محمد بن عامر ، عن معلى بن محمد ، و علي بن محمد ، عن صالح ابن أبي حماد ، جميعاً ، عن الوشاء ، عن أحمد بن عسائذ ، عن أبي خديجة سالم بن مكرم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ سألنا أعطيناه وَمَنْ استغنى أغناه الله .

٣- محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن الحسن بن محبوب ، عن الهيثم ابن واقد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : مَنْ رضى من الله باليسير من المعاش رضى الله منه باليسير من العمل .

وجده راجع الى كل واحد من الامور المذكورة يدنى ان دخلك من ذلك شيء ينفخ الشيطان بانك لم تقنع وتحمل على نفسك المشقة وابتداء نوعك في نعمة جزيلة وراحة طويلة وطلب سعة المعيشة من أى طريق يمكن فادفعه بذكر ضيق عيش رسول الله صلى الله عليه وآله من أن الدنيا وما فيها خلقت له وما كان ذلك الا لعقارة الدنيا بعده و طلب رضا الله تعالى وتأس به بخرج الموجود والصبر على المفقود واستيقن أن الرزق مع الحياة و محال على الحكمم القادر العدل أن يقطع الرزق مع بقاء الحياة .

قوله (قال رسول الله صلى الله عليه وآله) مَنْ سألنا أعطيناه وَمَنْ استغنى أغناه الله) أى من استغنى عن السؤال أغناه الله عنه بأصلاء ما يحتاج اليه وبهم منه أن من سأل الناس وكله الله اليهم حيث صرف وجهه عنه واعتمد بهم ويدل على ذلك قوله تعالى «ومن يشق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يشق الله على الله فهو حسبه» والتفصيل أن ما تعلق به قلب أحد من مهمات الدنيا اما أن يكون قد قسم له أو لم يقسم فإن قسم فالله تعالى يكفيه مؤنته ويوصله اليه قطعاً اما بغير كلفة ومشقة ، أو بنهيئة أسبابه ، أو بتوفيقه اليها وان لم يقسم كفاه عن مؤونة الاهتمام به ، وأغنى قلبه عن التعلق به فهو الكافي لمن استكفاه اما بنفسه ، أو بنفس قلبه و منه يظهر سر الكلبة في قوله «و من استغنى أغناه الله » ونقل عن بعض المتوكلين أنه قال كنت في بعض البوادي وحدي فجئت ولا زاد معي فرفعت حاجتي الى مولاي فهنت بي هاتف أتريد غذاء أم غنا فقلت بل غنا فزال جوعى و وجدت قوة و غنا عن الطعام لحواً من عشرين يوماً .

قوله (من رضى من الله باليسير من المعاش رضى الله منه باليسير من العمل) لان من رضى عما على الله باليسير رضى الله عما عليه باليسير كما يقتضيه حسن المعاملة وأيضاً النعمة توجب شكراً والعمل منه فكما كانت النعمة أقل كان العمل أيضاً أقل ، وفيه ترغيب في الرضا بالقليل من الرزق لانه يستلزم خفة المؤونة ويزوال المشقة من العمل وأيضاً من رضى بالقليل

٤- عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي الْقَدَامِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: مَكْتُوبٌ فِي الشُّورَةِ: ابْنُ آدَمَ ! كُنْ كَيْفَ شِئْتَ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ، مَنْ رَضِيَ مِنَ اللَّهِ بِالْقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ الْبَسِيرَ مِنَ الْعَمَلِ وَمَنْ رَضِيَ بِالْبَسِيرِ مِنَ الْحَالِ خَفَّتْ مَوْزِنَتُهُ وَزَكَّتْ مَكْسَبَتُهُ وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْفُجُورِ.

٥- عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عُرْفَةَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: مَنْ لَمْ يَقْنَعْ مِنَ الرِّزْقِ إِلَّا الْكَثِيرَ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا الْكَثِيرَ وَمَنْ كَفَا مِنَ الرِّزْقِ الْقَلِيلَ فَإِنَّهُ يَكْفِيهِ مِنَ الْعَمَلِ الْقَلِيلَ.

٦- عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ أَبِي عمير، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقُولُ: ابْنُ آدَمَ إِنْ كُنْتَ تَرِيدُ

من المعاش فقد زهد في الدنيا وطهر ظاهره و باطنه من الاعمال والاخلاق القبيحة التي يقتضيها الدنيا وفرغ من المجاهدات التي يحتاج اليها السالك المبتدئ وجعلها وراء ظهره فلم يبق عليه الا فعل ما ينبغي فعله وهذا يسير بالنسبة الى تلك المجاهدات وهذا الاحتمال ذكره بعض علماء العامة في شرح ما رووه عن النبي صلى الله عليه وآله واخلص قلبك يكفيك القليل من العمل.

قوله (كن كيف شئت) هذا مثل قوله تعالى واعملوا ما شئتم وفيه وعد بالخير ووعيد على الشر كما أن في قوله :

(كما تدين تدان) إشارة الى أن جزاء الخير خير و جزاء الشر شر و ترغيب في حسن الماملة مع تعالى ثم ذكر للرضا باليسير ثلاثة أوجه للترغيب فيه فقال:

(ومن رضى باليسير من الحلال خفت مؤونته وزككت مكسبته وخرج من حد الفجور)

الوجه الاول خفة المؤونة أعنى الثقل والمشقة فان المشقة في طلب اليسير وحفظه يسير خفيف، والثاني زكاه مكسبه فبان المكسب المشروع لليسير كثير والمكسب المشروع ذكى، والثالث الخروج من حد الفجور لما عرفت من زكاه مكسبه مع تنزهه عن الحقوق المالية والميل الى الدنيا المستلزما للفجور بخلاف طالب الكثير فان المكسب الغير المشروع الكثير قليل جداً مع ما يلزمه من الحقوق المالية التي قلما يقوم بها طالبه و الركون الى الدنيا المستلزما لجميع الفجور والمفاسد.

من الدنيا ما يكفيك فإن أسر ما فيها يكفيك وإن كنت إنما تريد ما لا يكفيك فإن كل ما فيها لا يكفيك.

٧- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن محمد الأسدي، عن سالم بن مكرم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اشتدَّت حال رجل من أصحاب النبي عليه السلام، فقالت له: امرأته لو أتيت رسول الله عليه السلام فسألته فجاء إلى النبي عليه السلام فلما رآه النبي عليه السلام قال: من سألتنا أعطيناك ومن استغنى أغناه الله، فقال الرجل: ما يعني غيري، فرجع إلى امرأته فأعلمها، فقالت: إن رسول الله عليه السلام بشر فأعلمه فأتاه فلما رآه رسول الله عليه السلام قال: من سألتنا أعطيناك ومن استغنى أغناه الله، حتى فعل الرجل ذلك ثلاثاً، ثم ذهب الرجل فاستعار معولاً ثم أتى الجبل، فصعد فقطع حطباً، ثم جاء به فباعه بنصف مد من دقيق فرجع به فأكله، ثم ذهب من الغد، فجاء بأكثر من ذلك فباعه، فلم يزل يعمل ويجمع حتى اشترى معولاً، ثم جمع حتى اشترى بكرين وغلماً ثم أتى حتى أسر فجاء إلى النبي عليه السلام فأعلمه كيف جاء يسأله وكيف سمع النبي عليه السلام، فقال النبي عليه السلام: قلت لك: من سألنا أعطيناك ومن استغنى أغناه الله.

٨- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن الحكم، عن الحسين بن الفرات، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله عليه السلام: من أراد أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يده الله أوثق منه بما في يد غيره.

قوله (قال كان أمير المؤمنين دح) يقول ابن آدم إن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك أي أن كنت تريد من الدنيا ما يفيك عن غيره فإن أسر ما فيها يفيك وهو القدر الضروري الذي يتوقف عليه حياتك و قوتك على الطاعة وهذا القدر يأتيك قطعاً وتحصيلاً، وإن كنت تريد ما لا يفيك فإن كل ما فيها لا يفيك فالتحريم في جمع الدنيا ما لا يحتاج إليه ومراتب الحرمان غير محصورة فلو فرض أنه جمع لك الدنيا وما فيها تطلب الزائد عليها، ومثل هذا الحديث قول أمير المؤمنين دح، وكل مقنصر عليه كاف، يعني كاف في مطلوب المقنصر من بقائه وقوته على الطاعة كتقليل القوت وغير ذلك.

قوله (من أراد أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يده الله أوثق منه بما في يد غيره)

٩. عنه ، عن ابن فضال ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر [أ] و أبي عبد الله عليه السلام قال : من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس .

١٠. عنه ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن حمزة بن حمران قال : شكا رجلٌ إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه يطلب فيصيب ولا يقنع و تنازعه نفسه إلى ما هو أكثر منه و قال : علمني شيئاً أنفع به ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : إن كان ما يكفيك يغنيك ، فأدنى ما فيها يغنيك ، وإن كان ما يكفيك لا يغنيك فكل ما فيها لا يغنيك .

١١. عنه ، عن عدة من أصحابنا ، عن حنان بن سدير ، رفعه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام من رضى من الدنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيها يكفيه ومن لم يرض

لأن من انصف بهذه الفضيلة بحرف الله تعالى وجه قلبه عن جميع ما سواه إليه ويفيض بركانه و ذلال قبضه عليه ويسد باب حاجاته إلى غيره ولا غنى أعظم منه ومن المجرى إلى تلك الفضيلة هو التفكير في أن الله تعالى كريم لا يضره الاعطاء و خزائنه واسعة لا تنفذ وقد ذهب في السؤال عنه و وعد في الإجابة فلا يخلف وعده بخلاف غيره فإنه مثل السائل في الاحتياج و نخيل الفقر في وقت ما و حصول الضرر و كل ذلك يبعثه على رد السائل و أن اعطاء اعطاء قليلا و دمه طويلا و دمه ذليلا و منه كثيراً و الموت خير منه ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام «ع» الدنية و الدنية» روى بهما و رفعهما فالنصب بتقدير الفعل أى احتمال النية و هى الموت و لا تحتمل الدنية و هى السؤال و الرفع بتقدير الخبر أى النية ملتزمة و الدنية غير ملتزمة .

قوله (من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس) لأن النلى من لا يحتاج إلى غيره و القانع أولى بذلك من غيره لأن غيره كثيراً ما تنظر الحاجة إلى التوسل بالغير بخلاف القانع فإن قناعته بأدنى ما يكفيه رافعة للاضطرار ، و مما يبعث على تلك الفضيلة هو العلم بأن غير القانع يطلب الدنيا للثلاثة أشياء الفنى والعز والراحة والعلم بأن كل ذلك فى تركها لأن من تركها مز ومن قنع بما لا بد استغنى ومن قل سمي استراح .

قوله (إن كان ما يكفيك يغنيك فأدنى ما فيها يغنيك وإن كان ما يكفيك لا يغنيك فكل ما فيها لا يغنيك) مفهوم الشرطيتين ظاهراً أما الأولى فلأن أدنى ما فى الدنيا يكفيه فى قوام أمره والمفروض أن ما يكفيه يغنيه فأدنى ما فيها يغنيه . وأما الثانية فلأنه إذا كان ما يكفيه لا يغنيه كان ذلك لكمال الحرص ومراتب الحرص غير محصورة فكل ما فى الدنيا لو حصل له لا يغنيه لو حصلت بل له الدنيا مرة طلبها مرتين وهكذا .

من الدنيا بما يجزيه لم يكن فيها شيء يكفيه .

(باب الكفاف)

١ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن غير واحد . عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبيدة الحذاء قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل : إن من أغبط أوليائي عندي رجلاً خفيف الحال ، ذاحظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه بالغيب وكان غامضاً في الناس جعل رزقه كفافاً ، فصبر عليه ، عجبت منيته فقل ترائه وقلت بواكيه .

٢ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : طوبى لمن أسلم وكان عيشه كفافاً .

٣ - النوفلي ، عن السكوني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ

قوله (قال الله عز وجل إن من أغبط أوليائي عندي) وجه التفضيل أنه جمع بين الدين والدنيا وأخرج حبها من قلبه فأكرمها الله بقربه وفضله وخيره . وهذه الأمور من أعظم أسباب القبطة (رجلاً خفيف الحال) بالحاء المهملة أي ضيق الحال وقليل المعبدة من حفت الأرض إذا يبس نباتها ، أو بالحاء المعجمة أي قليل والحظ من الدنيا والله در من قال :

أخص الناس بالآيمان عبد	خفيف الحال مسكنه القفار
له في الليل حظ من سلوة	و من صوم اذا طلع النهار
و قوت النفس يأتي من كفاف	وكان له على ذاك اصطبار
و فيه عفة و به خمبول	اليه بالامابع لا بشار
و قل الباكيات عليه لما	قضى نحباً و ليس له يار
فذاك قد نجا من كل شر	و لم تمسه يوم البعث نار

(ذا حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه بالغيب) أي بالغيب عن الرب ، أو عن الخلق و المراد بأحسن العبادة اتيانها في أوقاتها بعرايطها وأركانها مع نية خالصة وقلب حاضر عالم بأن الرب يشاهده بل هو يشاهد الرب .

(وكان غامضاً في الناس) أي منموراً غير مشهور (جعل رزقه كفافاً فصبر عليه) الكفاف يالفتح ما لا يحتاج معه ولا يفضل من الحاجة فهو متوسط بين الفقر والغنى وخير الأمور أوسطها وإنما سمي بذلك لأنه يكف عن الناس ويفني عنهم .

اللهم ارزق محمدًا وآل محمد و من أحب محمدًا و آل محمد العفاف والكفاف، و ارزق من أبغض محمدًا و آل محمد المال والولد.

قوله (قال رسول الله اللهم ارزق محمدًا وآل محمد... العفاف والكفاف) العفاف بالفتح هفة البطن والفرج عن الطليان، أو العفة من السؤال عن الاثمان، أو الجميع (و ارزق من أبغض محمدًا و آل محمد المال والولد) لما كان شيء من المال ضروريًا في البقاء والبقاء و هو الكفاف الواقع بين الطرفين طرف الفقر الذي فيه راحة الكفر والعصيان، و طرف الغنى الذي فيه شائبة التكبر والطليان طلبه لنفسه ولمحبيه وطلب لمن أبغضهم طرف الغنى والكثرة لان مفاسده أكثر وأعظم وقتنته أشد وأفخم من مفاسد الفقر وقتنته كما قال عز وجل و إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال : «ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى» وقال أمير المؤمنين (ع) والمال مادة الشهوات، وبالجمله لما كان حصول الكفاف مانعاً من دواعي التفریط والافراط و كان السبب منه مستقيم الاحوال على سواء السراط طلبه لنفسه ولمحبيه ومضمون الحديث متفق عليه بين الخاصة والعامة. ففي مسلم عن النبي (ص) أنه قال اللهم اجعل رزقي محمد قوتاً والمراد بالقوت الكفاف وعنه أيضاً اللهم اجعل رزقي محمد كفافاً، وعنه أيضاً اللهم اجعل رزقي آل محمد قوتاً قال عباس (ع) لا خلاف في فضيلة ذلك لقلة الحساب عليه فانما اختلف أيهما أفضل: الفقر أو الغنى، واحتج كل لمحببه واحتج من فضل الفقر بدخول الفقراء الجنة قبل الاغنياء، وقال القرطبي القوت ما يقوت الابدان ويكف عن الحاجة وهذا الحديث صحيح لان قال ان الكفاف أفضل لانه (ص) انما يدعو بالارجح و أيضاً فان الكفاف حالة متوسطة بين الفقر والغنى، وخير الامور أوسطها، وأيضاً فانه حال يسلم منها من آفات الفقر و آفات الغنى، وقال الابن في كتاب اكمال الاكمال: في المسئلة خلاف والمتحصل فيها أربعة أقوال قبل الغنى أفضل، وقيل الفقر أفضل، وقيل الكفاف أفضل، وقيل الوقت. وقال ابن رشد والذي أقول به أن الغنى أفضل من الفقر والفقر أفضل من الكفاف وأطال الاحتجاج عليه في جامع المقدمات والمراد بالرزق المذكور ما ينتفع به (ص) في نفسه وفي أهل بيته وليس المراد به الكسب لانه كسب من خير ومن غيرها فوق القوت انتهى كلامه. واعلم أن الاحاديث مختلفة ففي بعضها طلب الغنى والبسار، وفي بعضها طلب الكفاف، وفي بعضها طلب الفقر، وفي بعضها الاستعاذة من الفقر ويمكن أن يقال المراد بطلب الغنى طلب الكفاف لان الكفاف هو الغنى المطلوب عند أهل الصفة عليهم السلام وليس المراد بهما هو المتعارف عند أبناء الدنيا من جمع المال وادخاره والاتساع فيه فوق الحاجة، وطلب الفقر أيضاً طلب الكفاف لان الكفاف فقر عند أهل الدنيا وان كان غناً عندهم عليهم السلام، وبالاستعاذة من الفقر الاستعاذة مما دون الكفاف و هو الفقر عندهم عليهم السلام وأقوى أفراد عند أهل الدنيا، وعلى هذا التنافي

٤- عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن يعقوب بن يزيد ، عن إبراهيم بن محمد النوفلي ، رفعه إلى علي بن الحسين صلوات الله عليهما قال : مر رسول الله ﷺ براعي إبل فبعث يستقيه ، فقال : أما ما في ضروعها فصبح الحي ، و أما في آيتنا فغبوقهم ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم أكثر ماله وولده ، ثم مر براعي غنم فبعث إليه يستقيه فحلب له ما في ضروعها وأكفأ ما في إناثه في إناث رسول الله ﷺ وبعث إليه بشاة وقال : هذا ما عندنا وإن أحببت أن نزيذك زدناك ، قال : فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارزقه الكفاف ، فقال له بعض أصحابه يا رسول الله دعوت للذي ردك بدعاء عامتنا نحبته ودعوت للذي أسعفك بحاجتك بدعاء كنا نكرهه ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن ما قل و كفى خيراً مما كنز وألبي : اللهم ارزق محمدًا و آل محمد الكفاف .

٥- عنه ، عن أبيه ، عن أبي البخري ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله عز وجل يقول : يحزن عبدي المؤمن إن قُتِرَ عليه وذلك أقرب له مني و يفرح عبدي المؤمن إن وسعت عليه وذلك أبعد له مني .

٦- الحسين بن محمد ، عن أحمد بن إسحاق ، عن بكر بن محمد الأزدي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : [قال رسول الله ﷺ :] قال الله عز وجل : " إن من أغبط أوليائي عندي عبداً مؤمناً ذاحظاً من صلاح ، أحسن عبادة ربه و عبد الله في السريرة و كان

بين الأخبار والله أعلم .

قوله (فقال أما ما في ضروعها فصبح الحي واما في آيتنا فغبوقهم) الصبح بالفتح شرب الداء والنبوي بالفتح شرب المشاء فأصلهما الغرب ثم استعمل في المأكل والحي القبيلة من العرب . **قوله** (و ذلك أقرب له مني) أي نقتير رزقه وتضييقه أقرب له مني لأن قلبه يفرغ عن غيره تعالى من علاقة المال وينوجه إليه بالتضرع والابتهاال ويطلب ما عنده من الفضل و ولقد سمعت من بعض أصحاب أهل الدنيا قال ما صليت بفراغ البال مفاشئت لك بالدنيا و تحصيل المال . بخلاف توسيع الرزق فإنه يبعد من الله لأنه يشغل القلب عنه إلى الدنيا . وجمع زهراتها وحفظها وترك الحقوق .

و قوله (ان وسعت) بالتخفيف أو التشديد يقال وسع الله عليه رزقه يوسع وسماً من باب فزع ووسه توسيعاً أي بسطه وكثره و أوسع بالالف مثلهما .

غامضاً في الناس فلم يُشر إليه بالأصابع، فكان رزقه كفافاً، فصر عليه فعُجلت به المنيّة، فقلّ ترائه وقلّت بواكيه.

(باب تعجيل فعل الخير)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن النعمان قال: حدثني حمزة بن حمران قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إذا هم أحدكم بخير فلا يؤخره فإن العبد ربما صلى الصلاة أو صام اليوم فيقال له: إعمل ما شئت بعدها فقد غفر **[الله]** لك.

٢- عنه، عن علي بن الحكم، عن أبي جميلة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: افتتحوا نهاركم بخير وأملوا على حفظكم في أوله خيراً وفي آخره خيراً، يغفر لكم ما بين ذلك إن شاء الله.

قوله (إذا هم أحدكم بخير فلا يؤخره) فإن العبد ربما صلى الصلاة أو صام اليوم فيقال له إعمل ما شئت بعدها فقد غفر **[الله]** لك من الله للعبد نفحات في بعض الاوقات، وللعبد مع الله مقام في بعض الساعات، وللعبادة كمال في بعض الانات موجب لرفع الدرجات فلعل زمان قصداً للخير والعبادة أحد هذه الاوقات التي يحصل للمباد فيها مزيد قرب واختصاص لا يضر منهما شيء من موجبات البعد ولا يدفع شرف القرب ومثل هذا الحديث رواه العامة قال القرطبي الامر في قوله داعمل ما شئت، أمراً كرام كما في قوله تعالى وادخلوها بسلام آمنين، واخبار عن الرجل بأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه ومحموظ في الآتي، وقال الابن يريد بالامر الاكرام ليس أنه أباحه لان يفعل ما يشاء.

قوله (افتتحوا نهاركم بخير وأملوا على حفظكم في أوله خيراً وفي آخره خيراً) يغفر لكم ما بين ذلك إن شاء الله) اذا كان عمل أول كل يوم وآخره خيراً يتدران لا يكسون وسطه خيراً لان المداومة على الخير تورث ملكة مانعة من الشر ومن ثم قيل الخير يسري بعضه الى بعض كالشر، ولو فرض وقوع الشر في وسطه فهو مغفور له كما قال عز وجل وان الحسنات يذهبن السيئات، لان الله تعالى يستحي من العبد أن يقيّل أول عمله وآخره ويرد وسطه أو يذنبه به، وإيضاً يمد من كرمه أن يرضى بالعبد أولاً وآخره ويذهب ببادة في الوسط، وإيضاً أعمال العبد بالنسبة اليه تعالى كخطاب أحداً مع بني نوعه وقد صرحوا بأن الخطاب لابد أن يكون أوله حسناً وآخره حسناً لان أوله أول ما يقرع السمع وآخره آخر ما يقرع السمع فيستحسنه السمع ويمد حسناً وكذلك الاعمال.

٣- عنه، عن ابن أبي عمير، عن مرادم بن الحكيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي يقول: إذا هممت بخير فبادر، فانك لا تدري ما يحدث.
 ٤- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله يحب من الخير ما يعجل.

٥- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن بشير بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أردت شيئاً من الخير فلا تؤخره، فإن العبد يصوم اليوم الحار يريد ما عند الله فيعنته الله به من النار، ولا تستقل ما ينترب به إلى الله عز وجل ولو شق تمره.

قوله: إذا هممت بخير فبادر فانك لا تدري ما يحدث) هذا كلام جامع لوجوه المبادرة إلى الخيرات منها الرجوع إلى الحالة المتنافية للتكليف كالهرم المستلزم لضرب العقل والبنية ونقصانها، ومنها المرض المانع من الاتيان بها، ومنها فجاء الموت، ومنها وسوسة الشيطان وإزالة القصد بها، ومنها طريان السهو والنسيان، ومنها ترزّل النفس بخوف الفقر، ومنها فوات المال، ونظير هذا الحديث ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام وعنه:

إذا هميت رياحك فاقتنمها فإن لكل حادثة سكون
ولا تففل عن الاحسان فيها فلا تدري السكون متى تكون

وله ترغيب بليغ في المبادرة إلى الخيرات.

قوله (إن الله يحب من الخير ما يعجل) دل على طلب التعجيل أيضاً قوله تعالى و يسارعون في الخيرات، ورغب فيه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله «لا خير في الدنيا إلا لرجلين رجل أذنب ذنباً فهو يشد أركه ورجل يسارع في الخيرات».

قوله (ولا تستقل ما ينترب به إلى الله عز وجل ولو شق تمره) أي تسفها فإن تسفها قد ينفذ النفس من الجوع المهلك ولأن الانصاف الحاصلة من المتعدد قد يبلغ قوت الأخذ. وفيه حث على التمدق وعدم تركه لعلك وباحتمل أن يراد به ولو كان يسيراً من أي نوع كان ومثله قوله «من لا تحقرن شيئاً من المعروف» و قول أمير المؤمنين عليه السلام «و افعلوا الخير ولا تحقروا شيئاً» فإن مدبره كبير وقليله كثير، فسر الخير في كلامه عليه السلام بالاحسان إلى الضعفاء والانعام عليهم ويمكن حمله على كل ما ينترب به إلى الله تعالى.

٦- عنه، عن ابن فضال، عن ابن بكير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من همّ بخير فليعجله ولا يؤخره، فإنّ العبد ربما عمل العمل فيقول الله تبارك وتعالى: قد غفرت لك ولا أكتب عليك شيئاً أبداً، ومن همّ بسيئة فلا يعملها، فإنّه ربما عمل العبد السيئة فبرأه الله سبحانه فيقول: لا وعزتي وجلالي لأغفر لك بعدها أبداً.

٧- عليّ عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا هممت بشيء من الخير فلا تؤخره، فإنّ الله عز وجلّ ربما أطلع على العبد وهو على شيء من الطاعة فيقول: وعزتي وجلالي لا أعذبك بعدها أبداً، وإذا هممت بسيئة فلا تعملها، فإنّه ربما أطلع الله على العبد وهو على شيء من المعصية فيقول: وعزتي وجلالي لأغفر لك بعدها أبداً.

٨- أبو عليّ الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن أبي حمزة عليه السلام عن محمد بن حمزاة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا همّ أحدكم بخير أو صلة فإنّ عن

قوله (فيقول الله تعالى قد غفرت لك ولا أكتب عليك شيئاً أبداً) غفران ذنوبه أمام باب التفضل، أو مستند إلى ذلك العمل لقوله تعالى وإن الحسنات يذهبن السيئات فدل على التكفير والله هو بمداييقه وأما قوله ولا أكتب فمحتمل أن يكون المراد أنه لا يكتب الذنوب التي يفعلها بعد في مدة عمره أما تفضلاً وأما لذلك العمل بأن يكون لذلك مدخل في محو ما بعده من الذنوب كما أن له مدخلا في محو ما قبله، ويحتمل أن يكون المراد أنه محفوظ في الآتي من قبل الذنوب ففيه أخبار بأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه و محفوظ فيما يأتي و بسمة رحمته وشفاعته، وبعث على الخوف والرجاء والأعمال الصالحة كلها فإن كل عمل يصلح أن يكون كذلك، ثم قوله (لا وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعدها أبداً) لعل المراد به أنه إذا وقع القسم و كله إلى نفسه فسلط عليه شيطانه ويفتح له باب المعاصي فيخوض في الشرور كلها حتى يخرج من الدنيا بلا إيمان فيستحق بذلك العقاب الأبدي أو المراد أنه لا يغفر ذنوبه أبداً بل يؤخذ بها وهذا لا يدل على عقوبته أبداً فلا يرد أنه إذا خرج مع إيمان كيف يستحق العقوبة أبداً.

قوله (إذا هم أحدكم بخير أو صلة فإن من يعينه وشماله شيطانين فليبادر لا يكفأ من ذلك) النفوس البشرية نائرة عن العبادات لما فيها من المشقة الثقيلة عليها، وعن صلة الأرحام

يمينه وشماله شيطانين، فليبادر لا يكفاه من ذلك.

٩- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : من هم بشيء من الخير فليعجله، فإن كل شيء فيه تأخير فإن للشيطان فيه نظرة.

١٠- محمد بن يحيى، عن محمد بن الحسين، عن علي بن أسباط، عن العلاء، عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إن الله ثقل الخير على أهل الدنيا كثقله في موازينهم يوم القيامة، وإن الله عز وجل خفف الشر على أهل الدنيا كخفته في موازينهم يوم القيامة.

(باب الانصاف و العدل)

١- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن الحسن ابن حمزة، عن جده [عن] أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما

والعبراء لما فيها من صرف المال المخبوب لها فاذا هم احدكم بشيء من ذلك مما يوجب وصوله الى مقام الزلفى و تشرفه بالسعادة العظمى فليبادر الى امضائه و لمعجل الى اقتنائه فان الشيطان ابدافى ممكن ينتهز الفرصة لتفثه في نفسه الامارة بالسوء و يتخربى الحيلة مرة بعد اخرى في منها عن الارادات الصحيحة العوجبة لساداتها و امرها بالتبايع المورثة لشقاوتها و يجلب عليها خيلة من جميع الجهات ايسد عليها طرق الوصول الى الخيرات و هى مع ذلك قابلة لتلك الوسوس و مائلة بالطبع الى هذه الخسائس وربما يتمكن منها الشيطان غاية التمكن حتى يصرفها عن تلك الارادة و يكفها عن هذه السعادة و هذه الحالة مجربة مشاهدة في أكثر الناس.

قوله (فان للشيطان فيه نظرة) فى المصباح نظرت فى الامر تدبرت و انظرت الدين بالالف آخرته و النظرة مثل كلمة بالكسر اسم منه و فى التثنية و فنظرة الى ميسرة، أى نقلاً خبير .

قوله (ان الله ثقل الخير على أهل الدنيا كثقله في موازينهم يوم القيامة و ان الله عز وجل خفف الشر على أهل الدنيا كخفته في موازينهم يوم القيامة) المراد بأهل الدنيا كل من هو فيها لا من هو طالب لها و مالك لزهراتها فقط و لكن الخير ثقيلاً و الشر خفيفاً عليهم قل سدور الخير و أكثر سدور الشر منهم و كان المراد بثقل الخير فى الميزان ان له قدراً و اعتباراً و عظمة بالذات و المنافعة يوجب عظمة صاحبه و علو قدره بخلاف الشر اذله خفة و حمارة

قال: كان رسول الله يقول في آخر خطبته: طوبى لمن طاب خلقه وطهرت سجيته و صلحت سريره وحسنت علانيته وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله و أنصف الناس من نفسه.

٢- عنه، عن محمد بن سنان، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من يضمن لي أربعة بأربعة آيات في الجنة؟ أنفق ولا تخف فقرأ وأفش السلام في العالم و اترك المراء وإن كنت محققاً وأنصف الناس من نفسك.

بوجب خفة صاحبه و تحقيره.

قوله (طوبى لمن طاب خلقه) أى الجنة أو طيب العيش فى الدنيا والاخرة لمن طاب وحسن خلقه بالامانة بالاخلاق الحسنة (وطهرت سجيته) أى طيبته عن الاخلاق القبيحة (و صلحت سريره) أى قلبه بالمعاهد المأثمة والثبات الخالصة والمعارف الالهية (وحسنت علانيته) بالاعمال الصحيحة والافعال الحسنة (و أنفق الفضل من ماله) بإخراج الحقوق الواجبة والمندوبة أو الأهم منهما أو بما فضل من الكفاف.

(و أمسك الفضل من قوله) بحفظ أسانه عما لا يمتنع من فضول الكلام (و أنصف الناس من نفسه) أى كان حكماً على نفسه فيما كان بينه وبين الناس ورضي لهم ما رضى لنفسه و كره لهم ما كره لنفسه. وفى المصباح نصت المال بين الرجلين انصفه من باب قتل قسمته نصفين و انصفت الرجل انصافاً عامته بالعدل و القسط و الاسم النصفه بفتحين لانك اعطينه من الحق ما تستحقه لنفسك .

قوله (من يضمن لي أربعة بأربعة آيات في الجنة) الآيات جمع البيت وهو المسكن كالبيوت والضياع الالتزام يقال ضمنت المال وبه ضماناً فانا ضامن وضمني التزمته ويشعدي بالتضمين يقال ضمنت المال تضميناً أى التزمته آياه و المعنى من يلتزم لي أربعة من الاعمال بسبب أربعة آيات التزمته لها فى الجنة، ثم اشار الى الاعمال الاربعة على سبيل الاستيفاف بقوله :

(أنفق ولا تخف فقرأ) فإنه لما رغب فى الاربعة بذكر ثمرتها وهى انها سبب لبناء بيت لصاحبها فى الجنة صار محالاً للسؤال فكان السائل قال ما هى حتى أعلمها فقال أنفق يعنى انفق فضل مالك فى ذوى الحاجات ولا تخف فقرأ فان الانفاق سبب للمعلىف والزيادة و أيضاً الفضل لادخل له فى الفنى فلا يوجب فواته فقرأ.

(و أفش السلام فى العالم) أفشاء السلام، وهو الإهداء به على جميع الانام الا ما أخرجه الدليل، سبب للإلفة والالتيام وموجب لحسن المعاشرة وتكميل النظام، مع أنه عبادة فى نفسه مطلوب فى دين الاسلام (و اترك المراء) أى الجدال والمنازعة.

(و ان كنت محققاً) وان كان فى المسائل العلمية بل هى أحق بشرك المجادلة الا بالنى

٣. عنه، عن الحسن بن علي بن فضال، عن علي بن عتبة، عن جارود أبي المنذر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : يستند الأعمال ثلاثة : إنصاف الناس من نفسك حتى لا ترضى بشيء إلا رضيت لهم مثله و مؤاساتك الأخ في المال و ذكر الله على كل حال : ليس سبحانه الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، فقط ولكن إذا ورد عليك شيء أمر الله عز وجل به أخذت به، وإذا ورد عليك شيء نهى الله عز وجل عنه تركته.

هي أحسن كما قال تعالى دو جادلهم بالتي هي أحسن، و للنفس فيها مكائد عظيمة فالأولى تركها بالكلية إلا من شرفه الله تعالى بالنفس القدسية والكمالات العلمية والعملية فيمكنه التخلص من الأخلاق الرذيلة التي تحصل من المجادلة مثل التكبر والرياء والغضب والحسد والبغض والمحب و غيرها مما لا يخفى على المزاويل لها و لهذا وردت الأخبار بالنهاي عنها مطلقاً رعاية للأكثر . (و انصف الناس من نفسك) وهو التزام العدل في المعاملة و المعاملة حتى يحكم بنفسه على نفسه و هو من أخشى الصفات النبوية والفضائل البشرية، وبه يتم نظام العالم و يرتفع الجود في بني آدم.

قوله (انصف الناس من نفسك حتى لا ترضى بشيء لنفسك الا رضيت لهم مثله) من انصف به لا يريد للناس الا خيراً و يطلبه لهم بقدر الامكان و يدفع عنهم شراً و يحكم لهم على نفسه لركان الحق لهم ولا يأخذ منهم من المنافع الا مثل ما يعطيهم ولا ينيلهم من المضار الا مثل ما يناله منهم (و مؤاساتك الاخ في المال) أي تشريكه و تسويته فيه يقال آسبته بما لي أي جعلته اسوة اقتدى أنا به و يقتدى هوى وهو ينشأ من ملكة السخاء.

(و ذكر الله على كل حال) وفي كل مكان سواء كانت الاحوال و الامكنة شريفة أم لا (ليس) أي ذكر الله (سبحانه الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر فقط) و ان كان مجموع ذلك من حيث المجموع وكل واحد من أجزائه ذكراً أيضاً .

(ولكن اذا ورد عليك شيء أمر الله عز وجل به أخذت به أو اذا ورد عليك شيء نهى الله عز وجل عنه تركته) الذكر ثلاثة أنواع ذكر باللسان و ذكر بالقلب والثاني نوهان أحدهما التفكير في عظمة الله و آياته والثاني ذكره عند أمره ونهيهِ والثالث أفضل من الاول، والثاني أفضل منهما، ومن العامة من فضل الاول على الثالث مستنداً بأن في الاول زيادة عمل الجوارح وزيادة العمل يقتضي زيادة الاجر، وفيه أن الزيادة ممنوعة و على تقدير التسليم فليست الصابغة كلية لظاهر أن الذكر القلبي أشرف الأذكار وأعرق فيها، و من ثم روى دنية المؤمن

٤- عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن إبراهيم بن محمد الثقفي عن علي بن المعلّى ، عن يحيى بن أحمد ، عن أبي محمد الميثمي ، عن رومي بن زرارة عن أبيه ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له : ألا إنّه من ينصف الناس من نفسه لم يزد الله إلا عزاً.

٥- عنه ، عن عثمان بن عيسى ، عن عبد الله بن مسكان ، عن محمد بن مسلم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله عز وجل يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب : رجلٌ لم تدعه قدرة في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يده ، ورجلٌ مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة ، ورجلٌ قال بالحق فيما له وعليه .

٦- عنه ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن هشام بن سالم ، عن زرارة ، عن الحسن البزّاز ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في حديث له : ألا أخبركم بأشد ما فرض الله على خلقه ، فذكر ثلاثة أشياء أولها إنصاف الناس من نفسك .

خير من عمله و اختلفوا في أن الذكر القليل هل تعرفه الملائكة وتكتبه أم لا فقبل بالاول لان الله تعالى يجعل له علامة يعرفه الملائكة بها وقيل بالثاني لانهم لا يظلمون عليها .

قوله (ثلاثة هم اقرب الخلق الى الله عز وجل يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب) ليس (حتى) هنا لانقطاع قربه بعد الحساب بل للمبالغة في دوام قربه لانه اذا كان عند حساب المخلوق في ظل قربه واحسانه وضافه اكرامه وانعامه كان بعده في ذلك بطريق أولى .

(رجل لم تدعه قدرة في حال غضبه الى أن يحيف على من تحت يده) ظاهره عدم الجور والتعدي في التأديب ويمكن أن يراد به العفو في حقه والعفو أنسب .

(و رجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة) أي مشى بينهما في أداء رسالة أو قصد اصلاح أو مصاحبة ، وقوله « بشعيرة » مبالغة في ترك الميل بالكلية و أقل الميل أن يقول ما يوافق طبع أحدهما ويخالف طبع الآخر .

(و رجل قال بالحق فيما له وعليه) هذا هو المراد في هذا الباب لانه الانصاف والمعدل في القول وهو أن يرضى لغيره ما يرضى لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه .

قوله (فذكر ثلاثة أشياء أولها انصاف الناس من نفسك) هذا أشد لانه أشق على النفس و لعل الآخرين المواساة و ذكر الله في كل حال كما يظهر من الاخبار الانية أو عدم الميل و عدم الحيف بقربة السابق .

٧- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: سيد الأعمال إنصاف الناس من نفسك، ومؤاساة الأخ في الله، وذكر الله عز وجل على كل حال.

٨- علي، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن زرارة، عن الحسن البصري، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ألا أخبرك بأشد ما فرض الله على خلقه قلت: بلى قال: إنصاف الناس من نفسك، ومؤاساتك أخاك، وذكر الله في كل موطن، أما إنني لأقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. وإن كان هذا من ذلك ولكن ذكر الله جل وعز في كل موطن، إذا هجمت على طاعة أو على معصية.

٩- ابن محبوب، عن أبي أسامة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما ابتلى المؤمن بشيء أشد عليه من خصال ثلاث يحرمها، قيل: وما هن؟ قال: المؤاساة في ذات يده، والإنصاف من نفسه، وذكر الله كثيراً. أما إنني لأقول: سبحان الله والحمد لله [ولا إله إلا الله] ولكن ذكر الله عند ما أحل له وذكر الله عند ما حرم عليه.

١٠- عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن يحيى بن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن جدته أبي البلاد رفته قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ وهو يريد بعض غزواته، فأخذ بغرزه رحلته فقال: يا رسول الله علمني عملاً أدخل به

قوله (إذا هجمت على طاعة أو على معصية) أي دخلت فيهما ووردت عليهما مع القدرة على امضاء هوى النفس كما يعمر لفظ الهجوم.

قوله (ما ابتلى المؤمن بشيء أشد عليه من خصال ثلاث يحرمها) أي يمتنع منها ويتركها ولا ينصف بشيء منها، تقول: حرمته حراماً من باب شرف وعلم إذا امتنعت فعله وفيه ترغيب للمؤمن في الاتصاف بها وفي قوله (ولكن ذكر الله عند ما أحل له وذكر الله عند ما حرم عليه) حيث على ذكره تعالى في جميع الأحوال لأن القلب يميل مرة إلى الحق ومرة إلى الباطل وتارة إلى الخير وتارة إلى الشر والجوارح تابعة له في جميع ذلك فلا بد للمؤمن من أن يكون ذاكرة لله تعالى في جميع حركاته وسكناته وتقلب قلبه ونظرانه وناظره إلى جميع أعماله القلبية والبدنية فإن كان خيراً أمسكه بهبل التذكر والایقان و مال اليه بنور القوة والایمان، وإن كان شراً يدعه من خوف العقوبة والعذلان كما روى وإذا عرض لك أمر فتدبر عاقبته فإن كان خيراً فامضه وإن كان شراً فاتته.

الجنة، فقال ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأتته إليهم وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأتيه إليهم، خل سبيل الراحلة .

١١- أبو علي الأشعري، عن الحسن بن علي الكوفي، عن عيسى بن هشام، عن عبد الكريم، عن العجلي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العدل أحلى من الماء يصيبه الظمان، ما أوسع العدل إذا عدل فيه وإن قل .

١٢- علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً لغيره .

١٣- محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن سنان، عن يوسف بن

قوله (فإخذ يدرج راحلته) الفرز بالفتح والسكون ركاب الراحلة من جلد وإذا كان من خشب أو حديد فركاب .

قوله (العدل أحلى من الماء يصيبه الظمان) العدل ملكة للنفس تمنعها من الباطل وتحفظها في جميع حركاتها وسكناتها الظاهرة والباطنة من الميل إلى الجور وهو في مذاق المادى بل الناس كلهم أحلى من الماء البارد في مذاق المطشان ويتضمن هذا تشبيهه بالماء في ميل الطبع والالتذاذ والوجه في الماء أجلى وأظهر وفي العدل أتم وأكمل كما يشعر به اسم التفضيل (ما أوسع العدل) كأنه تعجب في سعة باعتباره بملقه بكل أمر من الأمور الظاهرة والباطنة غير مختص ببعض دون بعض كالمقائد أو الأقوال مثلاً أو في سرفه وسعة نفعه لأنه إذا وقع العدل في الناس نزل السماء رزقها ونخرج الأرض بركتها ويتم نظام العالم، وذلك (إذا عدل فيه) أي في العدل أدل وجار فيه بتعلقه بالأعمال بعض الجوارح والأعضاء دون بعض لم يتحقق سعة بأحد المعنيين المذكورين (وإن قل) أي العدل ووجه قلته أنه يتوقف على كمال النفس الناطقة بالعلم والحكمة وكمال القوة النفسية بالشجاعة وكمال القوة الشهوية بالعلمة وبالجملة على استقامة القوى الظاهرة والباطنة حتى يكون جميع الأفعال والأعمال على وفق العقل والصرح، ومن البين أن الانصاف بهذه الخصال على وجه الكمال لكونه في غاية الصعوبة والأشكال ليس إلا الواحد بعد واحد هذا الذي ذكرنا في شرح هذا الحديث من باب الاحتمال والله أعلم بحقيقة الحال .

قوله (من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً لغيره) الظاهر أن رضي على صيغة المجهول أي رضي الله تعالى أو كل عاقل أن يكون هو حاكماً لغيره بحكم بين الخلق لأن بناء الحكم على الانصاف والعدل، وفيه حث على الانصاف به لأن السياسة المدنية والرياسة المدنية متوقفة عليه ومفهومه أن غير المتصف به لا يصلح للحكومة .

عمران بن ميثم، عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عز وجل إلى آدم عليه السلام إني سأجمع لك الكلام في أربع كلمات، قال: يارب وما هن؟ قال: واحدة لي وواحدة لك وواحدة فيما بيني وبينك وواحدة فيما بينك وبين الناس قال: يارب بينهن لي حتى أعلمهن، قال: أما التي لي فتعبدني، لا تشرك بي شيئاً، وأما التي لك فأجزيك بعملك أخرج ما تكون إليه وأما التي بيني وبينك فعليك الدعاء و عليّ الإجابة، وأما التي بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك.

١٤- أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن ابن فضال، عن غالب بن عثمان، عن روح ابن أخت المملى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اتقوا الله وأعدلوا، فإنكم تعيرون على قوم لا يعدلون.

١٥- عنه، عن ابن محبوب، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العدل أحلي من الشهد وألين من الزبد وأطيب ريحاً من المسك.

قوله (إني سأجمع لك الكلام في أربع كلمات) دل على أن هذه الكلمات جامعة لكل دال على الخيرات و هو كذلك لان العارف بالله والسائر الى الله قصده امور أربعة الاول هو الله تعالى وحده لا شريك له والكلمة الاولى اشارة اليه، والثاني تحصيل المنزلات الاخرية عند كمال الحاجة اليها، والكلمة الثانية ايماء اليه، والثالث اصلاح حاله في الدنيا وتقويم شأنه وقت السر بتحصيل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي بعون الله وتوفيقه، والكلمة الثالثة ايماء اليه، والرابع العدل بين رفاقه والانصاف فيما بينهم ليتمكن لهم السر الى الله وتكمل نظامهم، ولعمدخل عظيم في بقاء النوح والوصول الى المقصود، والكلمة الرابعة اشارة اليه، و اذا تأملت في هذه الكلمات وجدت الحكمة العملية والنظرية مندرجة فيها وقد قسم ارسطاطليس العدل على ثلاثة أقسام الاول رعاية الميودة، والثاني رعاية حقوق المشاركة، والثالث رعاية حقوق الاسلاف، والكلمة الاولى في هذا الحديث اشارة الى الاول، والكلمة الاخيرة الى الاخيرين.

قوله (اتقوا الله و اعدلوا) أي اطيعوا الله في أوامره و نواهيه و اعدلوا فيما بينكم ولا تجوروا (فإنكم تعيرون على قوم لا يعدلون) بين الناس فينبغي أن تعدلوا حتى لا يريب عليكم غيركم ولئلا يتوجه عليكم اللوم والانتكار في قواه تعالى ولم تقولون ما لا تفعلون.

١٦- عِدَّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن إسماعيل بن مهران، عن عثمان بن جبلة، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاث خصال من كن فيه أو واحدة منهن كان في ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله : رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم، ورجل لم يقدم رجلاً و لم يؤخر رجلاً حتى

قوته (العدل أحلى من الشهد وألين من الزبد وأطيب ريحاً من المسك) رغب في العدل التابع للاعتدال في القوى الإنسانية لتشبيهه أولاً بالشهد و هو العمل في الحلاوة و ميل الطبع و ثانياً بالزبد في اللينة والزبد مثال قفل ما يستخرج بالمحضر من لبن البقر والبنم و ثالثاً بالمسك في الريح المرغوب فيه و هذه المعاني وإن كانت في المشبه عقلية خفية عند الجاهلين لكنها كمسبة جليلة عند العارفين .

قوله (في ظل عرش الله يوم لا ظل الا ظله) ضمير الاظله يحتمل أن يعود الى الله وأن يعود الى العرش فعلى الاول يحتمل أن يكون الله سبحانه يوم القيامة ظلال غير ظل العرش ولكن ظل العرش أعظمها و أشرفها يخص الله سبحانه من يشاء من عباده ومن جعلتهم صاحب هذه الخصال الثلاث وعلى الآخر لا ظل هناك الا ظل العرش وهو ينافي ظاهراً ما روى عن أبي عبد الله (ع) قال : قال رسول الله (ص) أرض القيمة نار ما خلا ظل المؤمنين فان صدقته تظله ، و من طريق العامة و المعرو في صدقته حتى يقضى الله بين الخلائق ، فانه يدل على أن في الثبابة ظلالاً غير ظل العرش ، ومن ثم قيل أن في القياسة ظلالاً بحسب الاعمال تقى أصحابها عن حر الشمس والنار و أنفاس الخلائق ولكن ظل العرش أحسنها وأعظمها ، ويمكن الجواب بأنه ليس هناك الا ظل العرش يستقل بها من يشاء من عباده المؤمنين ولكن لما كان ظل العرش لا ينال الا بالاعمال وكانت الاعمال تختلف فحصل لكل عامل ظل يخصه من ظل العرش بحسب عمله و إضافة الظل الى الاعمال باعتبار أن الاعمال سبب لاستقرار العامل فيه ثم الكون في ظل العرش كما ذكرناه آنفاً يحتمل حمله على الحقيقة بأن يظلمهم الله تعالى من حر الشمس و وهج الموقف و أنفاس الخلائق ، ويحتمل أن يكون كناية عن حفظهم من المكاء وجعلهم في كنف حمايته ورعايته ، ويحتمل أن يكون الظل كناية عن الراحة والتمتع ومنه قولهم عيش ظليل (ورجل لم يقدم رجلاً و لم يؤخر رجلاً حتى يعلم أن ذلك لله رضي) يعني أنه يراقب نفسه في جميع الحركات الظاهرة والباطنة ويعملها موافقة للقوانين الشرعية

يعلم أن ذلك لله رضى ورجل* لم يعيب أخاه المسلم بعيب حتى ينتفى ذلك العيب عن نفسه ، فإنه لا ينتفى منها عيباً إلا بدأ به عيب ، و كفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس.

١٧ - عنه ، عن عبدالرحمن بن حماد الكوفي ، عن عبدالله بن إبراهيم الغفاري ، عن جعفر بن إبراهيم الجعفري ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من وصى الفقير من ماله وأنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً .
١٨ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن محمد بن سنان ، عن خالد بن نافع بن سابع السابري ، عن يوسف البرز أقال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ما تدارأ اثنان في أمر قط ، فأعطى أحدهما النصف صاحبه فلم يقبل منه إلا أدبيل منه .

١٩ - محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن محبوب ، عن أبي أيوب ، عن محمد بن قيس ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن الله حنة لا يدخلها إلا ثلاثة أحدهم من حكمهم في نفسه بالحق .

٢٠ - علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ابن أبي عمير ، عن حماد ، عن الحلبي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : العدل أحلى من الماء يصيبه الظمان ، ما أوسع العدل إذا عدل فيه وإن قل .

(فإنه لا ينتفى منها عيباً إلا بداله عيب) فيكون دائماً مشغولاً بعيب نفسه و تطهيرها عنه فيكون فارغاً من عيب الناس كما أشار إليه بقوله (و كفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس) لأن النفس ما دامت الدنيا محتاجة الى المصالحة والمداواة آناً فاناً .

قوله : (فذلك المؤمن حقاً) اريد أنه المؤمن الكامل الذي تكاملت أخلاقه الفاضلة و تمت أوصافه الكاملة فمن وجد فيه الامران علم أنه في غاية الكمال من الايمان .
قوله : (ما تدارأ اثنان - الخ) تدارأدا تدافعوا في الخصومة والخدمة ، وادبيل منه أى جعلت القلبية والنصرة له عليه يقال ادأنا الله على عدونا أى نصرنا عليه وجعل القلبية لنا و في الفائق ادأل الله زيدا من عمرو تزج الله الدولة من عمرو و آناها زيدا .

تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع أو له باب الاستغناء عن الناس .

استدراك

قد تكرر في ماضى ذكر القلب مراداً به النفس الداخلة اقتباساً من القرآن الكريم وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، أى من نفسين حتى يكون بأحدهما ابناً لواحد وبالأخر ابناً لآخر ، أو بأحدهما زوجة وبالأخر أما كما في الظاهر و تكرر أيضاً في كلام الشارح الإشارة الى تجرد النفس وهو أهم مبادئ علم الاخلاق مثل قوله : القلب من عالم القدس ، في الصفحة ٣٦١ والقلب في اصطلاح علماء الاخلاق هو القوة العاقلة والنفس الناطقة والمراد بكونه من عالم القدس تجرده ، فرائنا من أوجب ما علينا بيان هذا المقصد المهم ولا يخفى أن كثيراً مما يرى في خواص النفوس وآثارها تدل على وجود جوهرى مستقل عن البدن وأن الاعضاء آلات يحتاج اليها في العمل ويفقد العمل بفقد الآلات وكذلك الحواس الظاهرة آلات لا يندم صاحب الآلات بفقدانها والعاقلة لا تحتاج في ادراكها الى آلة حتى يندم العقل بانعدامها ولو كانت العاقلة أيضاً بالة وفقدت المشاعر كلها وتحللت أعضائها جميعاً لم يبق من النفس شئ وإنما يبقى النفس بقاء العاقلة مع فقدان المشاعر ، وقال بعض حكمائنا ان الحافظة للصور المثالية التى سموها الخيال أيضاً غير آلية لا تفنى بفناء الدماغ ، واحتجوا على عدم احتياج العاقلة الى الدماغ و عدم حلول الصور المعقولة فيه بوجوه : الاول ان الصورة العقلية غير منقسمة ولو كانت منقسمة لانتهى الى أجزاء غير منقسمة و غير المنقسم لا يحل في جسم منقسم ، الثانى أن القوة الحافظة فى الآلة لا تشعر بنفسها كالباصرة لا تبصر العين والعقل يشعر بذاته ، الثالث أن العقل يدرك المعقولات ولا يتقل عليه حملها وان كثرت ولا يكمل ويتعقل جميعها منسوبة الى الوضوح والقوى الحاسة الجسمانية كالبرى بكل ولا يبصر الضعيف بعد ادراك النور القوى الا بعد استراحة ما ولا يتم الانب الرائحة الضعيفة اثر القوة لشدة تأثيره بالقوة وكلاله ، ولا يكمل العالم الا عند التفكير لتحصيل المعلومات فى المرة الاولى لان الفكر من المتخيلة الثابتة فى الدماغ وأما بعد تعقل المعقول فلا يكمل باستمرار العقل كالبرى . الرابع أن العقل لا يضمحل بالشيخوخة وضعف الاعضاء وإنما يضعف الفكر والقدرة على تحصيل ما لم يحصله و العمل بما علم لضعف الآلة و أما نفس العقل فهو ثابت باق ويدرك حكماً بعد حكم من غير أن يعجز . ومن زعم أن الشيخ يضعف عقله بتقديم السن اشبه عليه الفكر بالعقل أو ما يتوقف من العلوم على مدونة الحواس بما لا يتوقف عليها والطبيب اذا شاخ وضعف يستشار ولا يعالج باليد لضعفه ، ولا يعجز المريض لضعف عينه وأذنه ولا يزيد علمه لضعف فكره وحافظته ، وهذه كلها غير العقل و معنى قوله ذلك لا يعلم بعد علم شيئاً يؤول على هذا . الخامس أن عدم كون الادراك من صفات الجسم بديهى والتشكيك فيه

يساوي التشكيك في سائر الامور البديهية وكيف يمكن أن يدرك جسم العود الحالة فيه ولو كان حلول صورة ما في الدماغ ادراكاً للدماغ قلم لا يدرك الجدار النقش الحاصل فيه ، فان قيل هذا المزاج خاص للدماغ ولتركيبه من عناصر خاصة ليست موجودة في الجدار ، قلنا فلم لا يدرك الدماغ الملاسة والخشونة والشكل والحفر وسائر ما حل في أجزائه من الاغراض والصفات وما الفرق بين الصورة المعقولة والعلوم الحاصلة في الدماغ وبين سائر صفات نفسه كالشكل والملاسة وكلاهما حالة جسمانية عارضة لجسم الدماغ والادراك عندكم عبارة عن حلول الصورة في جسم له هذا المزاج والتركيب ولا مناس عن ذلك إلا أن يلتزم بأن الادراك ليس بحلول حالة جسمانية في جسم بل شيء آخر من غير سنخ حلول عوارض الاجسام. وقال الشيخ لو كان العقل في دماغ لكان العقل ا مادام العقل للدماغ وأما أن لا يشتمله أصلاً ، و نعم ما قال وهذا الوجه الخامس هو الحجة القاطعة. وقد مر في الصفحة ٣٥٦ و ٣١١ وغيرهما ما يؤكد المتصور وقد علمنا من تتبع ما يسمى في علم الاخلاق وذائل مهلكات أنها جميعاً تنسب الى الفرائض الطبيعية المعقولة للقوة الواحدة كالشهوة والغضب والبغض والحسد فالسعادة كل السعادة في اخضاع الوهم وفهمه حتى لا يترسل في الشهوات ويتبع العقل ولا يمنه من كسب الفضائل وقد ظهر من ذلك أن الوهم وما يتفرع عليه ليس من العالم الروماني والتجرد في شيء ولا حظ له من القدس أصلاً ، والموجب أن الغزالي مع تبحره في هذا العلم نفى قول الحكماء في تجرد العاقلة بأن الوهم أيضاً لا ينقسم مدركاته فان معنى الحسد والغضب والشهوة وأمثالها الاجزاء مقدارية لها فلا ينقسم كمنى الانسان والحيوان فليست جسمانية وهذا عجيب من مثله لان معنى الحسد والغضب وأمثالهما كلي لا يدركه الحيوان البهائم وهو مجرد من جهة كونه معقولا حاصلا للقوة العاقلة وانما الحاصل للحيوان مصاديق هذه المعاني فاذا رأت الشاة ذئبا عرضت في بدنها حالة تبعتها على الفرار وخربان القلب ونسب نحن معاشر البشر تلك الحالة خوفاً ولا تتعقل الشاة معنى الحالة ولا يعرفها مفهوماً ولا لفظاً كاحساس الرضيع بوجع رأسه من غير أن يكون له تصور مفهوم الالم وجميع ما ذكره في التفاهات في نفس تجرد النفس الناطقة من هذا القبيل ناش عن قلة الاعتبار.

والخيال في اصطلاح الحكماء هو القوة الحافظة للصورة المدركة بالحوس المشترك واختلف الحكماء في تجرد الخيال البسيط هل هم فالشيخ الرئيس وأتباعه أنكروا تجرده وجعلوه من عوارض الدماغ بمعنى انه آلة لا مدرك وشيخ الاشراق ومن تبعه ومنهم صدر المتألهين - قدماء - اعتقدوا تجرده ولذلك أمكنهم الالتزام بأن روح الحيوانات التي لها قوة الخيال مجردة تبنى بدموتها وهو

منوقف على اثبات أن الحيوان يدرك وحدة ذاته طول عمره مع تبدل أجزائه بدهنه وأنه يبقى مع جميع ما أدركه سابقاً واختزن في خياله وبالجملة يتوقف على إحاطتنا بخصوصيات ادراكه الخيالي وأما الإنسان فيذكر غالباً ما أحسه بعد أربع سنين من ولادته والتزموا بتجريد الخيال إذ لا يتقبل حلول صور كثيرة متراكبة بعضها على بعض وبعضها عظيمة وبعضها صغيرة متضادة بعضها مع بعض فليس سنين متطاولة على جسم صغير من غير أن يشوش الصور ويبطل بعضها بعضاً ، والحيوان حاله غير معلومة لنا فقليله لا يذكر ما مر عليه سنة أو أقل لكن الحدس القوي يؤكد وجود صفات التجرد في خياله و ليس هنا موضع التفصيل في ذلك و اما اعتراض الفزالي على الحكماء في استدلالهم على تجرد النفس ببقاء وحدتها طول العمر مع تبدل البدن بأن الحيوان أيضاً كذلك يتبدل أجزائه مع أنه واحد من أول نموه إلى أن يموت ولا يقولون بتجرده

فالجواب أنهم لم يعلموا و حدثه بالمعنى الذي نراه في الإنسان من حفظ شخصيته ومذكراته وعلومه ولا تكفي الوحدة العرفية وعلى فرض ثبوت وحدته حقيقة يقولون بتجرده . فان قيل حكمت فيما سبق (في الصفحة ٣٢٩) بأن الحافظة كسائر الحواس الباطنة جسمانية وهي اعتياد الأعصاب أو الدماغ قلنا غرضنا هناك التذكير فان الحافظة قد تطلق على قوة تحل فيها الصور وقد تطلق على قوة تسترجع المحزون وتعضد ما عند الحس المشترك والجسماني هو الثاني دون الأول. راجع الصفحات (٢٧ و ٣١ و ١٧٦ و ٢٩٢ و ٣٠٧ و ٣١١ و ٣٢٠ و ٣٢٨ و ٣٥٠ و ٣٥٦) . (ش)

كتاب الايمان والكفر

باب	٢	طينة المؤمن والكافر
«	١٣	آخر فيه زيادة وقوم التكليف الاول.
«	٢٩	أن رسول الله أول من أجاب وأقر الله بالربوبية.
«	٣٣	كيف أجابوا وهم ذر.
«	٣٥	فطرة الخلق على التوحيد.
«	٤٠	كون المؤمن في طلب الكافر.
«	٤١	إذا أراد الله عز وجل أن يخلق المؤمن.
«	٤٢	في أن الصبغة هي الاسلام.
«	٤٣	في أن السكينة هي الايمان.
«	٤٦	الاخلاص.
«	٥٣	الشرايع.
«	٥٧	دعائم الاسلام.
«	٧١	أن الاسلام يعقن به الدائم وأن الثواب على الايمان.
«	٧٤	أن الايمان يشرك الاسلام والاسلام لا يشرك الايمان.
«	٨٩	أن الاسلام قبل الايمان.
«	٨٣	(بدون العنوان).
«	٩٨	في أن الايمان ميثوث لجوارح البدن كلها.

السبق إلى الإيمان.	١١٨
درجات الإيمان.	١٢٧
آخر منه.	١٣٢
نسبة الاسلام.	١٣٤
خصال المؤمن.	١٤٠
(بدون العنوان).	١٤٧
صفة الإيمان.	١٥٥
فضل الإيمان على الاسلام ، واليقين على الإيمان.	١٥٩
حقيقة الإيمان واليقين .	١٦٣
التفكير.	١٦٩
المكلام.	١٧٢
فضل اليقين .	١٧٩
الرضا بالقضاء .	١٨٨
النفويض إلى الله والتوكل عليه .	١٩٧
الخوف والرجاء .	٢٠٥
حسن الظن بالله عز وجل .	٢١٧
الاعتراف بالتقصير .	٢٢١
الطاعة والتقوى .	٢٢٤
الورع .	٢٣٣
الغصة .	٢٤٠
اجتناب المحارم .	٢٤٢
أداء الفرائض .	٢٤٥
استواء العمل والمداومة عليه .	٢٤٧
العبادة .	٢٤٩

النِّيَّة .	٢٥٢
(بدون العنوان)	٢٥٥
الاقتصاد في العبادة .	٢٥٧
من بلغه ثواب من الله على عمل .	٢٥٩
الصبر .	٢٦٢
الشكر .	٢٧٦
حسن الخلق .	٢٨٧
حسن البشر .	٢٩٤
الصدق و أداء الامانة .	٢٩٦
الحياء .	٢٩٩
العفو .	٣٠١
كظم الغيظ .	٣٠٤
الحلم .	٣٠٨
الصمت و حفظ اللسان .	٣١٣
المداواة .	٣٢١
الرفق .	٣٢٤
النواضع .	٣٣٠
الحب في الله والبغض في الله .	٣٣٩
ذم الدنيا والزهد فيها .	٣٤٧
(بدون العنوان) .	٣٨٠
القناعة .	٣٨٢
الكفاف .	٣٨٧
تعجيل فعل الخير .	٣٩٠
الانصاف والعدل .	٣٩٣



مرکز تحقیقات و نشر علوم اسلامی